تحويل الصراع الاستنباطي
والانتقال العابر للعقلانية في سياسات السلام

تحويل الصراع الاستنباطي والانتقال العابر للعقلانية في سياسات السلام

سلسلة «سلامات متعددة»

ان كاتب هذه السلسلة هو **وولفغانغ ديتريخ** مدير كرسي اليونسكو لدراسات السلام، جامعة انسبروك، النمسا.
تقدم هذه الثلاثية نقاشا مستفيضا يسير وفق منهج بحثي جديد في فلسفة السلام، السلام العابر للعقلانية وتحويل الصراع الاستنباطي، وقد تم تقديم هذا المنهج البحثي من خلال هذه الترجمة لاول مرة الى الجمهور الناطق باللغة العربية.

تتضمن السلسلة العناوين:

تأويلات السلام في التاريخ والثقافة

تحويل الصراع الاستنباطي والانتقال العابر للعقلانية في سياسات السلام

معلومات الطبعة الانكليزية

Information of the English version

Many Peaces Series

ELICITIVE CONFLICT TRANSFORMATION AND THE TRANSRATIONAL SHIFT IN PEACE POLITICS

First Published 2013 by PALGRAVE MCMILLAN

معلومات الطبعة العربية

الكتاب مترجم من اللغة الألمانية الى الإنكليزية، ومنها تمت ترجمته الى اللغة العربية

إصدار جمعية الأمل العراقية 2020

www.Iraqi-Alamal.org

german cooperation
DEUTSCHE ZUSAMMENARBEIT

Republic of Iraq
Ministry of Higher Education and Scientific Research

UNESCO
United Nations Educational, Scientific and Cultural Organization

UNITWIN
Twinning and University Networks

UNESCO Chair for **Peace Studies**
Universität Innsbruck, Austria

جمعية الأمل العراقية
Iraqi Al-Amal Association
NGO منظمة غير حكومية

UNDP
Empowered lives. Resilient nations.

ISBN: 978- 1- 989865- 41- 5

وولفغانغ ديتيريخ
كرسي اليونسكو لدراسات السلام، جامعة إنسبروك، النمسا

تحويل الصراع الاستنباطي والانتقال العابر للعقلانية في سياسات السلام

ترجمة

د.سناء لازم ال غريب

جامعة بغداد، العراق

د. ثامر راشد الزبيدي
جامعة واسط، العراق

د. محسن بني سعيد

علاء حسين جاسم
جامعة بغداد، العراق

د. محمد مصطفى حسونة

جامعة اسوان، جمهورية مصر العربية

المراجعة اللغوية

د. حسن الخاقاني

german cooperation
DEUTSCHE ZUSAMMENARBEIT
Republic of Iraq Ministry of Higher Education and Scientific Research
UNESCO
United Nations Educational, Scientific and Cultural Organization
UNITWIN
Twinning and University Networks
UNESCO Chair for Peace Studies Universität Innsbruck, Austria
جمعية الأمل العراقية
Iraqi Al-Amal Association
NGO منظمة غير حكومية
UNDP
Empowered lives. Resilient nations.

المحتوى

قائمة الاشكال

مقدمة الطبعة العربية

انبثقت فكرة كتابة ثلاثية حول ما اعتقدت في حينه بأنّه سيكون أعظم إسهام لي في بحوث السلام عالميّا منذ 1997، مفهوم السلام المتعدد، بعد زيارتي لجامعة السلام UPEACE في كوستاريكا عام 2005. أذكر أنني بدأت في الكتابة في غرفتي في الفندق في تلك الليلة عينها التي راودتني فيها الفكرة. كنت قد وضعت هيكلية لما توقعت أن يكون أعظم أعمالي وقد كانت جزءً أولًا حول فلسفة السلام المتعدد: « سلامات» في التاريخ والثقافة، وجزءً ثانيا حول المفاهيم التعليمية والمنهجية لبرنامج الماجستير في السلام، والتنمية، والأمن، وتحويل الصراع الدوليين الذي تم تأسيسه في عام 2001 في جامعتي الأم في انسبروك/ النمسا. وجزءً ثالثا يناقش نتائج هذه الفلسفة والمنهجية التعليمية لتطبيقات تحويل الصراع.

لقد وجدت خلال رحلة الكتابة أن كلمة «عابر للعقلانية» التي استعرتها من كين ويلبر KEN Welber تعبر بشكل أفضل عن ما أريد إعلانه للعلن- إن السلام هو أمر يتعلق بالمنطق والعقل وأمور كثيرة اخرى تنبع من الطبيعة الانسانية. ولأجل فهم المفهوم الانساني حول ما ندعوه بالسلام، ولأجل التعامل مع نجاحنا اليومي او الفشل الذي نواجهه أحيانا في تحويل الصراع من حولنا يجب أن نشمل جوانب إنسانية مثل الجوانب الجنسية، والعاطفية، والعقلية، والروحية عند قيامنا بالتحليل العلمي. لذلك فنحن نقوم بعمليات عابرة- للعقلانية.

لقد استعرت كلمة «استنباطي» «elecitive» من جول بول ليديراخ لأجل الحصول على نتائج عملية عند تطبيق هذه الفلسفة في مجريات عمل السلام وتدريب عمال السلام المستقبليين؛ وقد كان ليديراخ يقصد باستعماله هذه الكلمة أن الصراع ما هو إلّا مشكلة علائقية وليست متعلقة بالضحية أو مجموعة الضحايا ومن يضطهدهم او يعنّفهم، أو الشعور بالبراءة أو بالذنب كما تخبرنا المدارس التقليدية. يقدم هذا الجزء

هذه الجدلية بصورة مسهبة وأتمنّى أن تطور هذه الأفكار النقاش حول تحويل الصراع في البلدان الناطقة بالعربية.

لقد نشر الجزء الأول من هذه الثلاثية في المانيا من قبل شركة سبرنغر Springer عام 2008، وتبعه الجزء الثاني عام 2011 والجزء الثالث عام 2013. وكنت سعيدا جدا عندما نشرت دار بيلغريف ماكميلان Palgrave Macmillan النسخة الانكليزية عام 2012، 2013، و2018 لأن اللغة الانكليزية لا زالت هي اللغة العالمية لتخصص دراسات السلام. وهناك ترجمة باللغة الاسبانية وعلى درجة مساوية من الأهمية لأن اعمل مع زملاء في اسبانيا وامريكا اللاتينية، بما أن البرازيل أصبح تدريجيا مهمّا وسيتبع هذه الترجمة أخرى للغة البرتغالية.

لم أكن أتوقع أن العالم العربي سيكون مهتمّا بكتاباتي حتى تعاملت مع العراقيين، وحين فاجأ البروفيسور الدكتور عبد الرزاق العيسى جامعة انسبروك في عام 2018 بزيارة شخصية وطلب مساعدتنا في تطوير منهج لدراسات السلام في الجامعات العراقية. وقد نتج عن هذه الزيارة وما تلاها تعاون مثمر بين جامعة انسبروك وجمعية الأمل العراقية التي دعمها برنامج الأمم المتحدة الإنمائي UNDP. لقد تم تأسيس دراسة الدبلوم المهني في دراسات السلام في جامعة بغداد، وجامعة الموصل، وجامعة الأنبار، وتلتها جامعات عراقية أخرى أعدّت نفسها لتطوير كوادرها ليتمّ عبور المرحلة الأولى بنجاح تخطّى اقصى طموحاتنا.

جاءت ترجمة الثلاثية الى اللغة العربية ضمن عدد من الانجازات التي أضيفت الى ما تمّ تحقيقه في إطار هذا التعاون. لم يتم التخطيط للترجمة في البداية لكنّه أصبح مطلبًا منطقيًا أن تترجم ثلاثية «سلامات» لأنها ستخدم كمصدر أساسي في تأسيس حقل علمي وليد كدراسات السلام وتحويل الصراع في بلد حديث العهد به كالعراق. لذلك أنا أدين بالامتنان لجمعية الأمل العراقية التي بادرت بهذه الخطوة. وأقدم شكري الخاص للدكتورة سناء آل غريب الأستاذ في كلية الآداب في جامعة بغداد التي قامت بترجمة الجزئين الأول والثاني مع فريق من المترجمين بأسلوب وسرعة مميزين. أنا أعلم جيدا أن نصوص كتاباتي لا تشكل تحديا لغويّا للمترجمين فحسب لكنّها أحيانا تعد غير تقليدية في جدليتها وتشير الى مصادر وأفكار لم يعتد عليها الكثيرون مما

يجعلها صعبة الفهم على الرغم من ضرورة ترجمتها. لذلك أقدم إمتناني لكلّ من دعم المترجمة في معلوماتها الفلسفية، والنفسية، والتعليمية، او في تأملاتها الثقافية وشكوكها. وتتسع دائرة الامتنان لتشمل إحدى خريجات جامعة انسبروك جواهر عبدالله قاسم اسعد، و د. حسن الخاقاني الذي أجرى التصويبات اللغوية اللازمة على الترجمة العربية.

أتمنّى أن يكتمل عملي بأن يلهم المفكرين العرب، وأن يسهموا في التحويل الناجح لعدد من الصراعات على جميع الأصعدة، من المستوى الشخصي نحو المستوى العالمي.

وولفغانغ ديتريخ
إنسبروك، 16 آذار 2020

مقدمة الطبعة الإنكليزية

عندما قرأت لأول مرة مخطوطة كتاب وولفغانغ وجدت نفسي أفكر بأشجار الحور. ولأكونَ دقيقا وأمينا شعرت بأنني أشبه شجرة حور في حديقه كبيرة. دعوني أوضح هنا ما أعني ؛ لقد عاشت عائلتي لسنوات عديدة في جبال كولورادو. وكانت نوافذ المنزل تطلّ على قمم التلال وعلى جبال روكي التي ترتدي اللون الأبيض طوال السنة. وكانت تمتد امام اعيننا اشجار الصنوبر التي كانت خضراء وتمتد هذه الاشجار لتكسو التلال وسفوحها وتبقى خضراء حتى بداية الخريف. وترتعش اوراق أشجار الحور مما جعلنا نسمّيها أحيانا بالحور المرتعشة، وبحلول شهر تشرين الأول ومجيء الشتاء يتحول لون الأوراق الى الأصفر اللامع ثم الى الأصفر الداكن واللون البرتقالي الناري، مما يعطيها مظهرًا يجذب الأنظار ويحول الجبال الى لوحة فنية جميلة.

لقد كنا نشهد التحول كل موسم، وتحت الأرض كانت هناك تغيرات صامتة غير ظاهرة للعيان وهي صفة عجيبة تملكها إحدى اقسى البقاع وأقلّها خصوبة في العالم. تعد أشجار الحور من أقدم وأكبر الأحياء العضوية. وترتبط مع بعضها تحت الارض من خلال جذورها التي تتحرك بعض الانشات عن سطح الأرض في بعض الأماكن التي يسمّيها الاسبان بالأطفال المنبثقة، والتي تسير خارج، وأسفل، وأعلى، وخلال الاقليم. وفي بعض المناطق تمتد البساتين لأميال. وتعتبر الحور شفاء للغابة، والغابة علاج البشرية. وكما أخبرني أحد اصدقائي من أندونيسيا منذ وقت طويل أن الغابة تتقبل كل البشر.

حصلت في الثمانينات من القرن المنصرم على فرصة العمل في أمريكا الوسطى، وقد حدثت تغييرات عدة في حياتي وعلى مستويات متعددة، ولم تتبلور مهنتي إلّا بعد مرور عقد من السنين. لقد سبق أن وصفت مهنتي بأشكال عدة على الرغم من أنني وصفتها مؤخرا بأنها تقع بين صانع المطر لهوبي وطبق البطاطا لفان كوخ،

حيث أن عملي يتموضع بين سحر الاستلقاء تحت التربة الغامقة وانتظار البذور لتزهر وتوسّلها للسماء بأن تغزوها الأمطار (ليديراخ،2010، ص 11) لقد واجهت ذاتي خلل تلك السنوات، فكان لزامًا أن أجد، كما أشار فون ثون وآخرون، طريقًا نحو مجتمعي الداخلي لأتفاوض حول اهتماماتي المتنوعة، ومخاوفي، وآمالي. بدأ الجانب الممارس والباحث داخلي بالتناغم مع العمل أكثر على الرغم من أنهم يلاقون صعوبات كثيرة ومستمرة. أنا أدعو نفسي الممارس ـ الباحث، وهي صفة كحال صفة باني السلام ليس من السهل ان تندمج مع أي عمل مؤسساتي.

لقد واجهت أيضا الجزء المظلم من ما يدعى بالنوايا الحسنة، والتطبيقات الفضلى، والأدلة التجريبية. وأعني بالجانب المظلم من بين أمور عدة إنه كان علي لزاما مواجهة أن «الجيد» الذي قدرته واعترفت بأنه هدف وغاية لم يطابق دائما السياق وحقيقة العلاقات. لقد وجدت أيضا أنني كنت أكثر استبدادا مما توقعت. اكتشفت أنني أعرف أقلّ مما توقعت. وأشعر بأنني محظوظ لأنني ترجمت هذا على شكل فضول، وتأمل، وتطور. خلاصة ما أود قوله إنني في اوائل أيام مهنتي التي اتخذت شكل بحوث، او رسائل بحثية، وأخيرا ككتاب (الاستعداد للسلام) الذي استقبل بحرفية واعتناء من قبل الباحثين أمثال وولفغانغ في كتابه هذا. لقد أظهر وولفغانغ احترافا كباحث علمي ألزمَني بالاعتراف إنه فاق قدراتي وإنني معجب جدا بعمله وأعترف بأنه أظهر افضل ما في الباحث ـ الممارس ـ الفيلسوف لذلك سأدعوه باحثا فيلسوفا ممارسا.

انبثقت أغلب بحوثي وكتاباتي وملاحظاتي بشكل حثي. أراقب، وادخل ضمن التجربة، وأناقش، وأحاول فهم سياق حركة الامور، وكيف أنها ترتبط ببعضها لتشكل عقدة، وكيف نرى الامور ونغفل عن بعضها، وكيف يرى من أحبهم واهتم لأمرهم العالم من حولهم، حتى عندما يكون العالم قاسيا، وعنيفا، وصعبا. يتركز اهتمامي حول فهم كيفية تغير وتطور الأمور. ولحسن حظي فإنني أدرس المجتمعات على سعتها او حتى وإن كانت مجاميع صغيرة أراقب وأحلل كيفية حدوث التغيير الذي يسمح لأفرادها أن يكونوا بشرا بكل ما تعنيه الكلمة وأن يصبح المجتمع الذي يشكلونه مجتمعا انسانيا ذا صحة مجتمعية صحيحة.

لقد كان مختبري دائما هو المجتمعات التي تعاني الصراع، حيث أشنّ غارة مفاجئة على عالم السياسة الوطنية الغريب، والمفاوضات، وإجراءات السلام الرسمية ومن ثم أعود الى العالم الاكاديمي، والتأمل، والكتابة. يتمتع كل انسان بقدرة معينة على التحمل، على الرغم من أن قلة منا يلاحظونها. تنبثق كتاباتي ـ التي يحب البعض ان يسميها نظريات على الرغم من إنني لم أكن واثقا من نتائجها لفترة طويلةـ في محيط من الاجراءات الفوضوية للتأمل حول التجارب. وهكذا اكتشفت مصطلح «استنباطي». كنت أحاول معرفة وتمييز ماذا كنّا نفعل عندما كنا نقوم بالتدريب في تخصص تحويل الصراع مع وجود طريقة وموقف يقدم عكس ما هو موجه ووصفي. كنت أرغب بصياغة كلمة بليغة وشاعرية، ولاحظ وولفغانغ ذلك مباشرة، وبعد مرور 30 سنة لا زالت القواميس لا تحب هذه الكلمة.

هذا هو السبب الذي يجعلني أشعر كأنني شجرة حور عندما أقرأ هذا الكتاب. قبل عدة سنوات طرأت لي فكرة كانت تبدو أنها تعكس منهجا وطريقة كنا نناضل في سبيل فهمهما. عندها أخبرت أساتذتي العظام ـ بدءا من بولدنغز وكيرل حتى فراير وغالتونـ واعتقدت حينها أنني قد ألهمت حول هذا الموضوع وأنني أؤسس لشيء جديد في الخفاء، وأن الجذور المنتشرة حولي كانت تغذيني وترتبط بي كما شجرة الحور. يظهر كتاب وولفغانغ كمال الأعضاء الحية التي تمتد تحت وحول منهج الاستنباط. أفكاره التي يعرضها تربط بين الجذور الكبيرة والقديمة وتمتد من جبل لآخر حتى سفوح التلال. لقد وجدته كتابا ملهما ومتداخلا، وينسلخ تدريجيا وصولا الى الماضي ومن ثم يضيف معاني الى بدايات استعماله الكلمة لغويا.

قد يفهم أن ما أحاول قوله هو تقدير لقدرات تكاملية تظهر الارتباطات والجذور بينما تخلق في الوقت نفسه فضاء للتطور والفهم العميق. لقد عانينا طويلا على المستوى العلمي من نعمة ولعنة المشروع التحليلي، والقدرة على رؤية وتحليل وتقسيم الحقائق المعقدة الى شرائح أضيق وأصغر. وكناـعلى الأقل بعضنا ينطبق عليه هذا الأمرـ نعاني من حسد موجّه للآداب، التي يتطلب منهجها المهني ثباتا وتأمّلا للكل المعقد. ومن بين عدد من الأشياء التي وجدتها في هذا الكتاب هو القدرة على الربط من خلال التحليل والتكامل، وهما ظاهرتان مازالتا تحت الدراسة، والتي

يسميها ووافغانغ «العابر للعقلانية» والتي تستند على تحدي التشخيص الذي هو من صلب روح تحويل النزاع الاستنباطي : المنطقة الرمادية بين العلوم والاداب».

قد أحتاج الى كتاب كامل وليس «تمهيد لكتاب» لأذكر الطرق العديدة التي وضعها هذا الكتاب، وطبقها، وحسّنها، ووسع فيها منهج الاستنباط، ليس كما تم رسمه في الاصل فقط ولكن ربما كارتباط حذر للتطور الذي لحق بكتاباتي وكتابات مفكرين آخرين من عقود مضت. لهذا أنا ممتن ولأنه منحني الشجاعة ايضا. فأنا عندما أعود الى كتابي (التحضير للسلام)، فأجد معظم الكتاب ومن يقوم بالاقتباس من المنهج الاستنباطي يحدده بطرق التدريب، وتنمية القدرات او التعليم في تخصص تحويل الصراع وبناء السلام. لقد قام وولفغانغ بذلك من خلال الانغماس في بحر الكتابة الواسع، وقد اشار بدقة وثمّنَ المنهج الاستنباطي كهيكل للمصادر تربط بشكل كلي بين الممارس (من اكثر من مجال عمل)، والمهن بشكل عام، والارتباطات المتعددة الاتجاهات التي وصفها بشكل مثير كنقلة في العنوان لهذا الكتاب. أعتقد أن هذا موضح بشكل ملهم في الفصل السادس، حيث يستكشف التحولات التي انبثقت في المجالات المتنوعة للنشاطات العالمية التي تستجيب للصراع.

دعوني أخاطب مجالين يبدو أننا نتنوع ونختلف، على الرغم من أنني أمرّ بهما هنا مرورا، وأعتقد أننا من خلال استكشافهما أكثر والتحاور حولهما قد نجد نقطة تقارب بينهما.

الاول، تأكيد وولفغانغ على أهمية وضرورة التركيز على الحاضر، وهو وجه من وجوه العمل الاستنباطي التطبيقي، وهذا يثير بعض الاسئلة حول طبيعة ونوع التخطيط والتفكير بالمستقبل. يجب أن أشير هنا الى أنني أحد طلبة كينيث بولدنغ، وأليس بولدنغ وأن الأخير عمل لوقت ما في الهيأة الاستشارية لمركز العدالة وبناء السلام. لقد كانت أليس عمودا هاما وقويا في بناء ما كنا نتصوره وتطويره في التخيل الابداعي. فالصورة مركزية ومهمة في عملنا. وقد اشترك كينيث في هذه الافكار حتى أنه عنون أحد كتبه (الصورة). أتخيل أنهما قد حظيا بمحادثات ونقاشات طويلة في البيت حول هذا الموضوع. إن ما تعلمته من أليس هو أهمية أن لا نعتمد على الوصف الضبابي

والصور غير الواضحة.قد تتطلب أقسى لحظات العمل الاستنباطي السؤال، والسبر، والسؤال مرة أخرى حول ما يراه الفرد حقا، وما يتمنون، وما قد يكون موجودا في خيالاتهم، وعندها، على نطاق صغير، تتضمن أخذ خطوات للوصول الى هذه الأمور الابداعية، كالفن. أنا أدعو هذا النوع من الفن بالقدرة على خلق ما لم يخلق الآن. لكنني أيضا تعلمت شيئا مشابها من مجموعة من السكان الأصليين، فمثلا عندما اتيحت لي الفرصة أن أكون مع مجموعة من الموهاك Mohawk خلال أزمة أوكا Oka Crisis خارج مونتريال عام 1990 وفي خضم موقف يحمل في طياته احتمال نشوب عنف كارثي قاموا بتذكر مسؤولياتهم كقادة لعكس قيم التخلق منذ سبعة أجيال مضت وليتذكروا أن قرارهم الذي سيتخذونه في ذلك اليوم سيؤثر على الأجيال القادمة.

دعوني أشارككم نادرة أخرى حول هذا الموضوع، في نهاية الثمانينات، عندما كنت أعمل في بدايات ما سمّي لاحقا هيكل لجنة السلام المحلية في نيكاراغوا، عقدنا اجتماعا مع قادة لمجاميع محلية كانو متأثرين جدا بالحرب. كان هؤلاء القادة يشكلون لجانا محلية، وتحركوا بشكل يومي بين المجموعات المتصارعة في مجتمعاتهم. واستمرت النقاشات لأيام، واستطعنا الحصول على بعض المعلومات والخطط وطورنا هيكلية عمل. وخلال الاجتماعات لاحظت أن أحد زملائي كان يلتقط بذور غواناكاست من شجرة كبيرة، وجميلة، ورائعة تمتد لتظلل الفناء الذي كنا نأكل فيه كل يوم، وعندما سألته عن ذلك أجابني أن في منطقته التي يعيش فيها حدث تجريد للأشجار وكان يرغب أن يعود مع بعض البذور الى هناك. وعندما افترقنا، لم أنسَ صورة بيدرو وهو يسير باتجاه الباص الذي سيعيده لموطنه في رحلة تستغرق ست ساعات، وعلى ظهره كيس كبير من البذور، قد يزن اربعين كيلو، وفي يده حقيبة صغيرة نسبيا تشمل اوراقه وثيابه. وهذا ما وجدته دائما في جلسات الاستنباط- القدرة على استدعاء الماضي والعيش فيه، والتعايش مع الحاضر والمستقبل بطرق تتقبل التغيير الهادف.

الأمر الثاني إن وولفغانغ لاحظ الصعوبات والتعقيدات التي تسببها العدالة وتواجهها، خصوصا المعنى الذي أميل إليه وهو السلام العادل. أتصور أننا في هذه الحالة نحتاج الى نقاشات مستفيضة. فأنا أقترح مفهومي للعدالة يتداخل مع ويتطلب

تفهما عاليا لطبيعة العلاقات. فالعدالة من هذا المنطلق علائقية. وهي تتمحور حول اختيارنا في تنظيم ارتباطاتنا. وهي حول خياراتنا في أن نكون مجتمعا انسانيا. يتجاوب هذا الأمر مع مجمل ما يدعونا هذا الكتاب لاستكشافه والاطلاع عليه. أنا متأكد أن هناك تعبيرات نظامية تستخدمها العدالة لا أجدها متسقة مع القيم التي أفكر وأؤمن بها، لكن هذا الأمر لا ينقص من مسعاي لإيجاد طرق لزيادة الاحترام، والنزاهة، والعدالة مما ينتج عنه مجتمع ذو علاقات صحية، سواء محلية او عالمية. وعلى الرغم من ذلك مازلت أجد جمالا في عدالة السلام تستحق البحث والسعي لتحقيقها.

يأخذنا هذا الى النقطة الأخيرة في نقاشنا حيث أجد نفسي متأثرا ومقدرا لروح وشجاعة سيكتشفها القارئ لصفحات هذا الكتاب. إن قلب هذا الكتاب يستدعي عددا من المواقف والتحديات التي نادرا ما نجد أن أحد النصوص التي اختصت بدراسات السلام المتعدد عبرت عنها بشكل رسمي.

أولا، يبسط هذا الكتاب معلومات تثير الفضول بطريقة مدهشة لأنه يهتم بفهم القارئ بالدرجة الاساس.

ثانيا، يعد الكتاب قريبا جدا منا مما يجعلنا منفتحين على التطبيق، والنظرية، والافكار التي تثير فينا الرغبة في الاستكشاف فالتعلم يستمر طوال العمر.

ثالثا، يقترح الكتاب أن نخضع القلب الى تعليم واعٍ، الأمر الذي أجده واضحا في كلمات وولفغانغ. إن المنهج الاستنباطي الذي يكتب عنه يتطلب منا العمل من منطلق روحاني مع القدرة على «التزام الصمت والحب المطلق».

ثلاث طرق تتميز يمكن اعطاؤها الثقة لما نسميه بالمنطقة الرمادية، وأسميه الأرض الخصبة بين العلوم والآداب، التطبيق والنظرية.

لقد قرأت المخطوطة ثم كتبت التمهيد بينما كنت في النيبال، وقد أخذتني هذه التجربة في رحلة من النقاشات مع المجتمعات المحلية التي تعمل على الصراعات حول المصادر الطبيعية، ومع النساء اللاتي يسعين للحصول على صوت يحكي معاناتهن، وكنت أجلس مع سياسيين يكافحون في سبيل الوصول الى أهدافهم عبر

انعدام الثقة والوساوس. إن هذه هي سنتي العاشرة التي اعتدت في كل سنة منها القدوم الى النيبال أربع الى خمس مرات، وفي كل زيارة كنت أجد نماذج قديمة تبرز أمامي وأخرى جديدة، تزرع بذور التغيير بصورة واضحة.

ومنذ عدة أيام، بينما كنت أجلس ضمن جلسة في مجتمع صعب النقاش في باختابور Bakhtapur ، اقليم مجاور للعاصمة، راقبت شجرة قديمة ترتجف بسبب رياح منتصف الشتاء، وكنت أصغي للنقاشات من حولي بينما أراقب، وقمت بتسجيل بعض الملاحظات، وكتبت هايكو haiku[1]، وجدت لاستنتاج ان كتابة الهايكو يحمل ذات الأهمية ككتابة التقارير للمانحين حول الهيكل التنظيمي وتقييم الصراع. وضمن تأملاتي حول هذا يبدو أن هذا الهايكو يعمل كبوابة صغيرة للدخول الى كتاب وولفغانغ. أتمنى من كل من يمر عبر هذه البوابة أن يخصص وقتا ليصغي ويجد الضوء.

تهتزّ الأوراق بفعل الرياح

بعضها تطير بسرعة لجفافها

وبعضها تبتسم قبل سقوطها

جون بول ليديراخ
كاثماندو، نيبال
10 اذار 2013

(1) الهايكو نوع من انواع الشعر الياباني.

شكر وامتنان

يعرب الكاتب عن امتنانه الخالص لنوبيرت كوبينشتاينر لإسهامه الفاعل في الصياغة النهائية للنسخة المترجمة إلى اللغة الإنكليزية من هذا الكتاب.

الفصل الاول

تحويل النزاع الاستنباطي

1.1 رؤية المؤلف

تمثل مذكرة السلام[1] التي صاغها السيد بطرس بطرس غالي ـ الأمين العام للأمم المتحدة عام 1992، محاولة للاستجابة لفرص وتحديات جديدة كليةً في النظام العالمي. تخطت المذكرة في معالجتها لمقدمات وعواقب النزاعات العنيفة باعتبارها مكونات أصيلة للخلاف ذاته، فهم الأمم المتحدة السابق للعمل المتعلق بالنزاعات. وعلى الرغم من غياب مصطلحات مُلزمة للمقاييس المتبعة الخاصة بصراع العناصر العابرة للقومية، سأتبنّى في هذا الكتاب المصطلحات الأوسع استخداماً لتحديد الخطوات المفصلة لأعمال السلام الدولية، وهذا ما يعكس حدّة النزاع أثناء تطوره. من هذه المصطلحات الدبلوماسية الوقائية، والحفاظ على السلام، وإحلال السلام، وبناء السلام بعد انتهاء النزاع.

مع وجود مذكرة السلام، تم توسيع المنظور التقليدي للاجراءات الدبلوماسية الوقائية ومن ضمنها «المساعي الحميدة» التي أثبت الزمن فعاليتها، لتشمل نظام إنذار مبكّر شامل بوسعه تشكيل بعثات المراقبة وتقصي الحقائق. جمعت تلك البعثات معلومات قيمة ووفرت مدخلاً إلى نظام تم تطويره للتدخل الإنساني أو الدبلوماسي أو الاقتصادي إن لم يكن تدخلاً عسكرياً. الغرض من هذا النظام تخفيف العواقب الأكثر خطورةً للنزاع قبل أن تتسع وتصبح أشكالاً قصوى من العنف واسعة النطاق. تمت إعادة اكتشاف وتعريف سياسات التنمية، وهي ضحية ادعاءاتها في العقود المنصرمة،

(1) Boutros - Ghali (1992)

كإجراء لحفظ السلام. كان القصد من التقدم الاجتماعي الذي توفره معونة التنمية وإطار اقتصادي وافٍ، الحد من الميل نحو العنف الذي يتأتى من المجتمعات الهامشية في النظام الدولي.

أصبحت مراقبة حقوق الانسان في حالات النزاع والانتخابات وتوفير الدعم اللوجستي اللازم لبناء المؤسسات والإعانة الانسانية عبر حدود الدول شأناً يومياً. اتسع نطاق الإجراءات المدنية والعسكرية التي عادة ما تُطبق في القضايا الاشكالية لتشمل إجراءات جديدة لم تتوفر بوضوح في ميثاق الامم المتحدة. تحت البند السادس والنصف (VI ½) المميز ذي الدلالة غير الرسمية، ورد حفظ السلام ليُعرَّف على انه العمليات التي تشمل كافة الإجراءات في الحيِّزين العسكري والمدني بالاضافة للعمليات المسلحة وغير المسلحة التي تبنتها الامم المتحدة لكي تبدأ وتروج لعمليات السلام. ويشمل هذا إنشاء مناطق منزوعة السلاح بين الأطراف المتنازعة وصلتها ببعثات تقصي الحقائق والمراقبة، وتنفيذ وفرض إجراءات البند السادس أنظمة معينة لكي تصبح تلك الإجراءات مادة لاتفاقات دولية مبتكرة[1].

بينما خضع البند السابع لتفسيرات أكثر سعةً لحفظ السلام في سياق عمل الامم المتحدة. فالموافقة المطلوبة سابقاً من قبل أطراف النزاع لم تعد ضرورية للتدخل العسكري الذي يصادق عليه مجلس الامن. فرض السلام، وهو إجراء عسكري تحت البند السابع، أصبح قابلاً للتنفيذ دون الحاجة إلى موافقة الأطراف المتنازعة شريطة توافر المتطلبات الأخرى. كان الهدف من إرساء السلام في مرحلة ما بعد النزاع هو تقديم الدعم لضحايا النزاع المسلح المتمثل باستعادة الحياة المدنية ما إن يتلاشى العنف البدني. يشمل إرساء السلام المعونات الانسانية وبناء المؤسسات المدنية أو تقديم الخدمات الحكومية مثل حفظ النظام. في خاتمة المطاف، تشمل إعانة الكوارث ومعونات التنمية وهي النقطة التي تنغلق بها الدائرة وتلاقي حفظ السلام. حين لا تؤتي عملية إرساء السلام لمرحلة ما بعد النزاع النتيجة المرجوة، تبدأ العملية من جديد.

ومع وجود مذكرة السلام، اتخذت الامم المتحدة خطوة مميزة نحو تحقيق هدف

(1) Wallensteen (2007,p. 240)

تأسيسها المثالي منذ نصف قرن. في الوقت ذاته، أوضح تتابع الأحداث المتسارع الذي تلا تأسيس الامم المتحدة الحاجة إلى مفهوم متجدد بما أن أشكال حفظ السلام القائمة بالكاد تلبي المتطلبات العملية. فقد حان الوقت لتعلم الدروس التي كان من المستحيل معالجتها إبان الحرب العالمية الثانية. بكلمة أخرى، أصبح من الضروري فجأة تطوير سبل عملية لمواجهة أصناف جديدة من العنف المنظم أو ما يسمى بالحروب الجديدة[1] حيث مصطلح حرب هو الأمر الوحيد المشترك بين تلك النزاعات وحروب الحاضر الدولية. هذه الحروب الجديدة، وهي حروب ما قبل الحداثة بأكثر من طريقة، لا يمكن تقييمها بمعايير القانون الدولي السائدة ولا حلها سلمياً بأدواته. في الحقيقة، لقد فشلت تلك الأدوات نظراً إلى أنّ الحروب الجديدة هي حروب ثنائية من وجهة النظر القانونية وليست نزاعات دولية وأطرافها ومصالحها ومسببات تلك النزاعات عسيرة التحديد. أوقع هذا مبادئ السيادة وعدم التدخل، وهما دعامتان صلبتان للقانون الدولي، في تناقض نموذجي مع ما تلاهما من منجزات حقوق الانسان والقانون الإنساني.

وقد كانت مذكرة السلام ووثائقها اللاحقة والمشاريع الناتجة عنها محل إطراء ونقد واسعين في الميادين العلمية السياسية. ففي حين تم الاعتراف بالدروس، سوف أميل على الرغم من ذلك نحو النقد، لأن لدي شكوكاً تتعلق بموقف الانسانية المثالي المتضمن في مذكرة السلام. يبدو لي أن افتراضات المذكرة المتعلقة بالانسانية لن تصمد أمام اختبار تجريبي.

لا يتصرف البشر بعنف بالضرورة حين يتعرضون للمجاعة ولا يتجنبون العنف بالضرورة حين تُلبَّى حاجاتهم. بالأحرى، يرتكب الناس الذين لُبِّيت حاجاتهم بانتظام أشكالاً من العنف أكثر خطورة وشدة. ولكونها مؤسسة ظهرت من خليط من مقاربات مثالية وواقعية، يحتمل أن تتبنى الامم المتحدة هذا الموقف. في نهاية الأمر، حيثما يفشل حفظ السلام المثالي، يعرض فرض السلام بديلاً واقعياً وهذا واقع لم يتغير منذ 1945، وما تغير فقط هوتزايد حالات تطبيق فرض السلام كملاذ أخير.

(1) Drake(2007), Hirst(2002), Kaldor(1999), Münkler(2005), Shaw(2005)

سأعالج موضوع المفاهيم بشكل كامل عند نهاية الكتاب وسينطلق عملي معتمداً على الظروف الراهنة التي بدأت منذ عشرين عاماً، وسأدقق في ما تعنيه للجيل الراهن ممن يسمون بعمال السلام، لأنه ليس ثمة شك في أن طبيعة ووظيفة وعناصر السلام قد تغيرت تغيراً جذرياً نتيجة للتطورات الأخيرة. يعد ميدان العمل على السلام اليوم متعدد الجوانب ومتعدد القوميات ومتعدد الأبعاد ومتعدد الثقافات، حيث تنفذ المهام المدنية مؤسسات حكومية وغير حكومية (سواء كانت مخولة رسمياً أم لا)، وتشمل الأخيرة المؤسسات المعترف بها دولياً ولها صفة مراقب في الامم المتحدة ومنظمات شبه حكومية مع وجود عدد هائل من المبادرات الخاصة المعتبرة. جميع هذه المؤسسات تتبع نظمها الخاصة وبروتوكولاتها. وسيجد الأفراد ممن لديهم اهتمام بجهود السلام، وهذا ما يعالجه هذا الكتاب، مكاناً في هذا الميدان الشاسع.

قد لا ينشط جهد السلام المدني العالمي بشكل مستقل عن، ناهيك عن متعارض مع، الإجراءات العسكرية. على النقيض من ذلك، لم يعد فرض السلام الصارم عسكرياً مفهوماً ملائماً لعصرنا. يأتي كل فعل عسكري دولي كجزء لا يتجزأ من شبكة وثيقة الصِّلة من إجراءات دعم دبلوماسية وانسانية واقتصادية. في سياق جهود حفظ السلام وارساء السلام، تضاعفت أهمية العنصر الإنساني. فضمن الامم المتحدة لوحدها، ارتفع عدد الموظفين المدنيين بين سنتي 1988 و2010 من 1500 إلى 22000 ولا يشمل هذا عدد قوات الشرطة. على الرغم من أن أول شرطي يشارك في بعثة للأمم المتحدة قد أرسل إلى الكونغو سنة 1960 [1]، فنادراً ما تم نشر قوات الشرطة حتى سنة 1988. في ذلك الوقت، كان هناك 35 شرطيا فقط في الواجب ضمن البعثات الدولية، وبحلول سنة 2010 ارتفع عدد قوات الشرطة إلى 13000 من أكثر من 100 بلد[2] في الخدمة الفعلية. وإجمالاً، ارتفع عدد الموظفين المدنيين في حفظ وإرساء السلام من 1550 في 1988 إلى 35000 في 2010 بالإضافة إلى ميل مؤكد نحو زيادات متواصلة في توظيف مدنيين مؤهلين تأهيلاً عالياً أكثر وأكثر، ليس كبديل عن الموظفين العسكريين لكن إضافة إلى الوحدات العسكرية التي لها استعداد سلمي سياسي وتدريب ملائم.

(1) Mayer - Rieckh(2010,p. 81)

(2) Hansen et al. (2004,p. 298), and United Nations (April 27,2010)

باختصار، ثمة طلب متعاظم على موظفي الميدان المدنيين اليوم أكثر من قبل. على أيّة حال، أصبح تدريبهم تدريباً دقيقاً ضروريا لأنّ التحديات التي تواجههم قد تضاعفت. كما أتمنى أن أوضح في الفصول القادمة، يبدأ هكذا تدريب بتطوير وعي الموظفين.

حين أفعل ذلك، سأكون قد تتبعت ما أصبح يعرف بالدبلوماسية متعددة الاتجاهات بعد التغيير في السياسة الدولية(1). لقد تغيرت ملامح الدبلوماسية الدولية تغيراً جذرياً، في حين ظهرت أشكال متنوعة من الدبلوماسية شبه الحكومية ولهذا أصبحت الدبلوماسية متعددة الاتجاهات حقيقة اجتماعية ومصطلحا فنيا مقبولا(2). وانسجاماً مع الأساس الاجتماعي للمصطلح، تحتاج المنظمات الدولية إلى طيف واسع من الخبراء المدنيين، لا سيما تلك التي لم يعد يتسنّى لها أن تحقق أهدافها عبر أدوات توفرها الدبلوماسية التقليدية والبيروقراطية. زد على ذلك، ارتفاع عدد المؤسسات غير الحكومية المشتركة في البعثات وازدياد أهمية دورها وازداد عدد العاملين المدنيين بشكل كبير ضمن هذا الإطار المتعدد الأبعاد. فالعمليات اليوم تشمل:

أولا: الفعاليات التي تقع ضمن مدى العمل الدبلوماسي والسياسي (المؤسَّس).

وثانياً: في ميدان الأمن، تلتقي العمليات مع الميدان العسكري وما يتعلق به من ميادين أخرى، ولا سيما أعمال الشرطة ومراقبة الانتخابات.

ثالثاً: تشمل العمليات ميدان الدعم الإنساني المتفرع.

ورابعاً: بالطبع العمليات التي تشمل جميع الواجبات المالية والإدارية.

توحد العمليات المتعددة الأبعاد الجوانب العلمية والتقنية الثقافية والنفسية والقانونية لجهود السلام، ويحدث ذلك على كافة المستويات من القيادة السياسية إلى مجتمعات القرى والأحياء والعوائل.

إلا أن العنصر العسكري لجهود السلام ليس شكلياً، على العكس فإن مهامه في فرض السلام ـ وحفظ السلام وإرساء السلام بمعنى أضيق ـ أصبحت أكثر تحديداً؛

(1) للمزيد انظر الفصل السادس الفقرة 6. 1

(2) للمزيد انظر الفصل السادس الفقرة 6. 1 و(Hansen et al. (2004,p. 300

فالموظفون العسكريون يركزون الآن على مهامهم الأساسية ويتم دمجهم مع شبكات مدنية وعسكرية يكونون فيها مسؤولين عن الامن والدعم اللوجستي في حين يؤدي المدنيون مهاماً مدنية. قد يبدو هذا تام الوضوح ولكن أثناء الممارسة الواقعية، يصبح تحدياً هائلاً لجميع المنخرطين في العمل[1]. إذ يتطلب تعاوناً واتصالًا عابراً لبيئات اجتماعية غالباً ما تكون غريبة على المشاركين غرابة الأيديولوجيات والأديان واللغات والتجارب الحاضرة في البعثات. على ضوء تحديات كهذه، ليس من المقبول حين يتسلم مثاليون يلهمهم السلام وغالباً ما يكونون بدون تدريب أعمالاً ميدانية بمفردهم، ولا يتواصلون مع المنظمات العسكرية وينظرون إلى الجنود على أنهم مكائن قتال، وعلى الرغم من ذلك، يعتمد هؤلاء المثاليون على التدخل العسكري حين تتعرض حياتهم للخطر. علاوة على ذلك، تعتبر مواقف كهذه غير متماسكة كمفاهيم. بمعنى آخر، يعد تبني موقف مناقض حتى ضد الجنود والعنف والحرب نوعاً من التفكير العدواني. حيث إن العاملين من أجل السلام هم ناس يفهمون أسباب العنف ويتصرفون على أسس سلمية، وهذا أمر يستطيع الجنود والمدنيون على السواء تحقيقه.

وعند تعلق الأمر بالشخص العسكري الوظيفة فتتطلب تلك التطورات حرفية إنسانية وتواصل يتفهمه المدنيون، وبالمقابل فإن عاملي السلام المدنيين بحاجة إلى اكتساب فهم أساسي للمهام والوظائف التي يؤديها العسكر. في خاتمة المطاف، يجب على كليهما الاستعداد للتعاون. إذ سيواجه الجنود والمدنيون أحدهما الآخر في البعثات في مناطق صراع حادة سواء رغبوا بذلك أم لا. ومن وجهة نظر العاملين من أجل السلام المدنيين، الفهم والتفسير والاتصال والتعاون مع العسكر ليس أمراً نابعاً من المُثُل ولا الأيديولوجيا، بل من أحل البقاء والفعالية.

حين قدَّم جون پول ليديراخ مفهوم تحول النزاع الاستنباطي إلى بحوث السلام[2]، لم يقترح ببساطة اسماً جديداً لأساليب وأهداف قديمة. إذ يشير المصطلح إلى مقاربة

(1) لغرض فهم الجزئية المتعلقة بالجانب العسكري رجاءا انظر الفصل السادس F الفقرة 6. 2 في هذا الجزء.

(2) Lederach(1995,pp. 9 - 11)

واسعة للغاية لغرض فهم السلام والنزاع؛ مقاربة تتطلب موقفاً جديداً من عاملي السلام تجاه أنفسهم وتجاه عملهم باعتبارهم مكتشفين ورواد وضامنين ومنظمي لقاءات ومبادرين ومناصرين وعازلين وفاصلين وموحدين ومنظمي كتل ومثبتين ومطوري مهارات وممكنين ورائين ومتقصي حقائق وكافلين ومنظمي جلسات ومنظمي ورش ومشرعين ومصادقين ومعززين ومطورين ومراقبين ومحققين وفارضين ومنفذين ومصالحين[1]. إقترح ليديراخ شكلًا من التدريب أطلق عليه بناء التمكين والعلاقات الستراتيجي كإعداد لجهد السلام، وهو مزيج من حيازة المعلومات الإدراكية والتطور الشخصي كما أسس لذلك علم النفس الإنساني. طورنا في كرسي اليونسكو لدراسات السلام/ جامعة إنسبروك، برنامجاً أكاديمياً مكرساً لهذه التعاليم والممارسة والفن والعلم وواصلنا عمل ليديراخ وهذا ما أسميناه تحول النزاع الاستنباطي.

استكمالاً لمحاولتي في تأسيس معرفة جديدة في الجزء الأول من هذه الثلاثية المعنونة السلام العابر للعقلانية، أكرس الجزء الثاني من أجل تحول النزاع الاستنباطي. حيث يُفهم تحول النزاع الاستنباطي هنا على انه فن وعلم اعتماداً على الاعتبارات النظرية لمقاربة إنسبروك لدراسات السلام، الموقف الجديد تجاه جهد حل النزاعات موضوعٌ يُدرس في المدارس ويطبق في الممارسة.

1 .2 الاهتمام البحثي

كيف يمكن ترجمة الاستنتاجات التي تم التوصل إليها في الجزء الأول من هذه الثلاثية إلى طرائق فعالة وظيفياً للسلوك والتواصل على نحو مسالم ويفضي إلى السلام؟ تكمن إحدى الوسائل لإيجاد جواب لهذا السؤال المعرفي الموجِّه في البحث في الأساليب القابلة للمراقبة والمطبقة والمقترحة لكل من المجاميع الخمس من التفسيرات المقدمة في الجزء الأول. ثمة أسباب عدة وراء اختياري أن لا أبحث في ذلك هنا. حيث سيكون من العسير تجنب كتابة جزء وصفي آخر مشابه للجزء الأول وبالتالي إعادة كتابة الاستنتاجات المذكورة سابقاً وهذا ليس من اهتماماتي

(1) Mitchell(1993,p. 147)

فقد شرحت في الجزء الأول أحد عوائل السلام الخمسة، اي السلام العابر للعقلانية، ولهذا السبب سأقتصر جهدي على الأساليب المتعلقة به. الغرض من الجزء الثاني هذا ليس توضيح المواضيع الفلسفية للجزء الأول بل تحديد معلومات نافعة للتعليم والممارسة في ميدان بحثي حيث خضعت المصطلحات الإسلوبية الرئيسة، مثل إدارة النزاع وحل النزاع، لتغيرات جذرية في معناها منذ نهاية الحرب الباردة، مما أدى إلى حاجة ملحة للتوضيح(1).

ما المعنى الدقيق لتحول النزاع الاستنباطي باعتباره أسلوباً عملياً تعليمياً لعمل السلام العابر للعقلانية؟ تتطلب الإجابة عن هذا السؤال إيضاحاً للمفاهيم بادئ ذي بدء وفيما يلي سأوضح المفاهيم الرئيسة الثلاثة في هذا الجزء: ما هو النزاع؟ ما هو التحويل؟ وما معنى الاستنباطي؟ سيتم تدعيم السلام المتعدد العابر للعقلانية المطروح في الجزء الأول في الفصل الأخير من هذا الجزء.

(ا) النـزاع

هناك ضرورة ملحة وأولوية لا يمكن تفاديها لوضع تعريف محدد لمفهوم النزاع، كما هو الحال مع مجمل الأساليب المطروقة هنا التي تهدف إلى العمل من أجل السلام. قد يفسر النزاع على أنه أمر سلبي، أو كحدث يجذب الانتباه ويثير العنف ويعكر صفو السلام ولذلك يجب كبحه وإنهاؤه أو حلّه. تمركز البحث في الفترة البنيوية لبحوث السلام والنزاع على مسألة فيما إذا يتوجب على العمليات أن تكون ثورية أو ميالة للحل. ولا تثير تلك العمليات الاهتمام هنا لأنها فشلت فشلاً متواصلاً. أعتقد أن النزاع ثمرة طبيعية للتفاعل الإنساني ومتأصل في كل علاقة وهو قوة ضرورية دافعة لتغيير مسار الأحداث والعلاقات والمشاركين أنفسهم. ألّف ليديراخ (2) قائمة من سبع نقاط لتعريف النزاع تعريفاً بناءً وسأتبنّى تعريفه مع تغييرات طفيفة فقط لأنه مقنعٌ تماماً.

(1) هنالك نقص كبير في الادبيات التي تدرس بعمق هذا المفهوم. توجد مقدمة مفيدة في Ramsbotham et al. (2005), Miall(2004,p. 2 – 20)

(2) Lederach(1995,pp. 9 - 11)

* النزاع الاجتماعي تجربة طبيعية ومألوفة حاضرة في جميع العلاقات والثقافات.
* لا تحدث النزاعات من تلقاء نفسها للناس. فالناس مسهمون فاعلون في خلق أوضاع وتفاعلات يخوضونها على أنها نزاعات.
* تظهر النزاعات عبر عملية تفاعلية قائمة على البحث عن وبناء تفسير مشترك للأوضاع.
* تتجذر هذه العملية التفاعلية وتُنجز من خلال مدارك وتفسيرات وتعابير ونوايا الناس التي يَصبّ كل منها في المعرفة القائمة على الفهم العام في المجتمعات.
* إنّ تفسير النزاع ينطوي على صلة ومقارنة الأوضاع والأحداث والأفعال وحس الناس العام والتجارب المتراكمة وهذا ما يشكل الأساس لكيفية خلق وفهم واستجابة الناس للنزاعات.
* تتألف الثقافة من معرفة الناس المشتركة وتعبيرهم المشترك واستجابتهم المشتركة للوقائع الاجتماعية.
* تفسير نزاع اجتماعي ليس مجرد مسألة إدراك أو تحسس ولكن مسألة استكشاف معتقدات مشتركة متراكمة في وضع ثقافي معين أيضاً.

إرتضت دراسات السلام لمدة طويلة أن تقودها الطبيعة المرحلية للعلاقات الدولية وأنماط حلولها. نعرف اليوم أن فهماً كهذا للنزاع يعد مشكلة بحد ذاته. فالنزاع ليس اضطراباً بل عنصر غير متغير في الحياة الاجتماعية. والمشكلة ليست في النزاع بل في طريقة تعاملنا معه. حيث ان النزاعات ليست ثورانات مثيرة لعنف بدني في العلاقات بين الدول أو الأفراد، بل تتشكل من علاقات متداخلة مع مركز العلاقات الانسانية وقد تصبح عنيفة اذا ما استمرت في كونها خللاً وظيفياً لفترة طويلة. لذا تعد النزاعات هبة حيوية لكل سياق انساني. وعمل السلام هو فن التطبيق البناء لطاقة تلك الهبة المبدعة من أجل إعادة بناء العلاقات الشخصية والمجتمعية التي تكون في حالة تدفق، وبالتالي فإنه مسعىً فني أكثر منه تراكم فعاليات خيطية ذات صيغة روتينية وضعت لتحقيق هدف معين.

(ب) تحول النزاع وتحويل النزاع

بعد تبني مفهوم النزاع النظامي والبناء الذي صاغه ليديراخ أعلاه، سأستخدم تعريفه لـ «التحول»:

يعني «تحويل النزاع» ان تصوغ رؤيا وتستجيب إلى مد وجزر النزاع الاجتماعي باعتباره فرصا واهبة للحياة لخلق عمليات تغيير بناءة تقلل من العنف وتعزز العدالة عبر تفاعل مباشر لبنىً اجتماعية وتستجيب لمشاكل الحياة الواقعية في العلاقات الانسانية[1].

يبدو هذا التعريف بديهيا، وتحفظي الوحيد بخصوصه يتعلق بالمنهج الأخلاقي الذي انتهجه ليديراخ في التعامل مع مفهوم العدالة[2]. ولا أظن أن شيئا يحتاج إلى إيضاح سوى ذلك.

إن مفاهيم إدارة النزاع وتسوية النزاعات وحل النزاعات هي مفاهيم حداثوية للعلاقات الدولية. وتم تفكيكها بانتظام في فلسفة ما بعد الحداثة. وتعد بالية في ميدان دراسات السلام، وهي دراسات ما بعد حداثوية جوهرياً. ولكن ليس هذا هو الحال؛ يشْغل مهندسو السلام باستمرار موقعاً مهماً في دراسات السلام المعاصرة مما يكشف عمق ارتباط موضوع الدراسة هذا بمعتقدات الحداثة المثالية[3]. وليس في نيتي الإسهام بكتاب آخر لهذا الأدب ولا استنساخ نمط التفكير هذا، فعوضا عن ذلك، أودّ أن أسهم ببحث مشترك للطرائق التي تبلغ ما وراء المواقف الضيقة للسلام المعاصر السائدة في العلاقات الدولية وفي حيّز دراسات السلام التي تُعَرِّف نفسها طبقاً لذلك. يركز هذا الكتاب على التحول وليس على الحل.

في اللغة الألمانية، تشير كلمة ‹حل› (Lösung) إلى فعاليات متنوعة تشمل حل المسائل الرياضية وإرخاء العضلات المتصلبة. حين تُحل مسألة رياضية، تكتمل المهمة. في حين يسمح إرخاء عضلة متشنجة دفقاً من الطاقة الحيوية وبالتالي يُطلق تحولاً نحو الصحة البدنية التي تدخل كعنصر بعد الحل (Lösung)، ولا تنتهي القصة هنا.

(1) Lederach(2003,p. 14)

(2) انظر (76 – 72 .Dietrich (2012,pp والفصل السابع، الفقرة 7. 4 في هذا الجزء

(3) تنعكس هذه المخاوف والتساؤلات ذاتها في (73 .Lederach(2005,p والذي يشير إلى انها «تقنية»

هذا التمييز واضح في سياق عمل النزاع. حل قضايا الجرائم الحقيقية أو الخيالية يفرز انبهاراً كبيراً عند الناس في العصر الراهن، وهذا ما يعبر عنه عدد هائل من قصص الجريمة والأفلام في أنحاء العالم. يتم تطبيق صيغ المسرح الروتينية ذاتها: تتطور الجريمة كمشكلة وأحجية يحلها البطل الذي عادة ما يكون شرطيا أو ضابطا أو تحريا. ما أن يُحدد الشرير ويعتقل، ينتهي الفلم أو تنتهي الرواية. أي إصابة بالصدمة للضحية ولعائلة الضحية أو المشتبه بهم خطأً من قبل المحققين ومسؤولي المحاكم يعد ثانوياً أمام الحل العادل والصحيح. الحياة بعد الحل ليست مهمة.

على النقيض من ذلك، يرى المنهج العابر للعقلانية الجريمة على أنها انسدادات للطاقة. تسبب الجريمة أسفا وخوفا وحنقا وغضبا. ولهذا فإنها خلل وظيفي في علاقات الانسان الداخلية. ولكي يُحل هذا الخلل الوظيفي، تبرز الحاجة إلى عمل أكثر من إيجاد ومعاقبة المجرم. حقاً، في حالات السلام المتعدد العابر للعقلانية، الجهد الهائل يبدأ بعد حل الجريمة (التي ليست أولوية في السياق الأكبر). ولكي يتم تحول انسداد الطاقة الناجم عن الجريمة، يجب أن تُلوى الجريمة verwunden [1] بمعنى آخر، يجب أن يتم تذكُّرها وتحييدها لكي يتاح للنظام الاجتماعي أن ينمو بداخلها وبالتالي ينضج ويكتشف ويطور خيارات جديدة. عملية النضج هذه تختلف كليةً عن حل المشاكل ذي الصيغ الروتينية أو سجن (ناهيك عن إعدام) المجرم في الفلم. تغير العلاقات الانسانية والوعي الفردي. توظف بإبداع الطاقة المتأتية من مركز النزاع ولذلك أسمّي أنا تلك العملية بـ«التحويل» أكثر منها «الحل».

من وجهة نظر الأنظمة، تصف المفاهيم الحديثة ـ مثل تسوية وإدارة ووقاية وحل

(1) باستخدامه كلمة «تحريف «فأن الكاتب يشير إلى المعنى الذي استخدم اصلا من قبل مارتن عيجر Martin Heidegger عندما استخدم كلمة «Verwindung» والتي تعتبر مقاربة لمعنى النقاهة أو التعامل مع الالم اكثر من كونها حلا تقنيا مستخدما بشكل ميتافيزيقي. لقد قدم الفيلسوف الايطالي المعاصر جياني فاتيمو Gianni Vattimo هذه الكلمة إلى نظرية الفلسفة القارية ما بعد الحداثوية Postmodern Continental Theory (انظر كتابه نهاية الحداثة 1988) وهو حقل علمي انحدرت منه بعض نظريات السلام. ورغم ان المترجم من اللغة الالماني إلى الانكليزية يفضل استخدام كلمة تجاوز overcoming» «الا ان المؤلف يفضل استخدام «twisting» تحريف»، كترجمة مناسبة في سياق هذا الكتاب. لغرض الاطلاع على المزيد حول هذا الموضوع وارتباطه بالسلام المتعدد العابر للعقلانية انظر – Dietrich(2012,pp201 203)

النزاع ـ فعاليات يشير اليها كين ويلبر [1] على أنها «ترجمة»: حركة تشكيلات النزاع إلى الأمام والخلف بين طرفي التأقلم الذاتي والحفاظ على الذات. يطلق ليديراخ على هذه الحركة على سطح النزاع «حلقة/ واقعة» [2]. بتعبير آخر، يتم في تلك العمليات، محاولة لتعديل تشكيلات النزاع بإضافة تحوير أو وقاية صغيرة بطريقة معينة بحيث يُكبح النزاع وتُلطف حدة بنية العنف ويتم إيجاد شكل جديد من الخطاب أو التسوية أو الحل الشهير الذي يربح فيه جميع الأطراف. قد ينجح هذا على المدى القصير ولكن لا تتحول طاقة النزاع، بل تنحرف تجاه مكان آخر عند اتباع هذه الطريقة. يؤدي هذا الانحراف بعينه إلى انسداد للطاقة وحتى لو كان التغير المكاني حاداً للغاية بحيث قلّما يتم التعرف إليه حين يعاود الظهور في زمن مختلف أو مكان مختلف أو سياق مختلف.

سأشير إلى حالات كهذه ب»تحول الصراع» ويرجع ذلك إلى أنه ضمن إطار دراسات السلام العابر للعقلانية، يعبر هذا المصطلح المستعار من نظرية الموسيقى تعبيراً أفضل على المحك من مصطلح ويلبر ‹الترجمة›. يطبق علم الموسيقى مصطلح التحول على أصوات متوالية مغلقة تُحوَّل بوقفة تظل متواصلة. بالنتيجة، تبقى المقطوعة الموسيقية كما هي إلا أن النبرة تغير المزاج. يُستقبل لحنٌ بشكل مختلف ويبعث مشاعر مختلفة حين يُعزَف على نغمة «أي الكبرى مقارنة بنغمة «أف الكبرى» [3]. وهذا بالتحديد ما يحدث في تحويل النزاع ولا شيء غير ذلك.

إن النزاع هو تنافر اجتماعي من زاوية الطاقة،. ينقل التحول هذا التنافر إلى نبرة اجتماعية مختلفة، مثلاً من الميدان العسكري إلى الميدان الثقافي أو النفسي، مما يُلطف جانبا معينا من التوتر عبر خلق وهم تغيير. غير أن لحن النزاع يتم عزفه على مفتاح مختلف فقط وسرعان ما سيسبب ألماً في مكان مختلف. هذه طريقة مختلفة لرواية ما وصفته في الجزء الأول «قمة جبل الجليد». يترابط العنف البدني والبنيوي والثقافي مع بعضه بشكل لا فكاك منه [4].

---

(1) Wilber (1995,p. 66)

(2) Lederach(2003,p. 35)

(3) Cousto(1987,p. 93)

(4) Dietrich(2012,pp. 205 – 206)، للمزيد انظر ايضا Galtung(1990,pp. 291 – 305)

يتطور التحويل من الحلقة/ الواقعة إلى المركز السطحي للنزاع[1]. ويغير اللحن النافر نفسه مستخدماً طاقته السريعة بشكل مبدع لكي يشكل تناغماً يتأسس على ما هو موجود. على خلاف الحل أو الإدارة، لا يفترض في التحويل أن يتم إنهاء أو السيطرة على النزاع. يوصّف التحويل أهمية النزاع عبر التواصل الإنساني. حيث ينقل فهماً ديناميكياً للنزاعات إمّا باتباع طرق بناءة أو مدمرة، اثناء محاولة معرفة العمليات والنتائج ذات الاهتمام المشترك لأطراف النزاع.

عرَّفت فرجينيا ساتير التحويل على أنه العملية التي تُعدِّل دفق الطاقة لانسان واحد أو أكثر لكي تظهر أنماط اكثر انفتاحاً وحرية وملاءمة من أنماط أو ديناميات فيها خلل وظيفي[2]. يعزو وليم بينل روك الخلل الوظيفي في العلاقات إلى خصائص «الأنا» المتجمدة للمشاركين. ويشير إلى خصائص الأنا على أنها وحوش، وأساليبه في التحويل، القائمة على التعبير والطقسية والتنفيس، مصمَّمة من أجل التحكم بتلك الوحوش لكي تنطلق الذات من أصلها[3].

ولا ينطوي تحويل النزاع على تغيير عشوائي بل على تغيير يسمح للمشاركين بنظام ما ليصبحوا مدركين لخيارات إضافية. وهنا، الخيار قد يكون خياراً حراً فقط إذا كان بالإمكان الاستغناء عنه تحت ظروف خارجية مماثلة. إذ لا يمنح الخيار الواحد حرية ووجود خيارين يمثل مأزقاً ويصبح التحويل ممكناً حين تتوفر ثلاثة خيارات على الأقل. إن تحويل النزاع يعني البحث عن وجهات نظر جديدة وخيارات على صلة بالمشكلة. إلا أن المشكلة بحد ذاتها ليست ما هو إشكالي أساساً؛ الإشكالي هو الطريقة التي نعالج بها المشكلة[4]. طبقاً لباولو فراير:

> ينطوي الوعي الواقعي على استحالة فهم ‹الجدوى غير المجرَّبة› الكامنة وراء محددات الأوضاع. ولكن في حين يتعسر تحقيق الجدوى غير المجرَّبة على مستوى ‹الوعي الواقعي (او الحاضر)›، يمكن تحقيقها عبر ‹اختبار الفعل› الذي يكشف عن جدواها غير المدركة حتى اللحظة[5].

(1) Lederach(2003,p. 35)

(2) Satir(1991,p. 175)

(3) Rock(1990,pp. 88 and 109) يشير إلى هذه الطريقة التي اعتمدت العلاج الجشتالتي كمصدرا لعملها.

(4) Satir(1991,p. 176)

(5) Freire(1971,pp. 105 - 106)

يتطلب تحويل النزاع في القرن الحادي والعشرين وقبل كل شيء أساليب نفسية وتواصلية ملائمة لتحويل علاقات أصابها خلل وظيفي، بعيداً تماماً عن الإجراءات العسكرية التي قد تبدو أحياناً لا مناص منها. ويوفر عمل السلام هذا البعد على كافة الأصعدة. إذ تسهل رؤية هذا في العالم المُصغَّر في حياة الفرد والعائلة والحي. لكن الأفراد يمارسون سياسة عالية الجودة ليقودوا علاقاتهم وأشكال تواصلهم. يؤدي السياسيون والمدراء والجنرالات على نحو ليس أقل إنسانية من الأطفال والأزواج وأعضاء حركات البيئة والمجتمع والسلام. حين تتعارض المشاعر الناتجة عن الأنظمة البشرية تعارضاً جوهرياً، ولا يبدو ثمة مخرج من تلك التناقضات لمن يهمهم الامر، سيفرز إرباك المشاعر نزاعات ويفاقمها[1]. إذا ما اتبعنا الفهم ما وراء العقلاني للسلام، جهد النزاع يتطلب مهارات نفسية وتواصلية وفيرة[2]، مفترضين أن النزاع والسلام يؤخذان على أنهما ظاهرتان عقلانيتان في النظام البشري وليستا خللا في البنية الاجتماعية.

(ج) الاستنباط

لا تظهر الصفة (**elicitive**) في أي من القواميس الاعتيادية للغة الانكليزية. اشتق جون بول ليديراخ[3] هذه الصفة من الفعل (**to elicit**) الذي يعني يفرز أو يُحدث. وبالتالي توحي كلمة **elicitive** في هذا السياق إلى ان طاقة النزاع توفر طريقة واتجاه تحويل النزاع.

تنحصر نقطة ارتكاز هذا الكتاب المعرفية في تحويل النزاع، وبدقة أكثر، في تحويل النزاع الاستنباطي المتعلقين بجهود السلام ما وراء العقلانية. إن التعريف، في الحقيقة، ليس ضرورياً لأن تحويل النزاع بطبيعته استدلالي، الا اننا أوضحنا هذا هنا لوجود كم هائل من الإرباك في المصطلح في ميدان البحث. يشير مناصرو[4] الطرق التوجيهية مراراً وتكراراً إلى تلك الطرق على أنها تحويل للنزاع. أسمّي ذلك حل

(1) Ruppert(2002,p. 111)

(2) Hansen et al. (2004,pp. 306 – 308) يدعم هذه النظرية

(3) Lederach(1995,pp. 37 - 23)

(4) مثال على ذلك Zartman(1989)، Wallensteen(2007)، Miall et al. (2004)، Galtung(1996)

النزاع بسبب تجذرها في الآراء المعاصرة عن العالم والسلام. وبالتالي، يعمل الارباك في المصطلحات باتجاهين: أحياناً حين يتحدث ممثلو الطريقة الاستنباطية عن حل النزاع ويقصدون تحويل النزاع.

يعتمد وضع أسس تحويل النزاع الاستنباطي على المعرفة السائدة والقيم وأساليب التواصل المتواجدة عند الأفراد أو الجماعات أو المجتمعات المعنية. حاز الجهد النفسي، على المستوى الجذري، كماً متزايداً من الانتباه والاعتراف في العقود المنصرمة. كما أوضح آدم كيرل مسبقاً: «لقد ثَبتَ انعدام فاعلية حل النزاع على يد أطراف خارجية وأفراد لذلك كان من الضروري الأخذ بنظر الاعتبار طاقات صنع السلام في المجتمعات المتنازعة ذاتها.» [1]

نالت هذه الفكرة، التي عُدَّت هرطقة فيما مضى، منزلة في الجدل حول تحول النزاع[2]. لا يشك أحد في أن ارساء السلام تحديداً بعد نزاع عنيف وإعادة بناء التواصل على مستوى ثقافي عميق ذو أهمية جوهرية بغض النظر عن السيطرة على الميول العنيفة. في تلك الظروف، تبدأ الوساطة بتواصل ذي صدى وإشفاق، ودمج حذر وواعٍ للوسطاء في نظام النزاع بقدر ما يعجز هذا النظام عن شفاء نفسه. في هذا الخصوص، لا يختلف الأسلوب الاستنباطي عما تطرحه النظرية الحديثة معتمدة على التجربة التي راكمتها بعثات الامم المتحدة للسلام[3]. يبرز الاختلاف الاول فيما يتعلق بقوة الحيادية التي تطبقها هكذا بعثات. ثمة فهم توجيهي لحل النزاع كعاقبة لا مفر منها حين يقدم الخبراء المحايدون الحلول للأطراف المتنازعة. تبين أن هذا مميت عند التطبيق، لأنه غير إنساني فيما يتعلق بالأطراف المتنازعة وطاقم البعثة. مع ذلك، لا تسمح الأسس المعيارية لفهم السلام هذا بوجود بديل آخر.

وعلى النقيض من ذلك، تأسست مفاهيم السلام ما وراء العقلانية على نظرية الأنظمة ويقوم تحويل النزاع الاستنباطي على بصيرةٍ قوامها أن الوسطاء الخارجيين، مهما كانت نواياهم طيبة، لا يتمكنون من البقاء على الحياد من الهوامش ويتدخلون

(1) اقتبست من Miall et al. (2004,p. 118)

(2) Miall et al. (2004,p. 118) يدعم هذه النظرية

(3) (Hansen et al. (2004,p. 308

بإيجابية في النزاع بطرق توجيهية. على خلاف المعتقد الوضعي في الموضوعية والقوة المعيارية للحيادية، لا يعترف جهد النزاع بأيّة مواقف حيادية فيما يتعلق بالآراء والاهتمامات. اذ لا يعدو ما يظنه الكثير على أنه موضوعية وحيادية سوى كونه تقييماً لوضع معين يضعه طرف ثالث [1] والذي يصبح جراء طبيعة التقييم طرفا معنيا ويكف عن كونه عنصراً محايداً[2]. ولهذا لا تتطلب الطريقة الاستنباطية عند الممارسة إلى خطة كبرى لتحول النزاع ناهيك عن سلطة مركزية متحكمة بالسلام. فالمقاييس التي تتضمنها خطط وسلطات كتلك تعيق الإبداع والعفوية وسعة الأفق والمرونة التي تتمتع بها الطريقة الاستنباطية. يقر العمل الاستنباطي، على الرغم من كل شيء، باحترام سلطة مركزية رسمية ذات شكل محدد ووجود تجريدي ضمن إطار الامم المتحدة[3].

أثار ليديراخ[4] اعتراضاته ضد الفكرة الحداثوية لوسيط محايد خارجي بناءً على تجربته في أمريكا الوسطى. أتفق مع اعتراضاته [5] لأن ادعاء الحيادية يبدو غير قابل للتحقيق نظرياً ضمن إطار نظامي عابر للعقلانية. نقوم بفحص وظائف الأنظمة وليس شؤون الإرادة أوالمعايير. يصبح أي كان ممن عمل مع النزاعات أو حتى راقبها جزءً منها ولم يعد لذلك حيادياً. يحدد فعل الرقابة ما يُراقب وفعل العمل يؤثر على ماهية موضوع العمل. بناءً على هذا الافتراض، فان انعدام التحيز ليس شبيهاً بالحيادية. فهو يمثل محاولة ذاتية لتجنب التعبير الأحادي وعديم التفكير وغير المتحفظ للتحيز، وبالتالي هو مسؤولية أكثر براغماتية وتعقيداً من الحيادية المعيارية ضمن هيكلية معينة[6].

(1) انظر نموذج ويليام يوري William Ury للجانب الثالث/ الطرف الثالث كما قدمه في منهاج مدرسة هارفارد للحقوق حول التفاوض (5 ايار 2010)

(2) Mitchell(1991,p. 223) وكذلك Ury(2000,p. 7)

(3) Lederach(1997,p. 99)

(4) Lederach(1995,p. 112)

(5) عملت في امريكا الوسطى كما عمل فعل ليديراخ وكانت نيكاراغوا مركز لعملي في معظم الوقت في فترة الثمانينات والتسعينات. كذلك ااعتدت على بيئة العمل في شمال شرق اسيا وافريقيا.

(6) لقد ناقشت موضوع الحياد بشكل مستفيض في Dietrich (2012) ومن وجهة نظري هذا السؤال يثير بشكل لاذع الفرق بين الطرق التوجيهية، كما في حالة قراءة Galtung لمنهجية Freud من جهة والمنهج الاستنباطي من جهة اخرى. وهناك كم لا بأس به من الادبيات حول العلاج النفسي المتعلق بهذه المسألة، اذكر منها List(2009,pp. 237 – 238)

يتحيز جهد النزاع النظامي تجاه نفسه وتجاه المصالح الذاتية لمن يتدخلون في نزاعات الآخرين. يتطلب ممن ينوي أن يعمل على النزاعات تحت تلك الظروف حساسية وافرة وعقلا يقظا بالاضافة إلى إعداد سليم. يشمل هذا الإعداد أقلمة الذات بدنياً ونفسياً وعقلياً وروحياً مع العمل والإقرار بمحدودية وحدود المرء. ويتطلب توازناً واقعياً بين التكريس وتوكيد الحدود الشخصية. وبناءً على تجربتي، يتطلب عمل النزاع الاستنباطي ما يأتي:

- معرفة الذات والانفتاح، أصالة انتقائية.
- الاهتمام والتقمص العاطفي في العلاقات.
- تواصل متناغم؛ موقف بحث علمي بصدد الحقائق.
- احترام قوى الشفاء الذاتي للنزاع على المستوى التقني.
- فهم نظامي للطاقة المبدعة للشفاء الذاتي للسياق.
- الإقرار بما يبرز في سياق محدد.
- الشجاعة لتصريح بالرأي والتزام المرء لموقفه.
- التواضع من جهة محدوديات وضع المرء.

يظهر الافتراض الاستنباطي الأساسي القائل بأن التحول من المركز السطحي لنظام النزاع يفترض عدم وجود تنظيم نمطي للصراع في النظرية العابرة للعقلانية ولا في أي من الحلول الاخرى. عوضاً عن ذلك، تتوافر مفاوضات دائمية للخيارات متاحة للجميع. «تقوم الطريقة ذات الطابع الاستنباطي على استنتاج واستخدام ما يجلبه الناس اليك حتى وإن لم يفهم على أنه مصدر[1]»

وبالنتيجة، الاعتبارات العملية تهم مدارك المفاوض الذي ينفتح ويكشف عن نفسه في هذه الممارسة. يورد ليديراخ[2] عددا من القدرات الأساسية يجب أن تتوفر في عمال السلام في العمل على تحويل النزاع الاستنباطي:

(1) Lederach(1995,p. 83)

(2) Lederach(2003,pp. 48 - 60)

* القدرة على رؤية الوضع ابعد من الدفع الطارئ من أجل تعريف المشكلة وحل سريع.

** القدرة على دمج أُطر زمنية متعددة.

*** القدرة على تحويل التناقضات والمتضادات ومآزق الاوضاع والتناقضات الظاهرية إلى خيارات.

**** القدرة على أن تكون على وئام مع التعقيد الأساسي للنزاعات.

***** القدرة على رؤية الهوية وراء ما يبدو على أنه مشكلة حقيقية.

يعتبر ليديراخ (فضول التناقض الظاهري) الفضيلة الأسمى. وعليه، التناقض لا يشير فقط إلى ما يكمن خلف المعتقدات السائدة، بل إلى ما يقف على الضد من ادعاءات الحقيقة التي تقدمها النصوص الكبرى المنتجة للنصوص. يشير الفضول إلى الاهتمام المتواصل والتساؤل المستمر عن الاشياء ومعناها ـ كما يوحي الجذر اللاتيني لكلمتي (يعتني) و(يشفي)[1]. وعليه ففضول التناقض الظاهري يعني موقفاً سياسياً سلمياً يسمح لنا بالتناغم مع تعقيد لا مفر منه من العنف والاستقطاب بدون الوقوع في فخ التفكير الحديث، حيث تعمق القيم الثنائية موجة العنف. يتساءل فضول التناقض الظاهري عما وراء الاستنتاجات المتعجلة والتفسيرات السطحية ويسعى لفهم أكبر قدر ممكن من الخيارات.

اعتبر ما ذُكر أعلاه محتوى بدئيا لوصف وظيفة عمال السلام في القرن الحادي والعشرين. وفي الفصول التالية، سوف أضيف المزيد لهذا الوصف. سأبحث في هذا الجزء في مسألة كيفية حيازة الأفراد على المهارات صعبة المنال والتدريب اللازم من أجل عمل السلام العملي. وسأقترح بعض الاجوبة بدون الادعاء بالاكتمال.

عمل السلام من هذا النوع يخص الأبطال. أعني بالبطل المرء الذي قطع شوطاً طويلاً بالتحرر من التشوش. الأبطال قادرون على فصل انفسهم عن العمل الذي يؤدونه. لا يخلطون بين التقدير وقيمته وبين قيمة الذات، أو بين النقد وبين العدائية والتنافسية، ولا بصيرتهم النفاذة وبين القوة السياسية والاجتماعية، ولا مساهمتهم في التحول وبين إنقاذ العالم، ولا مشاعر الذنب وبين الدافع. لا يخلطون بين التقمص

(1) Lederach(2005,pp. 36 - 37)

العاطفي وبين حرمان الآخرين، وهم قادرون على الضحك من أنفسهم ويبكون مع الآخرين، ويقولون (لا) عند ضرورتها حتى وإن كانت غير مقبولة[1].

يبدأ عمل التحويل الاستنباطي حين يدخل طرف ثالث كوسيط إلى بيئة النزاع. يرقى وجود طرف ثالث على بساطته إلى تحويل. يتنحى السؤال التقني المتعلق بسبب اندلاع النزاع إلى الخلف، ومستوى العلاقات أو (كيفية) التحويل يتقدم إلى المركز. وبالنتيجة، فإن عمل السلام ذو هيكلية ومرن.

يدخل الوسيط بيئة النزاع ليس بصفته خبيراً خارجياً بل كمشارك. يمثل «الشفاء من» و«تحويل النزاع» إلى «شفاء وتحويل الوسيط» أيضاً وتلك عملية ستحذو حذو النظام. تبدو هذه الفكرة قريبة بشكل مريب من تقاليد الواقعية والمثالية والبنيوية وتركيزها على صنع السلام. زد على ذلك، قد يطفو إلى السطح فهم للتحول ضمن تلك التقاليد بطرق مذهلة. على سبيل المثال، فقد ضمَّن هيو ميال، وهو بروفيسور مشهور ومتميز في العلاقات الدولية في جامعة كنت في بريطانيا، قسماً من بحث حديث برعاية مؤسسة بيرغهوف وجاء تحت عنوان: (تحويل المتحولين ـ الابتسام كأسلوب)[2] حيث يكشف ميال هنا عن مفاجأة ودية عن أُسلوب ابتكره الكاهن البوذي الفييتنامي تيك نات هان، الذي يعتبره الوسيط الأكثر نجاحاً في العالم، على الرغم من انه يُذكر في مكان من الأدبيات حسب ميال. (آخذ نفساً، أهدئ عقلي وجسدي. وأبتسم حين أطلق زفيراً. تلك هي اللحظة الراهنة)[3] أضفى زميلنا ميال صفات تحول مشابهه إلى الدلاي لاما وآدم كيرل ونيلسون مانديلا، وسيثمن هذا الجزء لأننا سنخوض بالتفصيل بما يصفه تيك نات هان ـ أي وعي العامل من أجل السلام وارتباطها أو ارتباطه مع الكون وبالتالي جميع أوجه النزاع مع كل نَفَس. سيعتمد الاتجاه، الذي يتخذه النزاع مع الزفير التالي، على سلام المرء الداخلي وموقفه وفطنته. اذا ما تغير النزاع عبر هذا الأسلوب بطريقة يفرز معها ارتياح ويتيح لجميع الأطراف رؤية خيارات فعل جديدة، سيغدو مصطلح تحويل النزاع الاستنباطي ملائماً.

---

(1) يتفق Lederach(2005,p. 168) بشكل تام مع تعاليم Kabbal(2006)

(2) Miall (2004,pp. 16 - 17)

(3) Nhat Hanh(1987)، مقتبس عن Miall (2004,p. 16)

قدم ليديراخ، كما أشرنا سابقاً، مصطلح elicitive إلى دراسات السلام. حيث استخدم المصطلح مسبقاً في علاج الجشتالت وعلم النفس الإنساني وبرمجة اللغة العصبية كمرادف لكلمة evocative؛ التي تشير إلى العمليات التي يقود فيها المعالجون زبائنهم عبر تحول [1] يكشف هنا الكثير عن فكرة هذا الكتاب، ويركز على المواصفات الشخصية لعمال السلام بالاضافة إلى تعليم وممارسة وفن وعلم التواصل الفعّال في عمليات التحول.

إن الربط بين الفن والعلم ليس بالطبع اكتشافاً أصيلاً لليديراخ. بالأحرى، ترابط كهذا يعد عنصرا أساسيا في فلسفة السلام المتعدد العابر للعقلانية وهو صلة أقامها العديد من المؤلفين[2] ممن يعملون على أفكار على علاقة طفيفة مع تحول النزاع. فعلى سبيل المثال، تكشف لنا نظرة فاحصة على كتاب ديفيد دايموند مسرح للعيش: فن وعلم الحوار المجتمعي، وكتاب موريهي يوشيبا: فن السلام، ان كلا الكاتبين، أحدهما معني بالمسرح والآخر بفن الحركة البدني، aikidō[3]، ويعتمدان فلسفة قويمة للسلام ويفهمان فنهما على أنه شكل من عمل النزاع. أركز على الفن لأن جميع البشر وجميع العلاقات وجميع النزاعات تتمتع بميزات فريدة تتطلب قبل كل شيء حدساً وابداعاً تحيل كل التعليمات التوجيهية إلى هباء. وأركز على العلم لأننا رغم كل شيء نتفحص عمليات وبنىً يمكن وتحتاج ان تُكتشف وتُصمم بانتظام وتُروج على نحو ذاتي متبادل وتُختبر في الدراسات الميدانية وتُطبق في الممارسة.

ما هو أساس التدخل في تحول النزاع الاستنباطي؟ ما هي نوعية التدخل وما هو هدفها الحقيقي، اذا لم يعد يُنصح باتباع الحيادية المعيارية؟ تلك هي الأسئلة الجوهرية التي أتمنى ان أسبر غورها في هذا الكتاب.

---

(1) O’Connor and Seymour(1992,p. 92)

(2) تجدها بشكل جلي في Koppensteiner(2009)

(3) بالاضافة إلى اسهامات ليديراخ المفيدة، كتب كارل روجرز Carl Rogers هذا عام 1948، انظر Groddeck (2002,p. 97)

3. 1 منهج وهيكلية البحث

أهدف في هذا الجزء إلى تقديم أدوات تحويل النزاع الاستنباطي. يعتمد المختصون في أوربا وأمريكا الشمالية على منجزات علم النفس الإنساني وما وراء الشخصية. لمَّحت في الجزء الاول إلى هذا المضمار دون تقديمه حقاً وأنوي أن أفعل ذلك في الفصل الأول من هذا الكتاب. وأثناء القيام بذلك، لا أهدف إلى طرح وصف شامل لعلم النفس الإنساني وتاريخه، بل سأحدد ملامح أسسه قدر ما يكون ضرورياً لفهم أهميته لدراسات السلام والطيف الأسلوبي الواسع لتحويل النزاع الاستنباطي. ولذلك أتمنى ان أقدم الأمثلة التالية في تاريخ العلم.

حين عثرت على رثاء هانز كوستو[1] للإله الهندي شيفا، سيد النَّفَس والصوت والحركة، وجدت فيه بنية مقنعة لممارسة كنت أتبعها منذ أمد طويل دون إيضاحها، وبناءً على ذلك، قررت أن أستخدم تلك البنية كنموذج لفصول هذا الكتاب. سأتناول أولاً طرق تحويل النزاع الاستنباطي المتأسسة على التنفس، وتليها تلك المتأسسة على الصوت ثم التي على الحركة. واجهتني أثناء اختيار تلك الطرق مشكلة خطيرة أفرزتها الوفرة الواسعة للطرق المختلفة. حددت الحاجة إلى قابلية الإدارة بالإضافة إلى التزام الأمانة ككاتب أسلوب اختياري للطرق الاستنباطية المُحتملة لوضع هذا الكتاب. فاخترت الطرق التي لدي خبرة شخصية فيها أو التي جربت شخصياً نتائجها أو التي اختبرتها بالممارسة والتدريس (وتلك التي تم اختبارها تحت إشرافي)، لكي يتجنب عملي الافتراض المسبق أو يكون نسخة عن عمل آخرين.

سأقدم طرق مبنية على التنفس في فصل مستقل يتناول أسسها الشامانية. وقد يتفاجأ قرائي كما تفاجأت انا بأهمية الدور الذي تلعبه الشامانية في الطرق المطروحة هنا. تعد الشامانية عنصراً جوهريا في علم النفس الإنساني وتمتد منه إلى دراسات السلام المتعدد العابر للعقلانية. عادة ما تكون جذور الشامانية غير مرئيّة ولتجسيدها بشكل أفضل تتم مناقشة مدارس الأفكار التي تأثرت بها. ينصب اهتمامي على بناء هذا الكتاب بطريقة بحيث تجعل من تلك الأسس ظاهرة للعيان وتوالي التطورات

(1) Cousto(1987,p. 53)

اللاحقة قابلة للتتبع. يقدم الفصل الأول الأسس الشامانية التي تتحدث عن الطريقة المعتمدة على التنفس ويليها الممارسات المتبعة في أوربا على نحو واسع: تمارين التنفس التكاملية والتنفس الكمي الخفيف.

يعتمد الفصل المخصص للطرق المبنية على الصوت، على نماذج تم تبنيها في أوربا. يتمتع تواصل مارشال روزنبيرغ غير العنيف، رغم تأصله في امريكا، بشعبية واسعة في المناطق الناطقة بالألمانية. ويصح ذلك أيضاً على تواصل روث كوهين المعتمد على الصوت. طورت كوهين، ذات الأصل الألماني اليهودي، الطريقة أثناء تواجدها في أمريكا، ثم قدمتها إلى أوربا لاحقاً. ابتكر فريدمان شولتز فون تون، وهو أحد طلبتها، نمطاً لعلم نفس التواصل واتخذ اسم Mitienander Reden (تحدث امرؤ مع آخر). حيث ان هذه الطريقة متاحة فقط في المناطق الناطقة بالألمانية، ولكنها الأكثر شعبية هناك. التواصل هو الشرط الأساسي من أجل تكوين أي علاقة، علاقة شخصية داخلية أو ضمن شراكات أو صداقات أو سياسية أو اجتماعية أو تجارية. التواصل الأصيل هو شرط ونتيجة للعلاقات السلمية، في حين الكذب والتعمية والإخفاء وفوق هذا كله رفض التواصل طرق تواصل لتطبيق العنف. ولذلك، تم تناول الطرق الثلاثة المطروحة هنا بطريقة عرض هذا التخصص بمجمله.

مركزية الصوت لا تشبه مركزية الكلام. ولذلك، ضمَّنت قسماً يعالج طرق اللغة المحاذية التي تتناول التواصل من خلال النغمة والنغمة العليا والإيقاع والفاصلة والصوت والتناغم. بما ان هذه الجوانب تخص اللغة المحاذية، قد يبدو جلياً أن نستغل هذا الفصل كجسر بين طرق مركزية التنفس ومركزية الصوت. لكنني قررت أن لا أفعل ذلك لأن الأهمية الأساسية للصوت في حوارات العلوم الاجتماعية مرفقة بالتحليل ستكون أسهل فهماً من الطرق مركزية الصوت المتبعة. من الواضح أنه أسهل لعقولنا ان تحترم أسس غلافها الأحيائي بعد ان تكون قد انهكت نفسها في غلافها الخاص. تحدث الانتقالات المذكورة أعلاه عند تخوم تلك الأغلفة.

طبقا لعلاج الجشتالت وعلم النفس الإنساني، يتألف الجسم البشري من نظامين يسمحان له بالتواصل مع العالم ـ الجهاز الحسي والنظام العظمي والعضلي. سأقدم

الفصل الذي يركز على النظام العظمي والعضلي مع رقصة غابرييل روث ذات الإيقاعات الخمس[1] (المستوحاة من لقاءاته مع غريغوري بَيتس وفريتس بيرلز وأوسكار ايكازو)، التي تبيِّن الصِّلة الوثيقة بين طرق مركزية الحس ومركزية الحركة.

ثم أواصل مع مدرسة بوتو اليابانية butö كما يقدم تعاليمها تاتسومي هيجيكاتا Tatsumi Hijikata وكازيو اوهنو Kazuo Ohnoاللذان يبدوان لأول وهلة مواطنان من عالم مختلف كليةً. بنظرة فاحصة، يبدو أن باتو قد تطورت عن مواقف عاطفية وعقلية متشابهة مع دراسات السلام الامريكية والأوربية وتزامنت معها أيضاً، في حين أن طرق الرقص التعبيري في ألمانيا والولايات المتحدة جاءت كمقدمات لباتو ومصدر إلهام. وعلى هذا المنوال تطورت بالتوازي مع علم النفس الإنساني ورائد الجشتالت پول رييلوت من بيغ سور في كاليفورنيا الذي ربط تلك الخيوط ليطور شكلاً تحويلياً فنياً ذي أهمية هائلة. بالنتيجة، يمثل بوتو مساهمة رئيسة في تطوير الطرق الاستنباطية. تأثر غابرييل روث به وكذلك وليم بينيل روك وهو باحث يعبر الحدود بإبداع وسأعود بشكل متواصل إلى طرقه ومواقفه في هذا السياق.

بوتو تلاه بودو budõ أو بدقة اكثر أيكيدو aikidõ كما درَّس تعاليمها موريهي يوشيبا. التزمت موقفاً متحفظاً في الجدل حول محتوى السلام الفلسفي لفن بادو القتالي الشرقي. لست على قناعة أن أشكالاً من بادو المتأصلة أساساً من بوذية الزّن Zen Buddhism تقدم أدوات نافعة من أجل التحول الاستنباطي. أيكيدو الاستثناء الوحيد حيث تأتي جذورها من التانترائية شينغون Tantric Shingon[2] وطورها

(1) هذه الرقصة التي اخترعها غابرييل روث، وهو فنان أميركي متبصرّ، تستندُ على استكشاف خمسة إيقاعات كونية نجدها في داخل أجسادنا: التدفّق، الانقطاع، الفوضى، الموسيقى والسكون. يخلقُ تسلسلُ هذه الإيقاعات الخمسة موجة «راقصة» تعيد إلينا الحيوية. إننا نتطوّر في حياتنا دائمة الحركة بشكل «متقطع» أو بمعنى آخر «متشنّج» لكن من خلال إتاحة الفرصة لأجسادنا للتحرك بأشكال أخرى سنحقق التوازن في حياتنا. هذه الممارسة تتجلى في رقص تأمليّ حول العناصر الأربعة: الماء والتراب والنار والهواء.

(2) Shingon Buddhism، نعود هذه التعاليم لممارسات البوذية الشنغنية والتي تمركزت في اليابان. وهي احدى الديانات القليلة التي استمدت من الفاجرافانا Vajrayana ارتباطاتها في شرق اسيا والتي بدأت في الهند وانطلقت نحو اليابان من خلال سفر بعض الرهبان امثال فاجرابوديVajrabodh واموغافارا Amoghavajra.

يوشيبا Ueshiba من ذات المنطلقات المعقولة لما بعد الحداثة والتي طور منها معاصراه هيجيكاتا وأوهنو باتو كشكل فني تعبيري. تمثل فلسفة يوشيبا للسلام أساس حركة فنية اكثر منها فناً قتالياً. عقدت النية في هذا الفصل لتفحص وإيضاح ذلك.

وعليه، سأعود إلى كنه علم النفس الإنساني كعلم للسلام وسأوضح ماهية تلك الأشكال للتشكيلات العائلية النظامية المتجذرة في الدراما النفسية ونظرية النظم وعلاج الجشتالت. أثناء تحقيق ذلك، سألقي الضوء على الأشكال الشعبية لجهد التشكيلات العائلية قدر ما تفرض الضرورة وبدلاً من ذلك، سوف أركز على التشكيلات السياسية الأقل شهرة وفائدتها في تحول النزاع الاستنباطي كما روج لها المنتدى الدولي للتشكيلات السياسية ورئيسه المؤسس ألبرخت مار.

على الرغم من أن الطرق مركزية التنفس والصوت والحركة تبدو على علاقة غير وثيقة مع أحدها الآخر، تأتي مجتمعة في جهد التعبير التحويلي الأكثر تعقيداً؛ أي ما يطلق عليه مسرح المضطهدين. تطور مسرح المضطهدين من وجهة نظر ماركسية جديدة على يد المخرج المسرحي والناشط أوغستو بوال، ثم طوره أكثر الكندي ديفيد دايموند حسب أسس نظرية الأنظمة. ولهذا يبدو من المناسب ان أسمح لركلتي أن تأخذني عبر طرق نموذجية لتحول النزاع الاستنباطي لتنتهي بفصل مخصص لأداة العمل هذه.

أثناء البحث من أجل وضع هذا الكتاب، غالباً ما تفاجأت بكثرة الطرق التي ظننتها مستقلة عن بعضها البعض واعتقدت أنه من الجرأة مزج هذه الطرق أثناء التنفيذ وغالباً ما تقاطعت مع بعض في سياقات متنوعة. فيما يتعلق بهذا الشأن، تبدو إيسالين Esalen في بيغ سُوَر Big Sur في كاليفورنيا مكاناً حيث القوة الإبداعية تصعب مجاراتها. قدَّم مدراؤها وهم بدورهم ناشطون من أجل السلام ورشاً لا حصر لها بأسلوب تجريبي مع مجمل المذكورة أعلاه. تم تقديم الشخصيات الرئيسة في علم النفس الإنساني في إيسالين اثناء عملهم هناك مما سيشار اليه بشكل متواتر في هذا الكتاب. بطريقة ما، أعطى العمل المنجز هناك للغرب توجهه ثانية. على الرغم من انعدام علاقتي الرسمية مع إيسالين، بنيت الكثير من اعتباراتي على نتائج التجارب التي طُبقت هناك.

على النقيض من ذلك، تتميز پوناPoona في الهند بأنها منحت التقليد الطويل والمتنوع للفلسفة الشرقية غربيتها. أشير إلى التجربة الأكثر إثارة للجدل التي قدمها باغوان شري راجنيش Bhagwan Shree Rajneesh التي نشرت أعماله تحت اسم أوشوOsho. وبدقة أكثر، أفكر في المرحلة الاولى لطريقة آشرام پوناAshram Poona التي جذبت الكثير من الأوربيين والامريكيين ويمكن تشبيهها بإيسالين: نجح باغوان، وهو شخص مقروء بكثرة وفطِن، في إيصال تعاليم صوفية من الصوفية إلى بوذية الزّن بطريقة جذابة للجمهور الغربي. لا يتعلق هذا الكتاب بتفسير بغوان الاستفزازي ولا بقواه الكاريزمية أو الاغوائية. لم أكُ ابداً سانياسياً، اي من اتباع باغوان. ولذا. ليس لدي سبب لتأليه أو لعن باغوان. أقف موقفاً يسمح لي بالنظر اليه من مسافة علمية وبإهتمام مثير للفضول. من هذه الزاوية، أجد الكثير من خطاباته بعيدة النظر ورائعة في حدتها الجريئة. أحيانا، مذهلة هي معرفته الواسعة وبصيرته النفاذة إلى أعمق طبقات الكائن البشري. بنظرة إلى الوراء، من المحتمل ان تكون القوة المتفجرة اجتماعياً وسياسياً لبعض خطاباته قد ساعدت على تفكيك الواجهات البرجوازية، مما جعل باغوان شخصية تبعث على الخوف والكراهية بين الأقوياء والمتجبرين في وقته.

ولأن هذا الكتاب يتمحور حول طرق التحول، فإن بونا آشرام على علاقة مع المساهمات التي تم تطويرها واختبارها تحت ظروفها المثالية التي أصبحت فيما بعد أدوات في عمل النزاع الاستنباطي. في الفصل المخصص لها، سأركز على عمل ريتشارد دورين شولدرز لأنه يبدو ممثلاً متميزاً لتلك المساهمات.

ليست أمثلتي المختارة شاملة وبالضرورة سأغفل عددا من الطرق المهمة. على أي حال، لا يسع أي كتاب كبير أن يدعي الكمال في ميدانه، وأعتقد ما اخترته سيوضح أي الطرق المتنوعة يمكن تطبيقها ضمن إطار عمل تحويل السلام الاستنباطي. ستتوفر فرصة سانحة للإشارة إلى طرق مشابهة أو ذات علاقة بدون مناقشتها بالتفصيل. في خاتمة المطاف، يمكن قراءة تحليلاتي على أنها تشجع على تعديل وتكييف أيّ من تلك الطرق مع أي نزاع معين والتحديات التي يفرزها ـ ان يتم التلاعب بتلك الطرق وتنويعها وربطها أفضل من ان يتم نسخها ببساطة أو تطبيقها كما هي. ليس هذا مكان لحقوق الافكار والغرور والغيرة والامانة تجاه الاصل.

سأضمن في الفصل الأخير بعض الطرق في السياق الحالي لدراسات السلام قبل ان أسأل عن أي صلة للعمل الاستنباطي بعمل السلام العملي، على الرغم من أن السؤال يثير دهشة الكثيرين. أرى تحويل النزاع الاستنباطي على أنه النتيجة التطبيقية للفهم العابر للعقلانية للسلام المتعدد. بالإشارة إلى عمل جون بول ليديراخ، الذي أجده مقنعاً ومنحه دارسو السلام اعترافاً واسعاً، أقترح أنّ تحولاً عابرا للعقلانية قد حدث لتوه. لا احد يشك منذ سنة 1992، حصلت تغييرات هائلة واعادة رسم التوجهات في هذا الميدان، حين صدرت مذكرة الامم المتحدة للسلام وانعقدت قمة الارض في ريو. لم تتزامن تلك التغييرات ولم تتبع مساراً خطياً. أخمن أن ثمة حسّا اجتماعيا يتأتى من الادراك العام للتحديات العملية الراهنة والحوارات النظرية بين الاكاديميين. بقدر ما يتجاوز ذلك الادراك المنطق والحدود لما هو معقول وسليم في السياق الحالي وبالتالي يدمج جوانب تم تجاهلها سابقاً، ينطبق المفهوم العابر للعقلانية.

سأُعنى باربعة ميادين: الدبلوماسية والعسكرية والإعانة التنموية والاقتصادي السياسي ـ وأتساءل فيما إذا كانت التغييرات في تلك الميادين قد اتبعت اتجاهاً قابلاً للتحديد وفيما إذا قد تسمى تحولاً عابرا للعقلانية. هذه ليست اختيارات اعتباطية. إنها على علاقة بهرم ليديراخ الشهير لتحويل النزاع، وتعكس المواقف الحالية الأكثر بروزاً في جهود النزاع في مجمل تعقيداتها.

أخيراً، سيكون الهرم في قلب الفصل الأخير حيث اقدم اطاراً نظرياً لتحويل النزاع الاستنباطي وهذا ما طالب به الممارسون منذ ان برز هذا المفهوم إلى السطح. سيكون هرم ليديراخ نقطة الشروع وسيوفر اطاراً عاماً ولكنني سأوسع المفهوم على طول امتدادات علم النفس الانساني وأصوله. فالنموذج معقد للغاية. قد يجد القراء محاولاتي نافعة لإسناد وصف ليديراخ بتقديم سلسة من المخططات التوضيحية. أعتقد في ذلك الفصل الأخير، سأكون قد تمكنت من تطوير إطار تأسيسي نظامي لمفهوم الاستدلال المطلوب من أجل تطبيقاته العملية. سينصب اهتمامي أثناء هذه العملية بشكل جلي في كل خطوة على معنى الاستدلال بالنسبة لعمال النزاع فيما يتعلقب بتعاونهم وعلاقتهم مع المعنيين بهم. يختتم الكتاب بالبصيرة الناتجة والاستنتاجات والمقترحات أثناء تعريف بؤرة الكتاب الثالث والجزء الأخير من هذه الثلاثية.

1.4 تجسد فن الكتابة

كلما طُلب مني تقديم رأي عن عمل جون بول ليديراخ، يشق عليّ إيجاد الكلمات المناسبة. نعم، أشاطر مع الكاتب كثيرا من آرائه وبصيرته. قد يرجع هذا إلى درجة عالية من تزامن سيرتينا. على الرغم من أن ليديراخ يأتي مقاطعة ريفية أغلبها من طائفة المينونايت[1] في الغرب الأوسط الامريكي، بينما ترجع أصولي إلى محافظة تيرول الكاثوليكية في وسط أوربا، فكلانا من نفس العمر تقريباً وعادة ما زرنا الأماكن نفسها في الوقت ذاته. وتوصلنا إلى استنتاجات متشابهة من خلال عملنا في أزمات متنوعة، مع أننا لم نتواصل بشأنها. علاوة على ذلك، أنا معجب بأسلوب ليديراخ في الكتابة الذي يكشف عن أساس علمي صلب بدون الحاجة إلى وضع معوقات منهجية فوق بصيرته الشخصية في الممارسة العملية أو فوق معتقداته الانسانية.

يتطلب هذا شجاعة، ولا سيما حين يثير الشكوك ممثلو الاتجاهات الأكثر مؤسساتية حول شرعية بحث النزاع والسلام وفيما إذا يمثلان ميداناً ملائماً للدراسة. أعتقد أن نجاح ليديراخ كممارس وأكاديمي ومؤلف قد قضى على تلك الشكوك. برأيي، المخاطرة في الاسلوب والمنهج، التي أقدم عليها ولاسيما في الخيال الاخلاقي[2]، تمثل التحرر الأخير لدراسات السلام من انضوائها المنهجي في ميدان العلاقات الدولية. لطالما كان الخيال الاخلاقي، الذي ينطوي على انسانية عميقة وصرامة الحقيقة، ملهماً لي في كتاباتي. ليس لأنني أردت تقليد أسلوب ليديراخ. على أية حال، يشجع ليديراخ على فهم تحويل النزاع ويتجاوز الحدود المألوفة للميدان ويحدد المفهوم الأساسي لهذا الجزء، أي مفهوم الاستدلال.

تزعم آدم كيرل[3]، قبل ليديراخ، دمج علم النفس الانساني مع دراسات السلام وتحويل النزاع. ربما كان كيرل[4] أول باحث سلام معروف يفهم ويصف عقلانية

(1) طائفة بروتستانتية ترجع اصولها إلى فريسلاند في شمال غرب هولندا وموطنها الحالي امريكا وكندا. تركز هذه الطائفة على تعميد البالغين ورفض للتنظيم الكنسي والخدمة العسكرية والمناصب الحكومية. المترجم

(2) Lederach(2005)

(3) اسمه بالولادة Charles Thomas William Curle لكنه اشتهر باسم Adam Curle(1916 ـ 2006)

(4) يقلل(Lederach(1997,p. 64 من اهمية هذا المصدر في عمله

النزاع والسلام ويراهما باعتبارهما عمليات تواصل. يشير كل من ليديراخ وكيرل ـ على الرغم من أنهما ليسا الوحيدين الذين مارسا ذلك ـ إلى العالم التربوي المهتم بتحرر البرازيل، باولو فرير، الذي كان أستاذا زائراً في جامعة هارفارد في 1968 حين كان كيرل هناك مديراً لمركز دراسات التعليم والتنمية. كانت أعمال كيرل المنشورة في 1971 و1973 ذات أهمية حاسمة لبحث السلام وتكشف بوضوح عن تأثير فرير. وهي أيضاً تمثل محاولة لدمج تفكيره عن التعليم والسلام المستوحى من لاهوت التحرر المبكر مع حركة كوامن الانسانية المزدهرة[1].

كتب فرير عمله الرائد عن علم تربية المضطهدين أثناء إقامته في هارفارد. تفكيره ديمقراطي على نحو راديكالي ولكن ربطه الفلسفي لهيغيل وماركس مع أفكار التحرر لفرانز فانون وتشي غيفارا، الواسعة الانتشار حينها، ولذلك ليس خالياً من الميول الثنائية والاخلاقية والحداثوية [2] التي يصعب تلاقيها مع الآراء العابر للعقلانية في القرن الحادي والعشرين. ويصح هذا تماماً على العلاقة بين التحرر والعنف. اعتبر فانون العنف قوة تطهير. حسب رأيه، حرر العنف المضطهدين من عقدة صغر شأنهم وبؤسهم وسلبيتهم. يحررهم العنف من الخوف ويساعدهم على إعادة بناء تقديرهم لذواتهم. رأى جيفارا مقاتلي العصابات على انهم مصلحين اجتماعيين لجأوا للسلاح لتنفيذ اعتراض الناس العزَّل الغاضبين بالضد من ظالميهم[3].

على أي حال، قد يفهم القسم المكرس للطرق التي تركز على الممارسة في عمل فرير الرئيس على انه نقطة ذروة تحويل النزاع الاستنباطي. يحتفظ نقد فرير [4] لما يسميه «المفهوم المصرفي للتعليم» [5] حيث يفهم الظالمون التعليم على أنه حشو

---

(1) Ramsbotham et al. (2005,p. 219)

(2) هذا نتيجة افتراض وجود تعارض مباشر بين مضطهد «شرير» وضحية الاضطهاد «الجيد». ان اصرار فراير Freire على الافكار المثالية والاخلاقية تتضح بشكل خاص في الفصل الرابع من الكتاب، والذي تميز في الستينات من القرن المنصرم بروح التحرر مما جعله يبدو ساذجا واحادي التوجه من وجهة النظر العابرة للعقلانية.(186 – Freire(1971,pp. 119

(3) Barash and Webel(2009,p. 201)

(4) ;(118 – Freire(1971,pp. 75حيث يشير (Lederach(2005,p. 124 بشكل مسهب إلى Freire

(5) Freire(1971,pp. 57 - 74)

أدمغة الطلبة الفارغة بدءاً بمعلومات احصائية، يحتفظ بفعاليته حتى يومنا هذا. يؤيد فرير، على النقيض من غيره، طريقة تعليم تركز على حل المشاكل، تعليم لا يقبل مجتمعاً منظماً للغاية ولا مستقبلاً سبق رسمه. بالنسبة لفرير، الكائن البشري لا يوجد خارج واقعه اليومي. وطبقاً بذلك، يأخذ كل اعتبار نقطة شروعه من الحاضر، من الوضع الذي نجد أنفسنا فيه. في هذا الكتاب، سنعود باستمرار وبطرق مختلفة إلى تبني فرير الثوري للحاضر الديناميكي.

أسس ليديراخ وكيرل وفرير (الى حد ما) على البصيرة النفاذة لآخرين، معظمهم اختصاصيي علم النفس الانساني ومعالجين ممن لا يعدون من باحثي السلام عادة، ولكنهم يصوغون بطريقة مختلفة حكمة الصوفية القديمة والزن والتاو والتانترا. يتفق جميعهم على أن انعدام السلام لا يحدث نتيجة لتضارب المصالح، بل لأن الناس يسمحون لأنفسهم ان تقودهم المشاريع والخطط والتوقعات أثناء حياتهم، ويعلقون في الذنب والخزي أحداث وسلوكيات الماضي.

يكف النزاع حين نعي أن حياتنا وعلاقاتنا قائمتان في الحاضر. ربما لم يعبر أحد عن هذا بوضوح أكثر من الصوفي جيرو كابال بقوله «لا نريد أن نذهب إلى السماء، ولا نريد أن نهرب من الجحيم. نريد أن نكون هنا.» [1] قد يكون هذا هو التعبير الاكثر ايجازاً لما أسميه السلام المتعدد العابر للعقلانية. إنه «سلام «يتضمن السماح لأنفسنا ان نكون هنا. يرقى كل اضطراب سواء من الداخل أو الخارج إلى حالة انعدام السلام، والسبب الأكثر تواتراً لانعدام السلام هو رغبتنا التي لا حد لها لما نريد أن نصبح بدلاً من قبولنا بساطة الكون. إنه سؤال رئيس آخر في هذا الكتاب فيما اذا كان ذلك طبيعياً أو أيديولوجياً.

بتحديد التحول صوب السلام المتعدد العابر للعقلانية وتحول النزاع الاستنباطي، لا أرغب بالتقليل من منجزات قادة الميدان المعترف بهم. على النقيض من ذلك، انا بحاجة إلى أدب سليم يظهر الجدل المعاصر من أجل تموضع الميزات الخاصة للطريقة الجديدة في البحث الراهن. يقدم كتاب حل النزاع المعاصر[2] من تأليف

(1) Kabbal(1999)، Kabbal (2010,p. 35)

(2) Ramsbotham et al. (2005)

اوليفر رامزبوثام، توم وودهاوس وهيو ميال، عرضاً ممتازاً للتطورات الأخيرة في ميدان البحث. يصلح هذا الكتاب ليكون منهجاً ومرجعاً نظراً لبنيته المتكاملة. وينطبق هذا على كتيب مؤسسة بيرغوف الذي يقتبس منه الكثير، وأجده نافعاً للغاية في التدريس والممارسة.

حين أحدد محور هذا الكتاب حول تحويل النزاع الاستنباطي، أتصدى لفكرة جديدة في دراسات السلام ولاقت اهتماماً قليلاً لا سيما في أوربا. انها فكرة تم تبنيها من نظرية النظم والدراما النفسية وطريقة علاج الجشتالت وعلم النفس الانساني والعابر للأنا، وتطبيقاتها المتنوعة وتفرعاتها وأشباهها. زد على ذلك، علينا أن نتذكر أنه ضمن علم النفس الانساني وتطور تحويل النزاع الاستنباطي منه، تم معالجة عدة تأثيرات غير أوربية مهمة مثل الشامانية والصوفية والتاوية والتانترائية والزن. سأتناول في هذا الكتاب مثالين من اليابان بالتحديد.

يعزى الانتقال إلى علم النفس الانساني عادة إلى اختلافات جاكوب ليفي[1] مع سيغموند فرويد وعلى نحو اكثر تواتراً مع عمل لورا[2] وفريتس بيرلز[3] في افريقيا الذي تمخض عنه كتاب الأنا والجوع والعدوان[4]. ظهرت الدراما النفسية وعلاج الجشتالت كتفرّع عن التحليل النفسي وهي نظرية وممارسة أقدم من بحث السلام الاكاديمي. ولكن كان علم النفس الانساني الامريكي منذ البداية على صلة وثيقة مع طرق ومقاصد بحوث السلام. اتضح هذا على نحو رمزي في سيرة منظر الجشتالت وناشط السلام الفوضوي بول كوودمان: وهو أحد ايقونات الحركات السياسية في الولايات المتحدة عام [5]1968، ثم ثانية في 1987 مع تسمية كارل روجرز لجائزة نوبل للسلام وهو رائد علم نفس السلام الانساني ومؤسس طريقة علاج مركزها الزبون. مثله مثل فيرجينيا ساتير، مؤسسة طريقة علاج تتركز على العائلة، أسهم روجرز في دبلوماسية الطريق الثاني مع الاتحاد السوفييتي في الثمانينات، مما مهد الطريق لتقارب مشترك لمجتمعي

(1) 1889 - 1974

(2) 1905 - 1990

(3) 1905 - 1990

(4) Perls(1945)

(5) Kingsely(1980)

امريكا والاتحاد السوفييتي على الضد من خلفية التوتو السياسي[1]. تمثل قضايا كهذه أمثلة جلية لتطبيق تحول النزاع الاستنباطي مع انها لم تكن تحت هذه التسمية.

ثمة أصل واحد لكل من بحث السلام وعلم النفس الانساني: التحما وانضما إلى تيار أطلقت عليه ما بعد الحداثة[2]، ولهذا السبب ليس من الغريب أن لتحويل النزاع الاستنباطي جذوراً في علم النفس الانساني. يعود الجوهر الأيديولوجي لتحويل النزاع الاستنباطي إلى اوائل 1951 حين أعلن كارل روجر الاجراءات التشخيصية والوصفية للطب المعاصر لا توفر نموذجاً ملائماً للعلاج النفسي:

«قادتنا تجربتنا إلى استنتاج غير قطعي مغزاه ان تشخيص الديناميكيات النفسية ليس فقط غير ضرورياً، بل انه في بعض الحالات ضار وغير حكيم. (...) اذا شخَّص طبيب أن المريض لديه التهاب كلوي ووصف له إجراءات علاجية، فلا التشخيص ولا الوصفة لهما أي تطبيقات عامة في ميدان علم النفس الاجتماعي. ولكن إذا شخص الطبيب أهداف المريض المهنية وعلاقاته الزوجية أو آرائه الدينية، لنقل، على أنها غير ناضجة ويعمل المريض على تغيير تلك الظروف باتجاه ما ما يعتبره نضجاً، فإذن هذا التشخيص يتمتع بتطبيقات اجتماعية عديدة. (...) لا يسع المرء أن يتبنى مسؤولية تقييم قدرات شخص ودوافعه وصراعاته وحاجاته (...) بدون مصاحبة سيطرة كبيرة وحتمية على الكائن البشري[3].

كانت فرجينيا ساتير بين الذين حذروا من انعدام المرونة الناجمة عن الأساليب الوصفية. طبقاً لفرجينيا، يمكن للتدخل من أجل التحول أن يضاف إلى ما هو موجود مقدماً[4]. فهم روجرز وساتير للعلاج النفسي كعمل نزاع دمجه ليديراك مع دراسات السلام وتحول النزاع. وبالتالي، يدخل تحويل النزاع الاستنباطي إلى الصورة حين يتحول فهم ما بعد الحداثة للسلام إلى فهم ما وراء واقعي مما يلوي قانون الطرق للاول.

في 1951، جاءت الاعتراضات على تحليل فرويد النفسي بوضوح يدفعني لأسميها

(1) Satir(1991,pp. 339 - 337)

(2) Dietrich(2012,pp. 161 - 209)

(3) Rogers(1965,pp. 223 - 224)

(4) Satir(1991,p. 163)

سنة ولادة تحويل النزاع الاستنباطي. وإن رفع تلك الاعتراضات في ذلك الوقت ليس من قبيل الصدفة، لأن تشريع الصحة العقلية الوطنية قد تم اعتماده في الولايات المتحدة قبل خمس سنوات فقط. تسمح القوانين الفدرالية بعلاج الامراض النفسية مما أخذ تطبيق علم النفس إلى ما وراء حدود الجيش والأعمال التجارية والصحة العقلية بمعنى أضيق. على أساس هذا التشريع، أفرزت تلك البنية التحتية والممارسات علم النفس الانساني. في ذلك الوقت، لم تعترف اوربا بالتحليل النفسي كممارسة شرعية. لا التوقيت ولا مكان الولادة لعلم النفس الانساني جاءا بمحض الصدفة، فقد كانا نتيجةً منظومات سابقة من التطورات طويلة الأجل تعود إلى الممارسات المبكرة لتعاليم سيغموند فرويد في الولايات المتحدة مطلع القرن العشرين[1].

في سنة 1951، نشر فريتس بيرلز وبول كودمان ورالف هيفرلاين كتابهم علاج الجشتالت وفيه فصلوا علاج الجشتالت عن التحليل النفسي الكلاسيكي. وأيضاً في 1951، ظهر عمل كارل روجرز الرائد بصدد العلاج[2] الذي مركزه الزبون، وصاغ كريكوري نظريته العامة حول التواصل البشري[3]، وبدأت فرجينيا ساتير بعملها المنصب على العائلة. وصف ستانسلاف كروف في بدايات عمله روح تلك الفترة في سيرته:

> «كلما اطلعت على نحو افضل على التحليل النفسي، كلما قلَّت اوهامي. كل ما قرأته لفرويد واتباعه قدم ما بدا لي تفسيراً مقنعاً للحياة العقلية. لكن تلك البصيرة لم تبدُ وكأنها تتغلغل في عمل العيادات الطبية. عجزت عن فهم عدم تقديم هذا النظام المفاهيمي المذهل نتائج طبية مذهلة على قدم المساواة. علمتني المدرسة الطبية لو أنني فهمت مشكلة، لاستطعت أن أقوم بشيء حيالها (...) ولكن الآن يطلب منى الاعتقاد بأنه على الرغم من فهمنا الفكري المتكامل لعلم الامراض النفسية الذي نعمل به، يسعنا فقط تقديم القليل منه، حتى أثناء فترة طويلة من الزمن نسبياً[4]. »

بلغ عمر عمل هذا الجيل نصف قرن تقريباً. على الرغم من ذلك، يمثلون «وضع البحث الراهن»لـ أن الكثير من الطرق في قلب هذا الكتاب لا تتموضع في المشتقات

(1) للمزيد انظر Illouz (2009,pp. 105 – 141)

(2) Rogers(1965)

(3) Ruesch and Bateson(1951)

(4) Grof and Bennet(1993,pp. 14 - 15)

المتطورة عن عمل الطلاب وتابعي اؤلئك الشخصيات الايقونية. جميع الطرق القائمة اليوم تقريباً، وعلى الرغم من وجودها تحت مسميات مثيرة للريبة، تأسست على أعمال الجيل المؤسس. بقراءة الوثائق الأصلية، لا يسع المرء إلّا أن يُعجب بصلتها الوثيقة بالقرن الحادي والعشرين، ولاسيما أن بحث السلام الذي قبع لفترات طويلة في شراك المثالية. في الحقيقة، تبدو تلك الوثائق ذات بصيرة فائقة. يتملكني انطباع ان غياب هذا الجيل في الثمانينات قد وسم بداية استسلام العلوم الاجتماعية السريع لحركات سياسية يسوقها الخوف كما تمثل بالإدارات من رونالد ريغان إلى جورج دبليو بوش. ومع أن مناخ التجديد الذي تلا انتخاب باراك أوباما قد بدد ذلك بعد سنواته الأولى في الرئاسة، فإن وجود بيئة فكرية لبرالية تقاوم هذا التأثير يوفر فرصة طيبة لنداء الأفكار السليمة التي يعرضها علم النفس الانساني لتعود إلى الوعي السياسي لعامة الناس. لذلك ارى كتابات فريتس بيرلز وكريكوري بيتسون وإبراهام ماسلو وكارل روجرز وفرجينيا ساتير وروث كوهن على أنها راهنة في يومنا هذا.

أولئك الذين لا يرغبون بالشروع بدراسة النصوص الاصلية قد يجدون من النافع دراسة كتاب جيفري كريبال الرائع حول إيسلان. على الرغم من إنه ليس جميع الناس الذين على صلة بموضوعنا قد توقفوا عند إيسلان، لم يمثل هذا المعهد الفكري نقطة جذب فكرياً وعاطفياً وروحياً لجزء من حركة السلام الامريكية في ستينات القرن الماضي. يقتفي كريبال وهو عالم متخصص بالتناترا تاريخ إيسلان بعناية فائقة وفهم نقدي وبتقمص عاطفي يستحق الاحترام، ويتناسب مع الاجيال الشابة.

تأثر تناول طريقة الزن البوذية لتلك المسائل تأثراً هائلاً بالفضائح المرتبطة بمركز الزن في فرانسيسكو في ثمانينات القرن المنصرم[1]. وأوضحت تلك الاحداث أن لا يعتبر كل شيء قد طفا إلى السطح في كرنفال التخدير العظيم للامكانيات والمحفزات[2] في سان فرانسيسكو سبعينات القرن الماضي، على صلة، ناهيك عن منفعته لدراسات السلام. ولكن ليست الفضائح لوحدها التي أثارت السؤال فيما إذا يمكن للزن ان يكون عقيدة للسلام في الغرب. كما اقترحنا في الجزء الأول من هذه

(1) انظر مناقشة (Dowing(2001 الرائعة لهذه الاحداث

(2) Rock(1990,p. 12)

الثلاثية[1]، سأشكك باستمرار فيما يتعلق بتاريخ الزن في الصين واليابان. بدون أن أكون توصلت إلى استنتاج نهائي حول هذا الشأن، وليس بقصد التقليل من الآراء والمواقف المخالفة، سأقصر جهدي على أنني شخصيا أجد الطريقتين التانترائية والطاوية أكثر اقناعاً.

(1) Dietrich(2008,pp. 137 - 139)

الفصل الثاني

علم النفس الانساني

أسس تحويل النزاع الاستنباطي

أبدأ هذا الفصل بتناول جوانب علم النفس الانساني التي أعتبرها جوهرية لجهة فهم طرق تحويل النزاع الاستنباطي. سأفعل هذا وأنا أقدر كل التقدير العمل الرائد الشامل الذي أنجزه المذهب السلوكي والتحليل النفسي، وهذا ما لن اتطرق اليه هنا. سأفعل هذا على قدم المساواة وأنا مدركٌ أن التحليل النفسي أعظم مما تمسك به من التقليديين الصارمين. ثمة طرق مبدعة منهجياً وعلى صلة وثيقة بالتحليل النفسي كما قدمه فاميك دي فولكان **Vamik D. Volkan**[1] وأوتو كيرنبيرغ **Otto Kernberg**[2]. ترتبط ممارساتهما تمت بعلم النفس الانساني، ولذلك سأتناولهما هنا. وأخيراً، أنا مدرك للتفرعات والإبداعات في نظريات وتطبيقات علم النفس الانساني التي ظهرت منذ عمل المؤسسين الكبار. سيتطلب وصف تلك الجوانب أكثر من كتاب واحد، لذلك من المهم هنا أن أحدد المبادئ الفلسفية والنفسية التي تؤسس للعمل الراهن. تم اشتقاق الكثير من الشامانية والطاوية والتانترية، ولكن منذ خمسينات القرن المنصرم، إلتحم ذلك العمل مع الطرق الغربية في سياقات تجريبية تلت حركة واسعة أرادت أن تدمج الحكمة الروحية مع الفكر الغربي في العلوم والفلسفة والدين والعلاج النفسي.

لتحويل النزاع الاستنباطي جذور عديدة ومن العسير أن أفترض أيها أكثر أهمية، لكن من المؤكد وجود خيط يأتي من علاج الجشتالت ويمر بالفلسفة الوجودية

(1) Volkan(2003)

(2) Kernberg(1980)

الفينومينولوجيا **phenomenology** ثم يتجه صوب الطرق الرائدة الموصوفة في الفصل الرابع من كتابي الأول [1] على أنها نقطة شروع ما بعد الحداثة، التي تستمد جذورها من الفكر النيتشوي. تميز طريقة كهذه الطبيعة المحدودة للإدراك البشري وتسعى إلى دعم توسعه. حيث أن ادعاءها أن سبل الادراك المعاصرة المتاحة للناس تخلق وضعاً يدركون فيه نزراً يسيراً من الواقع الكوني، وبالتالي، يختلف الناس اختلافاً حاداً في ما يعدونه «واقعياً» وما يدعون معرفته. ومن جهة أخرى، يتشابه الناس في ما يجهلون. يعد هذا الفهم ضروري لتطوير تحويل النزاع الاستنباطي. وتنحدر الدراما النفسية من هذا الفهم التأسيسي أيضاً، ولكون الدراما النفسية صنفا تنفيسيا لتحول الصراع، يمكن اقتفاء أثرها في أعمال ماركس وفيورباخ **Marx and Feurbach**. خيط آخر لهذا التفكير، كما عبر عنه نيتشه أقوى تعبير، أطلق تطورات تشمل بحث السلام البنيوي في أوربا، وخيط آخر أطلق علم بحث السلام في النفس الانساني ونظرية النظم في أمريكا[2].

تمثل فلسفة مارتن بوبر **Martin Buber** الذي طرح مفهوم ثنائية الانسان كحقيقة وجودية[3]، مرحلة أساسية في هذا التطور. ميز بوبر بين موقفين أساسيين: توجه يهدف إلى تحقيق الأمن، وإدراك يهدف إلى تجاوز الحدود. يفترض مبدؤه الحواري مساواة وتوازن بين الموقفين، وهو ما يسميه التوجه والادراك. حسب المفردات النيتشوية، قد يتحدث المرء عن أبوللو وديونيسيوس[4]، إذ يتحد كلاهما معاً في الكائن البشري المحقق لذاته. يقترح نيتشه وبوبر أن البشر يرغبون دائماً كلا الاتجاهين وبالتالي يجدون أنفسهم في موقع الاختيار الدائمي والحتمي. الطمأنينة المتأتية من الامن المتحقق ليست محل ثقة دائماً. ليس ثمة هوية ناجزة ومتسقة للغاية، لا للفرد ولا للمجموع. حسب فكر بوبر، ليس ثمة أنا. يفرق بين الأنا المتعلقة بالمخاطب والأنا التي تجلب تجربتها إلى العالم كهوية. إنه من الأنا ـ المخاطب من جهة والأنا ـ الهوية

(1) Diertich(2012,pp. 166 - 177)

(2) Diertich(2012,pp. 177 - 197)

(3) هنالك ملخص لافكار بوبر حول هذه النقطة في(Quitmann(1996,pp. 64 – 91

(4) Koppensteiner(2009,pp. 37 - 54)

من جهة أخرى يبرز التوتر بين العلاقات المباشرة والتجربة المكتسبة. تؤسس التجربة الأبولوية على الطمأنينة واليقين والأمن، بينما المواجهة الديونيسيوسية مرادفة للحركة والانفتاح والمخاطرة، حيث تتحول كل مواجهة ناجزة إلى تجربة. يعد هذا التوتر مركزي لعدة اعتبارات مهمة في سياق هذا الكتاب. تتجاوز أهميتها إطار علم النفس بالمعنى الضيق وتنطبق على الميدان الواسع لسياسات السلام.

تتعلق ثنائية الانسان، كتجربة ومواجهة، بالملاحظات بفيزياء الكم وبالبديهيات غير المتكاملة لكودل **Gödel**، وهذا ما تناولته في الجزء الأول من هذه الثلاثية[1]. تلك البديهيات العلمية هي مبادئ دالة في العلوم الانسانية وبالتالي تكتسب أهمية عملياتية لدراسات السلام. بمقتضى «الرمي» إلى هذا العالم، كما يقول هايدغر **Heidegger**، يواجه كل فرد وكل كل مجتمع بشكل دائم الاختيار بين المخاطرة والأمن، الانفتاح أو المحافظة، البنية أو المرونة، النظام أو الفوضى، الطمأنينة أو الإثارة، الميول المحافظة أو التقدمية، الحفاظ على الذات أو تغير الذات، توكيد الذات أو استسلامها. ستذكر هذه الثنائيات مع توترها المتوارث بأشكال مختلفة في هذا الكتاب. يعد الإقرار بأن التوتر جزء حتمي من الوجود، ولا يمكن تجنبه ويجب أن يحتمل، أمر حاسمٌ في دراسات السلام العابر للعقلانية. لدينا خيار في كل وضع. علينا أن نختار ونتحمل مسؤولية اختيارنا، وأن نضع في حساباتنا أن رفضنا أن نختار هو اختيار أيضاً، أي اختيار مواصلة كبح الطاقة الحيوية، واختيار للتنازع. محكوم على البشر ككل بالحرية، كما قال جان بول سارتر[2]، وبالتالي هم مسؤولون عن اختيار أي نوع من السلام المتعدد.

يركز علم النفس الانساني، كما يوحي الإسم، على الإنسان كما هو أو هي. قد يبدو هذا بديهياً، لكن يبدو أن العلوم الانسانية والاجتماعية الرسمية لم تفقه المدى الكامل للتبعات المعرفية الناجمة. حذر روبرت أوبنهايمر **Robert Oppenheimer** مبكراً في 1956، جمعية علم النفس الأمريكية من اتباع فيزياء نيوتن التي تجاوزها الزمن حينها ولم يعد بوسعها الإدعاء بالعالمية[3]. آخذين بنظر الاعتبار علاقة القرابة بين

(1) Dietrech (2012,pp. 259 - 265)

(2) ورد في Quitmann(1996,p. 86)

(3) Oppenheimer، مقتبس في Quitmann(1996,p. 181)

دراسات السلام وعلم النفس، يتوقع المرء أن تحذيراً كهذا، على لسان شخص بمقام أوبنهايمر، لا بد أنه قد تم الاستماع إليه وأنه قد أثر على دراسات السلام. وبحسب ملاحظاتي من أوربا القارية، لم يبلغ أوبنهايمر دراسات السلام ولا العلوم الاجتماعية والانسانية، ويبدو من المناسب أن نعود إلى الابداعات المعرفية التي تأسس عليها علم النفس الانساني:

* موضوعية العلم اتفاق متبادل، فكما أن على الباحث أن يكون جزءً من البحث وكل من الملاحِظ والملاحَظ. الادعاء التي تفترضه العلوم المعاصرة عفى عليه الزمن.
* معنى وأهمية الاسئلة العلمية يحدد الطرق المنهجية.
* فيما يتعلق بالمنهج، تحظى التجربة الانسانية بالأولوية على المعطيات الاحصائية.
* المعرفة ذات أهمية نسبية بمجملها. يمكن للمعرفة أن تتسع بلا حدود بسبب الابداع والخيال الانساني[1].

لا تستصغر إعادة التوجه الفينومينولوجية هذه بأي حال من الأحوال منجزات المدارس الفكرية، والبصيرة النفاذة التي يجب أن ينظر إليها باعتبارها جزءً من التجربة الانسانية دون استثناء أيّ منها. ما يهم هو تطويع وتحريف العلم الحديث أكثر من التغلب عليه[2]. وبناءً على هذه الأسس التي لا تزال ثورية، يسعى علم النفس الانساني إلى توعية الناس حول إمكانية إدراك أنفسهم وأصالتهم الشخصية بدقة قدر الامكان. على النقيض من المدرسة السلوكية والتحليل النفسي، لا يهدف علم النفس الانساني إلى تناغم الفوضى النفسية حسب مبادئ المقاييس السائدة، بل بالأحرى، إلى تمكين الانغماس مع طيف تجربة الوجود الانساني بمجملها، من اليأس إلى البؤس إلى الحب والنشوة.

الجذر الآخر لعلم النفس الانساني هو النظرية العامة للتواصل البشري التي طورها عالم الحيوان المتعدد الاختصاصات كريكوري باتسون **Bateson**[3] من بالو آلتو في كاليفورنيا. جراء متابعته الدراسات الميدانية في غينيا الجديدة وبالي، استنتج باتسون

(1) Quitmann(1996,pp. 15 - 16)

(2)ان مصطلح Verwindung الذي استخدمه Heidegger وقدمه Wolfgang Sützlالى دراسات السلام في دراسته لجياني فاتيمو 2008) Sützl). انظر ايضا الملاحظة رقم 16 في مقدمة الكتاب.

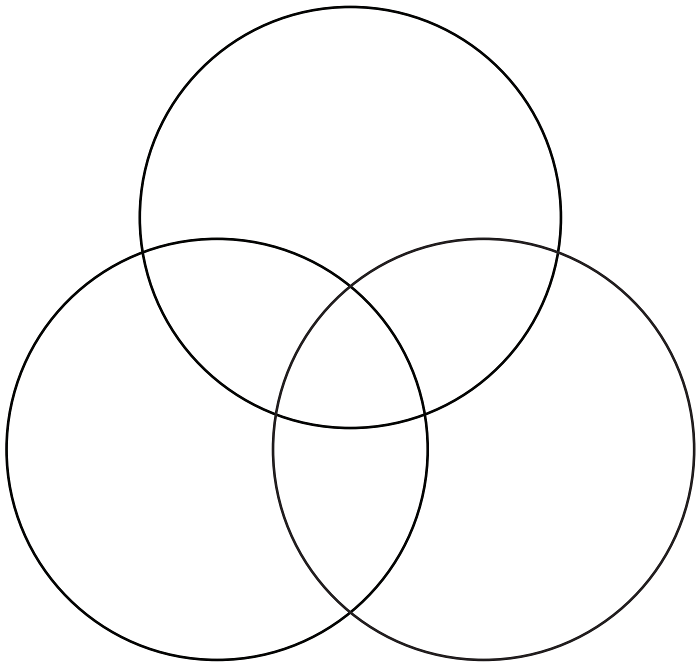
(3) 1904 - 1980

أن الشروط المرضية النفسية يجب أن تؤخذ على أنها فشل في التواصل: شخصي داخلي وخارجي. أصبحت فرضيته ذات الربط المزدوج عن الشيزوفرينيا قوة جذب لمعالجي نظرية النظم. عزا إبداعه الأولي الشيزوفرينيا إلى بنى التواصل المرضية ضمن عائلة المريض. وهكذا طوع باتسون ثلاث نظريات سابقة مستمدة من آراء داروين في الارتقاء وماركس التاريخية الاجتماعية وآراء فرويد في مجال السيرة الذاتية وتأثيرها على التواصل، وطور نظرية تواصل علمية انسانية متسقة بشأن النزاع. اعتماداً على ذلك، وحسب رأي باتسون، من المستحيل التفكير بالحياة بدون التفكير بالتواصل. بالتواصل فقط تتطور طريقة المرء الخاصة بتواصل أفكاره ومشاعره وتفسيره لتدفق ومجرى الإدراك. وإنه من خلال التواصل فقط تتم استدامة واقعية الانسان والشعور بالذات. وعليه، تبدأ النزاعات وتوجد في التواصل وتجربة النزاع توازي كون المرء حياً[1]. يعتبر المفهوم الأخلاقي الحديث للسلام الخالي من النزاع هدفا مزيفا، حيث أنه مبني على الوهم والجهل بالحياة: إذ أنه هرطقة ميتافيزيقية.

كان افتراض باتسون، الذي يبدو سطحيا بسيطا على الرغم من أنه ثوري، في النظام الاجتماعي كالعائلة مثلا، والحي والدولة أو تحالف دول وما إلى ذلك، كلها عناصر وثيقة الصلة من خلال عمليات تواصل مستمرة. وبالتالي، ستحدد دوائر تبادل الآراء سلوك وظروف الفرد. عرَّف النظام ككلية عناصر على تواصل مع بعضها البعض، بحيث أن تغيير في عنصر واحد يطلق تغييراً في العناصر الأخرى. كان باتسون على قناعة أن السلوك البشري وظروفه ومن ضمنها الأمراض العقلية والبدنية، تفهم فقط حين ينظر اليها من إطار مرجعي اجتماعي. حتى يومنا هذا، التأثيرات العميقة لافتراضات نظرية النظم هذه المتعلقة بتعريف المرض العقلي والبدني خاضعة لجدل حاد بين الخبراء، وأحياناً، تصل إلى الحدود القصوى كما تم كشفه عبر السؤال التالي: هل أن ا مصاب بالمرض أو (حسب معطيات النظام) هل أنا المرض؟ [2] فيما يتعلق بدراسات السلام، تقدم الطريقة النظامية أساساً مهماً لفهم الكائنات البشرية والسلام والنزاع، التي يمكننا توضيحها هنا:

(1) Ruesch and Bateson(1951)

(2) Ruppert(2002,p. 44)



الشكل 2. 1 الطريقة النظامية للسلام حسب باتسون(1)

وتبعاً لذلك، يتحقق رفاه الفرد والمجموع، أي السلام، حين يتواصل النظام في منطقة التقاطع حيث هناك ثمة توازن بين الجسد والعقل والمجتمع. يؤدي انعدام التوازن في أي اتجاه مرض بدني أو عقلي إلى نزاع إنساني داخلي.

لاحظ باتسون أن البشر لم يتصرفوا دائماً اعتماداً على فهمهم للواقع، ولكنّهم غالباً ما يميلون إلى الثقة بآراء تتعارض مع فهمهم الخاص. سيكون هذا الاكتشاف ذا أهمية بالغة في الجدل اللاحق حول علم النفس الانساني وامتداداً منه إلى تحول النزاع الاستنباطي(2)، الذي يصبح فيه التغيير المحفَّز علاجياً أو تحول النزاع ممكنا

(1) يحاكي هذا الشكل ذلك الذي صممه باتيسون واعتمده ريفيرو، نيلسون والذي تم تقديمه في مؤتمر Arte Paz Sustenibilidad في جامعة لوس انديس في ميريدا، فنزويلا في 23 نيسان 2009.

(2) Lederach(2005,p. 34)

أثناء تجريب الزبون أو الأطراف المتنازعة للواقع. فيصبح هدف العلاج أو التوسط تحول طرق معالجة المعلومات[1].

بالإضافة إلى ذلك، قدم باتسون مفاهيم نظرية النظم مثل «التناغم» و«التوازن» و«الاستقرار» للحوار، وهذه مفاهيم لم تكن معروفة تماماً في حقبة الحرب العالمية الثانية. وقفت آراؤه على النقيض الحاد من فردانية العلوم الانسانية الرسمية ونالت الاعتراف فقط في الستينات حين بدأت حركة ثقافية مضادة تأخذ شكلاً معيناً. خلقت النقاشات التي ظهرت في ذلك الوقت وعياً عاماً بشأن مخاطر التلوث البيئي ومخاطر سباق التسلح العالمي. مقاربة باتسون لجمعية ستانفورد لبحوث الأنظمة العامة كانت أكثر من كونها جغرافيَّة أو مؤقتة. شاطر مواضيع بحثه وطرقه وأخلاقياته مع الرواد المؤسسين لبحوث السلام الامريكية، حيث أعمال لودويك فون بيرتالانفي **Ludwig von Bertalanffy** وأناتول رابابورت **Anatolm Rapoport** كانت ذات صلة مع بحوث كينيث بولدنك **Kenneth Boulding**[2].

كان كل من الانتاج الصناعي وسباق التسلح ولا يزالان قائمين على مفهوم معرفي شائع عن الضحية الخطية. أدرك باتسون أن المنطق الخطي للعلوم الاجتماعية والانسانية المعاصرة لم تأخذ بالحسبان عمليات تبادل المعلومات، وهذا ما يفسر عمى العلاقات المتبادلة النظامية مما أدى إلى عواقب الحداثة الكارثية. تأسست العقلية التنافسية ذات التوجه التطوري للمجتمع الصناعي على إنكار غير عقلاني لنتائجها المدمرة على الطبيعة وبالتالي على الانسانية جمعاء[3].

يتجذر تحويل النزاع الاستنباطي في الفكر السيفاردي **Sephardic** كما طُرح في عمل جيكوب ليفي مورينو **Jakob Levy Moreno**[4]، وهو طبيب ملتزم بالمجتمع ومحب للمسرح. معتمداً على نسخته المعاصرة لصوفية اليهود، طور مورينو «دين المواجهة» الذي أصبح بدوره أساس طريقته العلاجيه وعمله المسرحي. وظلت

(1) Ruesch and Bateson(1951,177)

(2) Diertich(2012,pp. 177 - 187)

(3) Walker(1996,p. 65)

(4) 1889 - 1974

الدراما النفسية، وهي طريقة علاجية لتحويل النزاع التي اعتمدت على المسرح، ملتصقة باسم مورينو على نحو لا فكاك منه. كانت ميزتها الاساسية ـ توجه نحو الطيبة في الانسان ـ يمكن تحديدها «إن ما يجلب المتعة لهو خير» (1). وعلى النقيض من الافتراضات المتفائلة المتعلقة بطبيعة الانسان المنتشرة في المثالية (الالمانية) ذات التوجه المستقبلي والتعبيرية، تركز الدراما النفسية على رسوها الراسخ في الحاضر والفعل. غالباً ما أشار مورينو إلى الاقتباس الإنجيلي «ستعرفهم من ثمارهم» (2) لكي يُبعد نفسه من الميول النظرية المستقبلية للدين والفن والعلوم الانسانية الرسمية. حسب آراء مورينو، يحصل البشر على بصيرة عن حياتهم والعالم ببقائهم في الحاضر ـ وبمشاركتهم في الأحداث المسرحية.

هناك فقرة مشهورة في سيرة مورينو، كان القصد منها توثيق انشقاقه عن فرويد، إلا أن معظم العلماء لا يقبلون بصحتها. على الرغم من ذلك، تصف الفقرة مساهمة مورينو الأساسية فيما سيسمى لاحقاً تحول النزاع الاستنباطي:

> «حسناً، يا دكتور فرويد، لقد بدأتُ من حيث انتهيتَ. تلتقي الناس في بيئة مصطنعة. وأنا التقيهم في الشارع وفي بيوتهم، في بيئتهم الطبيعية. تحللهم وتفكـكهم. أنا أدعهم يمثلون أدوار نزاعاتهم وأساعدهم على إعادة جمع الأجزاء ثانية.» (3)

روّج مورينو من خلال شكل مسرحه المرتجل المبكرلـ«مسرح حقيقي»، مسرح اللحظة، الذي تحقق فيه «ومضة الابداع المقدسة» البديهيات الأساسية لفلسفته المستلهمة من التصوف: المسؤولية، الفعل، الابداع، المواجهة، المجموعة، المجتمع. وعليه، طور بدءاً مسرح بدون جمهور، وفهم للمسرح ليس باعتباره فنا تمثيليا، بل كشكل من أشكال العلاج للسياقات الاجتماعية التي لا يتوافر فيها متفرجون، بل مسهمون فقط(4). في اوائل 1923، اقترح إذا ما تسنى للمرء أن يمثل دور

---

(1) Tomaschek - Habrina(2004,p. 115)

(2) انجيل ماثيو الاية 7:16 نسخة منقحة معتمدة http://quod. lib. umich. edu/r/rsv/(February,9,2013)

(3) وردت بالالمانية في (Tomaschek – Habrina(2004,p. 45، حيث ان الشكوك حول واقعية هذه المقولة قد نوقشت باسهاب. وللحصول على مصادر انكليزية انظر http: //www. morenoinstituteeast. org/ bios. html (February,9,2013)

(4) Tomaschek - Habrina(2004,p127 and p. 165)

«الملك» في مسرحية، بإمكانه أن يفعل ذلك على أرض الواقع أيضاً. بالنسبة للذين لم يستطيعوا الإقدام على ذلك، وفر المسرح المرتجل الفرصة لممارسة كون المرء ملكاً، ولكن من أجل تطبيق ذلك في الحياة. ولكن فقط أولئك الذين يرتدون قناع الملك سيوجب عليهم تمزيقه أثناء العرض المسرحي[1]. توقع مورينو عناصر أساسية من علاج الجشتالت وعلاج النظام العائلي وأكثر من هذا كله مسرح المظلومين الخاص بأوغستو بول. الطرق المحددة لمسرح المظلومين ومن ضمنها «مسرح الجريدة»، تأتي كلها من مورينو. تلعب تلك الاعتبارات، بعد تجريدها من ارتباطاتها الصوفية، دوراً مهماً في ثنايا هذا الكتاب.

طور مورينو الدراما النفسية بأفضل اشكالها اثناء فترته الامريكية من 1926 فصاعداً، حين درس عمليات ديناميكية المجموعة في السجون والمدارس والاصلاحيات والعيادات اعتماداً على خبرة مسرحه المرتجل التي جمعها في فيينا. مع بداية 1931، طبق على نحو نظامي تلك الخبرات على طريقة العلاج النفسي للمجموعة. في 1935، طور علاج المجموعة الدرامي النفسي، وهو بحث على خشبة المسرح متمركز على الفعل، عن الظواهر النفسية والاجتماعية والثقافية. يركز عمل الدراما النفسية على الانسان كفرد مبدع وكعضو في شبكة موسعة من العلاقات الانسانية ـ أي التواصل بين الواقع الذاتي للفرد والواقع الذاتي للآخرين. فهم مورينو لهذا التواصل انصب على العملية: اعتقد أن الجوانب المتنوعة للكينونة قد قُدمت من خلال فعل إبداعي عفوي[2]. من العسير تجاهل التقارب المفاهيمي لنظرية الأنظمة لباتسون التي تطورت في الفترة ذاتها.

تعد مسؤولية أعضاء المجموعة عن بعضهم البعض وعن مكانهم المشترك بالنسبة لمورينو مهمة عظيمة. بتطبيقه تفسيرا حرفيا للكلمة اللاتينية concientia، يفهمها ليس بمعنى الوعي الفردي، بل لتعني المعرفة المشتركة حيث لا يمكن للجوانب البدنية والمعرفية والروحية أن تنفصل عن بعضها البعض. لا يتواجد الوعي الفردي والذاتي في المكان الخاص للدماغ الفردي وهي محاطة بالفراغ: بل يشكل نفسه في عملية

(1) Tomaschek - Habrina(2004,p. 198)

(2) Tomaschek - Habrina(2004,p. 216)

تواصل مستمرة. كل ميدان ليس جزيرة، والوعي ميدان مفتوح. تعني Concientia أن البشر يجربون العالم مع بعض من خلال العلاقات المتبادلة وليس من خلال الفهم الذاتي[1].

ويفهم مورينو المعالج بالمعنى الحرفي، أي خادم في عملية وعي جمعي إبداعية مستقلة، وكصاحب وشافٍ، ولكن ليس كطبيب أو مدرس أو أي نوع من الخبراء. يتعاون المعالجون مع حكمة الزبون الداخلية[2]. علاوة على ذلك، يعتبر مورينو مطلب الحضور عنصر اساسي في الدراما النفسية، متعقداً أن مواضي ومستقبلاتٍ عديدة قد تظهر طالما تحدث المسرحية في الحاضر. الابطال المضادون الذين يدخلون مشهداً دراميأ نفسياً في الحاضر سيواجهون أموراً من الماضي أو من المستقبل إذا ما كانت على صلة.

يعزو مورينو، فيما يتعلق بإدارة النزاع، وجود تأثير مطهر إلى المسرح، تماشياً مع تعاليم فيورباخ وافلاطون وارسطو في آخر المطاف[3]. وشدد هؤلاء المؤلفون «المتقدمون» على التأثير المطهر للتراجيديا على الجمهور. أدخلوا الأساطير إلى التراجيديات مما خلق منظورات مرئية وحلول ومعوقات وضرورات مختلفة. أرادوا ان يقدموا للمشاهدين تطهيراً جمعياً. اعتبر أرسطو التطهير ذا أهمية سياسية، لأنه اعتقد بخلاف ذلك، قد يثور الناس ضد القوانين الإلهية والاجتماعية مما يجعل من التعايش المشترك مستحيلاً. في هذا الفهم، تصبح وظيفة المسرح استثمار معاناة البطل كإيضاح للعواقب العدائية لخرق القوانين وعليه تطهير الناس من روح المقاومة[4]. تم فهم المسرح على أنه وسط من التواصل الجمعي وعلاج جمعي.

طبق مورينو هذا الفهم للمطهر كأداة تعليمية وعلاجية من أجل البطل المضاد أكثر منه من أجل الجمهور. وجد أنه حين يتم تمثيل شيء حقيقي على المسرح، يصبح التحرر من عواقب الحدث الأولى ممكناً. إعادة التمثيل تخلق اختياراً اضافياً لرؤية

(1) Wilber(2000,p. 49)

(2) لقد تبنى Grof and Bennet(1993,p. 211) نفس وجهة النظر

(3) Grof(1985,pp. 300 - 301)

(4) Staffler(2009,p. 40)

وتذكر الحدث الاولي وبالتالي تطلق قوة تحول. تكرار التجارب السابقة من خلال المسرحية مصدر الذي تنبع منه قوة الابطال المضادين لاكتشاف وإعادة تفسير وإعادة سرد قصص حياتهم[1]. تجربة واقع ممسرح ـ يسميه مورينو «الواقع الفائض» ـ تقدم إدراكاً متطوراً للواقع الخارجي إلى الممثلين. بالاضافة إلى ذلك، الغرض من الواقع الممسرح هو البدء بعملية تطهير يجرب من خلالها الممثلون تطهير الفعل والملاحظة. مكونات هذا الواقع الممسرح مثل التجاوب بين البطل المضاد والممثلين الآخرين الذين يدعوهم مورينو «Tele» (وتعني بعيد، عن بعد ـ المترجم)، فضلاً عن المواجهة بكل تنويعاتها (الأنا المساعدة وتغير الادوار والثنائية وانعكاس المرايا) قد دخلت مسرح المظلومين وكوكبة عائلة النظم، كما سنرى لاحقاً[2]. لا يمكننا أن نبالغ في وصف أهمية نظرية مورينو وممارسة تحويل النزاع الاستنباطي.

علاج الجشتالت وهو جذر آخر لتحويل النزاع الاستنباطي، يختلف عن التحليل النفسي القياسي بدخوله إلى ميدان التجرية غير الكلامية. يرفض هذا العلاج المكانة الامتيازية للعقل ويوفر طريقة تضع الجسد وحركاته والاحاسيس على نفس مستوى العقل، مع رموزه التجريدية والرمزية. حيت تكون الفعاليات النفسية والبدنية من ذات النوع، يجب ان يُنظر اليها كتجليات للجوهر الانساني ذاته[3]. تبعا لذلك، الجسم البشري مكون من نظامين ـ النظام الحسي والنظام الحركي ـ ومن خلالهما يتصل بالعالم. الرأي الديكارتي حول الحداثة يفصل بين هذين النظامين بدقة متناهية، في حين تفترض مقاربة الجشتالت أن الأفكار والمشاعر والافعال من ذات المادة وبالتالي يمكنها أن تتحرك من خلال الانظمة.

يعد فريتس بيرلز مؤسس علاج الجشتالت وفي سنواته المبكرة كان شغوفاً بالمسرح، تماماً مثل مورينو. درس مع ماكس راينهارت العلاقة المتبادلة وأهمية النفس والصوت والحركة والقامة وتعابير الوجه والايحاءات، وبدء يفهم أهمية الجسد ولغة الوجه. أدى به هذا العمل لاحقاً إلى أن يستنتج، برفقة ويلهلم رايخ، أن بنية الشخصية

(1) Lederach and Lederach(2010,p. 124)، تم مناقشة امثلة حول الموضوع في pp. 145 ـ 194

(2) Tomaschek - Habrina(2004,pp. 228 - 243)

(3) Koval(1977,p. 130)

للانسان تنعكس في أنماط معينة على عضلات متصلبة بشكل متزامن، وهذا ما أطلق عليه درع الشخصية[1]. على أية حال، شدد بيرلز أكثر من رايخ على الادراك الواعي للحاضر وبالتالي طبيعة الاعراض العملياتية.

يعد التوازن/ الاستقرار الداخلي homeostasis العنصر الأساسي الذي يميز علاج الجشتالت عن العلاج النفسي التقليدي. يشير هذا المصطلح إلى العملية التي يشبع فيها الكائن البشري حاجاته من خلال الانتقال المتواصل بين التوازن واللا توازن. وطبقاً لذلك، الكائن البشري ليس تحت سيطرة الدوافع التي تحددها الأصناف أو الجينات، بل العمليات التوازنية للتلاؤم بين الحاجات المشبعة واللا مشبعة المرتبطة ببعضها في تغيير متواصل. كل كائن يجد نفسه في معركة دائبة بين الحفاظ على الذات والإشباع والطمأنينة والأمن والنمو والأيض والحركة والمخاطرة والتطور. من هذا المنظور، النزاع ببساطة تعبير مأساوي عن حاجة غير مشبعة في لحظة[2]. بتأثير من الطاوية والبوذية، اعتبر بيرلز الحد الوسط حو المكان الذي يجد فيه البشر التوازن والسلام[3].

وعلى هذا الاساس، تعرف طريقة الجشتالت الذات على أنها «حدود التواصل وهي تعمل». مع أن هذا المفهوم يبدو ثقيلا، غير أنه يوفر مفتاحا لفهم تحول النزاع الاستنباطي وسيكون ذا أهمية في ثنايا هذا الكتاب. هنا، الفعل يعني الخلق المتواصل لما يسميه معالجي الجشتالت «شخوص جدد» و«أرضيات». حدود التواصل تحدد المكان الذي يدخل فيه التوتر بين الحفاظ على النوع وتحول النوع إلى الوعي وتتم معالجتهما بهدف تسوية التوازن. عملية التواصل هذه بطبيعتها لا تنتهي أبداً. ما إن يتم إشباع حاجة، تحتفي الشخصية التي تمثل الحاجة وينتهي علاج الجشتالت. وما إن ينتهي الجشتالت، تتحرك شخصية جديدة غير مكتملة إلى الواجهة. ضمن إطار المرجعية هذا، حدود الاتصال هي المكان حيث يولد تحول السلام والنزاع.

(1) يمكن الحصول على Heinrichs(2004) والذي يناقش النص الحالي ضمن ادبيات كثيرة حول هذا الموضوع

(2) Rosenberg(2004a,p. 27)

(3) تم مناقشتها بالتفصيل في Quitmann(1996pp. 109 ـ 111)

حسب هذه المدرسة الفكرية، يعرّف السلام على أنه استسلام لعملية تعلم متواصلة، للحركة السلسة من وضع إلى آخر، مع كل وضع موسوم بحاجات ومشاعر وتجارب ومدركات خارجية واتصالات وحوارات ومواجهات جديدة[1]. إذا ما تمت مقاطعة هذه المنظومة من الخارج أو تم حجرها من الداخل، سيعجز الجشتالت الجديد من التحرك إلى الواجهة بصيغة قوية وجلية للعيان. تتحول حدود الاتصال المحفزة حديثاً خوف وعدوان وسأم أو لا مبالاة. الاضطرابات في حدود الاتصال تُجرب ذاتياً على أنها انعدام للسلام. إمكانية الاتصال والناس يفقدان قدرتهما على المخاطرة شئ ما جديد. في حين يصف التحليل النفسي آلية دفاع كهذه بمصطلحات نفسية داخلية، يموضعها الجشتالت في حدود الاتصال، وهذا مثار اهتمام لبحوث السلام.

التأكيد على حدود الاتصال بين البشر وبيئتهم وعلى الأفعال المنفذة هناك، يجعل من التنفس عنصراً مهماً في علاج الجشتالت بالاضافة إلى طرق علم النفس الانساني. ليس ثمة جانب من الوجود أوضح تعبيراً عن حقيقة أن كل كائن حي ميدان مكنون في ما يسميه بيرلز (mitwelt) أو عالم مشترك، وهذا العالم المشترك مكنون في الكائن الحي. كل نَفَس دليل على ارتباط لا ينفصل بين البشر وعالمهم المشترك وبين سخافة الفرد حين يؤخذ على انه وحدة نواتية.

يميز بيرلز Perls وهيفيرلاين Hefferline وكودمان[2] Goodman في اعمالهم الحاسمة، بين الاتصال المسبق والاتصال الحالي والاتصال الأخير وما بعد الاتصال. ضمن هذا الاطار، يخلق مبدأ التوازن إثارة في حدود الاتصال استجابة إلى حالالت داخلية وخارجية من الحرمان أو الافراط. على الذات إذن أن تقرر فيما اذا تتماهى مع أو تبعد نفسها عن الجشتالت المستثار. ليس من المهم أي قرار يُتخذ، لكن ما يهم أن قراراً قد اتخذ، لأنه إذا لم تتم معالجة الجشتالت، سيضطرب الظهور الحتمي للجشتالت القادم. عادة ما يخترق الشأن غير المكتمل عمليات الاتصال اللاحقة، متجسداً كانماط غير واعية ومعيقة. لانها لم تعد تنتمي إلى سياق راهن، الجشتالت غير المكتملة تحجز

(1) Hutterer - Krisch and Klample(2009,p. 197)

(2) Perls et al. (1977) كذلك هنالك ملخص مفيد للاطلاع عليه انظر Quitmann(1996,pp. 111 – 124)

تدفق الطاقة لكي يحافظ على التوازن للنمط الدفين غير الواعي، ويحقق ذلك عن طريق التجنب. بدلاً من الاتصال مع امكانية النمو، ثمة تجنب للاتصال كاستراتيجية من أجل البقاء. يوضح تعبير عامي من الالمانية عن الوضع، لا يسع المرء أن ينتهي بتجربة محددة (fertig werden).

إذا ما تتمناه الذات بوصفها «اتصال» أن تهرب من تبعات تجنب الاتصال، وهنا يجب ان يُتخذ قرار. فالذات لا مفر لها من خوض النزاع الحتمي بين الاندماج والابتعاد وتغيير ما أمامها. ضمن هذا المسار الفكري، تجريب ومعايشة النزاع عنصر ضروري لعملية التأقلم الابداعي. وليس القصد توجيه النزاع نحو الحل، بل لتوكيد النزاع كأساس للوجود. هذا حتمي على الرغم من أنه عسير لأن النزاعات تولد الخوف. حلول الرغبة المتواصلة بحلول الامن وبالعكس والسعي وراء تغيير يهدد أمنا كهذا يشكل مأزقا وجوديا للبشر. تواجه الذات اختيار البقاء مع المألوف والآمن ومن خلاله تراكم كوماً من الاعمال غير المنجزة، أو تثق بعملية تنظيم الذات للكائن البشري التي تنطوي على مخاطرة متواصلة من الفشل المؤلم.

إقراراً بحتمية هذا المأزق، يوصي بيرلز وهفيرلاين بنمط «وسط اتصال» يسمح بأعظم اتفاق ممكن بين الكائن وعالمه المشترك. تكف الذات عن كونها ذاتاً وتصبح تحول سياق. بالنسبة للناس الذين جعلتهم الحداثة اجتماعيين وذوي توجه فرداني، قد يكون من الشاق فهم هذا، ولكنه ذو اهمية اساسية في التعاليم اللاحقة التي تاسست على نظرية النظم وعلاج الجشتالت.

عند الإقرار بجذوره البوذية [1] على الرغم من أن بيرلز، هوفيرلاين، وغودمان لا يتحدثون عن هذا الأمر بهذه الطريقة، فأنا أقترح استخدام كلمة «سلام» للإشارة إلى الذات التي تصبح تحوّلًا للسياق. ويمكن تأكيد هذا من خلال التواصل الأخير كتدفق للطاقة يوسع السياق السابق من خلال العناصر الممثلة من خلال التواصل. إن هذه العناصر تصبح جزءا من النظام العضوي الذاتي التي تظهر في لحظة التواصل. فعندما يتعادل السلام مع الاستقرار الداخلي ويبدأ التبادل، يصبح من الواضح عندها أنه ليس

(1) تم توثيق تأثير مدرسة الزن البوذية على بيرلز في سيرته الذاتية.

نزاعا يمنعنا من رؤية السلام، لكنّه في الحقيقة عمل غير تام لنزاعات سابقة حجبت استمرار تدفق الطاقة.

وبالتالي، السلام متأصل في كل لحظة كينونة يدركها الوعي ـ في تناول الطعام واللعب والغناء والرقص واللمس وممارسة الحب والتحدث. وعلى الرغم من التناقض الظاهري، يمكن تجريب هكذا لحظات في المنافسات الرياضية والقتالية. يعيد البشر اكتشاف وخلق أنفسهم في عقولهم الواعية اثناء حياتهم، حيث يبحثون عن افاق جديدة ويواجهون على نحو متواصل تحديات جديدة ويجدون فرصاً جديدة. لا تهتم كثيرا نظرية الجشتالت بالتفاصيل الحياتية والتاريخية التي قد أفضت إلى الانماط السلوكية الحالية. فالسؤال عن «كيف» يحتل الاسبقية على السؤال عن «لماذا». جمع بيرلز هذا التوجه الفينومينولوجي مع شغفه بالمسرح، حين التقى هو ولورا بيرلز وبول كودمان في امريكا.

> **يتألف العلاج حينها من تحليل البنية الداخلية للتجربة الفعلية... وليس ما تمت تجربته أو تذكره أو فعله إلى آخره، اي كيف يتم تذكر ما نتذكر، أو كيف قيل ما قيل ومع أية تعابير على الوجه وأي نبرة صوت وأي نحو وأي قامة وأي تأثير وأي حذف وما يخص ولا يخص الشخص الآخر، إلى آخره. من خلال العمل على وحدة وتفكك هذه البنية للتجربة هنا والآن، من الممكن ملاحظة العلاقات الديناميكية للشخص والارضية إلى أن يشتد الاتصال ويتوقد الادراك وينشط السلوك**[1].

لقد تم تفسير العصاب ليس كمرض بالمعنى الطبي، بل اعتلال كامل لنمو الكائن. طور بيرلز في أعماله المتأخرة[2]، نمطاً قائماً على المقدمات الأصلية للاتصال المسبق والاتصال الآني والاتصال الأخير وما بعد الاتصال الذي ينقسم في السلوك البشري إلى طبقات تشبه تكوين البصل. سماها بيرلز:

- الكليشيه
- الأدوار والألعاب
- المأزق (الانسداد)

(1) تم تأكيده في بيرلز Perls et al. (1977,p. 8)

(2) Perls(1992,p. 75)

- الانفجار الداخلي (موت الأنا)
- الانفجار الخارجي

طبقاً لطروحات بيرل، صلة تلك الطبقات تزداد من الخارج نحو الداخل، من ال «كما لو» للكليشيه وقناع الدور إلى ممانعة الوجود المضاد للمأزق الخالي من الدور، يلي ذلك الخوف من الموت وانفجار الأنا من الداخل، إنه انفجار الذات متحررة من الأنا. الانفجار هو المرور إلى التجربة الواعية والتعبير عن المشاعر.

يهدف الجشتالت إلى هضم اهتمام الكائن الراهن وتوسيع إدراكه أو ادراكها للاختيارات. حسب هذا الرأي، يميل الناس ككائنات يدفعها الخوف إلى تجنب النزاع المنبثق عن التجربة المباشرة ويفضلون العيش من ال «لماذا» المتأسسة على قصص من الماضي أو تصورات مستقبلية. وبالتالي، يعزون معاني إلى انطباعات راهنة وتجارب تغذيها شؤوون غير منجزة وبتصورات تُفهم بشكل مشوه بالنتيجة.

التجنب والشؤون غير المنجزة مفهومان مركزيان في علاج الجشتالت. تشمل الشؤون غير المنجزة المشاعر والأحداث والذكريات التي تواصل حياتها في الانسان بدون تعبير. التجنب هو الطريقة المتبعة للإبتعاد عن الشأن غير المنجز. من خلال التجنب، يسعى المرء إلى الهرب من مشاعر تكون من الضروري تجربتها بخلافه أو أن تلك المشاعر ستواصل ممارسة السيطرة[1].

في أعماله اللاحقة، يحدد بيرلز ثلاثة أنواع من طبقات الوعي:

- إدراك واعٍ للذات
- إدراك واعٍ للعالم
- إدراك واعٍ لحيز الخيال الوسطي الذي يمكن المرء من الاتصال مع الذات والعالم[2].

أكد بيرلز ملاحظة فرويد بشأن التحيزات والعقد والخيال وتدخلها بعلاقات المرء مع الذات ومع العالم. على خلاف فرويد، لم يكن لدى بيرلز طموح لتحليل الحيز

(1) Cohn(2004,p. 71)

(2) Perls(1973)

الوسطي بالدقة الممكنة. انصبت نواياه على إيقاظ الناس من التنويم المغناطيسي المزمن المتواجد في الحيز، لكي يتمكنوا من توجيه اهتمامهم لما يشير اليه بيرلزبـ «هنا والآن». رسالة جشتالت بيرلز فينومينولوجية جوهرياً ويسعنا تلخيصها كما يلي: تخلّ عما تعرف، لترى ما يكون!

و بحسب بيرلز، ما أن يدرك المرء ال «هنا والان»، سيحدث النمو الشخصي والشفاء آلياً. وعليه، يخلق علاج الجشتالت وضعاً يسمح للزبائن بإدراك التأثير المشوِّه والمعيق والمثير للنزاعات لقصصهم وتصوراتهم. يُكبح سلوك الزبائن القائم على التجنب حتى يكونوا مستعدين لتعبئة مواردهم من أجل التصدي لواقعهم الراهن. أصبحت هذه النقطة والطريقة المطورة عنها مهمة للغاية بحيث أنها أثارت جدلاً لاحقاً ـ حدث بالتزامن في ميادين عديدة مختلفة من العلوم ـ فيما يتعلق بكيفية تعريف «الان»: ما يكون الآن وكم يستغرق. اعتماداً على معطيات بحوث الدماغ، قدم دانيال ستيرن جواباً مقنعاً نسبياً للسؤال. يفترض ستيرن ان لحظة في الزمن تستغرق بين اربعة إلى ثلاثين ثانية. هذا هو الزمن الذي يتطلبه الدماغ البشري لكي يشكل جشتالت ضمن سياق دلالي محدد[1]. طول اللحظة هذا يتلائم مع الأمد التقريبي للنَفَس البشري. مفهوم أن شهيقا واحدا وزفيرا واحدا يعرَّفان أمد «الآن» سيكون له أهمية لاحقاُ في هذا الكتاب. بالطبع، بما ان أمد التنفس يتنوع، هذا اللأمد تقريبي فقط. لنقل بصرامة، إن أي أمد لأي لحظة غير متسق مفاهيمياً مع الفهم الخطي للزمن.

أثناء تطور عمل بيرلز، إنتقل تركيزه من العلاج الفردي علاج المجموعة الذي شدد على العلاقاتية والآنية. طور أسلوب الكرسي الفارغ الذي كان نافعاً في إعادة دمج نزاعات الفرد مع الآخرين من جهة، ومع الوعي من جهة أخرى، تناقض بين الرغبات والحاجات والأجزاء المتصورة من شخصية المرء. من خلال أسلوب الكرسي الفارغ، يُعبر عن وتُشخص جوانب متنازعة من الشخصية بشكل كامل ومتناغم على يد الزبون عبر التمثيل. يهدف الأسلوب إلى تحقيق الاندماج العاطفي للطاقة

(1) Stern(2004,pp. 52 – 54)هنالك نقاشات تاريخية ـ علمية مستفيضة في Ruhnau(1998,pp. 71 – 96)

النفسية التي يستهلكها النزاع[1]. يشجع علاج الجشتالت الزبون على التجريب الحاد للمشاعر المشحونة بمعنىً معين، بالاضافة إلى المشاعر التي تظهر في اللحظة، لكي يدركها ويفْصلها ويعيشها. تسعى لتمكين الوعي من الدخول إلى الخوف والضعف وتحويلهما إلى واقع راهن تمت تجربته بوعي. في الوقت نفسه، تمكن الزبائن من الشعور بالتقمص العاطفي ـ أي أن يضعوا نفسهم في محل الآخرين لكي يفهموا كي يجربوا وضعاً أو نزاعاً معيناً. استحضار وعي قوي لتقمص االمرء العاطفي للآخر يولد تناغماً ويفتح طريقاً يؤدي إلى التحول.

بدءاً، ركز علاج الجشتالت على مرض الشخص، ثم انتقل التركيز لاحقاً إلى نمو الصحي الشخصي للزبون. في مسار حياته، ابتعد بيرلز اكثر فاكثر عن العلاج التحليلي. يشبه اسلوبه اسلوب معلم الزن وهو يعرض لتلامذته الطريق المتناقض لتحمل المرء لمسؤولية نفسه والانضباط في الحرية. علمهم ان يحصلوا على ما يريدون من كل لحظة من الحياة، بدلا من التخفي خلف إقرار داخلي ماضوي مفاده «انا لا أستطيع». تُستبدل هكذا تصريحات بتصريح اللحظة الراهنة «لا أرغب في ذلك». التصريح الواسع الانتشار «أود أن ولكن لا أستطيع» يصبح القول المتناقض «أود أن ولكنني لا أريد.» بتطبيق هذا الأسلوب، كشف بيرلز عن أول رغبتين متخفيتين تحت «يجب أن» ـ واجب اجتماعي، أطلق عليه «الرابح **TOP DOG**». إن الشعوربـ «ليس قادراً على» يتحول إلى «لا أريد أن»، ليمثل إرادة «الخاسر**UNDERDOG** ». طالما يتم تمثيل هذا النزاع الزائف، الخاسر، متخفياً مثل عجز، يتفوق على الرابح العنيف المتمثلبـ «أنا يجب» ليضمن الا يحدث شيء، مما يؤدي إلى شأن يبقى غير منجز. وفر كشف وحل هذا التناقض الخطة الاساسية لعدة أشكال مختلفة من العلاج. استعملها بيرلز نفسه حين طلب من زبائنه أن يستبدلوا كلمات «إذا» و«لكن» بكلمة «و»، فكشف عن الاحساس بالذنب كشعور كراهية[2]. بناءً على هذا الاساس، طور بيرلز طيفاً واسعاً من الممارسات التحولية لتشجيع النمو وطاقات الانسان.

---

(1) Walker(1996,p. 141)

(2) لم يكن بيرلز كاتبا موهوبا، لكن روث كوهن Ruth Cohn الذي كان حاضرا في اغلب محاضرات بيرلز يقدم وصفا جيدا وتفصيليا لاعماله،(73 – 72 .Cohn(2004,pp

في سنواته اللاحقة، ناصر بيرلز أساليب حياتية مجتمعية وطور برامج انغماس تستغرق ثلاثة أشهر. يعود الفضل إلى بيرلز وكودمان في أن طريقة العلاج النفسي الفردية السريرية قد تحولت إلى رؤية علاقاتية كلية للانسانية متمثلة بعلاج الجشتالت، وهو اليوم أحد الجذور للفهم ما وراء العقلاني للسلام. قد يكون السلام تحت فهم كهذا حاداً حتى انه احياناً بالكاد يطاق، ينجزه عقل انسان مستقر في ذاته ومدرك لها. إنه سلام يحتوي على كل شيء كان موجوداً في الماضي، ويوجد في اللحظة الراهنة، وسيوجد في المستقبل. في التفكير الكلي ما وراء العقلاني، السلام مرادف للتوازن الديناميكي بين متعارضات حتمية. وإذن، وفر علاج الجشتالت أدوات حيوية لجهد السلام الذي يسعى لتحقيق هكذا توازن، وبكلمة أخرى، تحويل النزاع الاستنباطي.

لا يمكن التشديد بما يكفي على أهمية أسس علاج الجشتالت للسلام ما وراء الواقعي. يتواجد السلام والنزاع فقط عندما يفهمان على أنهما كذلك. إقرار كهذا يتطلب موضوع فطن متضمن في سياق اجتماعي وعالم مشترك **MITWELT**. يركز علاج الجشتالت وتحول النزاع الاستنباطي على تنمية الادراك والوعي وهذا ما يتقاسماه مع مسرح المضطهدين[1]. تحرير الموضوع من ذكرياته ومخاوفه وآماله ورغباته وعقده وتخيله وتحيزه بالغ الأهمية للسلام في النظام. لخص سوامي براجناناندا هذا كما يلي «ما يحدث لنا أقل أهمية من كيف وبماذا نفكر.» [2]

إن النزاع حتمي ومتواصل في الوجود البشري لأن إدراكنا تشوشه التصورات. الغرض من جهد السلام هو فهم هذا والتقليل من التشوش قدر الإمكان، متذكرين أنه لا يمكن التخلص من التشوش بشكل نهائي ابداً، بل يمككنا ان نبقيه في توازن مؤقت وديناميكي. يعني جهد النزاع فيما يتعلق بعلاج الجشتالت العمل مع تجارب ومشاعر كما تُعاش في اللحظة الراهنة.

(1) تم كذلك مناقشة هذا الموضوع من قبل باولو فراير Paulo Freire والذي يشير إلى التعارض بين المدة والتغيير في اعمال هنري بيرجسونز Henry Bergsons والذي شجع على التغيير الثوري في الحاضر. Freire(1971,p. 180)

(2) Swami Prajnananda(1984,p. 75)

يعد ابراهام ماسلو[1] مؤسس علم النفس الانساني. من الرواد الاكثر أهمية، كارل روجرز[2] الشهير بعلاجه الذي محوره الزبون. يتشاطر روجرز وماسلو المفهوم أن جميع البشر يتمتعون بطاقة عظيمة لفهم انفسهم وتغيير مفاهيمهم عن الذات والمواقف الاولية والسلوك المستقل. يمكن الدخول إلى هذه الطاقة من إطار متكامل وهو الاطار الذي يوفره علم النفس للعلاج. تركز دراسات سلام ما وراء الواقع على ما يستطيع الناس الأصحاء العاديون أن يحققوا فيما يخص نزاعاتهم ـ سواء من خلال تعليم السلام أو البرامج الاكاديمية أو الحياة اليومية المدركة أو المواجهات المعاشة. الافتراضات المهمة الاساسية الاخرى التي يتشاطرها علم النفس الانساني ودراسات سلام ما وراء الواقع، تشمل معتقداً مفاده ان البشر اكثر من مجموع أجزائهم، وانهم يعيشون في علاقات ـ في الحقيقة، الناس هم علاقاتهم ـ وبالتالي، الادراك علاقاتي. من المفترض أنهم يفعلون ذلك بطريقة واعية وبالنتيجة يستطيعون تقوية الادراك واتخاذ قرارات مستقلة.

يعود تاريخ نموذج ماسلو لهرمية الحاجات إلى 1943، الذي ضمن اقراراً واسعاً باسمه عبر أجيال مختلفة. معتمداً على تنوع معين، يتألف هرم ماسلو من خمس أو ست أو سبع طبقات من الحاجات، وتشمل الحاجات البدنية والامن والعلاقات الاجتماعية والاعتراف الاجتماعي وادراك الذات وتسامي عالمي وكوني (في النماذج المتأخرة). يمكن للهرم ان يُرى كانعكاس لأبنية علم نفس الشاكرات في اليوغا كما علمه شري اوروبندو[3]. علاوة على ذلك، بنية مشابهة موجودة في أعمال ويلهلم رايخ و«اكتمال الذات» لفرجينيا ساتير، على الرغم من أن الاخيرة لم تكن مشهورة على نطاق واسع مثل هرم ماسلو[4].

اذا ما تم تطبيق هذا النموذج على تحويل النزاع الاستنباطي وعلى مسألة حاجات الانسان الاساسية والخلافات الناجمة عن نزاعات المصالح والتحولات، سيكون من

---

(1) 1908 - 1970

(2) 1902 - 1987

(3) Dietrich(2012,pp. 212 - 214)

(4) Satir(1991,pp. 274 - 283)

الضروري قراءة النموذج ليس بطريقة حديثة ميكانيكية، ولكن كنظام منفرد لعناصر متزامنة ومترابطة، تمتد من الحاجات المادية الاساسية للبقاء

الى الجوانب الكونية للوجود. تقدم اليوغا الجاكرات كمراكز طاقة متبادلة العلاقة التي يشار إلى دفقها المتناغم بالسلام. اضطراب أي طبقة سيتمخض عنه نزاع يعم النظام بمجمله. يختلف بحث السلام ما وراء العقلاني يختلف عن قرينه المعاصر بتميزه برؤية تزامنية وترابط وتوحد فوق ما موجود في الهرم. ولهذا، لا تستهدف طريقته علاجاً خطوة بخطوة، إدراة شاملة ومتزامنة للنزاع كحالات فشل للنظام أجمع.

على الضد من خلفية حماس ستينات القرن المنصرم، عدَّ ماسلو، البروفيسور في جامعة برانديس، عالم نفس حصيف وأحياناً مثير للجدل ولكنه يحظى بتقدير عالٍ. حين أعلن ان علم النفس الانساني «قوة ثالثة»، واضعاً إياه على الضد من السلوكية التقليدية والتحليل النفسي، نتج عن ذلك جدل ساخن ادى إلى قبول عام بنموذجه. غير أن الأمر استغرق عدة عقود قبل أن تؤخذ أفكاره التنبؤية بجدية في دوائر الخبراء. يتناول تحول النزاع الاستنباطي لليديراك جزءاً من هذا التراث وسنعود اليه لاحقاً[1].

كارل روجرز ـ عالم نفس ومعالج بارز تأثر في بدايته بسلمية جون وايكليف[2] والتعليم التقدمي لجون دوايرز[3] وعلم نفس الجشتالت[4] وأعمال أوتو رانك [5]ـ نادى طوال حياته بمفهوم تعليم محوره الممارسة وديمقراطي. أعتقد أن السلوكية والتحليل النفسي قد ولَّدا بيئة غامضة يسيطر عليها الخبراء وابتعد ابتعاداً جذرياً عن تلك الاتجاهات الفكرية. ليس ثمة الكثيرون مثل روجرز ممن حرروا التحليل النفسي من حتميته الظالمة، فعل ذلك بتقديمه افكارا متفائلة عن تحقيق الذات إلى الميدان[6]. وليس ببعيد عن نهاية الحرب العالمية الثانية، بدأ عمله باختراق حدود

(1) تم مناقشة هذا الموضوع باسهاب في Kripal(2007,pp. 135 – 156)

(2) Groddeck(2002,p. 55)

(3) (2008,p. 220) Dietrich

(4) طبقا لوصف الذات الذي ناقشه Rogers(1951,p. 4)

(5) Groddeck(2002,p. 81)

(6) Illouz(1009,p. 264)

علاج الحديث المؤسساتي أثناء تطويره طريقة العلاج الزوجي وكذلك طريقة حل الخصام الاجتماعي والسياسي. في هذه اللحظة المبكرة، كان روجرز على قناعة ان الارشاد النفسي قد يبتعد عن الحرب الباردة ويقترب من إدارة النزاع البناءة. ولهذا، لم يأت الأمر كمفاجأة، إنه تحت تأثير الهيبيين وحركات السلام، كرس بشكل متزايد تطبيقات معينة من عمله على مسائل اجتماعية وسياسية. نظم ورش عمل مع مجاميع سياسية متعادية مع بعضها البعض، وبات جزءاً من حركة دبلوماسية الطريق الثاني التي كرست نفسها لنزع السلاح النووي ومناهضة العنصرية. شهدت سنة 1985 تأسيس مشروع سلام كارل روجرز (كان مشروعاً قصير العمر). ثم، قبل قليل من موته في 1987، سُميَ روجرز لجائزة نوبل للسلام[1].

تكمن أهمية روجرز بالنسبة تحويل النزاع الاستنباطي في تطوير مبدأ الحوار اللاموجه[2]. غياب التوجه لا يهدف إلى حل النزاعات، بل يسعى إلى مساندة الناس في نموهم الشخصي. ويؤكد أهمية المشاعر والانفعالات في حالة الارشاد النفسي، مع وضع التأكيد على العلاقات الشخصية بين المرشد والزبون. التركيز على الحاضر، بدلاً من تشخيص أسباب النزاع. يقدم علاج روجرز المتمحور حول الزبون فرضية عن العلاقات الانسانية التي وصفها بهذه الكلمات:

> «الان وقد دفعتنا تجربتنا إلى أمام، أصبح من الواضح للغاية أن احتمالية حركة علاجية في قضية محددة لا تعتمد بدءاً على شخصية المرشد، ولا على أساليبه، ولا على موقفه، بل على الطريقة التي جرب بها الزبون كل ذلك في العلاقة.» [3]

يبدأ مع بحث الزبون عن مساعدة وتوقعهما أن المعالج سيقدم حلاً لنزاعاتهم. ولكن، حسب رأي روجرز، ليس من وظيفة المعالج أن يحدد مساراً صوب حل ممكن للمشكلة. بل إن دور المعالج يكمن في خلق الظروف التي تتحقق من خلالها قوة الزبون وهذا ما سيكشف المسار صوب الحل. ولهذا، يجب على المرشد ان يوضح انه

(1) Groddeck(2002,p. 96 and pp. 182 - 202)

(2) Rogers (1942,pp. 115 - 126)

(3) Rogers(1951,p. 65)

لا يملك أو هي لا تملك وصفة معدة مسبقاً ولا دواء سيحل النزاع اعتماداً على مبادئ ميكانيكية. ولهذا، قد تُحبط الزبائن الطرق المتمحورة على الزبون، الذي يتسنى له فقط تقديرها ما أن يتحملوا المسؤولية عن انفسهم.

بالنسبة لروجرز، تعد المحادثة بثقة كوسيط اولي يتسنى للمعالج من خلاله ان يشجع الزبون على تحمل مسؤولية النزاع. يتم تشجيع الزبائن على التعبير عن افكارهم ومشاعرهم بأقصى قدر ممكن من الحرية، ويقدم المرشدون إجابات توكيدية ومتناغمة يراد منها مساعدة الزبائن ليروا ويقبلوا بوضوح ذواتهم الآنية. في الوضع الآمن للإرشاد، المشاعر المتيقظة والمكتشفة تؤدي إلى أفعال مع أهداف الزبون أمام العين[1]. وأخيراً، الزبائن وليس المعالجون ـ يوضحون ويلخصون الاستنتاجات الختامية. بما أن الزبائن يطورون نظراتهم ويختبرون فعاليتها مع مرشديهم، من المحتمل أن الفعل قد ينجح. ثم يؤسس النجاح للثقة ويبدأ الزبائن بفهم محدوديات أفعالهم المعتادة. ينظر إلى التغيير بإيجابية وهذا يوسع من المنظار المَرئي للخيارات ويؤدي في آخر المطاف إلى التحول. يعتقد الزبائن ان لديهم اختيارات وأنهم افراد أكثر قدرة وأهمية. يصبحون واعين لتجاربهم ويطورون آراء أكثر واقعية عن أنفسهم وعلاقاتهم وبيئتهم. يبدأون على نحو مستقل بتعريف مقاييسهم ويدركون الجيد والسيء لتجربة ما ليس موروثاً في الشيء المدرك، بل ان ذلك قيمة يضفونها هم على الشيء.

يركز روجرز في عمله على مبدأ ان ليس لدى البشر فقط امكانية تغيير ادراكهم للعالم الخارجي، بل تغيير صورتهم لذاتهم وتجارب عالمهم الداخلي. ولذلك، تزيد طريقته من الاختيارات والمدارك المتاحة للفرد[2].

يرتبط اسم روجرز عموماً بطريقة «المواجهة الاساسية» [3]. في أوائل خمسينات القرن الماضي، تجاوز محدوديات طريق العلاج الفردي الشائعة حينذاك. جرّب

---

(1) Rogers(1961,p. 11)

(2) Groddeck(2002,pp. 79 - 95)

(3) اصبح مصطلح «المواجهة» رائجا في السبعينيات عندما تم تطبيقه في عدد لا بأس به من الطرق العلاجية. لقد كان مفهوم روجرز لهذا المصطلح يتضمن التسامح والترفق بالاخر، لكن مفهوم بيرلز وبغوان تضمن استخدامه بطريقة اكثر حدة وتضمن معنى الاستثارة والاستفزاز.

علاج المجموعة[1]، إلا أنه طور مبادئ العمل النظامية في سنواته المتأخرة، معتمداً على أعمال جيكوب ليفي مورينو ومارتن بوبر وآخرين. في سعيه إلى نقل التجربة التي نالها في العلاج الفردي إلى علاج المجموعة، طبق روجرز آراء بوبر الخاصة بالحوار ومواجهة أنا ـ أنت على الواقع الحي. ومن هذا طور طريقة ديمقراطية: مواجهة العلاقات الشخصية المتميزة بالتعابير الانفعالية غير اللفظية وحد معين من حسن النية. علاوة على ذلك، لعب التقمص العاطفي دوراً جوهرياً ـ موقف الاستماع المباشر الفعال والمتفهم[2]. اشتغل روجرز على فكرة أن مواجهة شخص لشخص بين الزبائن نافعة وفعالة لأن سلطة المعالج تتم إزالتها. وبالنتيجة، قد يجرب الزبون أن يأخذ ويعطي. في المواجهة التي محورها الشخص يتمتع الجميع بحقوق متساوية وقد يشاركون في تبادل علاقات شخصية ويؤدون وظائف متنوعة. حسب تفكير روجرز، المواجهة طريقة علاج مجموعة لتمكين الذات. المواجهة ميدان ومكان وزمان حيث يلتقي الناس طواعية لكي يبحثوا في ويطوروا فهماً أفضل لأنفسهم ووضع مجموعتهم ومواجهتهم للآخرين، مما يؤدي إلى ازدياد قيمتهم الشخصية في آخر المطاف[3].

من أجل إبراز أهمية الطبيعة غير السلطوية لطريقته، استبدل روجرز مصطلح «المعالج»بـ «ميسِّر» أو «منظم» [4]. لم يرد بما يدعى المعالج ليكون خالقاً أو معمارياً، بل خادماً بالأحرى ييسر العملية التي تظهر بين الزبائن. بإضافة عناصر كهذه إلى المواجهة، خلق روجرز طريقة يمكن ان تُوظَّف كوسيلة مكتملة النمو لإدارة النزاع. ولأنها تنطبق على المستويات الاجتماعية، إحتوت على مميزات ستكتسب أهمية لاحقاً في الطريقة الاستنباطية[5]. تجسد النزاعات نفسها في ميدان العلاقات الشخصية ولذلك في هذا الميدان غالباً ما يتدخل مدراء النزاع.

تفكير ماسلو وروجرز عنصر مهم حركة كوامن الانسان في ستينات وسبعينات

(1) تم استخدام ووصف هذه التجارب باسهاب في Hobbs(2005,pp. 255 – 286 and 287 – 334)
(2) Schmid(2009,p. 166)
(3) Groddeck(2002,p. 147)
(4) لقد اثار فراير نقاشا مماثلا يتعلق بالمدرس Freire(1971,p. 67).
(5) يوجد ملخص لهذا العمل في Rogers(1971)

القرن المنصرم، الذي استكشف كوامن الادراك الانساني والمشاعر والتفكير والفعل ما وراء حدود المعقول للحداثة. في معهد إيسلان في بيغ سور، كاليفورنيا، أصبحت هذه الحركة جزءاً من الثقافة الامريكية المضادة. شملت قائمة الاسماء الشهيرة المرتبطة بإيسلان أولئك الذين وفروا المقومات لما سمي فيما بعد «تحول النزاع الاستنباطي» ويتخطى حدود الشخصيات التي يمكنني ان أطرحها هنا. حسب جيفري كريبال[1]، كان الشيء المشترك بينهم الالهام الذي تأتى من النسخة الامريكية الجديدة من التانترا اليسرى، العلاقة الفلسفية مع السلام التي تناولتها في الجزء الاول من هذه الثلاثية. وعليه، الكثير مما يجب تناوله بشأن إيسلان يشتبك مع ما تناولته عن فضيحة باغوان غير الحديثة[2] في الهند الذي يرقى عمله إلى اقتباس للتعاليم القديمة للتانترا اليسرى من أجل الجمهور الغربي. لم يكن الاعلام مخطئاً حين أشار آنذاك أحياناً إلى آشرام في بونا على أنه إيسلان الشرقي، أو إلى إيسلان على أنه البوذا الغربي. الا ان هناك اختلافا جوهريا واحدا بالنسبة لبحث السلام وهو ان إيسلان قد صممت كمشروع ديمقراطي حصراً، أديولوجيته ومنهجيته متأسسة على مبدأ «لا أحد يحتكر العلم». وهذا ما ميز إيسلان من حركات مشابهة أخرى ومراكز ومن ضمنها آريكا[3]، التنويع الامريكي اللاتيني على هذه الحركة بقيادة اوسكار آيكازو. بعد مرورها عبر إيسلان، أصبحت آريكا الاكثر شعبية على الساحل الشرقي للولايات المتحدة. على الرغم من التشابه بين طرق التدخل العلاجي الممارسة في إيسلان على يد باغوان وماهاريشا في الهند، مبدأ المعلم الصارم الذي مارسه ماهاريشا جعل منهما مكانين مختلفين للغاية.

كانت حقبة إيسلان الاكثر تميزاً في ستينات وسبعينات القرن الماضي. على خلاف باغوان، الذي فشل في تحقيق أرضية اوسع في الولايات المتحدة جراء موقف إدارة ريغان الأديولوجي والقانوني، واصل معهد إيسلان الديمقراطي دروه ليلعب دوراً مهماً في بحث السلام أثناء السنوات الأخيرة للحرب الباردة. أصبح معهد إيسلان

(1) يقدم Kripal(2007) تاريخا مبحوثا ومكتوبا بعناية لايسالين Esalen

(2) Elten(1980,p. 25)

(3) ان اريكا Erica بلدة صغيرة في تشيلي حيث اسس Ichazo مدرسته الاولى. وقد تم استعادة الاسم عندما انتقل Ichazo إلى الولايات المتحدة الامريكية.

أثناء هذه الفترة مركزاً لدبلوماسية الطريق الثاني[1]، في الغالب على شكل برامج تبادل سوفييتية أمريكية في الميدان الأوسع، علم الباراسايكولوجي. تلك البرامج التي وضعها وطبقها في الولايات المتحدة، مؤسس إيسلان مايكل ميرفي، أوجدت حيزاً احترافياً من الصداقات الشخصية بين العلماء على قدر كبير من الأهمية السياسية على جانبي الستار الحديدي، في الوقت الذي نال الباراسايكولوجي اهتماماً حيوياً في دوائر المخابرات. وهكذا خلقت دبلوماسية الطريق الثاني ميلاً ثنائياً نحو التقارب تحت السطح العدائي اثناء سنوات «حرب النجوم» الرهيبة، وهذا مما أسهم بشكل كبير في تحول بناء في النزاع الشرقي الغربي بعد انهيار الاتحاد السوفييتي. بهذا المعنى، تجاوزت دبلوماسية الطريق الثاني نشاط المجتمع المدني. وفرت ثقلاً مضاداً لدبوماسية الطريق الواحد القائمة على المواجهة من ريغان إلى ج دبليو بوش. خدم كل شي تم تطويره في ورش لا حصر لها في إيسلان هذا الهدف. معهد إيسلان الرائد المثالي لتحويل النزاع الاستنباطي[2].

ظهر في بالو آلتو التيار الاكاديمي المثالي لحركة الكوامن الانسانية الذي ركز على نظريات الاتصال. إلى جانب كريكوري باتسون، ممثله الاكثر شهرة، وقفت فرجينيا ساتير[3]. ابتعدت ساتير عن محورية الفرد، التي سادت عصرها، وركزت على النظام العائلي بدلاً من ذلك[4]. أبعدت ساتير نفسها عن مبدأ الحداثة القائم على الطريق الأحادي والسبب والنتيجة. تخلت عن مدارس الواقعية الفكرية في النظرية السياسية كنموذج بدئي للعقاب والمكافأة. اتبع تفكيرها الخطوط النظامية كما طورها لودفيغ فون بيرتالانفي، الذي كان لعمله أهمية عظيمة لبحث السلام الامريكي، وأضاف اليها لاحقاً باتسون[5]. اطلقت على عملها «نموذج عملية التغيير»[6].

(1) للمزيد انظر الفصل السادس الفقرة 6. 1

(2) Kripal(2007,pp. 314 - 338)

(3) 1916 - 1988

(4) مثلت طرق Horst ـ Eberhard Richter للعلاج باستخدام التحليل النفسي للعائلة تطورا موازيا في اوروبا حيث كان علم النفس الانساني يخطو ببطء نحو التطور. انظر Richter(1963 and 1982)

(5) انظر Dietrich(2012,pp. 183 and 243) للمزيد حول بحوث von Bertalanffy وBateson ودراساتهما المميزة حول السلام.

(6) Satir(1988,pp. 204 - 207)

طبقاً لساتير، يعتمد كل انسان على العلاقات مع الآخرين لوجوده أو لوجودها. مبدأ ساتير، القائل لا يسع أحد ان يعيش في فراغ، مثَّل اعتراضاً على مفاهيم الحداثة الفردوية. ركزت على تبعياتنا المتبادلة لمفهوم أن كل شيء يفعله البشر ليؤثروا على العالم، ينعكس عليهم. كانت ساتير على قناعة ان الآليات التي تعيق التعايش السلمي بين البشر هي نفسها في الفرد والعائلة والمجتمع والاسرة الدولية[1]. ربطت هذه القناعة مع الاعتقاد ان البشر تجسيد لطاقة الحياة الايجابية، طاقة بوسعها تحويل ستراتيجيات التأقلم التي تعاني من خلل وظيفي. طبقاً لساتير، يدخل البشر في علاقات مع بعضهم البعض بدافع مشترك بينهم وينمون بدافع من اختلافاتهم.

باعتبار ان المعالج أو الوسيط عنصر خارجي، فهو عنصر تغيير في النظام القائم ومن المحتمل المتنازع. رأت ساتير شخصية المعالج بدلاً من أساليبه ومبادئه، على أنها المفتاح لإدارة ناجحة للنزاع. يتوقع من أولئك الذين يطبقون طريقة ساتير أو يشيرون إليها، ان يستعينوا بشخصياتهم كأدوات علاجية. تعتبر ساتير المعالجين قدوات لزبائنهم. وهكذا، يُمنح تقديم المعالج لنفسه الأهمية القصوى. يركز التدريب المعتمد على طريقة ساتير دعم المعالجين ليصبحوا متناغمين مع أنفسهم وأن يتواصلوا بتناغم[2]. يُنظر إلى المعالجين الذين خضعوا للتدريب على انهم في موقع متميز لمساعدة الزبائن لكي يحققوا كوامنهم الشخصية. بإبداء تقدير قوي للذات، يتصرفون كقدوات للزبائن الذين يسعون للحصول على إمكانية تحول النزاعات[3]. في هذا المضمار، أثر عمل ساتير بجلاء على عمل ليديراك بصدد تحويل النزاع الاستنباطي.

يبدأ نموذج ساتير للتدخل مع الوضع الراهن لمجموعة حيث يشعر واحد من الفرقاء على الاقل بالحاجة للتغيير. في الخطوة الثانية، يدخل عنصر خارجي إلى النظام على شكل معالج أو وسيط. وثالثاً، هذا قد يفرز انعداماً في التوازن بين القوى المشتركة في اللعبة مسبقاً، والتي عادة ما تُجرب على انها فوضى. تسم مرحلة الفوضى بداية الشفاء. يتم التخلي عن زوايا الادراك التي لم تعد مناسبة، وينال المشاركون مدارك جديدة

(1) Walker(1996,p. 173)

(2) Walker(1996,p. 193)

(3) Satir(1991,p. 8 and pp. 82 - 84)

عن إنفسهم والآخرين. الخطوة الرابعة تؤدي إلى دمج تجارب جديدة. من خلال الاعادة والممارسة، يستقر النظام بنفسه على اسس التجارب المتضمنة حديثاً، وهذه هي الخطوة الخامسة. وفي الخطوة السادسة والأخيرة،، يظهر وضع جديد يعكس شكلاً للكينونة أفضل أداءً وظيفياً وأكثر توازناً. في هذه النقطة، لا تعد هناك حاجة إلى المعالج أو الوسيط[1].

هدف توسط ساتير هو (إعادة) بناء التواصل المتناغم. ترى أن «أسئلة كيف» تولد معرفة وفهماً وتكون ملائمة اكثر من «اسئلة لماذا» التي غالباً ما تكون اتهامات مبطنة وبالنتيجة تتلقى إجابات دفاعية. حسب رأي ساتير، كل شيء يسهم في موقف دفاعي سيقلل من تقدير الذات ويؤدي إلى انسدادات بدلاً من تحول طاقة النزاع[2]. من السهل رؤية كيف يحتوي مبدأ ساتير خريطة من أجل نموذج تواصل غير عنيف طورها مارشال روزنبيرغ[3]، وهو أحد طلبة روجرز.

باختصار، ترى ساتير أن معظم النزاعات بين البشر تظهر من صور وأفكار داخلية عن ناس آخرين وبالتالي تقف في طريق تواصل حقيقي، مهمة لعمل النزاع. الأمر الأول الذي يواجهه المرء عند مقابلة شخص لأول مرة هو فكرته عن هذا الشخص. وبالنتيجة، يميل النزاع ليكون متواتراً بشكل خاص وشديد بين أولئك الذين لم يكتشفوا ماهيتهم وماهية الآخرين. توصي ساتير بدعوة الفرقاء المتنازعين ليشكلوا فريقاً بحثياً إذا أمكن، بدلاً من أن يعلقوا في المنطق الاتهامي للمجتمع[4].

(1) Satir(1991, pp. 98 - 99)
(2) Satir(188,pp. 80 and 136)
(3) Rosenberg(2003)
(4) Satir(1988,pp. 220)

الفصل الثالث

طرق تحويل النزاع الاستنباطي المعتمدة على التنفس

«النفس عاشق مشوش. النفس الذي استنشقته لتوك كان في شخص ما منذ لحظة، وحين تطلقه، سيتحرك ويصبح جزءاً من شخص آخر. يُبقي النفس كل شيء متحركاً، فبدونه ليس ثمة رقص.»[1] النفس تعبير عن الحياة، وبدقة أكثر، عن الطبيعة المتحركة لطاقة الحياة الكونية. النفس حركة: التوسع النسبي لحدود التواصل للجسم أثناء الشهيق وتقلصها أثناء الزفير. يرافق هذا البعد المكاني بعد مؤقت يعبر عنه إيقاع التنفس. وأخيراً، للنفس بعد نوعي. التنفس فعل وجودي عند حد الاتصال الذي يشمل المكان والزمان والقوة. إنه ضروري ليس فقط من أجل البقاء، بل من أجل التجربة أيضاً، بمعنى آخر، التجربة الذاتية لوضع ما لا تعبر عن نفسها من خلال النفس فحسب، بل تتحدد بشكل دائري عبر توظيفظ التنفس أيضاً. [2] حين يفهم النزاع كعلاقة، تنفس الفرقاء وثيق الصلة بديناميكية وإدراك وتحول النزاع. ولهذا يبدو طبيعياً أن تُناقش طرق تحول النزاع بعلاقتها مع الوظيفة الاساسية للتنفس.

بما أن أكثر الاساليب المعتمدة على النفس بروزاً لتحول النزاع قد تأسست على الشامانية، سأبدأ هذا الفصل بتأمل مختصر عنها. أدرك أن هذا قد يفرز مخاوف من أنني قد منحت نفسي إذناً بالدخول إلى ميدان عصر جديد، متخلياً عن المقاييس العلمية. أود أن أهدئ تلك المخاوف بالاشارة إلى أن الاشكال المعدلة وعي اليقظة في الجمعيات غير الاوربية كما ورد في الشامانية، تمثل اشكال الشفاء المؤسساتية

(1) Roth(1997,p.30)

(2) Wagner (1999, pp. 52–53)

واستكشاف الذات وتوسع الوعي. يعتبر ليديراخ[1] الشامان على انه النموذج لعامل السلام والنزاع، مبعداً نفسه عن مأسسة الطقوس الشامانية اثناء ممارستها إلى حد ما في معظم بقاع العالم[2]. وهكذا، أولئك الذين يعملون مع تحول النزاع والسلام في سياق عالمي ومتعدد الثقافات سيواجهون شامانية معرَّفة على أنها القدرة البايولوجية النفسية الموجودة في جميع المجتمعات واستخدمت بأشكال مختلفة من قبل تلك المجتمعات. ليس من قبيل الصدفة ان فرجينيا ساتر كرَّسها سو[3] شاماناً.

يشير ستانيسلاف، مؤسس طريقة التنفس الشامل holotropic breath work، اشارة واضحة إلى الشامانية كفلسفته الدالة بعد انتقاله عن العمل الطبي مع[4] LSD. تغير مشار كروف من التحليل النفسي الطبي إلى علم النفس الانساني ومن العلاج النفسي إلى علم النفس ما وراء الانا، الذي لعب دوراً محورياً في تأسيسه. من خلال أعمال كروف وماسلو كابال وآخرين، استوعب علم نفس ما وراء الأنا آراءً من آلاف الممارسات الشامانية. في هذا الطيف الواسع من المعرفة الفعالة، سأركز على تلك الجوانب ذات العلاقة بتحول النزاع الاستنباطي. صممت الجزء الاول من هذا الفصل ليكون تمهيداً للاجزاء التالية. سأوضح سبب كون الطرق والتجارب الشامانية دروس اجبارية في منهج برنامج إنزبروك، في حين أشير إلى الارتباطات التاريخية والمنهجية مع مدارس الفكر الأخرى، التي لا تُفهم غالباً على أنها مستوحاة من الشامانية. لا سيما تلك المدارس التي ظهرت في السياق الحديث للماركسية وحركة التحرر الوطني في القرن العشرين والتي تعتبر نفسها متنورة وديمقراطية وعقلانية ـ وهذه مواقف تتنكر للشامانية، وتعدها ما قبل حداثوية ومتأثرة بافتراضات صوفية وميتافيزيقية.

لا أدعي ان الشامانية تقدم طريقة للتحول معتمدة على التنفس نقية أو حتى نموذجية. على العكس، إنها تشمل أكثر من ذلك وتمثل مصفوفة قديمة من عدة طرق حديثة. بالأحرى، الأساليب التنفسية واحدة من الادوات الشامانية. تلك الاساليب ستكون محور الاجزاء التالية.

---

(1) Lederach (2005, p. 147)

(2) Walch (2003, p. 177)، للمزيد من الأمثلة انظر Dietrich et al. (2011)

(3) Walker (1996, p. 31)

(4) Grof and Grof (1990, pp. 88 - 90), Grof and Bennet (1993, pp. 17–21)

3.1. الأصول الشامانية

أفرز السؤال المتعلق بمن يكون الشامان أو ما هو جدلاً عظيماً في الفكر والممارسة [1]. لأغراض هذا الكتاب المتمركز حول هذه الطريقة، سيكون من الضروري الاشتراك في هذا الجدل، وسأقصر نفسي على التعريف الأكثر أساسية: الشامانات رجال أو نساء، شافون ومعلمون ورواة ومغنون وشعراء يتناولون الأفكار العظيمة للخصوبة والموت بالاضافة إلى الشفاء من الامراض، والعلاقات الاجتماعية. يصبح الناس شامانات غالباً بعد أزمة تدعى شامانية أو روحية، وهي النوع الذي يميل لكي يعتبر مرضي في السياق المعاصر. على أي حال، انسجاماً مع أغراض هذا الكتاب، ازمات كهذه وامراض أو كما سماها ابراهام ماسلو باحترام «تجارب عليا» [2] ليس بذات علاقة ببحثنا.

بما انه من الواضح ان وحوش الأنا لخلل النظم الوظيفي لا يمكن مواجهتها مواجهة ذات معنى بنفس النوع من الطاقة التي تستخدمها، كيف اذن يمكن نيل معرفة ذات معنى بشكل تدريجي ونظامي لتطبق في النزاعات الاجتماعية؟ القوى المدمرة مثل الخوف والغضب والهيجان والحسد والشهوة لا يمكن السيطرة عليها بالوسائل الاخلاقية. أي محاولة كهذه ستؤدي إلى عودة هذه القوى المدمرة تحت أغطية جديدة. ستركز الفصول التالية على كيف يمكن الحصول على معرفة التحول لطاقات كهذه بشكل نظامي وتطبيقها حتى بدون احترام التجارب العليا.

ينشغل الشامانات بعلاقة الفرد مع الكل. يحاول الشامان أن يتتبع أثر مشكلة أو نزاع إلى جذوره ويشفيها أو يحولها بربطها مع الكل حسب قانون الكون [3]. مصطلح شامان مشتق من السنسكريتية وقد أُطلق على الحكماء في اكثر من لغة. أوجد الشامانات، كحكماء، طقوساً حول الأفكار الهامة للحياة في مجتمعاتهم [4]. الشامانية ليست دين. تعيش في أشكال متنوعة في الجانب الروحي من أي ثقافة [5]. ضمن الطيف الواسع للافكار الهامة، سنركز على طقوس الشفاء كتحول اجتماعي للنزاع.

(1) احد الامثلة على الاعمال الكلاسيكية المثيرة للجدل هو Eliade 2001)

(2) للمزيد انظر (Walch (2003, pp. 292-311

(3) Lörler (2009, p. 33)

(4) Grof and Grof (1990, p. 117)

(5) Walch (2003, p. 187)

تتأسس الآراء العالمية ومراسيم الشامانية على الاعتقاد القائل إن الناس لا يسيطرون على الطبيعة، ولكنهم يوجدون كجزء من الكل. يرى الشامانات أنفسهم يقدمون خدمة توسط بين هذا العالم وما يعتبرونه العالم الما ورائي. يستثمرون قدراتهم لخدمة المجتمع والعالم[1]، معتمدين على قوة الشفاء لحيز ما وراء الانا. ثمة اختلافات كثيرة في الرأي حول كيفية إنجاز هذا العمل بشكل محدد، وأي تقاليد وطقوس مقبولة أو تعد فعالة، والتي يمكن لها ان تُفسر أو تُوضح بمصطلحات عقلانية، وما يُعد سوء استغلال أو سوء فهم في مجتمعات العصر الجديد لحقبة الحداثة وما بعد الحداثة.

إذا اعتمدت على مصطلحاتي الخاصة، ينتمي الشامانات إلى آراء العالم المتعلقة بالطاقة، بما ان عملهم ضمن دورات الحياة الطبيعية، وبسبب طرق عملهم، فإن جذورهم تعود إلى الثالوث العظيم[2]، أي الطبيعة والمجتمع وما وراء الطبيعة. وتتأتى من هذا صلتهم ببحث سلام ما وراء العقلاني، بما ان ما وراء العقلانية تنفتح جراء توتر بين الطاقة والعقلانية.

ميرسيا إلياد[3] من بين المسهمين في هذا الجدل. أتابع مرسيا قدر فهمي للشامانية كونها ظاهرة كونية وليست مقتصرة على سيبيريا أو التبت أو امريكا الشمالية كما يتم غالباً تصويرها. علاوة على ذلك، أتابع كارل غوستاف يونك وكلود ليفي شتراوس[4] بتعريفهم للشامانية كمؤسسة تهب الافراد والمجتمعات إمكانية التعبير عن وتحويل مخاوفهم ونزاعاتهم بشكل رمزي. مثلي مثل روني فيلاسكيز[5] وروبرت همايون[6]، أرى شخصية الشامان مركزية لعملية إعادة إنتاج المجتمع الرمزية. ولذلك، الشامانية كوظيفة اجتماعية، تشتمل على ممثلين يظهرون في سياقات أخلاقية معاصرة. وبالتالي يرمز مصطلح الشامانية إلى اكثر مما يوحي به استعماله العامي. يتركز اهتمامي على

(1) Ondruschka(2008,p.24)
(2) Dietrich (2012, pp. 45–53)
(3) Eliade (2001, p. 14)
(4) Lévi - Strauss (1976)
(5) Velásquez (2008, pp. 41–55)
(6) Hamayon (1996, pp. 78–85)

الشامانية كممارسة شفاء بالمعنى الاوسع، كما في الشامانية الصميم لمايكل هارنر الغربية المعاصرة[1]. لاحظ هارنر أن أساليب الشامانية لثقافات متنوعة تكشف اختلافات خارجية عديدة في حين تتمتع بما هو مشترك في جوهرها. لخص تلك العناصر المشتركة باستخدامه مصطلح الشامانية الصميم. فهمة الشاماني الحديث للشفاء له جذور في آراء بنيوية. هذا يعني بالنسبة لمن يسعى لمعرفة تلك الجذور، الشامانات قادرون على توفير لغة جديدة ـ لغة تسمح لهم بالحصول على فهم أفضل أو مختلف للنزاعات المبطنة في مرض أو مشكلة، وتعبر عن وتحول هكذا نزاعات. حسب هذا الرأي، تؤثر الافكار واللغة على الجسد وتغيير التفكير والكلام يشفي الجسد والعلاقات.

من وجهة نظر النظام، ينبع الطريق الشاماني من السؤال: من أنا؟ وأين أقف بخصوص هذه المسألة؟ تحدد الأجوبة على تلك الاسئلة طريقة علاج الامراض والمشاكل، وتحول النزاع والطقوس ذات العلاقة وأخيراً البصيرة الضرورية أو الشفاء. لا يقبل العلم الحديث عادة الطقوس الشامانية كطريقة علاج للنزاعات والمشاكل والامراض. هذه يشير إلى فشل في الفهم: لا يُقصد بالطقوس الشامانية ان تكون بدائل للفعل اللازم، بل بالأحرى طريقة لرؤية الفعل في سياق اكبر[2]. بالنظر اليها من هذه الزاوية، الطقوس الشامانية إجراءات علاجية بالمعنى التقليدي للكلمة، وهي ذات علاقة مع العديد من طرق علم النفس الانساني وتؤدي إلى ممارسة تحول النزاع الاستنباطي.

ولذلك، سأنظر إلى الوظيفة النظامية للشامانية في سياقها الثقافي والاجتماعي. الشامانية ليست مهتمة بجعل شعائر شعوب منسية، رومانسية. بالأحرى، انها رسالة مفادها اننا نحن البشر من جميع الثقافات قادرون على ان نكون حاضرين ونكتشف مركزنا الشخصي أي قلب شخصيتنا. بهذا المعنى، الشامانات عمال سياسيون تتناول ممارساتهم العلاقة التاريخية بين الدولة والمجتمع[3]. الشامانات عمال سلام،

(1) Harner (2004)

(2) Ondruschka (2008, p. 104)

(3) Thomas and Humphrey (1996, p. 5)

يتصرفون ضمن سياق اجتماعي محدد وبيئات طبيعية[1]، ويستخدمون طرقاً متنوعة لكنها تخدم الوظيفة ذاتها كما يفعل الاطباء والوسطاء والمعالجون المعاصرون.

وهكذا، لا يقدم هذا الفصل تقصياً انثروبولوجياً للشامانية، بل يسأل فيما اذا كانت الطرق الشامانية ادوات ملائمة لجهد السلام المعاصر. يعد هذا السؤال ذا صلة لأن الشامانية تتناول علاقات ما وراء الانا والمجتمع. تعمل الشامانية مع السرديات الميتافيزيقية أو الصوفية أو السحرية والصور والرموز والطرق، ولكنها مرتكزة على الملاحظات وعلى علم دراسة الرموز لمادة العلاقات المتبادلة.

بيتر كيرشنر، المدير المؤسس للمدرسة المحلية الروحية العالمية للحياة والطبيعة وشريك مسهم برنامج انزبروك لدراسات السلام، أحد طلبة كشاف امريكا الشمالية توم براون جونيور الذي أكد ان اهداف تعليمه هي السلام والحب والسعادة والادراك. ولحد معين، مبدأ براون «جِد البرية، لأن السلام هناك» ينطبق على برنامج انسبروك[2] وطرق تعليمه. في أحد كتب براون الاصيلة، يشير إلى مدرسه وجده «الشاماني» الذئب المتعقب على انه مدرس ذئب[3]. يشير هذا التعبير إلى مدرس لا يقوم بالعمل من أجل الطلاب، ولا يعطيهم الأجوبة، ولا يعلمهم الاساليب. بدلاً من ذلك، يخطط المدرسون الذئاب دروسهم بطريقة تجبر الطلاب على التفكير بأنفسهم ويرتكبون أخطاءهم ويجدون أجوبتهم بأنفسهم. ما يتعلمونه يجب أن يواصل النمو بداخلهم طوال حياتهم، منتجاً أجوبة جديدة ـ أجوبة تكمن وراء الجواب الاول ومع تراكم الخبرة، تتأتى الأجوبة من طبقات المعرفة الذاتية الاكثر عمقاً[4].

في 1978، أسس توم براون مدرسته البرية في آزبيري في ولاية نيو جيرسي. وحسب براون، التدريب على النجاة البدنية والملاحظة وقراءة الطريق والتحرك في البرية هي المواضيع الاكثر أهمية[5]. يصف براون في كتبه بشكل متكرر قراءة الطريق ـ وظيفة

(1) Lörler (2009, p. 16)

(2) Brown (1980, p. xvi) نفس النقطة اثارها Swami Veda Bharati (2010, p. 268) في سياق ثقافي هندي. حيث اشار الى gurukulas الهندية كنوع من "اكاديميات الغابة" لدراسات السلام

(3) Brown (1993, pp. 191–192)

(4) Brown (1988, pp. 5–8)

(5) Brown (1980, p. 201–219)

الكشاف الاساسية ـ على انه عمل نفسي، يوضحه مؤرخو العلم كونه ممارسة وصل الينا من ثقافات الصيد القديمة. تحسس معقد للغاية ومهارة فكرية، جذب قص الطريق اهتمام العلوم الانسانية في أواخر القرن التاسع عشر، وبلغ ذروة مؤقته مع التحليل النفسي[1]. الربط بين قراءة الطريق وعلم النفس واضح من كلا المنظورين، والطريقة المنهجية بهذا الشكل من المعرفة الاكاديمية اختيار واضح لدراسات السلام.

من منظور دراسات السلام، فلسفة براون وثيقة الصلة مع منهج انسبروك بتركيزها على الملاحظة والنجاة البدنية. ملاحظة العمليات الداخلية والخارجية طريقة أساسية يوجه من خلالها المرء الاهتمام نحو الحاضر. في هذا الخصوص، يتناغم تفكير براون مع الفلسفات الشرقية ومع مبادئ علم النفس الانساني. البرية جامعة ممتازة لانها تقدم منظورات جديدة إلى ناس ذوي توجه اكاديمي ولأنها تظهر بانتظام كيف أن الامل أو توقع نتائج معينة قد يشتت الانتباه عن الحاضر.

حسب براون، تقدم الجوانب البدنية للتدريب مدخلاً إلى النضج النفسي وابعاد الوجود الروحية. على الرغم من انه يدعي ان 95 ٪ من عمل لاكشافه نفسي و٪5 بدني، انها ال ٪5 التي تفتح الباب على هذا النوع من العمل. في أحد كتبه، يصف براون تدريب من هذا النوع بشكل درامي ومفصل[2].

سأضيف إلى هذا أن اللياقة البدنية تفتح أيضاً باباً مهماً ضمن تحول النزاع الاستنباطي. لا ألمح إلى ان على عمال السلام ان يكونوا عدائي مسافات طويلة أو بُناة اجسام، بل يجب ان يكونوا في وضع يُخضعوا فيه جسدهم وحاجاته إلى برنامج معتدل من تمارين البقاء. ما يهم هنا ليس الأداء العالي بل التآلف مع والسيطرة على ذات المرء الشخصية والمجتمعية. التحديات الأدائية للبقاء البدني مجرد مدخل إلى معالجة الجوانب النفسية والعقلية والروحية. ما يدركه الطلاب ويتعلمونه غالباً ما يكون بعيدا للغاية عن الاهداف الدراسية، ولكنه قد يساعد اكثر على المدى البعيد. يمثل هذا النوع من التعلم تحدياً لكل شخص من سياقات اخلاقية معاصرة، الا انه فعال للغاية[3].

---

(1) Ginzburg (1988, pp. 78–125)

(2) Brown (1995, pp. 6–22)

(3) Brown (1988, p. 33)

عمل بيتر كيرشنر ودرس مع شامانات مابوتشي في تشيلي، وشمانات المايا في غواتيمالا وقادة الصوفية في تركيا وواحد من الام الاولى في اكريكا الشمالية، قبيلة الكري. تأثر أيضاً بالفيداس، وبالتقاليد البوذية وبالتجارب مع الشامانات في البيرو، على الرغم من أن فلسفته قد تأسست بدءاً على سردية لايتنينغبولت[1]. يركز كيرشنر على الشخصية غير الدوغمائية لمدرسته وانفتاحه على التعاليم الشامانية من جميع الثقافات والعصور. يرفض الارتباط بجمعية شامانية بعينها، ويتجنب بشدة المنافسة بين تلك المدارس[2]. ما يطلق عليه Innerer ـ Er (اعادة التذكر) هو اقتباساً تارولي (Tyrolian) للطريق الشاماني. بالرغم من التقاطعات العديدة مع تجاربه في الخارج، الا انه يستخدم أسماءه الخاصة به ورموزه وتأويلاته وسردياته. احد ادواته الاساسية تدعى العجلة الطبية وتعكس شبهاً مؤكداً بتفكير «الشعر الملتوي أو المجدول» (Twisted Hairs). على اي حال، لم يلعب كيرشنر دوراً في نزاع هارلي سوفتدير ريغان[3] مع جمعية متيس الطبية لقبيلة دير Deer Tribe Metis[4] Medicine Society. ينطبق الشيء ذاته على عجلة (سن بير) الشعبية والمثيرة للجدل بنفس الدرجة[5]. يصر على طريقته المحلية في انجاز الاشياء.

(1) Storm (1997)

(2)رغم ان مقاربة Peter Kirschner للشعر المجدول Twisted Hairs قد تؤدي الى افتراض مغاير، لكنه لم يصبح احد اتباع مجتمع Deer Tribe Metis الطبي الذي يرأسه Harley Swiftdeer Reagan (4 Sept. 2009) ولم يتبع ايضا الشكل البديل Sun Bear الذي كان شائعا ومثيرا للجدل ايضا، فقد اخذ جزءا من الطريقتيت والمنهجين واضعا جل اهتمامه على طريقته المستحدثة التي استلهمها من واقعه وتطبيقاته على سياقه المحلي.

(3) Deer Tribe Metis Medicine Society (4 Sept. 2010)

(4)DTMMS تأسست عام 1986 من قبل by Harley SwiftDeer Reagan لغرض جمع، ترجمة وتعليم مباديء ومفاهيم وطرق Sweet Medicine SunDance (SMSD) في جزيرة السلاحف Turtle Island. قاد هذا المجتمع كبار القبيلة من ذوي الشعر المموج وقاموا بالتدريب ورعاية الشباب وتعليمهم ليعملوا كبوابة عبور لصحوة روحية على هذا الطريق. تمثل هذه القبيلة طريقا معاصرا للمعرفة القديمة لقانون الكون، الخيمياء الطقسية، وتقنيات الشفاء، المحاذاة والتواصل مع عناصر الطبيعة، السحر، والاحلام المسيطر عليها، والصحوة الروحية والاصرار. وكمثل المدارس الصوفية الطوبائية والتقاليد السلتية فأن هذا الطريق تطور عبر الاف السنين.

(5)Sun Bear and Wabun (2005) للمزيد انظر Ondruschka (2002)

بالاضافة إلى معرفتهم التقليدية، تويستيد هيرز[1] يعملون مع معارف جمعيات أخرى، معرفة اكتسبت اثناء الرحلات. وبالنتيجة، طريقهم لا يعبر الدوغما لتقليد معين بل تغييراً ديناميكياً في المكان والزمان. معرفة التوستيد هيرز تتأصل من حكمة مايا المكسيك وغواتيمالا. حسب لايتنينغبولت، حمل الشامان الاسطوري (تيمبل دورز) هذه الحكمة إلى امريكا الشمالية منذ آلاف السنين، مما ادى إلى الاصل المشترك والتشابهات التقليدية للمدارس المتنوعة في الامركيتين. انها ايضاً مسؤولة عن التنويعات المحلية التي تطورت على مسار التاريخ[2].

منذ ثمانينات القرن القرن العشرين، انفتحت تويستيد هيرز ومدارس شامانية اخرى على جمهور اوسع من الباحثين[3]. بالنتيجة، اصبحت الشامانية شعبية في اوربا، حيث فُهمت كطريق روحي ونفسي توفيقي لطقوس تنمية الذات وإعادة دمج الافراد في العصر الحديث مع ذاكرتهم للطبيعة وما وراء الطبيعة.

مثلها مثل علم النفس الانساني ودراسات السلام ما وراء العقلانية، تركز تويستيد هيرز على تشكيل منظورات. حسب رأيهم، الحل المزعوم للنزاعات والثورة ليس اكثر من تحول داخلي سياقي للبشر[4]. حين يرى الناس شيئاً من العالم المتجسد من عدة زوايا قدر الامكان، يبلغون أعلى كوامنهم التي تعبر عن نفسها كتوازن لكل شيء موجود[5]. يتم تحول النزاع بتغيير وعي المرء. بشأن هذه النقطة، تتفق الشامانية مع مقدمة ميثاق اليونسكو «بما ان الحرب تبدأ في عقول الناس، فإنه في عقول الناس يجب ان تُبنى دفاعات السلام.»[6]

تويستيد هيرز ومعها العديد من التقاليد المحلية، تحافظ على وتتواصل بطرقها وشعائرها من خلال شكل الدائرة. عجلة الطب، التي ترمز إلى الفلسفة والتفكير

(1) Twisted Hairs (15 April 2009)

(2) Storm (1997, p. 260)

(3) Deere and Rohr (1986)

(4) Grof and Bennet (1993, p. 35)

(5) Ondruschka (2008, p. 59)

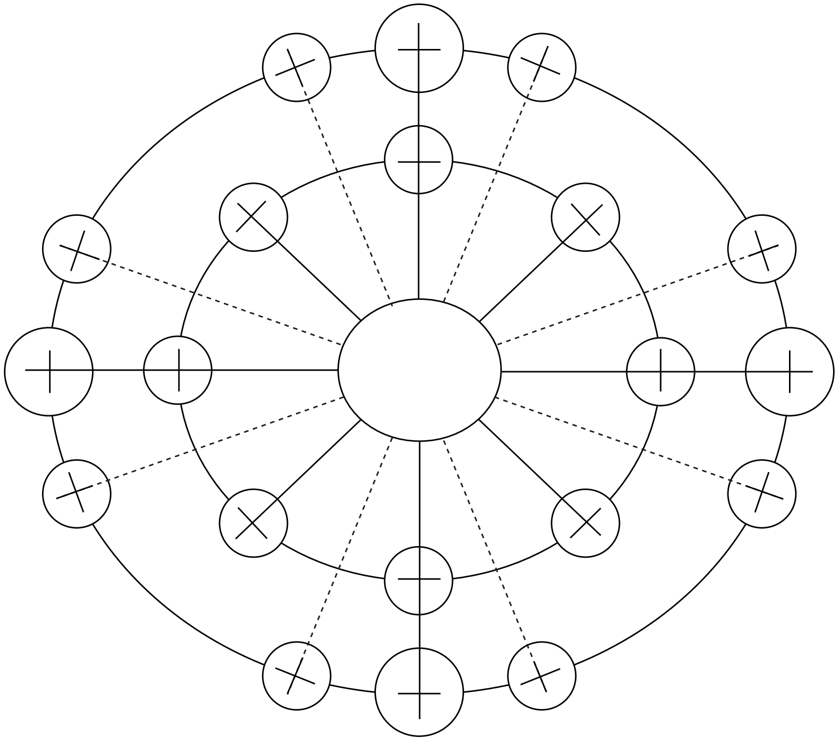
(6) منظمة الامم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم (UNESCO (29 April, 2009

والجانب الروحي والحياة لناس امريكا الشمالية الاصليين، [1] اصبحت معروفة اكثر لجمهور اوسع. استخدم ترجمة «العجلة الطبية» لانها اصبحت الاكثر استخداماً. على اي حال، لان الامر مضلل على ما يبدو، الجمعيات التي سبقت كولومبس لم تستخدم العجلة بالمعنى الاوربي للكلمة. الرمز المهم هو دائرة والتأويلات الرمزية للطبيعة الدائرية لكل الكائنات، مع دليل للفعل والمعرفة الناتجة عنها. وإذن، «العجلة الطبية» تشير إلى دائرة مبنية بطريقة محددة، وهي رمز مهم وأداة للفنون الشامانية الماضية والراهنة. قد تسبب العجلة الطبية ارباكاً لانه بينما تتجذر في المعرفة القديمة، تُستخدم اليوم منها تنويعات عديدة متناقضة جزئياً مع بعضها البعض. جميعها تشير إلى المدارات الدائرية لاجسام سماوية. تُفهم الحياة البشرية على انها طريق دائري يمر من خلال عدة محطات. تنقسم العجلة الطبية إلى اربعة اتجاهات أصلية واثني عشر جزءاً تمثل جوانب متنوعة الكائن البشري. تمثل نقاط كثيرة في الدائرة انواعاً من شخصيات مختلفة وامزجة وكوامن وصور ادوار ومراحل حياتية. في خضم عملية تطور الكينونة، يجرب المرء التناغم والتوتر بالتناوب مع كل من تلك القوى الاثني عشر. ليس ثمة بداية ولا نهاية، فقط انتقالات للطاقة والادراك. ما الحياة والموت الا وقفات على رحلة الحياة التي تدور وتنتقل إلى الأبد. تمثل العجلة الطبية العلاقة بين الفوضى والتناغم اثناء نمو الشخص. بما ان كل انسان يؤثر في بيئته أو بيئتها، يوفر التوازن بين جميع جوانب ذات المرء الاسس لعلاقات متزنة ضمن المجتمع[2]. هذا النموذج، وان اطلقت عليه اسماء كثيرة، استثمره العلاج النفسي وقد يعتبر تحولاً استدلالياً للسلام أيضاً[3].

(1) Trebilcock (2003, pp. 25–28)؛ كذلك Vachon (2011, pp. 303–351)

(2) Storm (1997, p. 338)

(3) كمثال على هذا انظر Gordon (1972)، وكذلك Lederach and Lederach (2010, p. 5)



يمثل الشكل 1.3 تصميم العجلة الطبية

تؤدي هذه الفلسفة إلى تجربة دائمية من التجدد على طول طريق حياة المرء. تطرح السؤال اي «علاج» «وأي تغيير»، وأي عنصر جديد قد يكون له بالغ الاثر الكلي على الفرد والمجتمع كلما خطا المرء الخطوة التالية. يشير «العلاج» هنا إلى تأثير الشفاء الذي قد يولده المرء من أجل نفسه والآخرين والارض والكون من خلال اكمال مهماتهم في جميع فعالياتهم وفي تحقيق ادوارهم الاجتماعية. بهذه الطريقة، يصبح كل انسان هو انسان شفاء وكل امرأة هي امرأة شفاء. وبهذا يبلغ مصطلح «العلاج» ما وراء محددات معناه الاوربي الشائع. ليس الاطباء والمعالجون قادرين على الشفاء فحسب، بل كل كائن بشري وجد مهمته على اوسع مدى ممكن للاشياء ومن يعيش من مركزه أو مركزها. كل أثر لأي انسان يجب ان يعود إلى مركز الكائن، لانه من خلال هذا المركز، يكون للانسان أو الانسانة علاقة حية مع الكل.

بهذا المعنى، يتطلب السلام الاجتماعي والسياسي ان يجد كل انسان السلام في

نفسه أو نفسها. يتم التعبير عن هذا على عجلة الطب بما يسمى «الدروع»، المرتبطة بالاتجاهات الجغرافية وبمراحل الحياة أيضاً. طبقاً لذلك، يظهر الطفل في «الجنوب» وفي المقدمة، والجانب البالغ يظهر في الخلفية الشمالية. في مسار الحياة التي عاشها المرء عن حق، تنعكس تلك الاتجاهات، فيدخل البالغ إلى المقدمة من الجنوب والطفل الداخلي يحتل الخلفية في الشمال. الشرق والغرب يشغلهما جوانب صبيانية وبالغة من الجنس الآخر على التوالي، تشبه ما طرحه كارل غوستاف يونغ، **Animus** و**Anuma** (الجانب الذكوري من المرأة والجانب الانثوي من الرجل على التوالي ـ المترجم)[1]. توفر الدروع اداة نظامية من اجل الاقرار بالآخر في الذات. من هذا المنظور، تحول النزاع والسلام نتيجة للتوازن للجوانب الاربعة في الفرد، وبصورة اوسع، في علاقة الفرد مع الآخرين.

سردية لاتنينغبولت، نقطة البداية الحاسمة لعجلة العلاج هي الصفر، ولهذا السبب يشير احياناً إلى الشاماناتبـ «شيوخ الصفر»[2]. يرمز الصفر إلى توحد طاقات الانثى مع الذكر، ويشار اليها بالتواليـ **WahKahn** و**SSKwan**. تلك الطاقات البدئية ولدت مجمل الوجود. وعليه، كل الوجود انثى وذكر في الوقت ذاته. يؤسس هذا الاساس تأويلاً معقداً للعالم وعناصره. ترتبط الاتجاهات الجغرافية مع الارقام والصفات والفصول والانواع والرموز، بتراتبية فوق بعضها البعض، وكل منها يشكل عجلته المرتبطة مع العجلات الأخرى. ينطبق هذا أيضاً على المواقف البينية (مثل الجنوب الشرقي والشمال الغربي)، التي تتنوع ارقامها حسب المدرسة والغرض والطريقة. تشخيصات ومفاهيم الترابط الكوني، اكثر من الارقام، تجعل من العجلة العلاجية أداة فعالة لتحول النزاع.

في الجزء الاول من هذه الثلاثية، ناقشت مفهوم الطاقة الناتجة عن السلام، وطرحت تنويعاتها العديدة عبر العصور والقارات[3]. حسب لاتنينغبولت، الاقرار

(1) Lörler (2009, p. 111 and pp. 145 - 168)

(2)(Storm (1997, pp. 161 – 167. تم مناقشة نفس النقطة في Mahayana Buddhism والتوصل إلى ذات الاستنتاج انظر (Swami Veda Bharati (2011 pp. 191 – 228

(3) (Dietrich (2012, pp. 16 - 64

بالسلام كموحد لجميع الثنائيات في الصفر، يؤدي إلى فهم ديمقراطي فعال للمجتمع والنزاع، لان عجلة العلاج تمثل اساس المرء وبنفس القدر كل مجتمع، وعلاقته مع المجتمعات الاخرى ومع الطبيعة. يُبطل الصفر تسلط الرجال على النساء (والعكس أيضاً) ويكبح على قدم المساواة تحكم الاغلبيات على الآخرين[1]. عجلة العلاج هي مبدأ توازن ونظام الانظمة. ليس ثمة مواقف وشخصيات وعلاقات طيبة أو سيئة، بل انعدام توازنها فحسب الذي قد يُشفى باستخدام الدلالة الرمزية لعجلة العلاج[2].

ضمن النظام المنتظم لعجلة العلاج، يحدث تحول النزاع بالمعنى الصحيح في ما يسمى دائرة الحياة. تمثل دائرة الحياة عجلة التوازن الداخلية التي تتكون من ثمانية مواقع حسب لايتنينغبولت. حسب رأيه، دائرة القانون تمثل مبدأ فعال وقوي للنظام والتي من خلالها يحكم المجتمع نفسه ويحول نزاعاته وبالتالي يجد الاستقرار[3].

بهذا الخصوص، الترجمة عسيرة أيضاً، لان دائرة القانون لا تضع مقاييس القانون الحكومي ولا تطلق حكماً. بدلاً من ذلك، الغرض منها هو تمكين المجتمع من التوصل إلى قراراته العامة التي تعالج جميع الاعتبارات السياسية والاجتماعية والروحية لكي تؤدي وظائفها كأساس لحياة متوازنة وصحية. على اي حال، لا تتمتع تلك القرارات بقوة معيارية طويلة الامد. تخضع القرارت لاعادة قراءة مجتمعية ومراجعة كل اربع سنوات، لتفحص فيما اذا الوفيات والمواليد وتغيير المكان واحداث اخرى قد تتطلب تعديلات. وعليه، المقياس المعبر عنه في عجلة القانون يخدم المجتمع الحي ولا تُمأسس نفسها ولا تصبح شكلاً منفصلاً من الحياة وتتدهور لتصبح اداة للقوة[4].

حين يواجه مجتمع اسئلة كبرى ويسعى إلى وضوح صنع القرار، تقدم عجلة العلاج اختياراً شائعاً[5] والذي يحتل فيه 16 انسان بشكل مضاعف كل من الاتجاهات الاصلية

(1) Storm (1997, p. 260)

(2) Sun Bear and Wabun (2005, p. 18 - 20)

(3) Storm (1997, pp. 338 - 349)

(4) Storm (1997, pp. 350 - 353)

(5) انا هنا اتبع نظام دائرة القانون في Lörler (2009, pp. 260 – 265) وهناك نسخة مشابهة ومتكاملة بشكل اكبر في Storm (1997, pp. 338 – 353)

وكل من المواقع البينية. مثالياً، يكون ثمة رجل واحد وامرأة واحدة لكل موقع، مع استثناء الشرق اذ فيه رجلان والغرب بامرأتين. يُصمم مركز الدائرة بشكل يجعل من الممكن لأي منهما ان يرى مَن يشغل الموقع المقابل. التحالفات بين المواقع المتقابلة غير مسموح بها بشكل واضح. جميع الاراء، ومن ضمنها المتطرفة، تُمثل وتُسمع بشكل مستقل بعضها عن بعض.

دائرة القانون تتأسس على عجلة العلاج وتم تكييفها مع المجتمعات الصغيرة، ـ وبالتالي لا يمكن تطبيقها بشكل مباشر على النزاع الاجتماعي. تتطلب فهماً ملائماً للمجتمع والنزاع من جانب المشاركين. مع ذلك، حتى حين لا يمكن تطبيق دائرة القانون عملياً بهذا الشكل، منطقها مساعدة قيمة من اجل تحليل ومعالجة وتقييم النزاعات، وقد يستفيد الوسطاء منها في عملهم. عادة ما يمكن الحصول على رؤية اوسع للنزاع وحساسية صلبة. وعلى المنوال نفسه، دائرة القانون أداة تعليمية ملائمة وتخدم في تحضيرات البعثات الميدانية.

ممارسة شامانية أخرى قائمة على العجلة العلاجية وتم تبنيها على نطاق واسع هي غرفة التعرق. كانت شعبية جزئياً لان الفهم انها نوع من ساونا العصر الحديث المبهجة، وتقدم مرح وتجربة ممتعة، تُخفق هكذا آراء في تزكية المعنى الاعمق لهذه الممارسة. في الحقيقة، تمثل غرفة التعرق طقس شفاء مجتمعي يطبق في سياقات محددة وعليه انه وثيق الصلة بتحول النزاع. تتطلب الممارسة مجموعة أو مجتمع يتفهم ذاته وان هناك فكرة مشتركة واتفاق لتطبيق هذه الأداة.

مثلها مثل عجلة العلاج، غرفة التعرق دائرية، وتنطبق عليها المبادئ ذاتها فيما يتعلق بالاتجاهات الجغرافية وأجزاء الدائرة. صمم شكلها على غرار الرحم، مع تجويف في المركز حيث الاحجار، التي كانت قد دُفِّأت مسبقاً على نار خارجية، توضع بعد يجلس المشاركون على شكل دائرة تشبه انحناءة جنين. قبل دخول الغرفة، يخضع المشاركون إلى طقس تطهير ملائم لآرائهم العالمية. الزحف خارج غرفة التعرق يرمز إلى اعادة الولادة من رحم الام الارض. تلك هي اللحظة التي فيها اهمية الشفاء والتطهير لهذا التمرين على الموت والولادة تتجسد كتحول اجتماعي

ونفسي وروحي. اذا ما نجح الطقس، سيكون ثمة احساس بالتحول بالاضافة إلى طهرانية فردية وجماعية بين المشاركين.

على غرار دائرة القانون، غرفة التعرق ليست دواءً شافياً لكل الامراض يمكن تطبيقه بشكل عشوائي. من الافضل ان تستخدم من اجل مجموعة ذات حجم متوسط لديها فهم واضح تطبيقي للعضوية. من المؤكد ان غرفة التعرق قد تُنظم من اجل اغراض طقسية أخرى. على اي حال، اذا كان الغرض تحول النزاع، من الجوهري ان تُعرَّف الفكرة بتعابير محددة ومع اتفاق جميع المشاركين. كطريقة في تحول النزاع، غرفة التعرق أداة فعالة للغاية ولذلك يجب ان تُطبق فقط تحت اشراف ميسر متمكن وذي خبرة، يعرف كيف يخلق بيئة من الثقة وإن الفكرة تُعالج بطريقة منفتحة وواعية.

3. 2 عمل التنفس الشامل

ولد ستانسلاف كروف ـ المحلل النفسي وعالم النفس والمعالج والفيلسوف ـ في براغ سنة 1931. هاجر إلى الولايات المتحدة في 1967، وابتكر شكلاً شهيراً ومثيراً للجدل من العلاج يسمى عمل التنفس الشامل. كلمة **Holotropic** مشتقة من الكلمة اليونانية **Holo** (الكل) و**trepein** (اتجاه أو هدف): ولهذا فهي تشير إلى اسلوب تنفس موصل إلى ادراك عام[1]. ارى صورة للبشرية وطرق التدخل المتعلقة بالتنفس الشامل على صلة وثيقة بطرق الاستدلال، ولذلك سألخصها هنا واناقش اهميتها لتحول النزاع.

قسّم كروف افق وعي الانسان إلى ثلاثة عناصر ـ السيَري وما قبل الولادي وما وراء الانا. بالاشارة إلى السيري، قد ينظر اليه وكأنه ينتمي إلى علم النفس الانساني. بقدر ان يكون الحال كذلك، تتعلق مقاربته بطرحي بشان اراهام ماسلو وكارل روجرز وفريتس بيرلز. يبدي كروف اشارة جلية لعلاج لجشتالت ويطبق منطقه ولغته في مجمل عمله[2]. لن اعود إلى هذه الجوانب، لعدم اهميتها في تفكير كروف. ارغب

(1) Grof (1985, p. 346)

(2) Grof (1985, pp. 181 - 185)

حقاً ان اذكر القراء بالتفريق الجوهري في علم النفس بين المشاعر الراهنة التي مبعثها الانطباعات والنزوات الحالية، والانفعالات التي تولدها التجربة السيرية[1]. تمثل الانفعالات اللاحقة التجارب والانطباعات المخزونة في جسد الشخص وعقله. يجب ان يؤخذ مصطلح «سيرة» حرفياً كونه الحيز السيري، تجربة الحياة وقد تم نقشها على الجسد، التي تؤثر على الفرد وعلاقته أو علاقاتها في الحاضر. حسب تأويل كروف[2] لويلهلم رايخ، كل تجربة وتعبير مخزون قد يتم تحقيقه ويتم تذكره بشكل واعٍ أو غير واعٍ.

تُخزن هكذا تجارب سيرية في المصفوفة قبل الولادية الاساسية. عند اتباع أوتو رانك[3]، يطبق كروف هذا المصطلح على شبكة نفسية يشكلها فرد وقت الولادة ثم تُشحن بتجارب محددة[4]. حسب فهم كروف، انطباع الطفولة المبكرة يشمل المرحلة قبل الولادية. في اعماله المبكرة، درس كروف ليس الادوية المخدرة وتأثيرها فحسب بل العديد من التقاليد الصوفية ومن ضمنها يوغا راجا والصوفية وكذلك الشامانية كما تمت ممارستها في مناطق متنوعة[5]. ليس من المفاجئ ان الاجزاء الاربعة من مصفوفته قبل الولادية الاساسية تشبه البنية الاساسية لعجلة العلاج. حسب مصطلحات كروف، تشمل مراحل الانطباع قبل الولادي، اولاً، المحيطي أو النشوة الابوللونية[6] وثانياً، البؤس[7]، وثالثاً، البركانية أو النشوة الديونوسية في صراع الموت والحياة[8].، ورابعاً، تجربة اعادة الولادة[9]. اصطلاحات كروف المشوشة جزئياً لمصفوفة الولادة تتماشى

(1) Grof and Bennet (1993, p. 86)

(2) Grof (1985, pp. 165 - 175)

(3) 1884 - 1939

(4) Rank (1929)

(5) Grof (1985, pp. 299 - 300)

(6) يشير غروف هنا إلى «الكون الكلي الامنيوتي أو السلوي» Grof and Bennet (1993, p. 33)

(7) «الاقصاء من الفردوس» في غروف، Grof and Bennet (1993, p. 45)

(8) «صراع الموت ـ والبعث» حيث البعث لا يشير إلى مفهوم روحي لكنه تجربة لعتبة تقع بين االحياة كجنين واختفاءها اثناء عملية الولادة، والتجديد، وهي حياة الفرد التي تتبع الولادة. Grof and Bennet (1993, p. 57)

(9) «تجربة الموت والبعث» Grof and Bennet (1993, p. 69

مع المراحل كما وصفها بيرلز. وعلى قدم المساواة، مصطلحات غابرييل روث عن «التدفق والانقطاع والفوضى والغنائية» تبدو وكانها تقدم مفتاحاً لمصفوفة كروف قبل الولادية، في حين ان المصطلح الأخير «السكون» يتعلق بالسيرة الحياتية حسب كروف[1]. درست غابرييل روث الشامانية واعمال كروف، والتشابه البنيوي لتلك المقاربات المتشابهة يمكن تتبع اثرها إلى خطتها الشائعة وتجربتها.

حسب كروف، يعتمد العنصر السيري على المراحل النموذجية للحياة، بالاضافة إلى التجارب الاولى التكوينية البدئية. بمعنى آخر، الانطباعات المكتسبة في الحياة تُخزن طبقات جديدة من التجارب في الميادين والنماذج التي تحددها مصفوفة الولادة، وتُخزن هناك فقط. وعليه، التجربة السيرية للعالم تُحدد مسبقاً بالتجربة قبل الولادية بطريقة حاسمة. في كتاباته، يشير كروف إلى امثلة لاعمال فنية ونشاط سياسي كان قد تشكل وبدأ نتيجة افكار لمصفوفة ذات علاقة.

تأكيد كروف مهم لتحول النزاع الاستنباطي، ولا سيما بالاشارة إلى العناصر السياسية والاجتماعية اذا ما كانت محددة بشكل مشترك بعوامل قبل ولادية لا يمكن ابتسارها إلى اشكالات سيرية أو بنيوية اجتماعية. السؤال فيما اذا تدخل النزاع مقبول يبقى امراً متعلقاً بالشروط قبل الولادية التي تنطبق على عنصر محدد ضمن النظام.

أن القيام بايعازات لاواعية ـ والتي قد تحدث بصورة فردية، بسلوك تدميري فردي أو نزاع داخلي، أو جماعية من خلال الحروب والثورات ـ لاينتج تحولات، وهو قد يحصل لو توفر الوعي الكامل بالأمر، وذلك بسبب فقدان البصيرة النفاذة والنية الشفائية. وحتى عندما يحقق السلوك العنيف نصرا ما، فان هدف ذاكرة الولادة للعقل الباطن ـ والتي هي القوة المسببة للاحدات ـ لن يتحقق. أن النصر الخارجي الأكثر ربحا سوف لن ينتج ما توقعه أو تمناه العقل الباطن: وهو أحساس داخلي بالتحرر العاطفي وولادة روحية جديدة[2].

أن قصص الشر النمطي، بالأشارة إلى الشخصيات السياسية مثل هتلر وستالين

(1) Roth (1997)

(2) Grof and Bennet (1993, p. 216)

وميلوسوفج وصدام (وهنا نشير إلى مجموعة من الأسماء الأكثر تداولا في النقاشات)، تبدأ بالتحول من ظل التراجيديا غير البشرية إلى البشرية منها. فالأخيرة ليست مرتبطة كثيرا بالقدر ولكن بثنائية محسوسة بين الصفات المرفوضة والمقبولة لشخص أو مجتمع ما، أو أي سياق أجتماعي آخر. آخذين بالأعتبار أشتراطية ما يبدو أنه شر مطلق، فان المصالحة بين ماهو مرفوض ومقبول هي واحدة من المهام الأساسية لتحويل النزاع. إن أطلاق العنان لهذه الثنائية يعني الهروب من التورط بالنمط الأخلاقي والحديث للإصرار العنيف بأن شخصا أو مجتمعا ما على حق ـ وهذا النمط يشجع التغير المكاني للنزاعات ويعيق تحويلها.

أذا كانت مصفوفة الأدراك لشخص ما (**perinatal matrix**) قد تكونت من تجارب النشوء داخل الرحم أو تجارب الطفولة المبكرة، فيمكن القول إنها لم تتكون بيولوجيا فقط وإنما قد تأثرت أيضا بمقدار رفاهية الافراد المحيطيين والمؤثرين به. وهؤلاء أيضا منضوين تحت سياق أجتماعي يؤثر كثيرا في تشكيل حياتهم. وكل مجتمع يبني هذه المصفوفة للجيل اللاحق. إن التغيرات في العقائد والحقائق المقبولة فيما يخص المعاملة الصحيحة للمرأة الحامل والأطفال حديثي الولادة هي دليل بارز على ذلك. ولكل جيل قيم وتوجهات يكون تبعا لها أبطاله ووحوشه ويدون طبقا لها مسار سيرته التي يقررها بنفسه. وحتى عندما يحاسب هتلر نفسه كفرد على أفعاله وخياراته الشخصية، فإنه يصبح مفهوما فقط كنتاج للنشوة الغامرة والإيمان الأعمى المتولد (والذي يولد) نتيجة الخوف من السقوط التي كانت سائدة في المجتمع في عهده. وهذا ينطبق على كل فرد عدو للإنسانية قل شأنه أوعلا.

وهنا إنتبه كروف (**Grof**) إلى الجانب السياسي لدروسه. متأثراـ بـ جنك (**Jung**) يعتقد كروف أن عدو كل شحص أو تجمع بشري هو كيان يبرز من ظل الأنا (الذات). فالعدو لايظهر في البدء من مكان قصي بل يقبع في مفهوم الشخص ويتشكل من مصفوفة الإدراك وصفات الظل التي تشكلت خلال سيرته. ولقد أثرت في هذه التشكلية أو الخلطة كل من الخلافات في الرأي، والعنف الجسدي والحرب تبعا لانماط بالية

وفعالة من الذاكرة الجمعية. وطبقاً كروف [1] فقد تكون معسكر الإحتجاز في قلب وعقل الإنسان قبل أن يتم تسليم الشخص الأول لهذا المعسكر.

إن هذا الإعتقاد ذو فائدة عظيمة كمبدأ إرشادي لتحويل النزاع الأستنباطي لأن النزاعات بين البشر، وبضمنها تلك التي تحدث في المستويات السياسية العليا، نادرا ما[2] تتحول بواسطة الحقائق الموضوعية للعلم الحديث. على النقيض من ذلك، فإن أي فرد يتبع أفكارا موضوعية مزعومة ويهمل جوانب ما وراء العقلانية (**transrational**) سيكون عنصرا منغلقا بسياق ما وبذلك سيمثل عقبة لعمليات التحويل الشاملة السياسية والاجتماعية. ومن يدعون أنهم عمال سلام يجب أن يكونوا آخر من يسمح لذلك بالحدوث.

و لما كان رأي كروف حول مصفوفة الإدراك مثيرا للجدل بشكله الخاص ـ بالرغم من أنه لم يعتبر مطلقا امتدادا غير مبرر للمفهوم الواسع القبول لتكوين الطفولة المبكرة ـ الا أن بند التحليل الثالث لديه، أي ما وراء الفردية (**transpersonal**)، قد أعتبر بأنه فضيحة. أن ما وراء الفردية، اي أكتمال السيرة وأبعاد ما قبل وبعد الولادة، تعني حرفيا ما بعد الفردي ومابعد الشخصية ومابعد الأنا (الذات) الموجودة تحت الجلد. وطبقا لعلم النفس ما وراء الفردي، فان البشر ليسوا محددين فقط بما يشكلوه باجسادهم أو ذاتهم أو شخصياتهم. إن غاية علم نفس ما وراء الفردية هي توحيد الخصائص الفردية التقليدية للشخص بالخصائص الخارجية القابعة خارج حدود الفرد[3]. ومبدأيا هذا ما فعله علم النفس الجنكياني (**Jungian psychology**) لكن كروف حاول أن يذهب أبعد من جنك وذلك بدراسة الحكمة الشامانية (**Shamanic wisdom**) على اساس نظرية أنظمة كريكوري باتيسون.

بالنسبة لكروف يشكل الجنس البشري نظاما متصلا عالميا تتواصل فيه المكونات الفردية مع بعضها البعض. أن مصطلح ما وراء الفردية يعني التواصل ضمن سياقات

(1) Grof and Bennet (1993, p. 218)

(2) الحالة الوحيدة المشابهة قد تكون النشوة الابولونية العامة، والتي يصعب تصورها واقعا.

(3) Vaughan (1984, pp. 26 - 27)

اجتماعية آنية ـ وهو يعني أكثر من ذلك بكثير: وحسب وجهة نظر كروف فإن اي كائن بشري ضمن هذا النظام قادر على تلقي المعلومات والمحفزات من كائن آخر دون اللجوء إلى تواصل حواري أو اي من واحدة تقنيات العرض العالمية. وهذا يسري على أي نشاط أو فكرة لكائن بشري يترك أثرا دائما في المصفوفة الجمعية والعقل الباطن الجمعي للجنس البشري ويمكن، تبعا لذلك، استعادته من قبل الجميع. وتعتمد إمكانية حدوث ذلك على مجموعة متنوعة لايمكن التبؤ بها من العناصر المادية والاجتماعية والسيروية والنفسية. ولكي يدعم اداءه هذا فقد اشار كروف إلى عدد هائل من حالات التواصل الما وراء الفردية للبيانات والعواطف. ولأنه يفهم المجال البشري على أنه تكاملية فعالة فهو يؤمن بامكانية التنقل عبر حدود الأنا المحتواة تحت الجلد، والذهاب أبعد من أي تعريف يختاره أحد لتعريف الفرد وكذلك مابعد حدود الزمان والمكان[1].

تختلف الأراء النقدية حول الأمثلة التي ساقها كروف. الا أني أعتقد أن كروف قد فشل في الإنتباه اللازم للإختلاف بين قصص ما قبل وما وراء العقلانية وهذا ماجعله عرضة لنقد مبرر. وبغض النظر عن ذلك، فإن ظواهر ما وراء العقلانية التي وصفها كانت من النوع الذي يعيها الكثيرون من تجاربهم الشخصية. وبالرغم من أن هذه القصص قد رويت الا أن حقيقة كونها قد رويت تعني أنها متواجدة في الوعي الإجتماعي.

أن من ينشغل بتفكير جدي بالجانب الإجتماعي وأفكاره الموجهة وأفعاله الإنعكاسية وقصصه سوف يكون بمقدوره أهمال هذه الظواهر[2]. ومن أجل أغراض تحويل النزاع الاستنباطي سأقترح قبول (التسليم ب) الظواهر ماوراء الفردية عندما يفهمها الناس كذلك وعندما لا يتوفر تفسير آخر لها. ولن ينجح أي تدخل خارجي ان لم يكن مرتبطا بالتحويل الأساسي للإدراك البشري.

و بغض النظر عن صحة الأمثلة والنقاشات التي استشهد بها كروف، فإن طريقته لها

(1)(Grof and Bennet (1993, pp. 83 – 200، ويناقش (Griffith (1984, pp. 56 – 57 نفس السؤال من وجهة نظر مسيحية.

(2)تم وضع هذه المسألة من قبل Aldous Huxley واقتبست فيGrof and Bennet (1993, p. 141

علاقة بتحويل النزاع ومجموعة تعاليم فرويد وجنك وريخ **(Reich)** ومسلو وروجرز وبيرس **(Peris)** بتوليفة تطبيقية مبدعة. وبالرغم من أن كروف لم يدعِ ذلك الا أن أفكاره تمثل اسهاما اساسيا في فهم النزاع والعنف. وعلى غرار روجرز، يفصل كروف بين فكرة العلاج عن سياقها السريري وينقلها إلى تجربة الناس الذين يعتقد، حسب القياسات الحديثة، بأنهم أصحاء لكنهم، برغم ذلك، يظهرون سلوكا غير مقنع أو تدميري للذات ويفشلون في ادراك كوامنهم الشخصية. وهذا ما قد يكشف عن نفسه على هيأة نزاع داخلي أو بين الأفراد. وبالإضافة إلى تطبيقها السريري فقد استخدمت تقنية العمل التنفسي الشامل [1]**(holotropic breathwork)** للبحث عن مدخل مقبول للحياة والذات[2]. وبذلك فقد تركز الإهتمام على إدراك الشخص المجرب باعتباره كيانا اجتماعيا.

وقد تمنى كروف أن يقبل الطب الأكاديمي تعاليمه المثيرة للجدل. أنا سوف لن أتناول الحالات السريرية هنا ولن اناقش تناقضاتها. لكن بدلا من ذلك أتمنى أن أركز على أثرها التحويلي على إدراك الأشخاص الذين يعتقد أنهم أصحاء بمعايير الطب الأكاديمي. وبالرغم من أن الحدود تتطور الا ان الأمر المهم هو اكتمال نظرية الجشتالات الذي يسمح بالنمو الداخلي والنضوج والوضوح واستكشاف مجالات الوعي والذي في الغالب يتعذر بلوغه من قبل الإنسان النموذجي في وقتنا الحاضر. إنه من الضروري للأشخاص المتهيئين للعمل المطلوب مع اشخاص آخرين في ظروف نزاع صعبة أن يحققوا توازنا وحالة مستثارة من الوعي.

أن العمل التنفسي الشامل هو تطبيق دراماتيكي وفعال جدا والذي، بسبب طبيعته المتطلبة، يمكن تطبيقه فقط تحت أشراف أخصائيين مدربين وحالات مأخوذة بعين الاعتبار بعقلانية. بالإضافة إلى امتلاك المعرفة التطبيقية الضرورية فإن المرشدين يجب أن يديروا وباحتراف ظواهر الانتقال والانتقال المعاكس بالإضافة إلى المقاومة والأزمات. وبخلاف ذلك فقد تعالج المواد الظاهرة بصورة غير كافية مما يسبب زيادة

---

(1) ((Holotropic breathwork) وهي عملية تتضمن السيطرة على أنماط تنفس الشخص للتأثير على حالاته العقلية والعاطفية والبدنية واطلق عليه من ال أن فصاعدا العمل التنفسي الشامل. ـ المترجم.

(2) Grof (1988, pp. 242 - 250)

في العبء وليس تحويلا[1]. إن العمل التنفسي الشامل هو ليس أداة تطبق في مواقف ميدانية نمطية. ولكونه طريقة لتعميق الوعي وبناء الوعي الذاتي فهو أداة ممتازة للإعداد للخدمة والإشراف الميدانيين.

ويتألف العمل التنفسي الشامل من مجموعة من التنفس المسرع والموسيقى المثيرة والعمل الجسدي المركز والتعبير المرئي. وكما بينت في الجزء الأول من هذا العمل الثلاثي، فإن التنفس هو عنصر أساسي في الفهم الفعال للسلام. ولذلك فإن تقنيات التنفس تقود إلى حالات معينة من الوعي وهو ما يعبد الطريق لاحداث تجارب سلام ما وراء فردية أو تتعدى الفرد في كل أنحاء المعمورة. وتتضمن الممارسات الشامانية في كل القارات طرقا بارعة لتعجيل وإيقاف وتنظيم التنفس الأنفي والفموي والتي تهدف إلى تحويل هذه الممارسة إلى حركة. أمثلة على هذه التطبيقات، لكنها ليست الوحيدة، هي تنفس الصوفية والبرانايامة ويوغا الكوانداليني.

لقد أثبت العمل التنفسي الشامل تفوقه على المواد الكيمياوية التي استخدمها كروف مسبقا. فالأدوية تسلب الشخص قدرته على التحكم بنفسه وتخلق تجربة سلبية لحالات معدلة من الوعي تعتمد على نوع وكمية الدواء الذي تناوله. وعلى النقيض من ذلك يجعل التنفس الشخص الممارس له متحكما بنفسه. وبذلك لا ينغمس الفرد أعمق من رغبته. أضف إلى ذلك أن الأشخاص ذوي الشخصيات الصلبة قد يبدون مقاومة عامة لأي تغير في الوعي أو الحركة ولذلك فان المقاومات الظاهرية التي يقلل منها العلاج هي كافية لجعل أي تغيير في الوعي أمرا مستحيلا. ولقد أوضح سلفستر ولج (**Sylvester Walch**)، وهو أحد طلبة كروف[2]، أن الممارسين لهذا النوع من التنفس أمتلكوا حكمة داخلية والتي من خلالها تجلت المقاومة الظاهرية عن طريق كشف المخاوف والاعتراضات الداخلية. وطبقا لولج فإن تحديد هذه الاعتراضات كان مفيدا لأنه يفرض على المشتركين الاختيار فيما إذا كانوا راغبين بالمواصلة أم لا. وحتى لو أن تمرينا ما قد أوقف قبل بدايته الفعلية فإنه يبقى ذا إسهام في المسؤولية

(1) Walch (2003, p. 24)

(2) Walch (2003, pp. 34 - 35)

المتزايدة وبالتالي للوعي الذاتي المتزايد. بالإضافة إلى ذلك فإن مقاومة الفرد التي لا تقهر قد لا ترتقي بالضرورة للفشل طالما أنه لا يخرج عن عمل المجموعة. إن طاقة المجموعة تكون هائلة في العمل التنفسي الشامل كما أن المشاركة بحد ذاتها تحقق نتائج تحويلية باهرة.

يجب أن يكون المشترك بوضعية مريحة وآمنة، وبصورة مثالية مستلقيا على حصيرة في بيئة محمية وتحت إشراف شخص موثوق به. وعندما تتوفر هذه الشروط فإن انتباه المشترك يجب أن ينصب كليا على التجربة وأن لا يتأثر بالتركيز على تقنية التنفس[1].

أن التنفس المتسارع سيؤدي إلى تقويض ميانيكيات الدفاع المكتسبة ويعطي واقعية للذكريات والعواطف بالإضافة إلى انطباعات العقل الباطن وما فوق الوعي[2]. ويعتقد كروف أن هذه المادة مخزونة في النسيج العضلي حيث تعيق انسياب الطاقة. إن التنفس المفرط أما ستحل الانسدادات أو تسبب ضغطا مضافا على المناطق المعنية. وفي كلا الحالتين فإن الجشتالت غير المكتملة يتم استدراجها للوعي والسماح لها بأن تعود للحياة من جديد وفي النهاية أن تتحول[3]. وبالرغم من أعتماده الكثيرعلى تعاليم ولهام ريج وفرتز بيرلس، الا ان كروف كان ملما بالطرق الشعبية في عهده مثل علاج الجسم التكاملي لجاك لي روزنبيرغ[4].

وحسب تقنية كروف فأن التنفس الشديد ترافقه موسيقى مثيرة لكي تشدد وتجمع المادة النفسية الموجودة. وكما تم برهنته في تجارب دوائية مسيطر عليها سريريا كان للموسيقى قوة في اثارة صور عقلية[5]. وبعد الاستغناء عن التجارب الدوائية بدأ كروب بالأعتماد على الموسيقى كما استخدمت في السياقات الشامانية وطبقها نطاميا في العمل التنفسي الشامل[6]. وفي الجلسة تشغل الموسيقى بصوت عال باستخدام

(1) Grof (1988, p. 171)

(2) من وجهة نظري لم يتم مناقشة هذا الاجراء ووصفة بطريقة ملائمة من قبل غروف. وسنعود له لاحقا وبالتفصيل في الفقرة التي تتعلقب جيرو كابال Jeru Kabbal

(3) Grof (1988, p. 179)

(4) Rosenberg et al. (1996)

(5) Gail (1998, p. 34)

(6) Grof (1988, pp. 184 - 194)

جهاز صوتي يديره شخص مسيطر. وهذا الجهاز يجب أن يكون قويا لدرجة تسمح له بتغطية كامل المساحة التي تنفذ عليها الممارسة. وحالا تطغى طبقة الصوت التي يصدرها الجهاز الأصوات التي يصدرها الأشخاص المشتركين كما تربط احداها بالأخرى. وبمستوى أعمق فإن الموسيقى تأخذ بتعديل وعي المشتركين وتعزز جهد التنفس من أجل حل المحتوى المحدد والمخزون في نسيج العضلة. ولذلك فمن الضروري فصل التفكيرعن الإصغاء. وكحالة مثلى فإن الموسيقى يجب أن لا تكون مألوفة للمشتركين أو على الأقل ليست من النوع الذي يمكن أن يربطوه بتجربة اساسية أو قصة معينة. ولهذا فان الموسيقى التي تستخدم في البدء تكون من تلك التي تصدر عن الات موسيقية. وعند استخدام موسيقى لفظية أو موسيقى تصدرها حناجر بشرية فيجب أن تكون بلغة لا يتكلمها المشتركون.

إن توصيات كروف التي تتعلق باختيار القطع الموسيقية تتبع نموذجا ثلاثي الخطوات وهي الافتتاحية والتنفس والأندماج. ومبتدئا بصوت فتتاحي منساب لجأ كروفر تدريجيا إلى تشديد الطاقة للوصول إلى أصوات ايقاعية قوية ومحركة. هي تناغمات وألحان بسيطة تعزز ثقة المشترك بالعملية أو الفعالية. ويلي ذلك فترة من الأضطراب الفوضوي والذي تعززه في بعض الأحيان موسيقى فوضوية ذات ايقاعات قوية وغيرمتناغمة. وفي نهاية هذه المرحلة يأتي دور التنفس الذي يثار موسيقيا بالرجوع إلى حالة بنيوية منظمة بصيغة معينة من موسيقى مقدسة غنائية منشطة وفعالة قبل أن تخمد جذوة هذه العملية في فترتها الأخيرة بموسيقى هادئة مهيبة. وقد طور ولج هذا الموديل اذ أن نموذجه المعدل والمتكون من خمس خطوات تتكون من الافتتاحية والتشديد والتنفس والتوسع والاندماج. وهو يشابه الخمس خطوات في علاج الجشتالت لفريتز بيرلس الذي هو مصدر ثابت في كتاب ولج الذي يذكر فيه ايضا ايقاعات غابرييل روث الخمس[1].

لقد كان تفسير كروف للموسيقى المثيرة مقتضبا وغامضا لأنه يرى الموسيقى عاملا معززا للعملية وليس سببا لها. أنا لا أتفق كليا مع هذا، فأنا أرى العملية معقدة

(1) انظر الفقرة 3. 1 والفصل السادس

جدا، ولكن في هذه المرحلة سأقيد نفسي بتوضيح وجهة نظر كروف وفي فصل لاحق سأتناول الموسيقى وقدرتها على تعديل حالات الوعي[1].

أن الجزء الثالث من طريقة كروف هو التدخل الجسدي. وفي العمل التنفسي الشامل تم أيلاء إهتمام كبير بردود أفعال الجسد. إن المتعارف عليه أن الانغلاقات الجسدية والروحية تتجلى على شكل توتر عضلي يمكن تحويله عن طريق تحرير هذه التوترات. ويعزى هذا الإفتراض كليا إلى طريقة طورت في ايسالين **(Esalen)** من قبل النيويوركية أيا رولف[2] التي اعتقدت أن وضعية الجسم الخاطئة هي المسبب لأمراض كثيرة وأن الانغلاق الروحي يتجلى من خلال هذه الوضعية الخاطئة. وطبقا لرولف فإن التوتر الدائمي يؤثر في تركيب النسيج الرابط من حيث أنه يقلل ويعيق حركة الأربطة مما يتسبب بوقفة جسم خاطئة[3]. ولعلاج هذه الحالة فقد ابتكرت طريق علاج جسدية حققت شهرة في علم النفس البشري دمجت في معالجات متنوعة ومن ضمنها العمل التنفسي الشامل.

لقد ميز كروف بين التدخلات المركزة على النزاع أو تدخلات الجسم المحفز وبين تدخلات الجسم المغذي. فهدف الأولى هو دعم عملية التصريف أو التفريغ جسديا. وهذا قد يبدو مبتذلا لكنه قد يأخذ صيغا دراماتيكية في الممارسة العملية. وهو يتطلب بيئة آمنة وموثوقة بالإضافة الى، وهذا ينطبق على المرشد، درجة عالية من اليقظة والاعتمادية وردة الفعل والأستعداد لممارسة مجهدة. وهذا يعني بأن هكذا عمل جسدي يستلزم تحضيرا كاملا من قبل الشخص المتدخل. وينطبق هذا ايضا على التدخل المغذي وهو لايعني تفريغ التوتر الجسدي والعضلي ولكن الرد على فقدان العاطفة الذي قد يعبر عن نفسه أثناء ورشة العمل التنفسي.

وفي التدخل الجسدي نقوم بمعالجة واحدة من المواضيع الجدلية في تاريخ العلاج النفسي. لقد كان سيغموند فرويد أول من أشار إلى الإنتقال والإنتقال المضاد

(1) حول التاثير الذي تملكه موسيقى المغني وكاتب الكلمات songwriter Van Morisson على المستمع مما يجيش عاطفته وذكرياته انظر إلى النقاش الرائع في (144 – Lederach and Lederach (2010, pp. 111

(2) 1896 - 1979

(3) Rolf (1989)

بين المريض والمعالج. لقد دافع فرويد عن الحيادية الصارمة من جانب المعالج وتجنب الإحتكاك أو التلامس الجسدي الكامل لأنه أعتقد أن ذلك قد يزيد من إأحتمالية الإنتقال ويضاعف من آثاره. وما تلا ذلك كان واحدة من المناظرات الأكثر عاطفية وأثرا في تاريخ النظام (الطب النفسي). أن كلا من السلوكية والتحليل النفسي قد أكدت على التزام الحيادية ورفض أي تواصل جسدي بينما تخلف علم النفس الأنساني عن الإلتزام بهذا التحريم. فبينما يدرك الممارسون لعلم النفس الإنساني مشكلة الإنتقال الّا أن احتمالية تكرار الصدمة النفسية (و بالتاكيد خطر اساءة المعاملة) والمفهوم المتغير الذي يستبدل «المريض»بـ «الزبون و«المعالج»بـ «المساعد» يتطلب نوع مختلف من التحسس، والتدريب والمزاج الداخلي. بالإضافة إلى ذلك فإن العمل التنفسي الشامل يتم تنفيذه في طقس أو سلوك جماعي حيث يتواجد العديد من الشهود أو الحضور وبذلك فرصة قليلة لخطر سوء المعاملة أو الإنتقالية. إن العمل الجسدي في العمل التنفسي الشامل لايحتاج إلى وساطة المعالج بل يدعم كل ما يتجلى اثناء التنفس. وهذا الأمر ليس مقيدا فقط بأهمية رمزية ولكنه يبين الطريق لتحويل صراع استدلالي. وعلى أيّة حال فإن النقاش حول التدخل الجسدي يوضح الأهمية الكبيرة للأمانة الشخصية للمساعد (**facilitator**) وبالتالي الإهتمام المنصب على الأمانة في التدريب والإشراف. وبتوسيع هذا المبدأ فإنه ينطبق على عمال النزاع بصورة عامة لأن ثباتهم وأمانتهم الشخصية هي ركائز اساسية للعمل الاستنباطي الذي غالبا ما تتوفر فيه مواقف التقارب الجسدي والثقة الشخصية. ولذلك فإن صفة التدخل الجسدي المتوفرة في العمل التنفسي الشامل هي بالتحديد مايجعلها طريقة متنورة وعظيمة في التدريب والإشراف على عمال السلام.

و يمثل الرسم [1]العنصر الرابع والأخير من العمل التنفسي الشامل الذي ورثه كروف من جوان كيلوج[2]. فقبل أن تبدأ الورشة يعطى المشاركون لوح رسم واقلام رصاص ملونة. وحالما تخبو أثار التنفس، يستخدم المشاركون أقلام الرصاص لبيان تجربتهم بالطريقة التي يرغبون بها. من جانب أخر تمثل هذه الفعالية نوع من التواصل

(1) (Kellogg et al. (1977, pp. 123 - 134

(2) 1922 - 2004

في الممارسة اللاحقة حيث تقدم الرسومات مع تقارير شفوية لمجاميع صغيرة تعمل كشهود مرددة للصدى وتساعد في تحليل الأهمية واللغة الرمزية للرسومات. وبذلك تصبح الصورة هي الرابط بين الممارسة الأولية للتنفس الفعال والثانية التي هي الممارسة الفكرية. وهنا تتحول التجربة إلى أخرى حوارية محققة استنتاج ابولي (**Appolonian**) لتمرين ديونيسي (**Dionysian**)(1).

إن كلا من التنفس والموسيقى والتدخل الجسدي والرسم هي أدوات للعمل التنفسي الشامل لكنها لا تمثل جوهر الممارسة. إن جوهر التمرين يتالف من الأستعداد الداخلي للممارسة والتحول الناتج عنها. وهذا هو ما يميز الفن التحويلي للعمل التنفسي الشامل عن الأداء التقني للجلسات.

لما كان الغرض من العمل التنفسي الشامل هو الاستنتاج مسبقا بالجشتالت غير الكاملة، فإن المساعد يجب أن يؤكد بأن الممارسة قد وصلت لنهايتها. وإذا لم يتحقق ذلك في عملية التنفس أو اثناء الممارسة التي تنفذ بمجاميع صغيرة فهناك جلسة عمل جماعية أخيرة توفر الفرصة لاستبصار معرفي. إن من الضروري أن تقام هذه الجلسة بنمط مفتوح كي يضمن أن تبقى القوة التشخيصية بأيدي المشترك. في الممارسة الفكرية لا يمثل المساعد أو أعضاء المجموعة الأخرى تفويضا لانهم يعملون كشهود مرددين للصدى ومقدمين اقتراحات تجريبية غير مؤكدة. وعلى أية حال يجب إيلاء الممارسة أهمية كبيرة كونها جشتالت تكتمل عند كل مشترك قبل أن يتم حل المجموعة. وغالبا ما تثمر الممارسة عن نتائج قوية.

و بغض النظر عن الخلافات الطبية والعلاجية حول العمل التنفسي الشامل بصورة عامة والتداخل الجسدي بصورة خاصة فإن الممارسة تبدو أداءا أكاديميا قويا ومستداما لتحويل النزاع. وهو يعلمنا المسؤولية عن أنفسنا والانفتاح على ما يمكن أن يكون أحيانا تحولا مثيرا للنزاع الشخصي والنفسي الداخلي. وبالإضافة إلى الاستشفاء الشخصي فإن تجربة العمل التنفسي الشامل تشجع إدراكا كبيرا للعلاقات النظامية ويركز الإنتباه على أهمية العمل الاستنباطي. إضافة إلى ذلك فإن الإطلاع

(1) Grof 1988 (pp. 210 - 221)

على التغييرات في الوعي هي مهارة مهمة للعاملين على النزاع طالما أن التغيرات غير المقصودة في الوعي لزبائنهم هي في الغالب تعبيرات فورية للنزاع. إن تصنيف هذه التغيرات ضمن المجموعة المرضية العامة لل «الصدمة» ليس واعدا. إن الإعتياد، ومن خلال تجربة مباشرة، على حالات غير إعتيادية للوعي تبدو مصدرا مناسبا لعمل السلم والنزاع.

3. 3 تأمل الفيباسانا (vipassana) والتنفس الكمي الخفيف

في بداية تسعينيات القرن الماضي اصبحت الأسطوانات المسجلة التي تحمل اسم «التنفس الكمي الخفيف» شائعة في الولايات المتحدة بالإضافة إلى هولندا والمانيا. وهذه الاسطوانات ذات التسجيلات الحية والمتوفرة من المعهد الكاليفورني للتحول الفردي المسرع تحوي تسجيلات لتأمات تنفس موجه من قبل مؤسس ومدير المعهد جيرو كابال الذي توفي في عام 2000. وخلال حياته لم يكن جيرو كابال معروفا بهذا الأسم[1]. ولم يعرف الا مجموعة من الناس أن التنفس الكمي الخفيف كان واحدا من العناصر العديدة لطريقة أكثر شمولية عرفت بإسم عملية الوضوح. لقد أصبحت الوضوح اليوم علامة تجارية محمية. وبعد وفاة كابال قدم طلابه عملية الوضوح أورلى اوربا وأسسوا هيكلا تنظيميا حرا سميب مشروع الوضوح[2].

و جييرو كابال هو ممثل راديكالي للتعليم العابر للحدود القومية لل (هنا والآن) والذي عمل على تفكيك هويته العامة في مناسبات عدة. ولذلك لم يعد هنالك سوى تفاصيل مقتضبة معروفة عن حياته التي انتقلت على شكل حكايات. ومنذ عام 1974 عمل كابال كمعالج تحت اسم سوامي أناند سانتوش في بونا مع بهاغوان شري راجنيش. وقد كان كابال المعالج الرئيس في المجموعة، واحد ال «الثلاثة الكبار» واعتبر مناصرا صاخبا لطرق العلاج الرقيقة[3]. إن تجربة الطفولة المبكرة للخوف من أجل البقاء كانت المبدأ الأساسي في تعاليم كابال كما أنه قد تناول النشاط الجنسي

(1) Kabbal (10 August 2009)
(2) Kabbal (2008, p. 10)
(3) Elten (1980, p. 211)

والموت في القسمين الثاني والثالث من تعاليمه[1]. لم يعتبر كابال النشاط الجنسي محظورا لكنه أعطاه اهمية علاجية أقل من بهاغوان والفروديين اليساريين والمعالجين الآخرين في هذه الحركة[2].

ومنذ عام 1985 حاول سانتوش خلق حوار حميمي في شاطيء لاغونا في كاليفونيا لكنه فشل. وبعد عودته للصحراء في عام 1990 أصبح اسمه جيرو كابال وأسس معهد التحويل الفردي المسرع معتمدا على فترة تدريبه كمعالج وخبرته النفسية والتعددية الثقافية لمدة 12 عاما للحركة السانيانية (Sannyans movement). ولقد عملت كل من الفلسفة اللاثنائية (advaita) وتقنية تأمل الفايباسانا كعناصر ملهمة له. حيث فصل كابال هذه الأدوات من جذورها الهندية وصاغ حليتها وطقوسها واساطيرها الدينية. وعمل حتى وفاته في كل من الولايات المتحدة والمانيا واسبانيا وهولندا وبالي[3].

ومنذ ولادته في عام 1930 في هاموند في ولاية انديانا ألمريكية باسم ريتشارد دورين شولدرز، كان مسار حياته مميزا قبل لقائه ببهاغوان ويصبح اسمه سوامي أناند سانتوش. وبالرغم من انه عاش في كاليفورنيا خلال السنوات العاصفة قبل بروز علم النفس الإنساني الا أنه لم يكن من رواده. ولقد كان لتجربتة ذات العامين من الحرب في كوريا أثرا عميقا جدا في نفسه.

وفي سياق الكتاب الحالي كان لتجربة الحرب الكورية 1950 ـ 1953 أهمية خاصة مقارنة مع الحروب العديدة في القرن العشرين. ففي هذه الحرب أخذ مصطلح «غسل ألأدمغة» طريقه في الدعاية السياسية والعسكرية. في البدء قامت الحكومة الأمريكية باستخدام هذا المصطلح لتوضيح سبب قيام الكثير من الجنود الأمريكان الذين وقعوا في الأسر لدى الكوريين بالادلاء ببيانات مناهضة للحكومة الأمريكية حتى أن بعضهم التحق بالعدو. ولقد تحدثت المعلومات التي اطلقتها سلطات الولايات المتحدة عن تحطم المقاومة النفسية للجنود الأمريكان بسبب الطرق العنيفة المستخدمة في

(1) Kabbal (2008, p. 23 - 35)

(2) حول فلسفته انظر Dietrich (2008, pp. 339 – 345)

(3) معلومات وفرها مشروع كلاريتي في ارشيف كابال / Clarity Project's Kabbal archive في مركز المحيط Sylt, Germany

السجون الكورية. عند فصل أي شخص عن إدراكه الحسي وحرمانه من التكيف مع وضعه فإن ذلك سيدفعه، طبقا لهذا الوضع، لان يصبح ذهانيا مهلوسا. أن ارادة وأحساس المريض سوف يضطربان بصورة عميقة لدرجة أنهما لن يكونا قاردين على السلوك السليم. يزعم الأمريكان أنه من خلال الإرباك التام لحواس الأسير، تمكن المعذبون الكوريون من الوصول إلى أدمغة الأسرى الأمريكيين ومكنون أفكارهم وميكانيكية التحكم الداخلية ومن ثم إعادة توجيها.

لا يوجد شك في أن أسرى الحرب قد عذبوا بقسوة وتعرضوا للإهانة من قبل القوات الشيوعية خلال الحرب الكورية. ومن ناحية اخرى، هنالك اجماع عام اليوم على ان التعذيب يجبر الضحية على الادلاء باعترافات مشكوك بها أو الإفصاح عن معلومات الا انه يعجز عن خلق اعادة توجيه داخلي لديه[1].

وبالاضافة إلى التعذيب فقد استخدم الكوريون طرقا تهدف إلى تفكيك هوية الذات ونتيجة لذلك فقد تجاهل بعض الأسرى الأميركان هويتهم الذاتية كجنود. وهذه الطريقة، التي لم تكن معروفة في حينه، فاجأت الاستخبارات الأمريكية. في كل أنحاء العالم يتدرب الجنود كي يطوروا هويتهم الذاتية الاحترافية كي يتمكنوا وبسلاسة من الخدمة في الكيان الهرمي للجيش. وإذا تفككت هذه الهوية بوسائل علاجية مطبقة من قبل العدو فإنها قد تسبب تغيرا في الشخصية والوعي والتفكير البارع وتفتح الآفاق لخيارات جديدة. وإذا أخذنا بنظر الاعتبار الإطار الذي انضوى فيه الجنود فإن تغيرا هكذا في الهوية هو أمر غير محمود. وسيصبح الأمر اسوء عند التفكير بحالة الإحباط في جيش ما نتيجة فقدان بعض عناصره الذين قد يحملون معلومات سرية. هكذا أساليب قد طبقت قبل الحرب الكورية (وبعدها) في معسكرات لإعادة التعليم الشمولي التي قد تستخدمها بعض الأنظمة ضد شعبها. وبالرغم من كونها غير جديدة الا انها كانت غير مقبولة[2].

و خلال دعاية الحرب الباردة دمجت الطرق العلاجية عن عمد بالأجندات

(1) Streatfeild (2008)

(2) كان Lifton (1961) احد الاعمال الرئيسية في الحرب الدعائية هذه

الأيديولوجية. لقد درست وكالة الاستخبارات المركزية (CIA) ما يمكن تطبيقه من ممارسات الوعي في العمل المخابراتي بالاعتماد على علم السلوك في تلك الفترة[1]. وهو أمر لم يعتبر غريبا في حينه. وبعد الحرب العالمية الأولى تم في أمريكا الربط بين الاختلاف السلوكي والنفسي التحليلي لعلم النفس وبين النشاط العسكري، وفي كثير من الحالات تمت صياغته قانونيا باعتباره حقلا معرفيا حصريا للجيش. وفي البدء تم تطبيق علم النفس على صدمات فترة الحرب ولكنه استخدم فيما بعد لتجنيد وتشجيع الجنود الشباب قبل أن يتم تطبقيه في جميع مستويات المسؤولية. وبعد استخدامها في الجيش فإن تطبيقات علم النفس تم تبنيها في ستريتيجية إدارة المؤسسة. وتجدر الإشارة إلى أنه خلال الحرب الكورية، كانت وكالات المخابرات والقوات المسلحة هي صلب اهتمام البحث والتطبيق النفسي. وكان قانون الصحة العقلية الوطني، الذي تم اقراره قبل فترة وجيزة من عام 1964، قد سمح بالاستخدام العام لعلم النفس في كل مجالات الحياة المدنية. وفي ذلك العهد كانت شبكات المؤوسسات المدنية في بداية نشأتها[2].

لقد اصبح معلوما اليوم أن استخبارات الولايات المتحدة قد جربت الطرق النفسية بنشاط معين خلال الحرب الكورية. أما بعد ذلك، وفي الفترة من عام 1963 حتى سبعينيات القرن المنصرم فقد نفذت وكالة الاستخبارات المركزية (CIA) برنامجا بحثيا سريا للسيطرة على الوعي عرف باسم مشروع مكولترا (Project MKUltra)[3]. وقد تضمن هذا البرنامج تجارب على آلاف البشر. وكان اهتمام وكالة الأستخبارات الأساسي منصبا على تعديل رأي شخص ما بالعالم وتعطيل نظام اعتقاده. وقفد تضمنت التجارب التنويم المغناطيسي وطرقا نفسية أخرى اضافة إلى استخدام التكنولوجيا وأدوية الاضطراب العقلي والنفسي (وهي الجهود التي قادت إلى عرض النتائج على شاشات LCD). مع ذلك ففي «حرب الأدمغة» كان الميل نحو أنظمة المراقبة التقنية والأدوية غير مثاليا ولذلك فقد نال التنويم المغناطيسي اهتماما خاصا.

(1) لقد ناقشت الرابط بين جهاز المخابرات الامريكي CIA وايسلان في مقدمة الكتاب

(2) Illouz (2009, p. 112)

(3) مكتبة شافري حول سياسة الادوية/ المخدرات (13 Oct. 2009)

وقد استخدم التنويم المغناطيسي خلال الحرب الكورية وبنجاح لمعالجة حالات اضطراب مابعد الصدمة المجهد (traumatic stress disorder ـ post) الذي أقر رسميا كعلاج في الولايات المتحدة عام 1958. وقد كان للطبيب والنفساني ملتون اريكسون الدور الكبير في ذلك[1]. فقد أستطاع اريسكون من خلال الاعتماد على قدراته الهائلة في ملاحظة الناس وردود افعالهم من تطويرصيغة فعالة للاقتراح غير المباشر والمباح من خلال الاستعارة. وهذا يعني بأنه خلق حالات يغشى على مرضاه فيها وذلك من خلال رواية قصص لهم. وبذلك تمكن من تحقيق نتائج مرغوبة وعمليات استشفاء كما لو انها قد تمت بمعجزات[2]. لقد كان أمرا محتما أن ينال هذا الاجراء استحسان وكالة المخابرات المركزية فأصبح التنويم المغناطيسي، وبالتعاقب مع ضغط الشخص المناظر والضغط الاجتماعي، طريقة فعالة للسيطرة على العقل في سياق حرب الأدمغة[3].

لقد احتضنت القاعدة اللاإيجابية لعلم النفس المتحققة في ذلك الوقت التقنية الحديثة بحماسة مما أدى إلى ترسيخ الاعتقاد أن الأدمغة يمكن برمجتها كما هو الحال في الحواسيب. وطبقا لذلك فإن التجارب التي لا يمكن برمجتها في عقل الشخص قد اعتبرت غير موجودة[4]. وبذلك اضحت البرمجة وتعديل البرمجة (programming and deprogramming) مفهومين مهيمنين في علم النفس خلال تلك السنوات. واصبحت تعديل البرمجة تعني عملية تقليص حالات الذات الفردية وتعجيز ايمانها بمعتقداتها الفردية والاجتماعية. أما البرمجة فتشير إلى التوجيه الجديد الذي يلي ذلك. إن استعارات البرمجة وإعادة البرمجة الموروثة من مناظرات غسل الأدمغة في خمسينيات القرن المنصرم أصبحت تصف ما نسميه في المصطلحات الرقمية للقرن الحادي والعشرين بإعادة فرمتة القرص الصلب.

إن استعارة إعادة الفرمتة توضح بجلاء الطرق التركيبية لخمسينيات القرن الماضي

(1) 1901 - 1980

(2) Walker (1996 pp. 219 - 242)

(3) Streatfeild (2008, p. 47)

(4) Rock (1990, p. 65)

التي كانت موجودة بصورة أكبر فيما اصطلح عليه لاحقا ببرمجة اللغة العصبية (neurolinguistic programming) التي هي مخالفة لمفاهيم علم النفس الإنساني. وبحسب علم النفس الإنساني فإن الوعي يتولد بأسلوب نظامي وتواصلي بين الناس وليس في أدمغة أشخاص متحفظين ذوي أفكار عرضة للتاثر بالتحصين والبرمجة. إن شبكات الإتصال العالمية ذات الأقراص الصلبة في الأنترنيت، التي تقدم حقلا لا ينضب من المعرفة البشرية، هي إستعارة قريبة جدا من آراء علم النفس الإنساني وعلم النفس ما وراء الفردية من لغة البرمجة الشخصية لخمسينيات القرن الماضي. في الواقع لم يكن الأنترنيت متوفرا كاستعارة في ذلك الوقت. وعلى أية حالة رفض علم النفس الإنساني وبإصرار استعارات الحاسوب بغض النظر عن قوتها التوضيحية[1].

ومما سبق تتوضح السمعة السيئة لمفهوم غسل الدماغ. إن استخدامها في اللغات الغربية كان على الدوام مرتبطا بمكائد الوكالات السياسية والإستخبارية. وهكذا تمت التضحية بمعنى جميل للمفردة حيث اصبح (غسل الدماغ) يشير إلى تنظيف الوعي من البقايا العاطفية والفكرية والعقلية المتولدة من تاريخ حياة الفرد التي لم تعد مفيدة في حاضره. وتشير الكلمة الصينية (xi nao) لهكذا معنى الذي ترجم إلى الأنكليزية كغسيل دماغ لكنها في الأصل مفهوم وتجربة اساسيين في الطاوية (Taoism) والكونفوشيوسية (Confucianism) والزنية (Zen)والتانترا (Tantra). وقد قدم سوامي باجنانادا وصفا خصبا لطقوس التطهير التقليدي التي تزيل الرماد المتراكم في الذات:

> لقد وصفت الكتب المقدسة العديد من تقنيات وطرق تنقية العقل مثل التأمل وتكرار التعويذة والعبادة وممارسة وعي الشاهد... الخ. وعندما تتم عملية تنقية العقل بأكمله ستبرز الهوية الحقيقية للنفس. وهذا مايسمى بالمعرفة الذاتية. وما أعنيه بكلمة الذات هو أنا ـ الوعي الذي يعني ما وراء الجسم والعقل والذات. ان لكل شخص شكوكا كثيرة لكنه لن يشك ابدا بوجوده كمشكك. وهذا هو المقصودبـ أنا ـ الوعي[2].

(1) Schmid (2009, p. 153)

(2) Swami Prajnananda (1984, p. 76)

وضمن هذا الفهم تشير كلمة التطهير إلى تقليص مقصود لحالات الأنا مع الرغبة بتحرير الانغلاقات والسماح بانسياب حر للطاقة داخل الفرد. ولقد أدت التطبيقات المهينة التي نفذتها وكالات المخابرات والدعاية إلى تشويه هذه العملية.

إن تدريب ريتشارد شولدرز في علم النفس السريري كان قد تلا المفهوم السائد لهذا النظام في ذلك الوقت[1]. وفي طريقته «الإيقاظ من التنويم المغناطيسي»، وحتى قبل ظهور علم النفس الإنساني، تبنى شولدرز الفكرة الشائعة بأن البرامج تشغل البشر والحواسيب على السواء. وقد ظهر هذا النوع من المفردات في اعماله في ستينيات القرن الماضي حين سعى إلى فصل التقنيات من استخداماتها التلاعبية والأيديولوجية ولعسكرية وأعاد صياغتها كاستشفاء علاجي[2]. وقد اصبح هذا الإهتمام الإنساني هو المبدأ الموجه لحياته فيما بعد.

لقد اعتقد شولدرز ان تعديل البرمجة يشخص ستراتيجيات لتحرير زبائنه من اعتقادات اكتسبوها في طفولتهم المبكرة تتعلق بعقدة النقص والعجز والاحتباس. وربما أشارت إعادة البرمجة حينها إلى توجه جديد يلائم وبصورة افضل احتياجات الشخص البالغ وتحدياته. وللوصول لهذه المرحلة فقد استخدم شولدرز طرقا تدين بوجودها إلى العمل السابق لملتون اريكسون. إن مصطلح «الإيقاظ من التنويم المغناطيسي» يشير إلى اعادة البرمجة في ستراتيجيات وأنماط معرقلة باستخدام، من بين مجموعة من الأدوات، الاسترخاء العميق والتنويم المغناطيسي العلاجي. وفي عمله اللاحق فإن «البرامج» الثلاث ـ الخوف من اجل الابقاء، والنشاط الجنسي والموت ـ قد فسرت باسلوب هرمي وتعاقبي[3]. ان الحصة الأولية من اعادة البرمجة تتعلق بصدمات فترة ماقبل وبعد الولادة، ومخاوف البقاء التقويمي من المراحل الجنينية حتى الطفولة المبكرة وفي النهاية تقليل الخوف من الموت. وبعد التفسير الدنيوي للفلسفة اللا ثنائية (Advaita)، فقد اعتبر الموت تحولا طبيعيا ومرحبا به ضمن مفهوم الكل في واحد. عندما يكون هنالك تحرر من الخوف، فسيحتفى بالحياة

(1) تبعا لالتن (Elten (1980, p. 227 كانت هذه مقترحات Shoulders نفسه.

(2) Kabbal (2008. p. 44)

(3) Kabbal (2008, p. 21 - 90)

في البرنامج الثاني، ولذلك سيكون هنالك كلام موجز حوله. وهذا التأكيد قد يعزى لمرض الكلى الذي ورثه شولدرز والذي عذبه من الطفولة وهدد حياته في الكثير من المناسبات حتى سبب موته في نهاية الأمر. ولذلك فقد اتصف عمل شولدرز بهذا الإرتباط القوي مع الفناء.

وعندما كانت كالفورنيا هي الأرضية المقدسة لمشروعه، لجأ شولدرز إلى ألمانيا حيث عمل كطبيب نفساني في قطاع الإعلانات[1]. فالجدل المحتدم بين الأطباء النفسانيين في الإتصالات والعاملين في صناعة الإعلانات حول الاغراءات المكشوفة والمغطاة والمتناقضة قد فتح أمامه افقا واسعا. وقد أكتشف خلال هذه الفترة طريقة التحليل المعاملاتي (transactional) التي طورها المحلل النفسي الكندي أريك بيرن[2] (Eric Berne).

وباختصار فقد قام التحليل المعاملاتي بتعديل النموذج التركيبي لفرويد مقترحا ثلاث حالات أنا (ego) مختلفة التي من خلالها يقوم شخص ما بالرد والتواصل. ويرمز لها بحالة الأب وحالة البالغ وحالة الطفل التي تعتبر ذات قيمة متساوية وأجزاء من شخصية متكاملة. مع ذلك فإنها حالة البالغ التي تحفز التفاعلات القائمة على المشاركة مع الآخرين بينما تؤدي السيطرة على الحالتين الأخريين إلى الإخلال بتقبل الآخرين والتواصل معهم. وهذه الإعتبارات قد اثرت فيما بعد بتطور برمجة اللغة العصبية (neurolinguistic) وتفاعل روث كوهن الموجه موضوعيا. ويمكن تشخيصها أيضا كاساس لعمل جيرو كابال اللاحق المتباين كثيرا الذي أعتبر كما لو أنه أنعطافة ضرورية له. وعلى أية حال، فبعد تأثره بالممارسين في عهده بدأ شولدرز بتحضير الأرضية لما أطلق عليه لاحقا بعلاج الأيقاظ من التنويم المغناطيسي (dehypo therapy).

بعد تطوره من علم النفس الأنساني اصبح علاج الأيقاظ من التنويم المغناطيسي

(1) بما ان له سيطرة لا بأس بها على المانيا فأن هذه المعلومات اخذت من معارفه وليس لدي دليل عليها رغم انها تبدو منطقية ومقبولة.

(2) Berne (1967)

الهاما كبيرا في عمل النزاع الاستنباطي. وهو يهدف إلى تحرير الأفراد من المفاهيم التي أكتسبوها اثناء نزاعات البقاء في الطفولة المبكرة التي ترسخت كأنماط ومفاهيم تسيطر على البالغين بالرغم من أنها لم تعد ذات فائدة في الوقت الراهن. وتعمل هذه الأنماط والمعتقدات مثل الإعتماد في حالة الإيقاظ من التنويم المغناطيسي على تأريخ الشخص وقصصه وعلى مفهوم الهوية القائم عليها. والتطابقات بينها وبين عمل فريتز بيرلس لايمكن اهمالها[1].

لقد تخلى شولدرز عن الإعتقاد بأن الحصة الأساسية لأفعال الأنسان وردود أفعاله هي غير مسيطر عليها من قبل شخص بالغ واع. اذ يعتقد شولدرز بأنها مسيطر عليها من قبل ما سماها بالبرامج: الأنماط العاطفية والسلوكية الباطنية والمستقاة من التجارب المكونة الأولى. وهذه الأنماط تتضمن كل اشكال الإفراط بالتعويض والإعتقادات مثل «أنا لا أستطيع القيام بهذا» أو «أنا يجب أن اطيع» بالإضافة إلى الإزدراء المكبوت، والغضب، والحسد، والمرض وميكانيكية التحكم الداخلي. إن علاج الإيقاظ من التنويم المغناطيسي يسعى لتشخيص وحل شفرة برامج الطفولة المبكرة وتحويلها إلى أفعال ومواقف بناءة لأشخاص بالغين وواعين.

أن فرضية شولدرز الأساسية تتبع وبجلاء ميلاني كلين[2] (Melanie Klein)، التي قارنت العقل الباطن بالطفل الذي يحب أن يؤخذ بيده. فأثناء الولادة، وفي فترة السنوات الأربع المكونة اللاحقة، يكون الطفل سهل القولبة لكنه يكون أيضا ذكيا وحساسا. لكنه يكون ايضا عاجزا ومعتمدا على البالغين. ومن هذه الصورة تنتج ستراتيجيات الطفل الأولى في البقاء. وعلى الرغم من كون كل هذه الستراتيجيات مهمة وصحيحة وذات مغزى وحيوية الا انها تصبح قديمة عندما ينمو جسمه ليصبح بالغا بصورة كافية ويكون قادرا على خدمة نفسه. ان قرارات العقل الباطن، التي نتجت عن عقلية ذات أربع أعوام، تكون بالتاكيد غير مفهومة وبحاجة للتصحيح والتعديل إلى مواقف وأفعال بناءة تليق باشخاص بالغين.

(1) يتبنى (Heinrichs (2004, p. 13 وجهة نظر مطابقة تقريبا وتشمل مقاربة الحاسوب ايضا.

(2) Klein (1959, pp. 387 - 411)

وعندما سافر شولدرز إلى الهند في بداية سبعينيات القرن الماضي كان قد اتم تاسيس مفهوم «السنوات الأربع» وقواعد علاج الإيقاظ من التنويم المغناطيسي. وتضمنت التقارير [1] التي تناولت سنوات حياته الأولى في مدينة بونا دليلا بأنه قد استخدم هذه الطرق منذ البداية. بالإضافة لذلك فقد جعلته تعاليم كريشناموراتي[2] ورامانا ماهارشي[3] ونيسارغيداتا ماهاراجي [4] وبهاغوان على تواصل مع جوهر علم النفس الشرقي. وخلال هذه الفترة أصبحت النظرة العالمية لتحول ريتشارد دورن شولدرز إلى سوامي أناند سانتوش محشوة بمفهوم بهاغوان في «علم نفس البوذيين» الذي يهدف إلى خلق مناخ داخلي وخارجي تزدهر فيه الممارسة البوذية والتنوير وتحقيق الذات. ولم يكن شولدز مهتما بعلم النفس قدر اهتمامه بالوجود وليس بالصحة العقلية ولكن بالتطور الروحي المؤدي لتحقيق الذات. وأصول هذا الموقف مشتركة عند مؤسسي الأديان الكبار وخاصة عند بوذا وشانكارا[5]، الذي هو مؤسس فلسفة الأدفايتا ـ فيدانتا التي هي تعليم لا ثنائي يعتبر أن الروح الفردية (atman) متطابقة مع البراهمان[6] (brahman) والتي ليس لها كينونة أو تعددية. ونتيجة لذلك لا يتوجب على الفرد الذهاب لأي مكان وما من داع لخلق شيء ما لأن كل شيء موجود بالفعل. ولا يوجد فاصل بين الوجود الفردي المطلق والمتصل ولذلك ما من داع لقهر هذا الفاصل: «عسى أن ينظر لكل التناقضات في الكون على أنها تكاملية وأنها تساعد في إكمالنا لأننا كائنات غير مكتملة حتى الآن.» [7]

وتوضح هذه الفكرة فلسفة جيدو كريشناموراتي[8] (Jiddu Krishnamurati)

(1) Elten (1980, pp. 208 - 250)

(2) 1895 ـ 1986 حول مساهماته المميزة بالنسبة لبحوث السلام يرجى الاطلاع على Dietrich (2012, pp. 221 – 226

(3) 1879 ـ 1950 كان فيلسوفا ومدرسا معروفا للـ Advita ـ neo في القرن العشرين.

(4) 1897 ـ 1981 كان رجل دين متميز للادفايتا Advaita في القرن العشرين.

(5) CE 788 - 820

(6) البراهمان هي كلمة سنسكريتية تعني عند الهندوس الروح الفائقة العالمية أو الحقيقة المطلقة أو الأله لجميع الموجودات ـ المترجم.

(7) Swami Veda Bharati (2010, p. 16)

(8) للمزيد انظر النقاشات المسهبة في DVD (1980) (Krishnamurti)

كما أنها قد غذت بدقة عملية الوضوح (clarity process) لجيرو كابال واهتمامها الشديد بالحاضر. بالإضافة لذلك فإن التعاليم القديمة لأدفانتا ـ فيدانتا هي في جوهر الشخصيات التعليميةلـ «المراقب الداخلي» و«الشاهد» التي ساعود اليها في الفصل الأخير من هذا الكتاب.

و بحكم تناوله للتعاليم الهندية غير الحديثة، عثر سوامي أناند سانتوش على فايباسانا (vipassana) التي هي تقنية تأملية متاصلة في بوذية الذيرافاندا (Theravanda Buddhism) وغير المرتبطة بأي دين. تهدف الفايباسانا إلى تشجيع رؤية غير مظللة بالخداع ـ وهذا يعني مرتبة أعلى من النظر معززة بيقظة ثاقبة قادرة اختراق الاستغلال والجهل والقبض بقوة وبصورة مباشرة على الحقيقة. الفيابانسا هو مسار لتغيير النفس من خلال مراقبة النفس. إن العلاقة المترابطة بين الجسد والعقل متوقفة على مراقبة التنفس التي تقود إلى الصفاء والبصيرة. حيث تتم مراقبة كل نفس[1] بدقة بدءا من الإحساس بدخول الهواء للجسد إلى حركات البطن والصدر لإكمال عملية الزفير. وبعدها يركز الشخص الممارس على الاثار البارعة في الجسد والعقل التي يسببها الإدراك المتزايد للنفس[2]. وبعد ذلك يدرك الممارسون أنهم لا يمكن أن يبقوا نفس الأشخاص الذين يراقبونهم (اي عند مراقبة النفس) ولذلك فهم يطلقون العنان لعملية المطابقة بين الجسد والعقل.

لقد مثلث القاعدة الفلسفية الصلبة للأدفايتا وتقنية تأمل فايباسانا مكملا مثاليا لعلاج الإيقاظ من التنويم المغناطيسي. ومثلما فعل كل من بهاغوان وكريشناموراتي فيالحقول الأخرى قام شولدرز/ سانتوش/ كابال بتكييف تأمل الفايباسانا التقليدي حسب مزاج ومفهوم التركيب العاطفي للشعوب الغربية مطورا بذلك تقنية تنفس تأملية فائقة الفاعلية التي تتلاءم مع موسيقى مثيرة. [3] أن تقنية التنفس الكمي الخفيف جاءت

(1) النفس هنا مفرد أنفاس لا أنفس ـ المترجم.

(2)اشير هنا إلى اكثر Ānāpānasati ـ Sutta طبيعيةً والتي لعبت دورا مهما عند Shoulders /Santosh/ Kabbal اكثر من الطرق التقنية العادية المبنية على Satipatthāna ـ Sutta

(3) قد تكون QLB متأثرة إلى حد ما بمفهوم البعث عند Leonard Orr وقد كانت تمارين البعث متوفرة في بونا ويمكن القول ان سانتوش اطلع عليها.

نتيجة اكتشاف كابال بوجود تشابهات بين الفيزياء الكمية وفلسفة أدفايتا والتجربة الفردية لتأمل فايباسانا المتسارع. إن حقيقة كون علاج الإيقاظ من التنويم المغناطيسي والأدفايتا والفايباسانا مندمجة ضمن السياق الأكبر لعملية الوضوح (clarity process) هي مقترحة أيضا من خلال الترجمة الحرفية للغة الأنكليزية للكلمة البالية [1] فايباسانا التي تعني «الرؤية الواضحة» أو «اصبح واضحا» أو الوضوح.

إأن تركيبة التنفيس الكمي الخفيف قد تم تعديلها بعد العمل التنفسي الشامل الذي هو ايضا في صلب عمل فريتز بيرلس. ولقد اشارت غابرييل روث إلى هذه التركيبة بالمصطلحات التالية: «الجريان»و»المتقطع» و«الفوضى» و«الغنائي» و«الركود». وبخلاف كروف قام كابال بتحديد مدة جلسات التأمل لحوالي ساعة واحدة ولذلك وفرت الأقراص المدمجة وسيطا مثاليا طالما أنها لا تتطلب توضيحا مضافا أكثر وكونها مناسبة للإستخدام العالمي. وطبقا لذلك فقد طورت الأقراص المدمجة للتنفس الكمي الخفيف نشاطا حيويا خاصا بها ومستقلا عن التعاليم ويمكن أستخدامها بصورة واسعة من قبل الممارسين والافراد.

وحتى هذه المرحلة قد يبدو كما لو أن عملية الوضوح عند كابال كانت نوعا من نسخة ثانوية للعمل التنفسي الشامل وطورت بالتزامن مع كروف. ومن الصعوبة بمكان إهمال الصور المشتركة لكلا التقنيتين عند كل من رانك وفرويد وجانك وريج وروجرز وبيلرن وعلاج الجشتالت والشامانية. كما أن مصفوفة الإدراك لكروف يمكن أن تكون مفهومة في سياق علاج الأيقاظ من التنويم المغناطيسي لكابال. مع ذلك هنالك اختلافات في المفاهيم تلعب دورا حاسما في تدريب وتهيأة عمال النزاع ولذلك فهي بحاجة إلى التحليل.

يركز العمل التنفسي الشامل على انطباعات الإدراك والسيرة الشخصية وماوراء الفردية التي تم خزنها في جسد ودماغ شخص ما والتي تشكل شخصيته وحياته. وهذه الغنطباعات يمكن استدعاؤهابـ حافز مماثل أو تذكرها بشكل واعٍ أو غير واع وتحقيقها وإظهارها كألم وعقبات في سيرة الشخص. ولذلك يسعى العمل التنفسي الشامل

(1) البالي هي لغة الأسفار البوذية القديمة ـ المترجم.

لخلق حالة متغيرة من الوعي مما يسهل استدعاء المحتوى القديم ومعالجته وتوجيهه باتجاه تحقيق الجشتالت الكاملة. وعمل طاقة تطهيرية كهذه له تأثير مثل انفجار اطلق من بندقية رشاشة. وليس بإمكان أحد معرفة أية ردود فعل جسدية أو نفسية ستنطلق من الحالة المتغيرة للوعي وبأي مسار ستتقدم العملية حتى تكتمل الجشتالت. ولذلك فهي تحتاج إلى شخص مساعد لتوجيهها.

ومثلما فعل كروف، تمنى كابال تحرير الوعي من المحتويات والأفكار والأوهام المهيجة. ولقد حقق كابال ذلك من بتقنيات تنفس قوية. وبالرغم من ذلك فتفسيره لالفايباسانا لا يهدف إلى تغيير تطهيري للوعي بل إلى توسع توضيحي للوعي. وبمعنى آخر، بينما يقوم العمل التنفسي الشامل بتعديل الوعي المستيقض يوميا لكي يعالج محتوياته الباطنية التي يجب انهاؤها، تنظر الفايباسنا إلى العواطف ما دون الواعية والأفكار المستذكرة على انها عواطف لا يمكن حذفها من العقل الباطن. لكنها يمكن ان تعالج من قبل شخص بالغ ووجود واعٍ وتحول لصيغة اخرى عندما ينظر لها أو يتم تمييزها على انها اوهام[1]. وهي كما عبر عنها بشاعرية جيرو كابال في القرص المدمج للتأمل **QLB2** على انها لا شيء سوى مزحة كونية[2]. ولهذا فإن التنفس الكمي الخفيف هو تأمل يشدد على نفاذ البصيرة ولعقلانية والوعي المتأهب الحاد بينما العمل التنفسي الشامل هو تأمل تطهيري يركز على محتوى باطن.

وبالاضافة لذلك تعمل كلا الطريقتين بمفهومين مختلفين لما وراء الفردية. وتلعب ما وراء الفردية دورا عند كروف طالما تكون الطاقات ما وراء فردية قادرة على احداث هيجان كبير وتجارب عميقة في الحالات المعدلة للوعي. وفي بعض الأحيان تكون هذه الطاقات الماوراء فردية هي نفسها اصل الأعمال غير المكتملة. وخلافا لذلك تقود تأملات كروف اليقظة لمسار وعي متوسع باستمرار والذي يسبب بصورة حتمية ادراكا متزايدا للما وراء فردية كل الفهم البشري ووحدة الأشياء.

ويتجلى الإختلاف بوضوح ايضا في وضعية الجسد التي يتخذها الممارسون.

(1) Kabbal (2008, p. 44)

(2) The ClarityProject (10 August 2009)

ففي العمل التنفسي الشامل، الذي قد يكون ممارسة فوضوية طويلة، تبدأ الممارسة بوضعية استلقاء غالبا ما يحافظ عليها الممارسون خلال الجلسة، والتي يعتقد كابال أنها تعبر عن العقل الباطن عند الطفل. ومن جانب آخر فإن التنفس الكمي الخفيف ينفذ بوضعية عمودية منتصبة تعبر عن حالة اليقظة والتأهب لوعي شخص بالغ[1]. وفي الحوار الحدسي ـ وهي تقنية طورها جيرو كابال [2] بالغعتماد على تقنية «الكرسي الفارغ» (كما في تقنية «الكرسي الحار) [3] عند فريتز بيرلس ـ فالعقل الباطن الطفولي يتجلى دائما بوضعية استلقاء بينما العقل الواعي للبالغ بوضعية منتصبة عمودية[4]. وبالتعبير عنه بمصطلحات لا تقبل الجدل فإن هذا الأدعاء يدعو للرفض ويمكن مقاومته ايضا. إن المبالغة بالموضوع تساعد في الوصول به إلى مرحلة ما. ان الراغبين بالعمل في تحويل النزاع الاستنباطي يتوجب عليهم أن يكونوا بمستوى يساعدهم على الفهم والتعامل مع الأجزاء الواعية والباطنية من سلوكهم. ومنذ عهد فرويد كان هنالك اتفاق بأننا كبشر نضمر مشاعر وأفكارا في عقولنا الباطنة ترشدنا خلال الحياة. وبحسب رأي فرويد فإن العقل الباطن يقبض على دوافع خفية ومشاعر غير معلنة وحوافز تتكون منها نزوات الرغبة. وبالإضافة لهذا هنالك ذكريات منسية ومكبوتة من الصعب على العقل الواعي احتمالها مثل العنف والغساءة والجروح والصدمات.

ويقوم الكبت بحجب تجارب خطرة ومؤلمة عن الوعي ويخلق احساسا سطحيا وقصير المدى من السكون. لكن الطاقات والمحتوى المكبوتين تبحثان عن طريق يعيدها للحياة من العقل الباطن بصيغة معدلة ومنقولة ومترجمة. وهي توجه عمليات اتخاذ القرارات وتزعزع الخطط الواعية وتروي قصصا وتبني حقائق متزعزعة وتنشيء افكارا مواقفية معرقلة وتعترض المشاعر وفي النهاية تسبب ردود أفعال متباينة. وفي حالات الشك يتغلب الإنكار اللا واعي وبقوة على مانرغبه بوعي[5].

(1) يتفق مع هذا Rock (1990, p. 71)

(2) Stone and Stone (1989)

(3) Hutterer - Krisch and Klampl (2009, p. 210)

(4) Kabbal (2008, pp. 183 - 185)

(5) انا هنا اتبع Walch (2003, pp. 166 – 172)

وحتى يتحكم التفكير النظامي بزمام الأمور، تخضع هذه الأعتبارات لتوسع جذري. لقد تم تعريف العقل ما دون الواعي حديثا بأنه كل شيء لم يتم استيعابه أو ادراكه أو فهمه فوريا وإنه شبكة رقيقة تتداخل مع الوعي. ولما كان متضمنا ابعادا لما قبل وبعد الولادة وما وراء الفردية، فإن هذا التعريف النظامي يتعدى فرويد الذي عرف كبت الدوافع الجنسية والعنفية بمصطلحات متعلقة بالسيرة. ولقد أضاف س. غ. جانك لهذه الأبعاد المستوى الأعمق للعقل الباطن الجمعي بمجاميعه ونماذجه الموروثة. وتبعا لذلك يتجاوز المحتوى الباطن المجال الفردي بينما يبقى بداخل الفرد الذي يتم التواصل معه من خلاله. ان العقل الباطن ليس كيانا مختصا بذاته. كما أنه ليس مجرد بالوعة لتجربة مكبوتة وقبيحة وإنما تشكيلة غنية من المعلومات المفيدة المغذية التي تتخطى الوعي وتحتويه. ونتيجة لذلك اعتبر كابال [1]العقل ما دون الوعي مكانا مهما للخزن وكذلك راويا تواقا للقصص. وهذا ما يدفع كابال إلى الإعتقاد بأن العقل الباطن غير متطابق مع مايطلق عليهـ «الانا» في علم النفس الانساني.

وفي عمل السلام يمكن أن يكون الراوي عقبة كبيرة ـ ومثال على ذلك عندما يأتي اناس ذووا نوايا مثالية ويطبقون طرقا تقريرية دون ادراك لعمل عقولهم الباطنية. ويلجأ المعالجون والوسطاء والخبراء على اختلاف مشاربهم إلى تبني ادوار موصوفة رسميا ومحددة لمهامهم ووظائفهم وكفاءاتهم بطرق واضحة. وفي حالات كهذه تفترض تعريفات الدور وتاريخها السابق والغائية (**teleogy**)المستحصلة اسبقية لها على الأتصال الداخل فردي الواقعي.

وعندما تغذى الإرادة بتجربة الماضي وبمنطق الأدوار الإجتماعية المفترضة وبالمفاهيم المكتسبة لما هو صالح ولما يتوجب الطموح له فإن ذلك سيقضي على الحاضر. وبخلاف ذلك، عندما يكون الفرد مدركا لنفسه في الوقت الحاضر فذلك يمنحه عددا كبيرا من الخيارات المتاحة. الحرية من القهر بالإعتماد على ارادة معتمدة على دور ما هي الأساس في تولي المسؤولية عن افعال الفرد وتطوير ارادة غير محددة بدور. ان سعة الإرادة الواعية غير المحددة بدور تبين المدى الذي يكون فيه كل البشر،

(1) Kabbal (2008, pp. 75 - 90)

وبضمنهم عمال السلام، قادرين على إدراك السعادة والحرية وياخذون على عاتقهم مسؤولية انفسهم والآخرين. وهذا مفهوم موجه وأساسي لتحويل النزاع الاستنباطي.

يتغير كل نظام اجتماعي برمته عندما يتغير احد عناصره الفردية. وطبقا للطريقة الاستنباطية فإن عمال النزاع هم جزء من النظام ونزاعاته. فإراداتهم غير المحددة بدور ما قد تحدث استفزازات وتوترات مضافة بسبب أن هذه الإرادات لا تتناسب والتطلعات السائدة في النظام. ونتيجة لذلك تتولد تغيرات أكثر بين الأفراد في النظام. وبسبب حلقات التغذية الراجعة التي تتواجد بلا تغيير في النظام فإن إرادة غير محددة بدور تؤثر على الجميع وبضمنهم عمال السلام، وهي تفعل ذلك بطريقة لا يمكن التخطيط لها أو توقعها أو تمنيها أو الرغبة بها. إن الإرادة غير المحددة بدور تنذر بحتمالية تغير غير متوقع. وعمل السلام الاستنباطي هو مؤسسة للأبطال الذين يجب أن يكونوا متهيئين ومدربين بصورة كافية.

و كجزء من التطبيق الذي اصبع غربيا (**westernized**) للفايياسانا فإن العمل التنفسي الشامل والتنفس الكمي الخفيف لا يعارض أحدهما الآخر في تعريفهم الخاص للعقل الباطن ولكن يتعارضان في نواياهما المنهجية. فبينما يحدد العمل التنفسي الشامل هدفه بالإستشفاء والتطهير، توفر الفايياسانا مسارا للوضوح. ولذلك فمن المفترض أن كل خطوة باتجاه الوضوح المتزايد ستغطي بصيغ ما مادة لا واعية. لأنه في كل خطوة على الطريق يتكشف فقط ذلك المحتوى الذي يستطيع المشاركون ادراكه وفهمه. وتكون الغاية هي الوعي الذي يكون نقيا قدر الإمكان. ولذلك فإن المادة الجديدة يجب أن تسترجع من العقل الباطن ويسلط عليها الضوء عند كل خطوة. فالأفق يتسع باستمرار وتطفو على السطح تلك الأشياء التي لم يتم التفكير بها من قبل. ولذلك فالمطلوب من المشاركين هو الاستعداد لتتبع هذا المسار وتجاوز المقيدات الموجودة.

وهنا يتضح الإختلاف بين المنهجين فيما يتعلق بعمل النزاع. فالعمل التنفسي الشامل، الذي هو قريب من علاج التنويم المغناطيسي، هو طريقة قوية بينما التنفس الكمي الخفيف هو أداة رئيسة لمنهج الإيقاظ من التنوم المغناطيسي. ولقد أشرت في

السابق إلى العمل التنفسي الشامل كطريقة مفيدة للتعليم وللتحضير لمهمة ميدانية وللإشراف. وإنه قادر على تقوية وتطهير وعي الشخص المساعد. ومن جهة اخرى تمثل الفايبانسا مسارا للتطبيقات التي في اصلها ينشأ قرار شخصي اساسي. انه تقليد قديم يوضح طرقا تأملية قيمة مثل التنفس الكمي الخفيف وطرقا اخرى لعملية الوضوح. أن الفايباسانا والفلسفة اللا ثنائية التي تفتح الطريق لفلسفة تضع السلام في اطار ما وراء عقلانية لم تعد تفهمه كتجربة شخصية أو جماعية خاضعة للتطبيع وانما كحرية من الخوف داخل العلاقات الحادة بين العواطف والمشاعر والمخيلة. وطالما كانت هذه هي الحالة فالفايباسانا هي الهام فلسفي ذو توجه سلمي.

الفصل الرابع

الطرق ذات التوجه الصوتي لتحويل النزاع الاستنباطي

إنّ من الحقائق المثبتة لدينا أن الصوت البشري هو أداة رئيسة لتحويل النزاع بصورة مباشرة. ينشأ النزاع من وجهة نظر المدرسة الحديثة نتيجة المصالح المتضادة لأطراف مختلفة مما يدفعهم إلى اتخاذ مواقف معينة تعبر عن ذلك قبل أن يتم فهم ومناقشة وجهات النظر. كما أن الخدمات التي يعرضها الوسطاء تتطلب ايضا نقاشا وتجاوب حديثٍ للآراء. ان كل لغة حديثة ومنظمة ومعيارية تعتمد تماما على التوظيف الصوتي، حتى لو أن ذلك الصوت سيكتب بعد ذلك أو يدون أو يتم بالإيماءة أو يعبر عنه بأي صيغة أخرى. فمنذ المراحل الأولى لدراسات السلام كانت هذه الأمور التي تبدو واضحة مسألة جدلية ومؤشرا للإختلاف بين المفهوم الأكاديمي لدراسات السلام والمواقف الحديثة التي تصوغ القانون الدولي والعلاقات الدولية.

وبحسب المدرسة البنيوية تعتبر اللغة المنظم الحواري للمعاني. وهذا يعني امتلاك شيء محدد من قبل شخص محدد والذي يحدث قبل أي فعل شخصي واع. ولإعادة صياغة نيتشة (Nietzsche) توصف البنيوية بأنها تعمل على نص لا متحدث له. من هذا المنظار يصبح الموضوع مجرد قصة نحوية[1]. ولذلك تفهم اللغة على أنها شيء يؤثر في وعي الفرد مثل الأنا العليا (superego) الفرويدية [2] وذلك بتحديد الصيغة

(1) ان فكرة ان لا وجود لمسبب للاحداث، ولا وجود لفاعل يقف خلف حصول الاشياء والتي تتميز بصفة بنيوية فوكلتية قد اخذت اصلا من نيتشة Nietzsche (1983), pp. 281–370 حيث يقول بأن الفاعل هو خيال نحوي لا غير. انظر Koppensteiner (2009, p. 103–126)

(2) لقد كان Freud (2001) ايضا متأثرا بنيتشه Nietzsche (1983) pp. 281–370)

التي يأخذها هذا الوعي بدون إجازتها. ولذلك فالتفكير هو وظيفة اللغة وليس العكس. فلو كان صحيحا أن السلام ينشأ عن ويفهم من خلال عقل وفكر البشر فحينها، وحسب مفاهيم البنوية، سيصبح السلام ايضا وظيفة للغة. فالسلام يجب أن ياخذ شكلا لغويا قبل أن يدخل الوعي البشري. يجب أن يتم الحديث عن السلام قبل أن يتحول إلى فكرة. وفي المستويات العالية للمدرسة البنيوية كان هذا الإدعاء موضع نقاش حامي الوطيس بين العديد من الأنظمة المختلفة حيث رفضه البعض بينما تمت توسعته وتعديله من قبل البعض الآخر[1].

آخذين هذا الإطار بنظر الإعتبار فقد تأثرت المدرسة البنيوية كثيرا بإعادة الاكتشاف البنيوي للشخص المدرك وكذلك الجشتالت ونظرية الأنظمة وكل ما سبق المنهج العابر للعقلانية. وبحسب هذه المدارس الفكرية، وخلافا للمتعارف عليه في التفكير الحديث، لا تعتبر الذات الذاتية المدركة الفاعلة مفصولة عن الذات المُدركة وإنما كحد اتصال مغروس في سياق عالمي. وطبقا لذلك فإن طبيعة الشخص تعد تكاملية فبالإضافة إلى كونه كائنا حيا وكاملا بذاته فإنه ايضا جزء من شيء أكبر. ولذلك فإن التوازن البدني الرمزي قد انتقل إلى صلب دراسات السلام وهو الموقع الذي يمكن من خلاله أن يستطيع الشخص، المنشغل بتحول دائمي من أجل تحقيق التوازن، تلبية احتياجاته.

وبعكس التفكير البنيوي فإن الشخص ـ والذي ينظر اليه على أنه حد تواصل يعمل ضمن سياق حقل اهتمامه أو عمله ـ يتمتع بالقدرة والمسؤولية وحرية الاختيار. وبناء على ذلك فإن التأرجح التوازني بين الإبقاء على الشيء وتغييره يتحكم ايضا باللغة[2]. وعليه ومن وجهة النظر العابرة للعقلانية فإن اللغة لا تعمل كأنا عليا أو ككيان يفرض نفسه على الوعي بأسلوب احادي كما هو الحال في البنوية. وبدلا من ذلك فإن الوعي الفردي يغير اللغة من خلال التعابير اللغوية اللا فردية. ومن خلال حلقات التغذية الراجعة للنظام الاجتماعي فإن الفرد يخضع أيضا لإسهاماته في القرار الجماعي في التغيير أو إبقاء الحال على ما هو عليه.

---

(1) Ferrer (2002, pp. 96–111)

(2) للمزيد حول هذه النقطة انظر (Quitmann (1996, pp. 109–111

لقد أضحى علاج اللغة وظيفة للوعي وليس العكس. ومع ذلك ففي التفكير العابر للعقلانية يتوفر الوعي في المعرفة المجتمعية ـ وهذا مشتق من الكلمة اللاتينية (*conscientia*) ـ وليس المعرفة الفردية. ويعزى ذلك إلى كون الوعي ترابطيا وتفاعليا بين أفراد يعملون ضمن مجال تواصلي. وتشير كلمة (conscientia) إلى المفهوم القائل إننا كبشر نختبر العالم، وبضمنه حالات الحرب والسلام، كحدود تواصل نشطة وكذلك من خلال علاقاتنا مع الآخرين وليس كعناصر فردية غير مرئية ومستقلة[1]. إن كلمة (conscientia) تعني أن السلام لا يمكن أن يدرك ويعرف ويعبر عنه الا من خلال التواصل النشط. فالحياة المجتمعية تؤثر في الفرد وفي خياراته على الدوام، سواء كانت تلك التي تتعلق بتغيير أمر ما أو الإبقاء عليه. وهذا المفهوم يضعف الفردية وأخلاقياتها[2].

وفي دراسات السلام المتعدد العابر للعقلانية وعمل تحويل النزاع الاستنباطي لم تعد اللغة مجرد وسيلة للتعبير عن أفكار أو بيانات فردية وشخصية من قبل أطراف النزاع أو الوسطاء. على العكس من ذلك اضحت اللغة هي التعبير عن السياق الاجتماعي الذي تشترك فيه كل الأطراف كل حسب مسؤوليته والذي ينعكس على كل شخص ولكنه أيضا الأمر الذي لايستطيع احد، وبضمنهم عمال السلام، السيطرة عليه أو تعريفه بصورة منفردة. ولذلك قد تكون النية لتجنب الانحياز ممكنة بينما من الصعب تحقيق الحياد الموضوعي.

تعتبر اللغة جزءا من التجربة الفكرية للبشر. ويتحدد الكلام بالمتطلبات البايولوجية للصوت البشري والذي بدوره يستلزم جسدا حيا للمرور من خلاله. وبحسب الباحثون النظريون في السلسلة العظمى (Great Chain)[3] فإن اللغة تستقر في المحيط الفكري (noosphere)، الذي يقصد به المجال المعرفي وتبعا لذلك فهي في المجال الأعلى للحياة البشرية، بينما يستقر الصوت البشري في المحيط الحيوي (biosphere) الابتدائي للحياة البشرية. إن اعتبار اللغة وسيلة تواصل ذات فعالية معرفية هو تعبير

(1) Wilber (2000, p. 49)

(2) Schulz von Thun (2003a, p. 83)

(3) نوقشت بشكل مسهب في Wilber (1995, pp. 11–39) وللمزيد انظر ايضا Ferrer (2002, pp. 83–86)

عن وظيفة واحدة فقط من الوظائف الممكنة للصوت البشري في المجال الحيوي الذي يعد أيضا تعبيرا عن حدود التواصل النشطة. اضافة لذلك فإن الصوت هو احدى الوظائف المتعددة الممكنة للتنفس وكذلك احدى المظاهر الحيوية والمادية للحياة.

يركز هذا الفصل على الطرق اللغوية والصوتية لتحويل النزاع الاستنباطي. ومن الضروري أن لا يتم فهم هذه الطرق حسب المصطلحات الحديثة أو الميكانيكية أو الوصفية وإنما على أنها مضمنة في سياق نظامي لمفاهيم السلام التحويلية. ولذلك سأناقش الطرق اللغوية والصوتية بعد مناقشة الطرق المعتمدة على التنفس وسأوضح الروابط بينهما. وحسب الفهم ما وراء العقلاني ينظر إلى الطرق الوصفية والحديثة للعلوم الاجتماعية، والتي تعتبر اللغة مجرد وسيلة عقلانية للتواصل، على أنها غير كافية. إن خطر الخلط بين تقليدين مختلفين يمكن تمييزه في هذه المسألة بسبب أن الناس تتصور أنها تمتلك وتفهم اللغة والكلام. اذ أن الاعتماد على هكذا أفتراضات والتي قد تبدو طبيعية أو أساسية سيولد الإرباك حتما. ولذلك فإني سأركز وأشدد على الإختلاف بين كل من النظرة ما وراء العقلانية ونظرة العلم الاجتماعي الحديث للغة.

4. 1 التواصل اللاعنفي

يجمع برنامج إنسبروك (Innsbruck) لدراسات السلام طلبة من كل أنحاء العالم ومن خلفيات ثقافية واجتماعية وأكاديمية متنوعة. وفي اليوم الأول من الفصل الدراسي يتم تعريفهم بطريقة مارشال ب. روزنبيرغ (Rosenberg) للتواصل اللاعنفي. والغرض من هذا التمرين هو لتزويد مجموعة معينة من الطلبة، والذين يفهمون أنهم يشكلون نظاما، بوسيلة التواصل المناسبة للمؤسسة المؤقتة لهذا النظام. ويتلاءم نموذج مارشال روزنبرغ مع هذا الغرض طالما أنه يمكن التواصل به بسرعة وبيسر بلغة الخبرات.

إن فهم الطريقة بصعوبتها الفلسفية الكاملة أصبح أمرا ملحا. ولأنه موضوع معرفي فإن التواصل اللاعنفي يدرس في صفوف منفصلة. ولأنه ممارسة تطبيقية في كل من التعليم والتعلم فإنه يطبق على امتداد الفصل الدراسي. وتتطابق فلسفة برنامج روزنبرغ مع مفهوم روزنبرغ النظري للتواصل اللاعنفي. ولن يغدو هذا الأمر مستغربا اذا علمنا

ان روزنبرغ كان تلميذاً لكارل روجرز[1] وإنه يعتمد في طروحاته على مفكرين رواد مثل غاندي وكريشناموراتي بالإضافة إلى إبراهام ماسلو ومارتن بوبر وكن ويبلر وجوزيف كامبل الذين أثروا في توجهات برنامج روزنبرغ. ورونبرغ هو أحد ممارسي مفهوم السلام المتعدد العابر للعقلانية ويمثل طريقة معينة لتحويل النزاع.

ولد مارشال ب. روزنبرغ في كانتون في أوهايو في عام 1934 وهو طفل لعائلة مهاجرة روسية ـ يهودية. ولقد نشأ روزنبرغ في ديترويت وكان عرضة للتمييز العنصري الذي عانى منه الآخرون من حملة الهوية نفسها في ذلك الوقت وبضمنهم من استقر في الولايات المتحدة. ولقد دفعته هذه التجربة المكونة إلى الانضمام لحركة الحقوق المدنية في أوائل ستينيات القرن المنصرم. وبينما كان يسعى لتطوير الخبرة السياسية في الحركة فقد درس في جامعة وسكونسن التي حصل منها على شهادة الدكتوراه في علم النفس في عام 1969[2]. وعمل كوسيط في بيئات مجتمعية وتعليمية عديدة قبل أن يطور طريقة التواصل اللاعنفي. وقد شهد عام 1984 انشاء مركز التواصل اللا عنفي في شيرمان في ولاية تكساس الذي تحول إلى أماكن أخرى في مناسبات عديدة وفيه أعطيت دروس ومنحت شهادات لمئات المتدربين من مختلف أرجاء المعمورة[3].

لقد تشكل منهج رزنبرغ في البداية بواسطة التفكير البنيوي السائد خلال سنوات تدريبه والمعتمد على فرضية اساسية مفادها أن وعي الفرد يتحدد بما يتنطق به. وكان تمييزه بين لغة الزرافة ولغة ابن آوى التي عكست هذا التفكير قد أسهم كثيرا في شهرته على نطاق يتعدى منهجه[4]. لقد قدم روزنبرغ لغة الزرافة على أنها لغة تخرج من القلب وتمكن الإتصال الواعي مع الشخص نفسه وكذلك مع مشاعر الآخرين واحتياجاتهم. وكان توظيف روزنبرغ لاستعارة الزرافة معتمدا على الرأي القائل بأنها تمتلك القلب الأكبر بين الحيوانات البرية. بينما تشكلت لغة ابن آوى من المخاوف الباطنية وحرمان مشاعر وحاجات النفس والآخرين. وسيركز هذا الفصل على المعنى الأعمق لهاتين

(1) Rosenberg (2004b, p. 5)

(2) Rosenberg (2003, p. 222)

(3) Rosenberg (11 September 2009)

(4) Rosenberg (2004a, p. 28)

اللغتين واستخدامهما التطبيقي. ومثلما حصل مع التقنيات المعتمدة على التنفس التي نوقشت سابقا، يتعلق التواصل اللاعنفي بأسئلة العقل الواعي والباطن. ولذلك تقدم لنا طريقة روزنبرغ مسارا يقودنا من لغة ابن آوى النمطية إلى لغة الزرافة:

- الجهل الباطني: أنا لا أعلم بأني لا أتواصل لاعنفيا.
- الجهل الواعي: أنا أعلم بأني لا أتواصل لاعنفيا لكني ايضا غير قادر أو غير راغب بتغيير ذلك.
- المعرفة الواعية: أنا أعلم بأني أتواصل لاعنفيا.
- المعرفة الباطنية: أنا لم أعد افكر بذلك لكني أعلم بأني أتواصل لاعنفيا وكذلك كيف أقوم بذلك.

وهذه هي القواعد التي يستند عليها تعليم روزنبرغ. فبالإضافة إلى الإفتراض البنيوي بأن اللغة تشكل وعينا، وتبعا لذلك، علاقاتنا مع الآخرين، إعتمد روزنبرغ على الثنائية بين لغة الزرافة القائمة على تأكيد الحياة ولغة ابن آوى القائمة على حرمان الحياة. أنا أرى أنه من الضروري الإشارة لهذا الاساس البنيوي لأن البناء المنهجي القائم عليه يؤدي إلى استنتاجات مختلفة.

وحسب المفهوم المنهجي فإن روزنبرغ يعتمد على نظريات وطرق العلاج الحواري لكارل روجرز والمرتكزة على الزبون وكذلك المنهج النظامي لعلم النفس الإنساني. ولذلك فهو يعطي قيمة كبيرة لنوعية العلاقة بين المتحدثين حول المحصلة المادية للمحادثة. إن لغة الزرافة[1] لم تكن الغاية وإنما طريقة مقترحة لتطوير تحسس الشخص في موقف تحاوري. وقد كانت رغبة روزنبرغ ان يجعلها طريق مفهومة وعملية موجهة ممكن تطويعها لموقف معين ولم تكن رغبته أن تكون حلا. فهو يرى أنها غير محكومة بثقافة أو لغة معينة. كان جل همّه رؤية المتحاورين وقد نجحوا في

(1) الاتصال اللاعنفي او الاتصال الرحيم او الاتصال التعاوني: هو عملية اتصال وضعها مارشال روزنبيرغ في بداية الستينات من القرن العشرين تركز على ثلاثة جوانب من التواصل؛ التعاطف الذاتي وهو الوعي العميق والرحيم للتجربة الداخلية الخاصة، والتعاطف وهو فهم القلب الذي يرى الجمال في الشخص الاخر، والتعبير الذاتي الصادق وهو تعبير عن الذات بشكل حقيقي بطريقة يحتمل ان تلهم التعاطف عند الاخرين.

خلق ترابط قلبي طبيعي وأصيل. ولذلك وظف رزنبرغ مبدأ روجرز العلاجي للسمع الفعال كجزء اساسي لنظريته في التواصل وممارستها التحولية.

وهكذا فإن مبدأ السمع الفعال يجعل له رابطة مع القاعدة البنيوية ويشير إلى انتقالة عن ما كان في البدء طريقة مابعد بنيوية (poststructuralist) ومن ثم، كما آمل أن أبين، طريقة عابرة للعقلانية. وبحسب ما ذكر أعلاه فإن الانقسام بين لغة ابن آوى وبين لغة الزرافة لم يعد بين السيء والجيد كما أن الطريقة لا يفترض بها أن تفهم على أنها احادية الإتجاه. فكما أكد روزنبرغ مرات عدة بأن التواصل اللاعنفي لايتحدث عن الثنائية ولكن عن علاقات متبادلة شاملة للجسم. وتبعا لهذه النظرة الشاملة فإن التواصل البشري يمكن تعديله بطرق تحويل ردود الأفعال الباطنية والمعتادة والأوتوماتيكية إلى ردود واعية راسخة في ادراك المتحاورين فيما يلاحظونه ويشعرون به ويحتاجونه. وهذه التوصية مشابهه لتوصيات أخرى من قبل بوبر ومورينو وبيرلز وغروف وكابال. ومقتبسا من كلام غاندي قام روزنبرغ بدعوة الناس أن يصبحوا التغيير الذي يرغبونا برؤيته في العالم[1]. ومثل الكثيرين غيره من الشخصيات الأولى في علم النفس الإنساني فقد أخذ رونبرغ من كريشناموراتي الذي يعود له الفضل الكبير لوجود تأثير الطاوية والتانترا والزن وعناصر اخرى من التعاليم الشرقية في تفكير روزنبرغ. ولذلك يؤكد روزنبرغ بأنه لم يبتكر شيئا جديدا وإنما اعتمد على حكمة الثقافات التي اختفت من ذاكرة المدنية[2].

من هذا يتبين بأن فلسفة روزنبرغ ليست محكومة بمقيدات سياسية أو دينية أوثقافية معينة. على العكس فإن فلسفته كانت تأكيدا على الحياة. في الواقع، ينظر روزنبرغ للتواصل اللاعنفي على أنه الوسيلة التي من خلالها يستطيع المرء أن يقهر التكييف الثقافي[3]. وبدون شك فإن تطبيقه يعتمد على تعلق بالقيم الروحية التي تقدم معنى قويا لتقنيات التواصل اللاعنفي. يريد روزنبرغ أن يقدم موقفا مؤكدا تجاه الحياة وهو موقف ذو اساس روحاني. تعني الحياة لروزنبرغ المبدأ الأسمى وقد كان المعنى

(1) Rosenberg (2003, p. 129)

(2) Rosenberg (2003, p. 3)

(3) Rosenberg (2004b, p. 11)

الأعمق لعمله هو الإحتفاء بالحياة والرقص معها[1] وجعلها أكثر جمالا. وبسبب تأثره بكريشناموراتي عرف روزنبرغ ما يطلق عليه «الحياة» بأنها طاقة سماوية محبوبة:

> أنا أعرف الطاقة السماوية المحبوبة عن طريق الإرتباط مع البشر بطريقة محددة. أنا لست فقط أرى الطاقة السماوية وانما أتذوق الطاقة السماوية وأشعر بالطاقة السماوية وأنا هو الطاقة السماوية. أنا مرتبط بالطاقة السماوية المحبوبة عندما أرتبط بالبشر بهذه الطريقة[2].

وهذا التصريح ينم عن نظرة عالمية حيوية مثالية في التطبيق الواعي للصمت الذي يظهر روزنبرغ كممثل للمفهوم العابر للعقلانية. وبالإشارة إلى العالم اللاهوتي وولتر وينك (Walter Wink)[3] فإنه قد اجتنب وبوضوح الوحدانية الأبوية وثنائية التعاليم الأخلاقية للسلام. وهو يتباكى على الألفية التي فصلت فيها هذه التعاليم الناس عن طبيعتهم العاطفية وكيفتهم لتجربة العنف باعتباره شيئا ممتعا. وطبقا لروزنبرغ فإن ميثولوجيا القاعدة تتطلب لغة محددة، وهذا يعني لغة تجرد الناس من إنسانيتهم وتشكلهم كأشياء ـ التي من خلالها يتعلم الناس أن يفكروا بأنفسهم بمعايير أخلاقية. إن المجاميع الثنائية مثل الصحيح والخطأ والجيد والسيء والأنانية والإيثارية بدأت تسيطر على تفكيرنا وهي تفعل ذلك بالترادف مع مفهوم عدالة يقترح أن بعض الناس تستحق قدرا معينا: أي أنهم يجب أن يعاقبوا عندما يفعلون شيئا سيئا ويكافأوا عندما يفعلون خيرا.

لقد اعتمد مارشال روزنبرغ على وولتر وينك في الاستنتاج بأن المستوى المفرط للعنف في مجتمعاتنا لايعزى كثيرا للصدامات المادية للمصالح وإنما للأخلاقية الثنائية (كما فعلت أنا في الجزء السابق[4] عندما اعتمدت على كارل جاسبرز [Karl Jaspers]). ولن ينبعث أي موقف ليبرالي شخصيا أو سياسيا طالما وجدت أفكار الخطيئة والخطيئة الأولى وتتطورت من خلال الأفكار الباطنية للروح وحقول الأفكار

(1) "الرقص بحيوية" او "الرقص مع الحياة" هو عنوان اغنية بسيطة كتبها مارشال روزنبيرغ وكان يغنيها في معظم الاحيان في محاضراته.

(2) Rosenberg (2004a, p. 3)

(3) Wink (1992)

(4) Dietrich (2012, pp. 65–115)

وأنماط الكلام. ومن ناحية اخرى فإن التحرر الجذري من الأنماط المجتمعية والدينية والمعايير سيسبب عنفا أكبر مالم يتم من خلال اعتبار واعٍ لنوايا البشر وضغوطهم الداخلية ونواياهم تجاه الآخرين[1].

ومن خلال هذا النقد الأصولي للمفهوم الأخلاقي للسلام نفذ روزنبرغ من مفهوم الحداثة وعقلانيتها الثنائية، وضمن طريقته ما بعد الحداثوية في الإطار العابر للعقلانية للمفهوم الروحي للحياة. وهنا يشير التعلق بالقيم الروحية إلى طاقة سماوية وليس إلى أي مفهوم متعلق بالربوبية. ولذلك فالتواصل اللاعنفي هو دمج عابر للعقلانية واع للأفكار واللغة والتواصل الذي يقصد منه جعل الناس اقرب لطبيعتهم الحيوية، ومن خلال ذلك، إلى *طبيعتهم* السماوية. وقد كان روزنبرغ مقتنعا بأن المساهمة في رفاهية الآخرين حاجة انسانية اساسية وقوية. وبالنسبة له فإن المتعة المشتركة بالحياة ـ التي هي تعبير عن «الطاقة السماوية المحبوبة» ـ هي الأسمى من كل المبادئ[2].

وفي هذه النظرة العالمية العابرة للعقلانية لخص روزنبرغ طريقته للتواصل اللاعنفي التي توجهها الرغبة بتحرير اللغة (باعتبارها الشيء المحتال في افكارنا) من ثنائيات القيم ومنفذيها: وهي الصيغ ذات الدلالة اللفظيةلـ «من الواجب أن» «يجب أن». وهو يعتبر «يجب أن» على أنها واحدة من العبارات الأكثر خطورة التي أنتجتها البشرية[3]. ولقد اقترح روزنبرغ مراقبة الذات بأنها الطريقة الأساسية لقهر ذلك: «راقب نفسك: ـ ماهو الشيء الحي فيك؟ كيف يمكن أن تتطور نوعية حياتك الخاصة؟ ما الذي يمكن أن يغني حياتك؟» [4]ولكن هذه الأسئلة لا تعني أن روزنبرغ يؤمن بالذاتانية أو الأنانية الصريحة لأنه يرى المتعة في العطاء والأخذ باعتبارها ميزة بشرية ضرورية. وطبقا لذلك فإن نوعية الحياة لا تزداد بامتلاك طاقة أكبر أو اشياء أكثر وإنما بالاختبار الواعي والعملية المتزنة والمترابطة للعطاء والأخذ[5].

---

(1) يمكن ايجاد منهج مشابه في(Heinrichs (2004, pp. 29–30

(2) Rosenberg (2004b, pp. 5 and 29 - 30)

(3) Rosenberg (2004a, p. 19)

(4) Rosenberg (2004a, p. 12); transl. W.S

(5) Rosenberg (2003, p. 1)

إن فن التواصل اللاعنفي يبدأ بالإجابة عن الأسئلة السابقة والمتعلقة بالطبيعة الديناميكية للفرد والتحسين الاختياري لنوعية حياة الفرد وفعل ذلك بأمانة ودون إتهام النفس أو الحكم عليها. لقد أخذ روزنبرغ مفهوم مراقبة النفس اللاحكمي (nonjudgmental (self) observation) من كريشناموراتي [1]، وبصورة اعمق من تأمل الفياباسانا vipassana، اذ انه وافق على أعتبار مراقبة النفس اللاحكمي (او بمعنى اخر عدم اصدار الحكم المسبق)[2] هي مؤشر على اعلى مستويات الذكاء. ولكن عندما نأخذ بالاعتبار ان الفلسفة الثنائية المعايير قد فرضت لآلاف السنين فإن تطبيق هذا الذكاء ليس سهلا[3]. لقد أوصى روزنبرغ بترجمة النقد الذاتي إلى تعبيرات عن مشاعر الشخص واحتياجاته غير المشبعة التي تتجلى بخسارات واضحة وأفعال غير مثمرة. إن مشاعر الحزن والنكد والمحكومة بالظهور لا يجب أن يكون الرد عليها باللجوء إلى مراقبة النفس وإنما بانتهاج بداية جديدة خلاقة تسمح بالإشباع الديناميكي للحاجات. وعادة يتبع الحزن بالعفو عن النفس وكلاهما ينتجان صورة نهائية بينما يخلقان فرصا جديدية لحدث متأصل في الرغبة البسيطة في المساهمة بالحياة. وحالما ينتهي الحزن والعفو لن يكون هنالك خوف أو خجل أو ذنب أو الزام يؤدي إلى خطوة لاحقة بل ستكون هنالك صراحة وحرية كأساس لمتعة نقية للحياة. وهذا الأمر يسهل إمكانية أن تتحول المهام الصعبة والعمل الشاق إلى رقصة ممتعة للحياة[4].

إن متطلبات اللا حكم تكشف القاعدة المعقدة لطريقة يكون فيها مستوى المهارة بسيطا جدا. في الفايباسانا تكون المراقبة اللا حكمية هي موقف تأملي يتم اكتسابه بالممارسة المجهدة. وفي الممارسة اليومية لعمل النزاع الذي تم اغناؤه بالتفكير الحديث فإأن موقفا كهذا لا يمكن الوثوق به عند الأطراف المتنازعة. ولذلك فإنه من المهم في ممارسة تحويل النزاع الاستنباطي أن يتعلم عمال النزاع ويفهموا ويضفوا على هذا الموقف صفة ذاتية من خلال التدريب المناسب.

(1) تمت مناقشتها بالتفصيل في Krishnamurti (2002)

(2) Rosenberg (2004a, p. 13)

(3) Rosenberg (2003, p. 133 - 134)

(4) Rosenberg (2003, p. 26)

ولهذا نحن نطبق في انسبروك (Innsbruck) مبدأ «المراقب الداخلي» لكريشناموراتي الذي يتم إثارته في اليوم الأول من البرنامج والذي يطالب به الطلبة على الدوام في تدريباتهم. انه من الأهمية بمكان أن يعمل مفهوم المراقب الداخلي بأسلوب موكد للحياة وبدون الحكم على أو تحليل النفس أو الفرد أو أفعاله. ومالم يطبق بهذه الطريقة فإن المراقب الداخلي قد يتحول وبسرعة إلى مدعي عام داخلي (للناس الآخرين) أو قاض (على النفس) إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار وجود الأنظمة الأبوية (patriarchal) والتلقينية. وبحسب الممارسة التعليمية فإن تمارين التواصل اللاعنفي تكون متطلبة في الكثير من الأحيان وتعد لفصل القاضي الداخلي عن المراقب الداخلي وفصل المراقبة عن اطلاق الأحكام. ويهتم التواصل اللاعنفي بموقف الفرد تجاه حياته. وكانت التوصية التي تلت التواصل اللاعنفي تقضي بأن ينأى الفرد بنفسه عن مفهوم الرقابة على النفس ومعاقبة النفس والإحراج والخجل والذنب بالإضافة إلى البر بالنفس والزهو والإجلال. وبنظر روزنبرغ فإن الرقابة على النفس هو تعبير مأساوي عن الحاجات غير المشبعة. وهي مأساوية بسبب أن اطلاق الأحكام نفسه، وبغض النظر عن نوعه، هو الذي يحجب رؤية كيف سيتم تلبية الحاجات غير المشبعة الذي يعيق تبعا لذلك عملية التوازن الداخلي عند حد الإتصال.

حالما تصبح مراقبة النفس اللا حاكمة موقفا مألوفا فإن الممارسة يمكن أن تشمل الآخرين باتباع مفهوم يعرف بعلاج الجشتالت (gestalt therapy). وما يتم اضافته كتعليق لمفهوم معين أصبحت هي *ما الذي* تم فهمه وليس ما العنوان الذي اضيف له. وطبقا لروزنبرغ فإن تحليل سلوك الآخرين هو تعبير مأساوي آخر عن الحاجات والقيم غير المشبعة من قبل الشخص الذي يحلل والذي بذلك اصبحت مرتدة عليه ومشيرة له كمراقب لنفسه. وباعتبارها عملية ذات توجه لغوي فإن التواصل اللاعنفي يسعى لمنع التعميمات المنقولة أو الساكنة (static) والقائمة على تحديد ماهية شخص ما ويطمح عوضا عن ذلك إلى مشاركة وتوضيح ما تم ادراكه في أية لحظة والمشاعر التي يطلقها وفي أية حاجات تتأصل هذه المشاعر وما الذي تم طلبه لتحقيق التوازن في الحاجات غير المشبعة [1].

(1) Rosenberg (2003, p. 17)

إن التواصل اللاعنفي ليس متحررا كليا عن اطلاق الأحكام. مع ذلك فإنه يفصل وبشكل واضح بين المراقبة وإطلاق الأحكام وكذلك بين أحكام القيمة والأحكام الأخلاقية. ويعرف روزنبرغ أحكام القيمة بأنها معتقدات تعكس كيف يمكن جعل الحياة مثمرة جدا. وأحكام القيمة ضرورية للتعبير وبصورة كافية عن المشاعر والحاجات والطلبات. وهي توفر المعيار الذي يسمح لنا بفهم إن كانت الحياة ستصبح جميلة أكثر إذا ماتم تلبية الحاجات والمطالب.

أما ألأحكام الأخلاقية فهي تصنف الناس الذين لا نشترك معهم في أحكام القيمة. إن الأحكام الأخلاقية تعبر عن فقدان التعاطف مع مشاعر الآخرين وحاجاتهم[1]. فعندما نقول إن شخصا ما سيء أو جيد فما نعنيه حقا هو ان هذا الشخص لا يتصرف بالتوافق مع حاجات الشخص الذي يعطي أحكاما أخلاقية. وحالما يتم التعبير عن ذلك بطريقة منقولة فإن أحكاما أخلاقية كهذه ستعيق انسيابية التواصل[2]. وغالبا ما تقدم الأحكام الأخلاقية بلغة سلبية وازدرائية على الرغم من أن تاثيرها سيكون مشابها لو أنها بدت كاطراء أو مديح أو ثواب. ولهذا فإن ذلك لا يعزى كثيرا إلى الحكم السلبي الذي يجب أن نحرر أنفسنا منه وإنما إلى الحكم الأخلاقي. ولذلك يرى روزنبرغ أن العقوبة والثواب والمديح والرقابة على درجة متساوية في اعاقة التواصل في النظم الأجتماعية.

إن فصل المراقبة عن الحكم قد يكون أكثر صعوبة عندما يتعلق الأمر بالأشخاص والسياقات والمواقف عنه عندما يكون متعلقا بنا. بالرغم من ذلك فإن هذه الممارسة لامناص عنها في عمل النزاع الاستنباطي. ويعبر روزنبرغ عن ذلك بالكلام الحازم التالي:

> في كل مرة نعتقد فيها أن شخصا ما «أحمق» فإننا ندفع مقابل ذلك لأننا نصنع عالما لأنفسنا مملوء بالحمقى. فان اخترت أنا أن أرى الجمال في كل فرد فإني سأعامل نفسي بمحبة أيضا[3].

و باستخدام عبارات أقل شاعرية فإن الآخرين سيقدمون الرأي نفسه بعبارات

---

(1) Rosenberg (2003, p. 132)

(2) Rosenberg (2004a, p. 88)

(3) Rosenberg (2003, pp. 67 - 89)

وإشارات مثل المخيلة الداخلية أوالفانتازية أو الوهم أو مايا [1](maya) أو راوي القصة وهلم جرا ـ والتي يساعدنا ادراكها في تجنب الوقوع في الزلل نتيجة الانقياد لحقائقنا وأحكامنا وحاجاتنا المتخيلة. إن حب الحياة الذي أكد عليه روزنبرغ ـ اي الطاقة السماوية المحبوبة ـ يمكن رؤيتها حالما ترفع الستارة عن الحقائق والأحكام المتخيلة. تعيق هذه الستارة الامتداد العاطفي مع الشخص الآخر الذي هو العامل الأساس في التواصل اللاعنفي. إن التواصل اللاعنفي بين حدود الإتصال في لحظة العمل يحدث في الوقت الراهن ولا يعيق عمله بشدة سوى المفاهيم الحكمية والقصص الإتهامية والحاجات المختلقة.

وطبقا لفهم روزنبرغ فإن القرار المتعلق بنزاع ما لا يعتمد على إيجاد الحل وتطبيقه وإنما في الإتصال بطرف النزاع وخلق عملية يتم فيها التعبير عن حاجات طرفي النزاع كليهما. إنه بالتاكيد هذا الموقف، وليس الحل الفني، الذي سينزع في النهاية فتيل النزاع لأن الآخر لم يعد ينظر اليه كخصم بل كشخص له رأي مختلف ـ أو بحالة سامية كمصدر الهام يقدم وجهات نظر جديدة. وهذا التفكير هو ما تعتمد عليه المهارات البسيطة للصراع اللاعنفي. وهو ماعرفه روزنبرغ بالتعاقب في التسلسل التالي:

- مراقبة لاحكمية لموقف ما؛
- مفهوم ووصف المشاعر المتحررة عن طريقه؛
- التعبير عن الطلب الناتج من هذه الحصافة أو البصيرة؛

يرى روزنبرغ أن التعبير عن المراقبات والمشاعر والحاجات التي تسبق عمل الطلب (request) على أنها حديث مؤكد للحياة. والطلب يعيد ما ظهر سابقا على أنه الفصل بين المراقبة والحكم. فالطلب ليس مشابها للحاجة. فالطلبات المعروضة بلغة واضحة وإيجابية ومحددة وبتوجه عملي تحدد بالتاكيد ما يطلبه الشخص. وهي لا تحدد ما يجب أن يعزف الآخرون عن عمله ولا تهدد باتهامات أو عقوبات أو التخلي عن الحب في حال بقيت الطلبات دون تلبية. إن الطلبات تكون خالية من العقوبات لأنها تبقي الخيار في يدي مستلمها أما بتلبيتها أو لا.

(1) كلمة Maya تعني الوهم في الفلسفة الهندوسية كما انها اسم اخر للالهة الهندوسية Durga.

وبخلاف ذلك تحتوي الحاجة، بوضوح أو ضمنيا، على الزام أخلاقي أو مادي بالقبول والتلبية. والحاجات المبنية على حكم أخلاقي تنتمي إلى هيكلية ساكنة. أما الطلبات، في الجانب الآخر، فهي مبنية على أحكام قيمة نظامية وبذلك فهي تمثل السطح الدلالي اللغوي للتواصل اللاعنفي[1].

لقد طبق روزنبرغ نفس المنطق في تقنية الإصغاء اللاعنفي الذي يتألف من ترجمة البيانات اليومية لأفراد غير مدربين على هيكلية الحديث عند التواصل اللاعنفي والاستماع اليها تبعا لذلك. وقد أوصى روزنبرغ بنفس الهيكلية لمعالجة ما تم الاستماع إليه التي هي الهيكلية التي أوصى بها للمعالجة ما تم التحدث به. وهذا يعني أن المستمع يسأل نفسه: ما الذي قد سمعته بالفعل؟ ما المشاعر التي تطلقها عندي؟ ماهي الحاجات المتأصلة فيها هذه المشاعر؟ ما الذي قد طلب مني؟

ان الإصغاء الفعال الذي عرفه مسبقا كارل روجرز، هو ركيزة اساسية للإصغاء اللا عنفي وهو يشير إلى نوع من الغصغاء غير المقيد بالاستماع. حيث يفرغ المستمع ما بعقله ويستمع بكامل كيانه أو جوارحه. وهذا يعني أن التعصبات والنظريات العلمية والفهم المعرفي وحتى الشفقة هي معرقلات للإصغاء الفعال. فالإصغاء الفعال لا يتعلق بفعل شيء ما أو فهمه أو اختياره أو اصلاحه وإنما هو شيء حاضر بكل اهتمام الشخص وأحاسيسه. ويشير روزنبرغ إلى الاهتمام الذي ينشأ من فراغ العقل على أنه «تعاطف»[2].

إن روزنبرغ مقتنع بأن الاستماع الفعال التعاطفي هو أداة قوية في تحويل النزاع. وهي حلقات تغذية راجعة لنظام ما تمكن المستمع الفعال من تقوية تعاطفه بينما تمكن ايضا المتكلم ذا الوعي الكبير بالنفس وتقلل بذلك التوتر داخل المستمع والمتكلم أيضا. وعندما تقابل مشاعر وحاجات الناس التي تتواصل باعتراف أو تقدير متبادل فمن الصعب رؤية الآخر على أنه وحش. وهذا هو السبب الذي يجعل روزنبرغ ينصح المستمع بالتعاطف مع مشاعر وحاجات المتكلم حتى ـ وخاصة ـ عندما يواجه موقفا

(1) Rosenberg (2003. p. 91)

(2) Rosenberg (2003, p. 8)

غير ودود أو عدوانيا. وطبقا لروزنبرغ فإن ادراك حاجات الآخر يهديء التوتر لدى الشخص ومن بعد ذلك لدى النطاق الحواري أو التواصلي. وفي موقف محتدم عاطفيا، بصورة خاصة، فإن تقنية إعادة الصياغة، والعودة مرة أخرى إلى المتكلم حين يستخدم الشخص كلماته للتعبيرعن ما سمعه، تساعد في ضمان أن ما تم سماعه متطابق مع ما تم قوله مع فسح المجال أمام المتكلم لتصحيح اي سوء فهم ينتج عن ذلك.

قد يصبح التواصل اللا عنفي سهل التنفيذ اذا وعندما يعرف كل المشتركين كيفية تطبيق تقنياته. مع ذلك فإنه يبقى أمرا لا يمكن ضمانه بسهولة. وبالنسبة لعمال النزاع المحترفين على وجه الخصوص فإن ترجمة الرسائل الأحادية والسريعة إلى هيكلية التواصل اللا عنفي يصبح نافعا خاصة عندما لا تتواصل أطراف النزاع لاعنفيا. ولذلك يرى روزنبرغ أن تقنيته قابلة للتطبيق في المواقف الأكثر تنوعا والحديث عن الشراكة والعوائل والمدارس والمؤسسات التعليمية والدبلومسية ونزاعات العمل والأعمال التجارية كحقول مرجحة للتطبيق[1].

إن ترجمة ما تم سمعه عن طريق تطبيق تقنيات التواصل اللاعنفي يحمي ويقوي موقف عامل النزاع ويدعم تحليل السياقات وقد يساعد أطراف النزاع على رؤية ارتباكهم في حقائقهم المتخيلة. لذلك فإن التواصل اللاعنفي هو عنصر لامناص عنه في عدة الطواريء لكل عامل نزاع. وبحسب ملاحظتي فإن ما ذكر سابقا قابل للتطبيق دائما. وبالاضافة لذلك فإن الاستخدام المحترف والعلاجي للتواصل اللاعنفي ممكن فقط عندما يعمل عامل النزاع من موقع وفرة: وأعني به عندما يتلقى العامل تعاطفا كافيا كي يصبح قادرا على العطاء[2]. وفي النهاية فإن الارتباط العميق بين البشر هو المفتاح للتحويل والذي يشير إلى قيمة التواصل اللاعنفي لعمل السلام: فمهما كان الإطار المؤسساتي فإأن الممثلين هم، في النهاية، حدود اتصال في حالة عمل، وهم أيضا بشر ذو قدرات ومحددات تواصلية. وباعتبار أن هذه الطريقة تسهل التفاعل بينهم فإنها تبدو مناسبة للتطبيق.

(1) يتفق هذا مع (Rosenberg (2003, p. 103

(2) Ruth Cohn مقتبس عن(Löhmer and Standhardt (2008, p. 26

إن التواصل اللاعنفي قد اصبح شائعا بمرور الزمن، وعندما ينظر له بطرقا سطحية، فإنه سيعتبر خطأ كترياق تحولي. وقد سبب هذا احباطا وانتقادا في حالات حينما أصبح واضحا أن التواصل اللا عنفي لا يمكن أن يسهل التفاعل في كل الحالات وفي كل سياق. بعض من هذا الانتقاد له اصوله في المنهج الموجه للحل في المدارس الإرشادية (prescriptive) لعمل النزاع ولا ينطبق على الطريقة ذات التوجه العملي مثل التواصل اللاعنفي ـ بالأحرى انها تعبر عن فهم مختلف للنزاع ومنهج مختلف له.

وفي سياق تحويل النزاع الاستنباطي هنالك ملاحظة دقيقة تبدو ذات أهمية كبيرة، أهمية تنبثق من العمل مع نزاعات عنف جسدي، يمكن أن أوكدها من خلال تجربتي في التعاون مع منظمات مشكلة هرميا في ميدان العمل. في المواقف التي يكون فيها بقاء الفرد أو حاجاته الأساسية مهددا بسبب العنف فإن التواصل اللاعنفي لا يعمل بسرعة كافية وهذا يمثل عقبة بوجه العمليات الداخلية لتحقيق الإجماع واتخاذ القرار. إن محاولات تطوير تحقيق الإجماع الديمقراطي كثيرا ما تفضي إلى تأخيرات مأساوية وفي النهاية إلى فشل جماعي.

مع ذلك فإن هذا الإقرار لا يغفل عن الاستنتاج بأن التواصل اللاعنفي غير مناسب في سياقات كهذه. إن ماهو جدير بالأهمية هنا هو توقيت واستيعاب تقنيات التواصل اللاعنفي. إن التدرجات الهرمية مثل تلك الموجودة في الجيوش والمؤسسات شبه العسكرية ستهدف دائما لتحقيق الكفاءة القصوى وليس من أجل الإجماع الممكن الأكبر. فالضابط لا يستطيع ويجب أن لا يطبق طريقة التواصل اللا عنفي مع شخص أدنى منه منزلة في موقف ميداني لأن ذلك سوف يضعف نموذج التواصل الهرمي للمنظمة.

وبطريقة مماثلة أيضا، فإنه من غير المنطقي أن تطبق هذه الطريقة في مواقف مدنية تكون فيها السرعة والكفاءة القصوى مطلوبة بحالة ملحة أو طارئة. وبالرغم من ذلك فإن فريقا ما سيعمل بصورة كفوءة جدا في حالات الطواريء عندما تكون عمليات التوضيح الخاصة بالفريق وبالمهمة قد نفذت في وقت مسبق وأن التعاطف المتبادل قد تأسس بين أفراد الفريق المكلف بمهمة ما. وهذا يضمن بأن القرارات مدعومة باعتقاد متبادل وليس بسبب فقدان البدائل أو بسبب الفهم غير الكافي. ولذلك فإن

التواصل اللاعنفي مفيد في النقاشات التي تعنى بالتوضيح والتخطيط عند توفر الوقت الكافي لذلك.

بالإضافة لذلك فإني قد لاحظت مواقف كان تطبيق التواصل اللا عنفي في سياقات مدنية له الأثرعلى الزملاء العسكريين. من حيث المبدأ، فإن الطريقة ستدعم عمل الفريق والعمليات عندهم اذا طبقت في اللحظة المناسبة واذا كانت اللغة مكيفة مع الموقف والغايات. مع ذلك فإن التحضير لهذا النوع من ثقافة الحوار سيكون له أثر عميق على الصورة الشخصية الهرمية لهذه المؤسسات. أنها تمثل تحديا من حيث الشفافية المطلوبة والتسامح المؤسساتي للانتقاد وبناء على ذلك لوجهة النظر التي تفيد أن القادة يجب أن لا يستجوبوا. وفي المنشآت الشبه العسكرية ذات المهام المدنية، مثل الصليب الأحمر وأقسام الإطفاء، فإن الحوار اللا عنفي قد يكون سهل الفهم فيها من المنشآت العسكرية التي تتطلب السيطرة على الجنود اثناء الإشتباك.

2. 4 التفاعل التبادلي الموجه موضوعيا (Centered Interaction ـ Theme)

يواجه التواصل اللاعنفي مقيدات منطقية ووظائفية في التطبيق حيث تنفذ القوة، بشكل هادف أو عن قصد، في سياق مؤسسات استبدادية مكرسة للكفاءة ومفاهيم الأمن العام. وعلى النقيض من ذلك يركز التفاعل التبادلي الموجه موضوعيا لروث كوهن (Ruth Cohin) على القوة في المجموعات وعلى تأثيرالبيئة الحالية. وبالرغم من أن التفاعل التبادلي الموجه موضوعيا، مثل التواصل اللاعنفي، هو تطبيق عملي لعلم النفس الإنساني الا أن هنالك العديد من الإختلافات الجوهرية بين كلا المدرستين التي تعود معظمها إلى قضايا القوة والتنظيم في العمليات التواصلية.

تعتبر روث كوهن، المولودة في 1912، واحدا من الأصوات المهمة جدا في علم النفس الأنساني. ومثل العديد من الممثلين لعلم النفس الإنساني فإن عائلتها ذات خلفية المانية ـ يهودية ويتأثرعملها كثيرا بتجربتها الشخصية لموضوع الهولوكوست، ورحلتها كلاجئة تعيش مغتربة في أميركا. وبخلاف معظم الشخصيات من الجيل المؤسس فهي لم ترتبط بمختبرات االعمل التجريبي في كاليفورنيا مثل إيسالين وبالو التو. فروث ليست ثورية:

> أنا أومن بالاشتراكية ولكن ليس بالعنف ودكتاتورية الطبقة العاملة. لقد أعتقدت حينها، ولازلت أعتقد حتى اليوم، أن الثورات التي تغير الأوضاع الأقتصادية والسياسية، وليس الناس ومواقفهم، قد تحدث انعكاسا بين الأعلى والأسفل، لكنها تفشل في معالجة الفقر والاستبداد. ولذلك فما يتغير هو أسماء الجناة المسؤولين عن العنف وليس ظواهرالعنف والعجز[1].

ومقارنة مع بيراس وروجرز وكروف وماسلو تمثل كوهن خطا معتدلا لعلم النفس الإنساني للساحل الشرقي[2]. وفي أوائل سبعينيات القرن الماضي عادت كوهن إلى أوربا. وبحسب عمرها وعملها فهي تنتمي إلى المؤلفين الشباب لجيل الرواد. ومنذ عام 1966 فصاعدا، وخلال فترة عملها المتميزة جدا، فإنها، مثل مارشال روزنبرغ، كانت قادرة على الاستفادة من طرق ونتائج زملائها الأكبر عمرا الذين تعرفهم شخصيا. ويتمثل اسهامها في علم النفس البشري في تطويرها منهجا تعليميا يضع أهمية متساوية على العلاقات والمشاكل الواقعية. إن العديد من مفاهيم كوهن هي مستقاة من التحليل النفسي (psychoanalysis) والمسرح النفسي (psychodrama) وعلاج الجشتالت وعلاج كارل روجرز للمحاورة غير المباشرة. إن تطويرها لمنهج براغماتي للعمل مع هكذا مفاهيم كان مؤثرا وميزها كسلف بارز لطرق تحويل النزاع الاستنباطي.

إن الأهتمام الأساسي للتفاعل التبادلي الموجه موضوعيا هو التواصل الشامل الذي يحفز القدرة البنائية والاستشفائية في الشخص. وينبع هذا المفهوم من تجارب التعلم المجتمعي لكنه يمكن نقله وبسهولة إلى مجموعة من تشكيلات النزاع المرتبطة بالمجتمع والموجودة في الحياة «الحقيقية». والمهم هنا ليس العملية العلاجية للمشاكل الشخصية وإنما خلق ادراك للخيارات المرتبطة بمشاكل محددة في اوساط أخرى تعمل بفعالية. وكالمعتاد في علم النفس اللإنساني فإن السؤال الأساسي هو: ما الذي يوجد في هذه اللحظة؟ وليس لماذا يوجد في هذه اللحظة؟

---

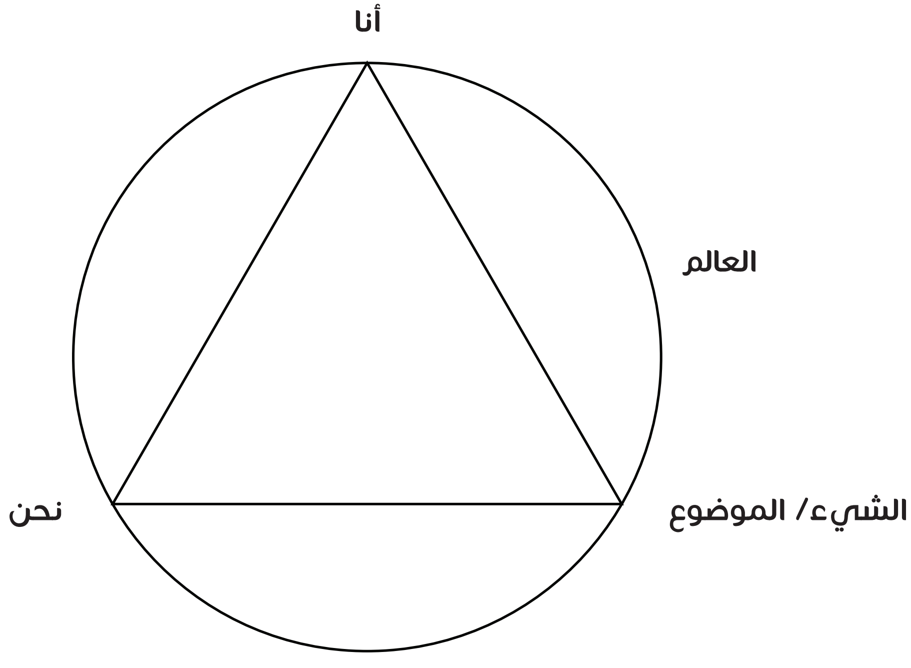
(1) يذكر كوهن تفاصيل اختلافها عن بيرلز بالتفصل في كتابها العام 1973 essay Die Erlebnistherapien — Autismus oder Autonomie?

(2) مؤسسة روث كوهن (Ruth Cohn Institut (17 March 2009

تتبنى كوهن منهجا ارتباطيا صارما في تواصل المجموعة وتمثل توازنا بين العناصر الواقعية والمرتبطةبـ صيغة مثلث:

- *أنا* كشخص يواجه الموضوع والآخرين؛
- *نحن* أعضاء المجموعة الذين أصبحوا مجموعة من خلال مواجهتهم للموضوع وبتفاعلهم بينهم؛
- *الشيء* وهو الموضوع التي تعمل عليه المجموعة.

حيث يحاط المثلث بمنطقة يطلق عليهابـ*العالم* (*globe*) التي تؤثر في العمل بصورة مباشرة أو غير مباشرة[1].



***الشكل 4.1* مثلث كوهن**

إضافة لذلك طورت كوهن ثلاث بديهيات وفرضيتين وتسعة أدلة مساعدة أثرت

(1)اكثر وضوحا من كوهن نفسها، فأن بديهياتها وفرضياتها قد شرحت في Löhmer/Standhardt (2008, pp. 34–78)

في تحويل النزاع الاستنباطي[1]. تختص البديهية الأولى بالوجودي والأنثروبولجي وتقترح أن البشرية هي وحدات نفسية بيولوجية ولذلك فهي جزء من الكون. وهي لذلك مستقلة ومعتمدة معا. إن التفاعل بين الإستقلالية والإعتمادية ـ أو الترابطية ـ هو عامل وجودي للبشر. ويزداد استقلال الفرد من خلال ادراكه أنه مرتبط بكل شخص وبكل شيء. وكلما زاد تشخيص الفرد أو فهمه لاعتماده على ظروف خارجية وأنماط ومواقف داخلية، عظمت حريته في الاختيار. فليس هنالك مصادفات أو حوادث معزولة. فالأحداث والاختيارات تكيف بعضها البعض في الماضي والحاضر والمستقبل.

وتتعلق البديهية الثانية بالأخلاقي والاجتماعي؛ وهنا تظهر كوهن توقيرها لكل الكائنات الحية. وبذلك فهي تشابه كل من كارك روجرز وإبراهام ماسلو. وهذه البديهية تنسجم أيضا مع الروحانية ما وراء العقلانيةلـ مارشال روزنبرغ وتميزه بين لغة تأكيد الحياة ولغة حرمان الحياة. مع ذلك فقد توصلت كوهن لاستنتاجات مختلفة. فهي تعتبر أن الحياة هي صنو للنمو. وبينما تعتمد لغتها الرسمية على مبادئ نظرية الأنظمة الا أن آداب قيمها (ethics) ثورية وخطية بالمعنى الأخلاقي والحديث ولذلك فهي بنيوية ضمنيا. وبحسب قيمها فإن الإحترام المتزمت للتطور البشري يتطلب بالضرورة اختيارات أخلاقية. فكل ما هو بشري ذو قيمة بينما يكون غير البشري خطرا وبلا قيمة.

وبينما يسعى مارشال روزنبرغ، ومن خلال التواصل اللاعنفي، إلى خلق وعي من الحكم الأخلاقي وأن يبقي اللغة متحررة منه فإن الإحاطة البنيوية في علم المعرفة ما وراء العقلاني عند كوهن تتطلب حكما كهذا. وهنا سنرى الظاهرة التي اشرت أنا لها في المقدمة: وأعني بها التوتر الأساسي بين البنيوية والما وراء عقلانية. وعلى غرار كين ويلبر[2] (Ken Wilber) فكوهن مفكر ماوراء عقلاني لكنها تعتمد خطا بنيويا في تفكيرها في جوهر واحدة من بديهياتها.

تتضمن سيرة كوهن توضيحا لبيانها (المحشو لفظيا نوعا ما) بأن البشري ذو قيمة

(1) حول هذه المسألة انظر نقد Wilber in Ferrer (2002, pp. 83–86) الذي تم ذكره مسبقا.

(2) Cohn (2004, p. 109) transl. W.S.

ولا قيمة لغير البشري. فالقول يعبر عن تجربتها مع الاشتراكية القومية (النازية) التي حسب ما تعتقد هي نتيجة فقدان القيم الأخلاقية والإنسانية. وهناك اسباب مقنعة توضح لمَ كان جيلها منشغلا بقضية فيما اذا كانت الاشتراكية القومية هي الارتداد للبربرية ما قبل الحداثة أم كانت تعبيرا همجيا عن حداثة غير منجزة. وقد قاد هذا الأمر كوهن إلى الإصرار في الحديث على التوجه الأخلاقي ـ الاجتماعي، وهو التوجه الذي يمكن أن يجابه المخاطر النووية والبيئية في عهدها. وبالرغم من هذه الأخلاقيات الحديثة فإنها كانت مناهضة لهيمنة، من وجهة النظر الغربية، الفكر والعقل على المشاعر والجسد. مع ذلك، فقد نأت كوهن بنفسها عن تغليب العاطفة على العقل، وهي نزعة تعزيها كوهن إلى الميول العاطفية «للعهد الجديد» في ثقافة ستينيات القرن الماضي:

> إن المعرفة بدون احترام الناس ستؤدي إلى غرف الإعدام بالغاز ومصانع النابالم. والإنسانية بدون معرفة تكون غير قادرة على خبز الخبز وبناء البيوت والمستشفيات والمدارس وشفاء العظام المكسورة والنفوس المجروحة[1].

وتعتقد كوهن أن الاستهزاء بالمعرفة والفكر لا يقلّ تدميرية عن عدم احترام العاطفة والروحانية. ما يهم هو التوازن بين الإثنين لأنها تعتقد أن كلا من العقلانية والروحانية مفيد وشافٍ.

إن البديهية الثالثة، التي هي ذات طبيعة براغماتية وسياسية، تشير إلى أن القرارات ستتخذ بحرية عندما لا تتأثر بالمقيدات الداخلية والخارجية. قد يبدو هذا للوهلة الأولى بأنه تفكير بنيوي. مع ذلك فإنه يفهم بطريقة نظامية. وهذا يعني أن ادراك الاستقلال العالمي هو أصل المسؤولية البشرية. وتعتقد كوهن أن حرية الاختيار عند البشر الأصحاء والأذكياء والذين ينعمون بالأمن والناضجين فكريا تكون أكبر من تلك التي عند البشر المرضى وغير المتعلمين والفقراء وغيرالناضجين. وقد لخصت هذه الفكرة كمايلي: «أنا لست قوية بالمرة وأنا لست ضعيفة وإنما أنا قوية جزئيا. »[2]وعلى خطى سري أوربيندو (Sri Aurobindo) تعتقد كوهن أن الوسائل المتاحة للفرد تزداد

(1) Cohn (2004, p. 205) transl. W.S.

(2) Löhmer and Standhardt (2008, p. 42)

بالتناغم من أفعاله. ومن هنا كان اصرارها بأن يقر الشخص بأن «الحقيقة» هي السلطة الأعلى وليس العقيدة. إن وجهة النظر هذه تعكس التمييز الواعي، والمعروف من علم نفس الجشتالت، بين إدراك الشخص للحقيقة وبين مفهوم الفرد عن العالم. وبالنسبة لكوهن فإن هذا التمييز ليس جازما وإنما محدد بالنشاط الاجتماعي للفرد الذي يعمل كنوع من الأنا العليا.

ومن خلال هذه البديهيات الثلاث استنتجت كوهن فرضيتين تتعلقان بالتناقض البشري للحرية المشروطة:

- كن رئيس الفريق لنفسك
- الازعاجات لها أولويات

وتبين الفرضية الأولى أن أي منفذ أو فاعل لعمل والذي هو مدرك لحقائقه الداخلية (أنا) وللبيئة (العالم) وضمن موقف نزاع ارتباطي (نحن) أو مدفوع بفائدة (الشيء) يستطيع أن يقرأ كل تحدٍّ على أنه دعوة لاتخاذ قرار بحرية وللعمل بمسؤولية من أجل نفسه والآخرين. وعند التأمل بالاختيارات، سيواجه الشخص القرار الحكيم: «أعشقه، اتركه، بدله» ويجب عليه الثبات على قراره سواء اتخذه عن عمل أو لا مبالاة[1].

وتبين الفرضية الثانية، وطبقا للارتباط الكوني لكل الموجودات، بأنه ليس هنالك مصادفات ولا نطاق خارجي. ولذلك فإن التصدعات في النظام الاجتماعي، سواء كانت تلك الناتجة عن أنا أو نحن أو الموضوع أو البيئة يجب أن تكون لها أولويات دائما. وهذا يعني أنه يجب إعطاء الأولوية لتحويل الطاقة المقلقة وإلا فإن التدفق التالي للنظام بأكمله سوف يتعطل[2].

وتوضح الفرضية الثانية علاقة مصدر الفرضية الأولى. فبينما يكون المدير مسؤولا عن نفسه وحرا في اختيار مصالحه وعلاقاته وبيئته الا أنه ليس بموقع السيطرة التامة على الأمر. لإنه بإمكان أي شخص إحداث تأثير جزئي. وباعتبارالمجاميع البشرية أنظمة اجتماعية حية فإنه لا يمكن توجيهها بنمط خطي ولكن يمكن تغيير هذه الأنظمة

(1) Cohn (2004 pp. 120–123)

(2) Cohn (2004, pp.124–¬128)

مبدئيا من خلال حافز داخلي أو تأثير خارجي. بالإضافة إلى المقوضات الخارجية التي ذكرت آنفا، والتي يمكن تلخيصها من خلال التحضير الكافي، فإن ملاحظة عرضية من قبل أحد أفراد المجموعة ـ والتي قد لا تكون ذات أهمية بالنسبة له ـ يمكن أن تؤخذ جديا من قبل المجموعة. واذا شعر الآخرون بالانزعاج فإنهم بذلك يضيفون لأهميتها. وحين يزداد الأمر ويتفاقم من خلال حلقات التغذية الراجعة لهذه الملاحظة فإن النظام الاجتماعي قد لا يصبح قادرا على امتصاص تأثيرها في ضوء القواعد والاتفاقيات الموجودة وسيصبح غير مستقر. وبحسب أعمال المجموعة ينظر لهذا الأمر عادة على أنه فوضى ونزاع وعدم أمان ومقاومة وشك. وفي بعض الأحيان قد ينتج عن هكذا موقف نظام جديد وشافٍ. ولكن في أعمال المجموعة ذات المدى القصير والموجهة لهدف معين فإن هذا النوع من عدم الاستقرار يكون مدمرا. ولذلك من الواجب أن يولى الإهتمام للمقوضات المدمرة المحتملة في مرحلة مبكرة واتمامها بشكل بناء ضمن السياق. وهذه هي تغييرات تكون محتملة فهي ليست خطية أو عرضية. ولذلك فهي تتطلب وباستمرار تقييما ومعالجة من قبل المساعدين.

توحد كلا الفرضيتين التفكير النظامي لعلم النفس الإنساني على أساس البديهيات التي تكون، بصورة جزئية على الأقل، بنيوية. ولذلك فإن التفاعل التبادلي الموجه موضوعيا يشكل صرحا مندمجا بصورة مشابهة للتواصل اللاعنفي على الرغم من النتائج المختلفة لتطبيقهم العملي.

إن الدلائل المرشدة (guidelines) المساعدة المشتقة من بديهيات وفرضيات كوهن اصبحت معيارا في قيادة المجموعة وعمل النزاع وبصورة أبعد من مدى التفاعل التبادلي الموجه موضوعيا. ومثل طرق التواصل اللاعنفي فإنها غالبا ما تفهم خطأ على أنها مجرد أدوات وأنها مجردة من اساسها ما وراء العقلاني. وفيما يتعلق بالتواصل اللاعنفي فإن توجه كوهن البنيوي القوي قد يكون نافعا في أن يضمن لنظام ما فرصة أكبر للقوة والانضباط. ولذلك فإن التفاعل التبادلي الموجه موضوعيا يمكن أن يطبق بصورة ايجابية في المؤسسات ذات البنية الهرمية. ولذلك فمن الممكن أيضا فصله وبسهولة من اساسه الإنساني وتكييفه حسب أغراض السلطة.

إن الدلائل المرشدة المساعدة التسع يمكن تلخيصها كمايلي:

تعبير صادق عن النفس: عبر عن بيانات حقيقية باستخدام «أنا» وليس «نحن» أو «الفرد» كي تتجنب أن تتصور شخصا قائما بالعمل خلافا عنك أو أن تظهر بصورة مستترة.

أسئلة ذات مغزى: وهي طلبات صادقة للمعلومة ويمكن تشخيصها من خلال اساسها المنطقي الشخصي والواضح.

المصداقية الانتقائية: يمكن مشاركة التجارب والمعتقدات في حال كونها تسهم في التعاون. مع ذلك فمن المهم تحديد اذا كانت البيانات اصيلة ونابعة من نظام ذي قيمة شخصية أو أنها تنبثق من احساس داخلي بالإلزام ناتج عن المعتقدات الاجتماعية. إن التوضيحات بين *أنا يجب* و*أنا أود* و*أنا قد* و*أنا أرغب* سوف تفضي إلى تواصل واضح وبناء وموثوق به.

التفسير المناسب: ان للتفسيرات بعد محتوى وبعد زمني. فعندما يكون المحتوى صحيحا والتفسير مناسبا فإن ذلك سيثبت الفهم المتبادل لما قيل وما تم فهمه. أما اذا كان التفسير صحيحا لكنه لم يحدث في الوقت المناسب فإن ذلك سيحرض على اتخاذ موضع دفاعي. وسيقوض التفسير غير الصحيح عملية التواصل بغض النظر عن الوقت الذي تحصل فيه. ولذلك فالتفسيرات غير الصحيحة أو غير المناسبة زمنيا تسبب تقويضا محتملا ويجب أن لا يسمح بها الا عندما يسبب تجنبها تقويضا أكبر.

لا تعميمات واقعية: وهذه تقوض سلاسة التواصل وتبعده عن هدفه الأساس.

لا تقييمات شخصية: ان الآراء الشخصية لشخص آخر ستكون دائما شخصية. ولذلك فإن آراء الشخص تكون ممكنة عندما لا تدعي شرعية عامة. فعندما لا تقدم البيانات بصيغة الشخص الأول وعندما لا تخبرنا بشي عن المتكلم فإنها تصرف المستمع عن الموضوع المطروح وتحجب ذاتية ما يبدو أنه تقييمات عامة. ولذلك تنصح كوهن بالعزوف قدر الإمكان عن بيانات التقييم.

قم بمعالجة النقاشات الجانبية فورا: وهذه تحدث لسبب معين وتعيق عملية الحوار. لا يستطيع الشخص عادة الاستماع لأكثر من بيان في الوقت نفسه. ولغرض التركيز

على التفاعلات الشفوية فإن البيانات يجب أن تحدث بالتسلسل فتماسك المجموعة ينتج عن الاهتمام المركز لطرف ما بالآخر وكذلك بيانات وأفعال كل مشترك. وعليه فالنقاشات الجانبية هي مؤشر لتقويض سياق المجموعة. وطبقا للفرضية الثانية فإن التصدي للاشياء المقلقة يجب أن تكون له أولوية لضمان سلاسة وانسياب التواصل من الآن فصاعدا. وفي المؤسسات ذات البنية الهرمية يتم فرض هذا الأمر بصورة انضباطية. أما الأوساط الأقل هرمية فإنها يجب أن لا تقيد نفسها بالتعبير الشفوي وإنما يجب أن تستخدم الحركات والمجاميع الفرعية وتشكيل الثنائيات وهكذا فصاعدا لتحقيق انسياب أوسع في تواصل المجموعة.

شخص واحد يتكلم كل حين: وهذه الدلالة تتبع التي سبقتها. وهذا ضروري لضمان أن كل شخص له وجهة نظر كاملة للمجموعة. والسؤال الذي يبرز عادة هنا هو: من سيتكلم فيما بعد؟ وبالرغم من عدم وجود جواب شاف لذلك الا أن كوهن تقترح معايير الاختيار التالية:

الحاجة القوية والواضحة لعضو في المجموعة

رغبة الغلبية في المجموعة

وجود بيانين متطابقين

الحاجة إلى معلومات اضافية أو توضيح لالتباسات

قواعد واضحة للكلام: قائد المجموعة يجب أن يضمن دائما وجود رؤية واضحة لكل خيوط المحادثة الموجودة في المجموعة. وفي حالات النزاع فإنه من الضروري تصنيفها لضمان أن الأهم منها هو الذي سوف يعالج. وفي حالة عدم معالجتها فإن أعضاء المجموعة الانطوائيين سيتكلمون بصورة أقل وسيهيمن المنفتحون على الكلام[1].

وطبقا لكوهن فإن مهمة قادة المجموعات وعمال النزاع والوسطاء ـ وحتى أعضاء المجموعة المسؤولين عن أنفسم أو أطراف النزاع ـ تتضمن تطبيق الدلائل كي تدفع

(1) Löhmer and Standhardt (2008, p. 73)

ذلك العنصر من العلاقة *أنا ـ نحن ـ الشي ـ العالم* التي تتلقى الاهتمام الأقل للأمام وبذلك يصلح التوازن المستمر بين العناصر وهذا صعب كفاية في البيئة المحمية من الصف. وقد يكون هذا تحديا هائلا في وجه نزاعات عنيفة محتملة (أو واقعية) في الساحة. مع ذلك فإنه هذا التوتر بالتحديد بين المثاليات الإنسانية والحقيقة على الأرض التي يسعى التفاعل التبادلي الموجه موضوعيا إلى علاجها. ويعرض هذا التفاعل طريقة لتحمل واستخدام هذا التوتر بصورة بناءة.

لقد أثبتت أدوات التفاعل التبادلي الموجه موضوعيا أنها تساعد في الأوساط التي تحتاج فيها عمليات التحول إلى أن تبدأ والثقة أن تصنع. هكذا عمليات لا يمكن تخطيطها بصورة كاملة. وفي أي موقف ما، فمن الضروري أن تطور مؤسسات مرنة في البدء. فالمؤسسة ضرورية طالما انها تسمح للثقة أن تتشكل في الموقف وفي العملية لكن يجب أن لا تصبح المؤسسة هي الغرض لنفسها. وعندما تعلم أطراف النزاع ما الذي يجب توقعه من عملية التحويل التي بدأها طرف خارجي وعندما يتم تشجيعهم كي يقودوا أنفسهم قدر الإمكان وعندما يستطيعون الاعتماد على قيادتهم حينها تبرز الثقة.

فالمؤسسة تخلق الثقة وتدفع بالعمل للأمام. مع ذلك ففي أي مجموعة أو موقف نزاع ستكون هنالك حالات ظل للفوضى والركود وعدم الثقة. وعندما تبدأ المنافسة والحسد وانعدام الثقة والخوف والعدوان وفقدان الأمن بالدخول علانية في الموقف ترتد الأطراف عادة وتبدأ بتقييم ما رشح من هذه الحالات سلبيا وتشعر بأنها قد تم قيادتها بصورة هزيلة. إن عمل التفاعل الموجه موضوعيا عند كوهن يقبل بحالات الظل هذه وينأى عن أي معنى مزيف للانسجام. وتجمع كوهن حالات الظل الديونيسية للفوضى ـ الركود ـ انعدام الثقة مع المثلث الأبوللي للمؤسسة ـ العملية ـ الثقة، موطدة طاقة الحياة المخفية في الظل. وهي تعتبر هذه الطاقة مدمرة وخارج السيطرة فقط عندما يتم اخضاعها وكبحها. وبحسب كوهن فإن القبول بحالة الظل وادراكها هو كناية عن الحيوية والتكامل ولذلك فإن الغقرار نفسه يؤدي إلى التوازن وبالتالي إلى التحويل[1].

(1) O'Connor and Seymour (1992)

4.3 علم نفس التواصل داخل الفردي

منذ ثمانينيات القرن الماضي إقترح سوق تدريب القيادة عددا متزايدا من طرق المحادثة والتأمل والتواصل. وبالتسليم لهذا الخط المربح من الأعمال فقد تطورت شبكة معقدة من تقنيات العلامات التجارية التي اعتمدت، بدون استثناء، على جيل الرواد من علماء النفس الأنساني.

إن توليفة كل من ريتشارد باندلر وجون غريندلر لتعاليم هولاء من علماء النفس الإنساني الرواد تدعى *البرمجة اللغة العصبية*[1]، التي اتخذت موقعا مهيمنا منذ ستينيات القرن الماضي في الوقت الذي توسعت فيه أعداد هائلة من المدارس المختلفة. وبالإشارة لهذه المدارس فإني أميز بين ما أعتقده سحرا أسود وأبيض. فأنا أعتبر كسحر اسود ذلك الاستخدام الاستغلالي للبرمجة اللغوية العصبية التي تلتقي مع طلب نشط على تدريب المديرين التنافسي[2] وأنا أعتبر كسحر أبيض تطبيق نفس الطرق لمساعدة الناس على مواجهة مشاكل نفسية واجتماعية لكي نزودهم بلغة جديدة يتمكنون بواسطتها وبصورة أفضل من فهم وتحويل النزاعات وراء مرض أو مأزق ما. وعند تطبيقها فإن طرق ومتغيرات علم النفس التواصلي للجيلين الثاني والثالث تصبح وسائل مفيدة في تحويل النزاع الاستنباطي.

إن المفاهيم التي طورها جيل العلماء النفسانيين الرواد لا زالت ذات علاقة ومفيدة ولاغنى عنها في الأغراض التعليمية. ولقد طورت بعض المدارس الحديثة نسخًا رائعة منها خالقة لغات وتراكيب تجعل المفاهيم القديمة يسيرة الفهم والتواصل والتطبيق. بالإضافة إلى ذلك تم عمل الكثير خلال عدة عقود منصرمة على الاستفزازات الأولية التي حصلت خلال التحول من التفكير البنيوي إلى اللابنيوي. في الأقاليم الناطقة بالألمانية حصل فريدمان شولز فون ثون ومجموعة عمل هامبورغ[3] للتواصل

(1) الامثلة التي اخذت من الواقع ذكرت في Schulz von Thun (2003a, pp. 204–208) and Schulz von Thun (2003b, pp. 25–26)

(2) Schulz von Thun (16 September 2009)

(3) (Hamburger Arbeitskreis Kommunikation und Klärungshilfe im beruflichen Bereich) وترجمتها للانكليزية The Hamburg Working group on Communication and Clarification in the professional Arena)

والتوضيح في الميدان الاحترافي[1] على التقدير الكبير على عملهم في التوضيح الفلسفي والتطبيق العملي لأعمال الرواد. ومنهجم هذا يدرس ويطبق بالإضافة إلى ما تم مناقشته سابقا في برنامج معهد انسبروك لدراسات السلام.

فريدمان شولز فون ثون[2] هو عالم نفساني ولد في مدينة سولتو في المانيا عام 1944 وهو برفسور في جامعة هامبورغ. وقد حصل على سمعة عن ثلاثيته (الكلام مع أحدنا الآخر)[3]. ولقد استخدم هذا الكتاب المتميز على نطاق واسع في الأقاليم الناطقة باللغة الألمانية في تطبيقات تتراوح بين المدرسة الثانوية والتدريب التنفيذي. وقد اعتمد في التدريب والتعليم المستمر للمعلمين والأطباء وموظفي المصارف وضباط الشرطة والمهندسين والجنود والمدراء والباعة. وهو مناسب ايضا للاستخدام في تحويل النزاع الاستنباطي لأن عمل السلام يجمع عادة مختصين تدربوا في فروع معرفية متنوعة مع اشخاص غير متخصصين وحسب بيئاتهم الأجتماعية. وتتميز سياقات كهذه بالخبرة المعقدة والمربكة لمواقع متعارضة مثل المنافسة والتعاون، الهرمي والزملائي، وقابلية الخطأ البشرية والكفاءة الشبه آلية، الهيمنة والديمقراطية والشفافية والعتمة. إن الاقتراحات والأدوات التي قدمها شولز فون ثون تأخذ بالاعتبار وتلخص الكثير من الطرق الأقدم وتساعد في التعامل مع تحديات كهذه في عمل النزاع. ولذلك سأقوم بالتطرق لها بالتفصيل.

لقد أوضح شولز فون ثون في الصفحات الأولى من ثلاثيته أن طريقته تختص بفهم والتعبير عن ما تم تجربته وليس ما لم يجرب. ولعمل ذلك فقد وضع الشخص العالم في التجربة الحية كشخص مدرك ونأى بنفسه عن لغة الخبراء الذين يفاوضون في حقائق واقعية يجهلونها. ولقد إنتقد شولز تركيز العلم الحديث على البصيرة الفكرية المجردة وتمنى أن يرشد المفكرين إلى منطقة عاطفية باستخدام إشارات إدراكية وبالتالي يطبق منهجا ما وراء عقلاني (*avant la lettre*). [4]

(1) Schulz von Thun (16 September 2009)

(2) Schulz von Thun (2003a, 2003b, 2003c)

(3) Schulz von Thun (2003a, pp. 11–12)

(4) Schulz von Thun (2003b, p. 12–16)

وقد أعلن الوصف الموجز للجزء الأول من كتابه بأنه أذا كان مانرغب به هو أن نتعايش مع بعضنا البعض على مستوى شخصي وواقعي فإن علم نفس التواصل الداخل نفسي يصبح أساسيا. ويستمد تحويل النزاع الاستنباطي هذا المبدأ العظيم من شولز فون ثون. واعتمادا على وجهة النظر هذه يعتبر شولز فون ثون خبيرا بالسحر الأبيض.

وتكمن الخطوة النظرية التي دفعت بشولز فون ثون إلى مرتبة أعلى من روزنبرغ وكوهن من منهجه الواضح في البنيوية. وفي كتابه الرائع الكبير نأى شولز فون ثون بنفسه وبصورة جلية عن الأساليب التي تزعم أنها ترشد الوعي باستخدام هيكلية لغوية. وقد انتقد الطبيعة التكرارية للأفكار لهذه المحاولات واعتبر أن ستراتيجية التواصل البنيوي في التغليف الممتع هي أمر خاطئ[1]. وهذه هي نقطة انتقاد طبقها شولز على أعماله الأولى ولكن من وجهة نظري فإأنها يمكن أن تطبق جزئيا على مارشال روزنبرغ. وبدلا من توجه باستخدام هيكلية لغوية تكرارية اقترح شولز فون ثون الوضوح والتطابق كمعايير جديدة للتواصل البناء.

> لايشير التطابق فقط إلى الانسجام بين ما أتواصل به أنا مع الآخرين وحالتي الداخلية، وبين أهدافي وقيمي، ولكنه يشير أيضا إلى انسجام بين تواصلي وحالتي كمتحدث بالإضافة إلى مصداقية الموقف[2].

ويتطابق هذا الفهم مع تعريف فيرجينيا ساتير للانسجام[3]. وهو يشير أيضا إلى مفاهيم الوضوح لدى كا من فريتز بيرلس وجيرو كابال.

ويعرف شولز فون ثون ثلاثا من نقاط الابتعاد عن علم النفس التواصلي: الفرد والمجتمع والظروف المؤسساتية والمجتمعية[4]. وهذا ما يضعه بمقربة من نموذج روث كوهن الخاص بموضوع *أنا/ نحن/ الشيء والعالم*[5]. فقد ركز على *أنا* و*نحن* في

(1) Schulz von Thun (2003a, p. 18) transl. W.S.

(2) Satir 2007 (p. 83–102)

(3) Schulz von Thun (2003a, p. 19–21)

(4) Löhmer and Standhardt (2008, p. 34–78)

(5) تمت مناقشتها باسهاب في Dietrich (2012, pp. 187–197)

التواصل وقبل طواعية بالإتهام البنيوي لتبني موقف غير سياسي. وجدال كهذا يعود إلى حركات الطلبة عام 1968 في باريس وليست جديدة على نظرية التواصل[1].

إن العنصر الأساسي جدا، وربما المعروف جدا، من تعليم شولز فون ثون هو ما أطلق عليه استقلالية الرسالة. فقد طبق مصطلح «المعلومة» (*Nachricht*) على التعابير الشفوية وغير الشفوية التي يطلقها المرسل في عملية تواصلية قبل أن يتم تفسيرها من قبل المتلقي. ويحصل الفهم عندما تتطابق كليا أو تقريبا كل من المعلومة المرسلة والمعلومة المستلمة. حيث أن كل جزء من المعلومة يحمل العديد من الرسائل. وهذه هي التعابير الضمنية التي يتبين من خلالها المعنى الكامل للمعلومة. إن مربع التواصل الشهير لشولز فون ثون يجمع المعلومات الحقيقية والبوح والعلاقة والالتماس كما يلي[2]:



شكل 2. 4 مربع التواصل عند شولز فون ثون

وطبقا لهذا المخطط فالمعلومة تحوي أربع طبقات من الرسائل. إن المعلومة الحقيقية هو ما يتم الإشارة له بوضوح. ثانيا، من خلال التواصل يقوم المرسل بالكشف عن مقدار كبير من نفسه، معرفته، خبرته، مواقفه ومشاعره. وهذا قد يحدث عن قصد كتعبير عن النفس أو عفويا كنوع من البوح[3]. ثالثا، وإضافة لذلك، توضح المعلومة بصورة حتمية كيف يفهم المرسل علاقته مع الشخص المستقبل للرسالة. ويمكن أن

(1) Schulz von Thun (2003a, p. 31)

(2) ان مراجعة Schulz von Thun وتلخيصه لهذه المفاهيم المتعلقة بتجليات الذات (Schulz von Thun, 2003b, p. 19) لا توفر اي تطور، انا لا اتبعها ولكنني اتبع المفاهيم الاصلية.

(3) يوضح Schulz von Thun (2003a, p. 25–43) هذا مع الامثلة المعروفة والمشهورة والتي لا ارغب هنا بتكرارها ولكنني اذكر مصادرها

تنقل الرسائل غير الشفوية من خلال كل طبقة من طبقات المعلومة. مع ذلك فهي تظهر ضمن العلاقات بتردد معين وبطرق سردية. أخيرا، للمعلومة وظيفة يتم من خلالها ممارسة التأثير على مستقبلها. فالمرسل يريد تنفيذ شيء ما ولذلك قد تصبح الخاصية الأخرى للمعلومة أمرا ثانويا[1].

إن هذا التعريف للمعلومة هو هدف التحليل الذي قدمه شولز فون ثون. ففيه يتفحص رسائلها الشفوية وغير الشفوية وكذلك الواضحة والضمنية منها وتطابقهما. إن وجهة نظر شولز فون ثون متوافقة مع كثير من البيانات القديمةلـ باتسون، ساتير وبول واتزلاوك بأن فقدان التطابق عن قصد أو عفويا يسبب الإرباك، وفي معظم الحالات الشديدة، قد يؤدي إلى الجنون.

إن صعوبة هذا النموذج الذي قد يبدو بسيطا تصبح واضحة عندما ناخذ بالاعتبار أن المعلومة لا ترسل فقط حسب المستويات الأربعة للرسالة وإنما تفسر أيضا بنفس الطريقة عند استلامها. وبذلك فإن تحليل التواصل لا يختص فقط بنوايا المرسل في ترميز الرسائل ضمن المعلومة. فالمستويات الأربعة نفسها تنطبق على المستلم فيما يتعلق بترميز الرسائل التي يستطيع المستلم تفسيرها بحرية. وهذه الحرية تعني قدرا متساويا من المسؤولية من جانب المستلم من أجل تحقيق أداء سلس في التواصل لأن مضاعفة المربع سيزيد من عدد التفسيرات والتفسيرات الخاطئة المحتملة. فعلى سبيل المثال، ان ما يعتبره المرسل كنوع من البوح قد لا تفسره أذن المستلم بنفس المعنى. ولذلك فالمعلومة الواصلة قد أصبحت طبقا جديدا تم خلطه بواسطة المستلم.

يكمن فن التواصل التطابقي في تقييم المرسل للرسائل ضمن المعلومة وأنها تمكن المستلم من سماعها حسب السياق المقصود. ولكي يكون هذا ممكنا فإن على المرسل أن يكون حاضرا ومدركا لتعبيره. وفي الوضع المثالي سيكون المستلم متقبلا لكل الطبقات الأربع للمعلومة لكي يفسر ويأخذ بالاعتبار الرسالة التي وصلته. أن عادات الاستقبال غير المتكافئة تحدث في الغالب نتيجة سوابق متشكلة بين المستلم والمعلومة التي تعتبر الرسائل غير متوقعة بأنها غير مسموعة[2].

---

(1) Schulz von Thun (2003a, pp. 44–68)

(2) Schulz von Thun (2003a, pp. 61–81)

ولذلك ينصح شولز فون ثون بأتباع الطريقة التفسيرية التي سبق أن تطرقت أنا لها عند الحديث عن عملية الوضوح والتواصل اللاعنفي. فقد اقترح عمل استقصاء للاسئلة التالية التي اشار لهابـ التواصل ما وراء الفردي:

مالذي استشفه؟

كيف افسره؟

ماهو شعوري خلال هذه العملية؟

إن القصد من هذه الأسئلة هو المساعدة بفصل الادراك والقرارات الحالية عن الذكريات، القصص، الحقائق المتخيلة، الصور، والعواطف التي لا تنتمي للسياق. ومثل باقي المؤلفين الذين تم الحديث عنهم سابقا، فقد اعتبر شولز فون ثون الحقيقة المتخيلة عقبة في التواصل الحقيقي. فهو يرى أن الحقيقة المتخيلة قفص للتواصل يقوم بعزل المستمع عن باقي البشر. كما يعتقد بأن عملية التفسير هي مسؤولية المستلم وهو لذلك يطلب من المستلم أن يستعلم من المرسل في حال ولد التواصل عنده بعض الشكوك. فالمستلم يجب أن يحضر تغذية راجعة (feedback) لما قام بادراكه وتفسيره وشعر به بصيغة أنا ـ رسائل (I ـ messages). ويؤكد شولز فون ثون أن المشاعر السلبية مثل الحقد والأنزعاج والجفاء يجب أن تغذى تراجعيا بهذه الطريقة لأن القضايا التي لم يتم التعبير عنها ستترتب عليها نتائج أكبر في التواصل من العواطف السلبية التي عبر عنها. فالأمور التي لم يعبر عنها تصبح سامة وتؤذي الجسد والروح بينما العواطف السلبية التي تم التعبيرعنها تسمح بحصول تحويل في المجال العاطفي[1].

ومن بين الطبقات الأربع عند شولز فون ثون يعتبر الالتماس الأقرب صلة بتحويل النزاع الاستنباطي. وعلى الجوانب الثلاثة من المربع يعبر المرسل عن نفسه وعن علاقته بالمستلم والعالم. وهذا التعبير هو أحد وظائف التواصل. ويكمن الجانب الرابع (أي الألتماس) في احداث تأثير أو في منع موقف من الحدوث[2]. فمن خلال الألتماس يصل حد الأتصال توسعه الأكبر داخل النظام. فمن خلال الألتماس يتم تحديد التغيير

(1) Schulz von Thun (2003a, p. 209)

(2) Schulz von Thun (2003a, pp. 221–244)

الذي يحدث في النظام خلال التواصل. وبغض النظر عن كونه مدركا أو غير مدركا لذلك فإن الشخص يرغب بتنفيذ أو تغيير أو الإبقاء على شيء ما من خلال التواصل وسيتبع بعض الستراتيجيات أو التقنيات الملائمة أكثر من غيرها لتنفيذ هذا الغرض. وما يسميه شولز فون ثون هنا بـ «الألتماس مفتوح» أطلق عليه روزنبرغ «طلب» ودعته كوهن «سلطة انتقائية». مع ذلك فإن شولز فون ثون يحلل هذه الخاصية بصورة أكثر شمولية من الأثنين. وتبعا لذلك فإن كل عملية تواصلية تحتوي على التماس سواء كان عن قصد أم لا. وهو يتفق مع روزنبرغ وكوهن بأن الألتماس المفتوح هو الذروة في الأسلوب التواصلي المكرس لعلاقات واضحة، مفتوحة، نزيهة وغير هرمية. وبالرغم من أنه يعتقد أن هذه الحالة المثالية نادرة التطبيق في التعامل اليومي، الا انه يرى أن من الضروري التحقق من الألتماس حتى وإن لم يحدد بصورة جلية. أن روزنبرغ غير مقتنع بفصل الألتماس اللاعنفي عن الطلب المتعجرف أو السلطة الأنتقائية عن الأصالة غير الكافية. وتبعا لذلك فقد قام بتعريف الألتماسات المبطنة والمتناقضة اضافة إلى الألتماس المفتوح[1].

وفي محاولة منه لزيادة الفهم قام شولز فون ثون بالتمييز بين الحالة القصوى والحالة المؤثرة للمعلومة. وبالرغم من كونهما غير مفصولتين الا أنهما، وبالاعتماد على فهمهما، تغذيان الألتماس بمعانٍ تكتيكية مختلفة. فعلى سبيل المثال يبدو البكاء بصورة اساسية على أنه تعبير عن الألم والحزن. وفي عملية التواصل يرتبط هذا التعبير بآثار محددة ـ فمثلا يحصل الشخص الباكي على الإهتمام أو الحب أو الحنان وفي كل من هذه الحالات يتغير سلوك المستقبل بطريقة معينة. وفي هذه الحالة فإن المرسل لم يعبر عن طلبه بصورة جلية. وضمنيا هنالك الكثير في هذا التعبير من كونه طلبا. ولو تم تثميل ذلك ـ مثلا بالتهديد بالانتحار، هيجان بسبب الخوف، التحسس، ضعف أو عجز واضح أو سلوك عبثي ـ فسيتحول إلى مساومة إحتياج بالنسبة للمستلم. وبذلك ستحمل الحالة التمثيلية للتعبير حاجة عليا وتضع المستلم تحت الضغط لدرجة لا يرتقي لها الألتماس المفتوح.

(1) Schulz von Thun (2003c, p. 46)

إن المصلحة التكتيكية للألتماس المخفي هي أنه سيخلق حالة عاطفية تجعل من الصعب على المستلم أن يتقهقر. ولذلك فإن إحتمالية تحقيق النتيجة المرغوبة ـ وهذه الرغبة قد تكون باطنية ـ أكبر من الحالة التي تقدم عن طريق الألتماس المفتوح. بالإضافة لذلك لا يحتاج المرسل أن يأخذ على عاتقه مسؤولية الألتماسات الخفية. فعند حصول شك ما يستطيع المرسل انكار تعبيره عن رغبة وبذلك يتجنب مخاطر الألم في حال رفض التماسه.

إن اسلوب التواصل الموجه لتحقيق نتيجة ما والذي طبق بصورة اعتيادية أو إحترافية من قبل الصناعة الإعلانية لا زال استغلاليا. ولذلك فإنه، وبحسب بحث النزاع الاستنباطي، يجب رفضه: إن تكلفة تحقيق النتيجة هي طاقة مكبوتة هائلة. ولكي تتحق نتيجة أو أثر ما فعلى المرسل أن يقوم جزئيا بكبت تعبيره عن النفس، بتحريف المعلومة الحقيقية والغش في العلاقة. وعند القيام بذلك فإن المرسل، وحتى في الحالات الناجحة يحدث جشتالت غير منتهية والتي سيكون لها أثر على العلاقة مع المستلم من المحتمل أن تظهر ثانية كنزاع منقول.

وتعارض الألتماسات المتناقضة رغبات المرسل. وبسبب إأختلال وظيفي أولي على مستوى العلاقة بين الطرفين فإن المرسل يحاول تحقيق الأثر أو النتيجة المرغوبة من خلال التماس تم توجيهه ضد رغباته. وهذا قد يكون صيغة اخرى من الاستغلال التكتيكي في سياق نزاعات القوة أو التعبيرعن عامل فصامي في نظام التواصل. وفي كلا الحالتين فإن الألتماسات المتناقضة تخلق نهاية مسدودة عند المستلم بسبب أن النوعية النفسية لفعل ما تتغير عندما تنفذ بتوافق مع الألتماس. إذا دعا المرسل بصورة متناقضة لأمر ما، والذي يفهمه بصوره مربكة له، ففي هذا الحالة إما أنه يصبح مستحيلا على المستلم فعل ماطلب منه أو أن يفقد الأمر معناه التناقضي. وقد تصبح الألتماسات المتناقضة فعالة في التعليم والتدريس وحتى في ادارة الأعمال الا أنها ستكون حتما استغلالية وستسبب كلفا نفسية أعلى من الألتماسات المخفية.

وبالرغم من ذلك فإن الألتماسات المتناقضة والمخفية منتشرة في اللغة الدارجة وتنتج غالبا عن الخوف من الإفصاح عن النفس أو المحظورات المتعلمة أو الخشية

من عدم تقبل الآخرين والفشل في فهم أنه من المتعارف عليه أن يكون للشخص رغبات وأن يقوم بالتعبير عنها. ومن الأسباب الأخرى التي تدفع بالمرسل لاستخدام التماسات متناقضة هي الخشية أن لايمتلك المستلم الشجاعة لأن يقول وبكل أمانة كل أو يعبر عن رؤى رومانسية للحب أو يتجنب المسؤولية. وهذه كلها استفزازات تختلف أهميتها حسب الأشخاص ويمكن معالجتها من خلال التدريب الملائم.

وبحسب سياق برنامج انسبروك فقد لاحظت أنا بأن واحدا من الدوافع المتكررة للألتماسات المخفية والمتناقضة يكمن في الرغبة الفكرية والمثالية بإعطاء الآخر كامل الحرية في الاختيار. فقد يحاول المرسل التعبير عن التماس بصورة غير مباشرة لدرجة أن المستلم يمكن أن يتغاضى عن حقيقة أنه يسمعه بينما هو لا يزال يتعامل معه. إن الوسط متباين الثقافة لبرنامج من هذا النوع يوفر خزينا لا ينضب للابتكارات اللغوية والانحناءات القواعدية المتناظرة. وطالما أن هذا لا يتم بصورة استغلالية فإنه متوافق مع أهداف البرنامج الذي يدعم الحرية الأسمى في اتخاذ القرار للمستلمين اثناء التواصل. إن الأمر يصبح معضلا اذا اصبحت هذه المرتبة الثانية من الألتماسات هي القاعدة ولم يعد بالإمكان تحويلها إلى التماسات من المرتبة الأولى مفتوحة وواضحة ومباشرة. إن التمارين الميدانية تميل لأن تكون محددة بهذا المجال فهي يجب أن تنفذ بسرعة وفعالية وتحت اجهاد كبير. فعمال السلام المحترفون يجب أن ينجزوا الجزء الأكبر من تواصلهم بأعتماد الألتماس المفتوح ولا يلجأون إلى الألتماسات المخفية والمتناقضة الا عند الحالات الاستثنائية.

إن استعارة شولز فون ثون للفريق الداخلي تبدو لي ذات أهمية خاصة. انها تحول فلسفة نظرية الأنظمة في اصل علم النفس الإنساني إلى حكاية سهلة الفهم. فهو يوظف الأعمال الأدبية السابقة وأبلغ مثال على ذلك قد يكون مسرحية فاوست للكاتب الألماني غوته[1]. فقد استخدم صورة الروح المزدوجة لفاوست لبيان كيف أن التجارب المتناقضة،

(1) لقد كبرنا في الحضارة الغربية ونحن معتادين على مفهوم ان ارواحنا موجودة في صدورنا وفي الصوت الذي يصدح في عقولنا. بينما في الهند والصين فهم يعتقدون ان جوف الانسان هو مركز القوة العقلية، الاخلاقية، والابداعية الخلاقة وهذا امر ليس بغريب. انظر See Berendt (2001, p. 36–44), and Riccabona (2004, p. 170)

والذكريات، والمشاعر والحاجات موجودة عند كل البشر. فكل شخص يعرف الأرتباك الناتج عن الأصوات الداخلية التي تعطي تعليمات مختلفة فيما يتعلق بقرار مصيري. وفي رسومه الكارتونية عبر شولز فون ثون عن هذه البواعث والأصوات المتعارضة على أنها مخلوقات جميلة منشغلة بمناظرة داخل صدر شخص ما [1] بينما كان من المفترض أن تكون في تواصل مع العالم الخارجي. لقد أوضحت الرسومات اضافة إلى مهمتها كأداة تعليمية أن عمليات التواصل الحاصلة *داخل* البشر، التي ينظر لها على أنها أنظمة، ليست مختلفة بالأساس عن تلك التي تحدث *بين* البشر. ولذلك تشكل التعددية والإختلاف الداخليين موضوعين محوريين في عمل شولز فون ثون.

ويرى شولز فون ثون أن النصيحة السديدة لأن يكون الفرد منسجما مع نفسه قبل الكلام هي أكبر من أن تكون الزاما أخلاقيا: إنها متطلب اساسي للتواصل المتناغم. إن الكائن البشري، الذي هو حد تواصلي في حالة عمل، يستطيع التواصل بصورة متطابقة فقط عندما يكون منسجما مع نفسه، وعندما يرسل معلومة كاملة وغير غامضة والتي تكون ممكنة فقط عندما يعمل الفريق الداخلي كأنه واحد. حيث يكون التركيز على عملية محددة لتأسيس وضوح داخلي يسبق التعبير عن المعلومة وليس على صيغ أو محتوى سليم أخلاقيا. وقد خصص شولزفون ثون الجزء الثالث من ثلاثيته لهذا الموضوع فعلى الرغم من كون الاستعارة التي استخدمها بسيطة كما يبدو الا أن العمليات الاساسية تكون معقدة.

إن بديهية روث كوهن الأولى ـ «كن رئيس الفريق لنفسك» [2] ـ كان موضوع دراسة شاقة لشولز فون ثون. وحسب اعتقاده فإن رئيس الفريق هو رئيس الفريق الداخلي وهذا الأخير هو من يتواصل مع العالم الخارجي. ولذلك يبدو رئيس الفريق كحد اتصال لحظة عمل الذي يقوم بتقديم نسخة موحدة من عملية القرار الداخلية التي كانت سابقا تلقائية وفوضوية ومتشظية إلى الأنظمة المناظرة، ونعني بذلك الناس الآخرين. ويمنح شولز فون ثون رئيس العمل هذا موقعا سياديا أعلى.

(1) Cohn (2004, p. 121)

(2) Schulz von Thun (2003c, p.104)

لا تنجرف خلف مشاعرك وانما اجعلها تتبعك، هذا مايؤكد عليه شولز فون ثون مقتبسا روبرتو أساجيولي[1] (Roberto Assagioli). إأن القرارات المتطابقة هي وحدها التي تسمح بالتواصل المتناغم مع العالم الخارجي والرضا في العالم الداخلي. ولقد شبه شولز فون ثون عملية اتخاذ القرارالداخلية باجتماع مجلس حيث تتم موازنة مصالح متعددة مع بعضها البعض من أجل الوصول لتسوية تصب في مصلحة الجميع. فعلى سبيل المثال قد تستخدم صفات متعددة لوصف شخص واحد مثل مطيع، كسول، جشع، متعاطف أو عابث من أجل الوصول لقرار حول زيارة إلى عمة عجوز[2].

إن كل فرد هو بصورة تلقائية جزء من أنظمة متعددة ولذلك فهو مغروز في سياقات مختلفة تسحبه باتجاهات مختلفة وهذا هو سبب الطبيعة التناقضة للأصوات الداخلية[3]. فال «نفس» (self) هي مجموعة من الأصوات مشتركة بمحادثة دائمة، سواء كانت علنية أو خفية أو بصورة واعية أو باطنية. فعندما يتوجب علي مثلا أن أتخذ قرارا يتعلقبـ موعد عمل، فإن الباحث المتوجه مهنيا بداخلي سيكون في حالة نزاع مع رجل العائلة الذي يحب أطفاله. وكل من هذين سيكونان في نزاع مع الرياضي الهاوي الطموح وعضو الفرقة المعول عليه، والذي من الواضح أنه عند توفر الوقت فسيتوجب علي أن أكون في واحد فقط من هذه الأنظمة: العمل، البيت، الرياضة أو الفرقة. وهذا التناقض قد يؤثر إلى حد كبيرعلى متعة الحياة ويعرض قدرتي على العمل للخطر[4]. وبينما يمكن أن تخلق المواقع المتعارضة مظهرا عدائيا فإن الاستقصاء الحذر قد يسفرعن مجموعة واسعة من الخيارات التي يمكن من خلالها التوصل لحلول مرضية. وعلى غرار روث كوهن، يشك شولز فون ثون أن كل لاعب في الفريق الداخلي والذي ينظر له بإيجابية يحمل نقيضه: لاعب كسول خلف لاعب مجد؛ لاعب حاد الطباع خلف آخر ودود؛ لاعب بخيل خلف اللاعب الكريم وهكذا. ان فن مجموعات الفريق الناجح تكمن في ضمان مكان محترم لهؤلاء المتناقضين على المسرح لكي يتم تعديل

(1) Schulz von Thun (2003c, p. 85)

(2) Schulz von Thun (2003c, p. 126)

(3) Schulz von Thun (2003c, p. 118)

(4) Schulz von Thun (2003c, pp. 120 and 177)

أية سيناريوهات ايجابية مبالغ فيها. فعلى سبيل المثال قد يمنع اللاعب البخيل اللاعب الكريم في مواقف معينة من الإنزلاق إلى الإسراف. ولذلك فإن النقيض، أي الحالة الظل للاعب الناجح ليست حالة سلبية وإنما هي قوة ضابطة.

حين يقوم رئيس العمل بالتعريف عن نفسه بموقع معين، وليكن المطيع، متجاهلا أية بواعث أو حالات أو مشاعر مضادة فستنشأ عرقلة اتصال مستمرة وجدية. وعندما تبقى الاعتراضات ضد قرار ما غير مسموعة فإن تنفيذ هذا القرار سيكون معقدا مثلما يحرم عضو في المجموعة من الاشتراك في عملية صنع القرار ويتوقف عن كونه شخصا موثوق به في المؤسسة. إن الأصوات الداخلية غير المسموعة ستعمل جاهدة لجعل نفسها مسموعة من خلال اظهار السخط والإرتباك. فهي ستتصرف بطرق مسموعة والذي قد يسبب، في أسوء الحالات، مرضا عقليا أو جسديا. والمرض هو الحالة البارزة لحركة داخلية للأصوات الداخلية المهمشة التي ستشرك الجسم بأشمله في حرب أهلية داخلية[1].

وبحسب شولز فون ثون فإن نزاعات الفريق الداخلي وكون الشخص غير متوافق مع نفسه هي نتائج حتمية للانتماء في الوقت نفسه لعدة أنظمة وهي التي تفاقمت نتيجة حالة ما بعد الحداثة في العديد من المجتمعات. ولذلك يعتمد تحويل النزاع الداخلي على رئيس العمل الذي يأخذ بالاعتبار كل حالات الشخصية عند اتخاذ القرار وليس التوافق مع بعض المخاوف والمشاعر. أي أن رئيس الفريق يبقى مخولا بالعمل بمرونة في مختلف المواقف. إن الفشل في القيام بذلك لن يضعف ويقيد قدرات رئيس العمل الاجتماعية فقط ولكنه سيخلق نزاعات داخلية غير محلولة قد تؤثر على القرارات المستقبلية[2].

إن المتصالحين مع أنفسهم يستطيعون الدخول في اتصال مع العالم من مركز موحد. وهذا يمنحهم جوا من الوضوح والأمان والسيادة والسلطة والقوى الناتجة عن تأكيد الذات. وهذا ذو صلة بعمل النزاع الاستنباطي بسبب أنه إذا أراد المساعد، الذي

(1) Schulz von Thun (2003c, pp. 108–109)

(2) Heinrichs (2004, p. 193)

يتدخل في موقف صراع، أن يكون «التغيير» في العملية فسيعتمد هذا التغيير كثيرا على وحدة المساعد الداخلية. وطبقا لخبرتي فإن العديد من محاولات التأمل ومبادرات حسن النية تفشل تماما عند هذه النقطة عندما يسعى الخبراء المثاليون لتغيير السياقات الغريبة أو التي يختلفون معها ولكنهم في حقيقة الأمر غير متوافقين مع أنفسهم. ان التشبث بمباديء بالية غالبا ما يخلط مع قوة الشخصية. وخاصة في أوساط تباين الثقافة، عندما تواصل معتقدات ومواقف بالية البقاء ففي هذه الحالة ستتعزز العلاقات غير السلمية واحتمالات حدوث العنف الجسدي[1].

وبالإضافة للتوافق الداخلي يعتقد شولز فون ثون ان التواصل المتماسك يعتمد على التوافق مع الخصائص الخارجية لموقف ما[2]. وبالرغم من أنه يمكن الشعور باجماع الفريق الداخلي الا أنه من الصعب التكهن بالمحتوى الواقعي لموقف ما. ولأجل هذا إقترح شولز فون هون أداة طبقت في كل مثال للتواصل الخارجي والداخلي وهي مربع القيمة والتطور[3]. الذي أعتبره أنا مفيدا.

وفي سياق بحث السلام ما وراء العقلاني فمن المهم أن نتجنب قراءة مربع القيمة باسلوب مثالي. وبرغم الإقرار بتفسير كريشنامورتي للشهادة ما وراء العقلاني[4]، فإننا يجب أن لا نفترض أن هنالك قيما مطلقة يمكن تحقيقها من خلال ترك أو التغلب على المواقع الخاطئة. في القراءة الحالية[5]، لا تظهر قيمة النموذج بنفسها ولكن بقدر ما يكون المرسلون والمستلمون مرتبطين بأفكارهم. إن قيمة المربع ليست أداة للانتقال من السيء للجيد أو من الخطأ للصواب وإنما أنها أداة تسمح بالتوافق الفعال بين المتواصلين. إن البنية الاساسية لمربع شولز فون ثون هو كمايلي:

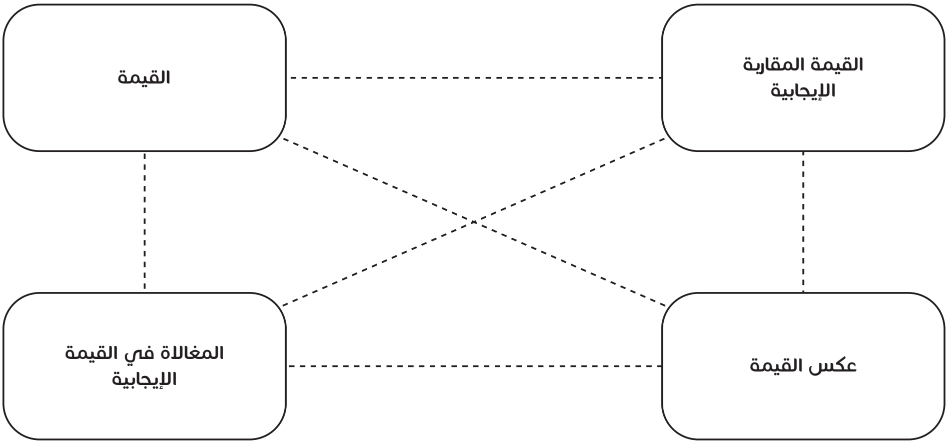
(1) Schulz von Thun (2003c, p. 273–328)

(2) Schulz von Thun (2003b, p. 38–56)

(3) Krishnamurti (2002)

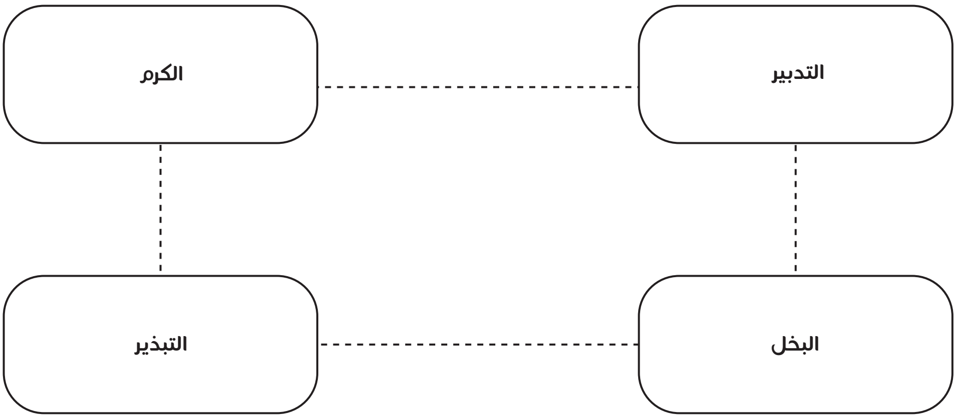
(4) ان هذه ليست القراءة الوحيدة المتاحة. وربما تمت مشاركتها من قبل مجموعة قليلة ضمن قراء Schulz von Thun. وبسبب طبيعة عمله التعليمية فقد تم استقباله بحماس من قبل المدرسة الفكرية المثالية. لم يستجب Schulz von Thun لهذا، وبرأيي فان استعانته بأفكار Rogers, Watzlawick, and Cohn تدعم رأيي. أن النقطة المهمة هي ان جودة هذه الاداة لا تعتمد على التوجه الفكري لمستخدمها.

(5) مشهورة بأنها تستخدم من قبل شركة تجزئة المانية معروفة.



شكل 3. 4 مربع قيمة شولز فون ثون

وطالما أن كل شخص في التواصل الأصيل يعتبر موقعه صحيحا وذا قيمة فإن اسلوب التواصل المختار يشابه مفهوما معينا للسلام. ولتوضيح هذا سأستخدم مثالا غالبا ما استخدم في مربع القيمة لشولز فون ثون:



شكل 4. 4 مثال لـ مربع قيمة شولز فون ثون

إن مواقع الفرد هنا لا تمثل سلوكيات موضوعية أو صفات للناس وإنما قيما ونسبا لموقف الفرد والآخرين ـ أي تفسيرات الحقيقة.

ومن خلال النظرة الإيجابية لكرم شخص ما، يصبح بخل الآخرين موضوعا للحكم الأخلاقي في الرقابة الأحادية الجانب والعكس بالعكس. وينطبق نفس الشيء على

الإسراف من وجهة نظر التدبير (الاقتصاد). وفي كلتا الحالتين يقودنا موقعنا بأننا أقوم من الآخرين إلى أن نزعم بأن المعارضة المضادة هي خطأ أو هرطقة صعبة الإصلاح وإنه ما من وسيلة للتعامل معها الا بالعقوبة أو التحطيم.

بالإأضافة لذلك فمن وجهة نظر الكرم يبدو الإسراف كمبالغة مستفزة لخصائصها وينطبق نفس الشيء على علاقة الإسراف بالتدبير. ويتركز الجدل هنا حول موضوع القياس الصحيح كتعبيرعن العقلانية التي هي بذلك علاقة حديثة. وقد يتبدل الموضوع لكن طبيعة الحكم والرقابة الأحادية الجانب تبقى على حالها. ان الشخص الحامل لموقف الأحساس بأنه أقوم من الآخرين يميز القرابة الأساسية في توجه الآخر ويعتقد أن تطبيق القياسات الإرشادية سيسمح له بتصحيح وتهذيب وتطوير المبالغة الاستفزازية وتحويل البخل إلى كرم والإسراف إلى تدبير.

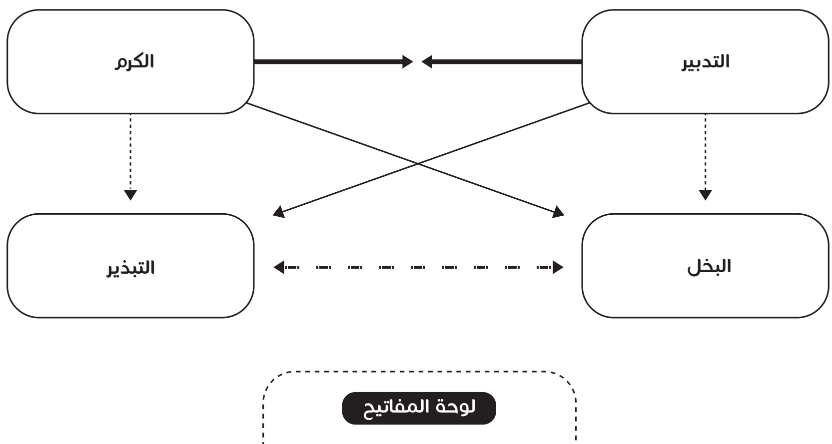
وللوهلة الأولى يبدو بأنه ليست هنالك علاقة بين الاسراف والبخل. وعندما نفهم هذه الصفات على أنها مبالغات، فإنها في هذه الحالة لم تعد مواقع مثيرة نطابق معها أنفسنا أو مواقفنا. مع ذلك فإن كلا الصفتين هي حالات ظل هائجة في كل نظام اجتماعي. لقد أنتجت تلذذية الرأسمالية المتأخرة شعارات مثل (البخل أمر جيد)[1] ويحافظ على الوجود الآني لما يبدو غير متطابق. يوجد إنقلاب متعارض للقيم المبالغ بها، حيث يعبر البخل عن نفسه بشراء بضائع غير ضرورية لبائع محل معين ـ اي يعبر عن نفسه كمسرف ـ بينما ينظر ضمنيا إلى رفض الاستهلاك على أنه اسراف. هذه هي نتيجة المبالغة والتفكيك لكلا القيمتين من قبل المعلنون (صانعوا الإعلان). فبينما يقوم تناقض ما بعد الحداثة هذا باضعاف أية فرصة لرقابة أخلاقية أو حديثة فإنه ايضا يحبط اي تقييم ذي معنى لأننا لا نتعامل مع علاقة بل مع تبادل رموز. وسيستمر البخل والإسراف بتمثيل خصومة حصرية حتى عندما نقوم بقلب معنى المصطلحين.

وعلى نفس الشاكلة يمثل كل من الكرم والتدبير معارضة. مع ذلك فهي حالة موقفين رئيسيين يشتركان بمقياس عقلاني يمارسان اثارة فعالة لأحدهما الأخر. وعلاقتهم المتبادلة ليست علاقة بين حالات ظل غير معروفة. فهما صيغتين مختلفتين

(1) Schulz von Thun (2003b, p. 40)

لتظاهرة واحدة وبنفس النوعية والتي، اعتمادا على الموقف ووجهة النظر، ستميل لأظهار نفسها في بعض الأحيان بهذا الشكل وفي أحيان اخرى بشكل اخر. أنها علاقة مرنة. لقد استخدم شولز فون ثون رمز الأنوثة والفحولة كي يوضح هذا التفاعل[1]. ويبدو لي هذا ملائما بقدرما يشيرالى الشخصية الفعالة ضمن هذا التأثير المتبادل.

وفي الوقت نفسه فإن مربع القيمة لشولز فون ثون يبدوعقلانيا على الدوام. إن العقلانية الارتباطية تسمح بالتاثير المتبادل للمتناقضات في التواصل وتجعل القيم التي اعتبرها الأشخاص ايجابية متحركة ومتحولة. ولذلك فإن قيمة المربع تشير لنفس المفهوم الذي يطلق عليه ما وراء العقلاني في أبحاث السلام. ويظهر ذلك في مثالنا كما يلي:



شكل 5 .4 التفسير ماوراء العقلاني لمربع القيمة لشولز فون ثون.

أنا أود الإشارة مرة اخرى إلى أن هذا المفهوم لم يقصد منه تشجيع الناس إلى ابتغاء إما الكرم أو التدبير على أنهما قيمتين إيجابيتين أساسيتين. فعلى العكس من ذلك فإن المفهوم يفضل التواصل الذي يشجع الوعي بالنسبة فيما يتعلق بنظام القيم لشخص

(1) Schulz von Thun (2003b, p. 40)

ما على أنها تبادل فعال مع قيم مقابلة تعتبر موجبة ايضا. وبمعنى آخر، فإن التوازن هو المهم وليس تحديد القيمة الصحيحة وعلاقتها بالقيمة المقابلة لها. وتبعا لذلك فإن غرض شولز فون ثون بتحويل النزاع هو الإبتعاد عن المواقع التي تكون في الغالب غير واعية ومبالغ فيها والذهاب باتجاه مواقع ما وراء عقلانية ومنفتحة وعلائقية تسعى لتحقيق أعادة تقارب متبادلة. وهذا هو تحويل النزاع الاستنباطي. فهو يطبق طرقا عقلانية لفتح عملية تواصل *فعالة* تبتعد عن المواقف المنغلقة والمتقلبة والذهاب باتجاهات أخرى منفتحة وجريئة.

وبما أن شولز فون ثون، وهذا معتمد على قراءتي للموضوع، لا يفترض أية قيم مطلقة، فهو يعتقد أن احترافية الناس، وبخاصة عمال السلام، تتلخص بتكييف موقفهم حسب الدور والموقف والأهداف ودون الخضوع لديناميكيتهم النفسية الخاصة.

إن تقنيات الحوار الناجح التي يمكن التواصل بها وتطبيقها تشمل تركيبة وتقدير المرحلة الأولى، مرحلة العمل، مرحلة الإندماج ومرحلة التنفيذ. مع ذلك ففي المنهج الاستنباطي تعتبر هذه التقنيات مجرد توصيات مبدئية؛ إنها مجرد أدوات وليس تشريعات أو وصفات علاجية. ولهذا ستكون هنالك حاجة على الدوام لكوكبة من الفريق الداخلي ذات توجه موضوعي. ولتوضيح التناقضات فيما أسماه بموديل ريمان ـ ثومان[1] فقد اعتمد شولز فون ثون على التضاد بين الانفتاح ـ الشخصي والانغلاق ـ الشخصي من جهة 82 وبين الحفاظ على الشيء وبين التغيير[2] من جهة أخرى. وهنا أيضا لا يكون المهم ايجاد القياس الصحيح باسلوب موضوعي وإنما تنمية وعي بالموقف من خلال الوضوح في حالة أو استعداد شخص ما في الوقت الحاضر ومن خلال ذلك نمكن قابلية التكييف. إن كلا من التركيب والوعي مهمان كي يكون الشخص قادرا على البقاء مرنا وفعالا. وبحسب هذا الرأي، الذي يمكن ربطه في النهايةبـ مارتن بوبر (Martin Buber)، فإن الإنسان، كحد اتصال في حالة عمل، يدخل مربع القيمة ويعرض نفسه كشخص ما وراء عقلاني لما يمكن بخلاف ذلك قراءته وفق احكام بنيوية أو مثالية.

(1) Schulz von Thun (2003c, p. 262 - 272)

(2) في نموذجه للتغيير والاستمرارية.

وبحسب الفهم ما وراء العقلاني للسلام فإن التقسيم بين الاحترافية وفقدانها لا يعد غير مرغوب به فقط وإنما غير مقبول. ولذلك يبقى التأمل الشخصي والاستشارة الشخصية الفضيلتين المهمتين عند عمال النزاع الاستنباطي لأنه بخلاف ذلك فإن كل ما بقي عالقا عند الوسطاء كموجودات شخصية ستهاجر إلى الأوساط السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي يزعمون أنهم سيعملون فيها. وهذا ما يمكن التواصل به اثناء التدريب.

4.4 الطرق ما قبل اللغوية

من خلال عنوان هذا الفصل، «الطرق ذات التوجه الصوتي لتحويل النزاع الاستنباطي»، ناقشت ذات التوجه اللغوي فقط. ويدرك معظم ممثلي هذه الطرق بأن الكلمة المنطوقة أو المكتوبة كرمز يشير إلى معنى لا يمكنها بمفردها من تحقيق تواصل ما. وهذا لا يتعلق فقط بما هو منطوق ولكن أيضا كيف تم نطقه. ولذلك فبينما تكون السياقات التعبيرية والدلالية مهمة، فإن الاشارات الأخرى مثل نبرة الصوت والتنغيم والنغمات التوافقية والتعديل واللحن والنطق والسرعة والتقطعات والصوت لا تقل أهمية عنها[1]. ومن دون الملاحظة أو حتى الرغبة بذلك، يتكلم معظم الناس بتسلسلات متناغمة. إن لكل شخص قاعدة نغمة شخصية يبني عليها سجل حياته الخاص بالتواصل. وفي الغالب سيتسبب هؤلاء الذين لا يعيشون بتناغم مع قاعدة النغمة بحدوث نشاز داخل أنفسهم وتواصل غير متوافق مع الآخرين[2].

كل الطرق ذات التوجه اللغوي تؤكد بأن نغمة الصوت البشري هي من يعطي الرسالة المنطوقة أهميتها الخاصة وشحنتها العاطفية ـ وهي تجربة حياتية مألوفة لا تحتاج إلى معرفة من خبير. وبحسب مربع شولز فون ثون فإن التوجيه سيكون مستحيلا ما لم تختزل نوعية الصوت والتواصل اللا عنفي لروزنبرغ وتفاعل كوهن ذو التوجه الموضوعي بصيغ تقريرية. وبينما يتم بيان أهمية الصوت البشري الا أن البحث نادرا ما يقدم تحليلات أو ارشادا يطابقان مدى ودقة التقييمات الدلالية. وبصورة أكثر

(1) Watzlawick et al. (1969)

(2) Gail (1998, p. 25)

اجمالية فإنه موضوع قد تم التقصي عنه من خلال تمرين تطبيقي حيث تم تطبيق الكلام وتسجيله وتحليله.

وكوسيلة اتصال فإن الصوت البشري يعمل أكثر من كونه يحمل الكلمة المنطوقة من فم المرسل إلى أذن المتلقي. إن الشحنة والمعنى ما وراء اللغوية للصوت البشري هي موضوع محوري في بحث السلام ما وراء العقلاني[1]. ويعتبر كل من الكلام والإصغاء أداتين لتحويل النزاع الاستنباطي. ويعتبر الاصغاء على العموم فضيلة ضرورية ويدرس في الكثير من الحلقات التدريبية. إن الإصغاء وباهتمام من قبل الشخص لصوته مهم جدا ويتطلب تطبيقا لأن الصوت ينشأ عن التنفس وحسب نبض حياة الشخص. وبصورة عامة يمتلك الأشخاص ذوو الارتباط الأفضل مع صوتهم احساسا قويا بأنفسهم. واهتمامهم هذا حاضر مع انفسهم وبيئتهم. ونتيجة لذلك فإن الإصغاء الفعال، وهو تطبيق اساسي في كل حالات تحويل النزاع، يكون في الغالب أسهل عندهم من الآخرين الذين حبست أنفاسهم وأصواتهم[2].

إن الكلمة المنطوقة هي حدث سريع ومفرد. وبما أن الكلمة لا يمكن تكرارها بأسلوب متطابق فإن أذن المتلقي يجب أن تكون واثقة آنيّا من أدائها ومن ميكانيتها التفسيرية. فالكلام والاستماع هما أكثر من مجرد ارسال ذبذبات صوتية متبوعة بمعالجة للمعاني المرتبطة بهذه الذبذبات. فالناس لا تصغي بآذانها فقط لأن الإصغاء فعالية يشترك بها الجسم بأكمله وفيها لا يتم فقط تفسيرالرسائل المستلمة عقلانيا وإنما أيضا معالجتها ما وراء عقلاني[3].

لقد أكد جون بول ليديراخ[4] (John Paul Lederach) بإصرار على قوة الموسيقى في نقل السياقات والنزاعات الاجتماعية. لقد ناقش الموسيقى باعتبارها فعلا خلاقا ودارجا وليس وسيلة يستغلها الحكام للعروض والدعاية الموسيقية. وهذه الفعالية الدارجة تكون أصعب عند التواصل من اي شيء يعتمد على أو يعمل على معنى

(1) Lederach and Lederach (2010, pp. 89 - 110)

(2) Lederach (2005, p. 165)

(3) Berendt (2004, p. 39)

(4) Lederach (2005, pp. 151 - 152)

الكلمة المنطوقة أو المكتوبة. ومنذ عام 2013 يقوم كل من مديرَي الفن والمطربَين و«عالمي أنثروبولوجيا الصوت البشري» الكرديان بيغار حاسيب (Nigar hasib) وشامال أمين (Shamal Amin) بتعليم تقنيات ذات توجه صوتي وجسدي في برنامج الماجستير لدراسات السلام في انسبروك. وقبلهما، ومنذ السنوات الأولى للبرنامج، كان ماركوس ريكابونا[1] (Markus Riccabona) وهو مغني وموسيقي نغمة متالفة نمساوي والذي طور قياسا تعليميا معتمدا على مبدأ داني روديار[2] (Dane Rudhyar) للموسيقى التناغمية (syntonic).

ويشير روديار إلى الموسيقى على أنها تناغمية عندما تستخدم الطاقة النفسية لبعض النغمات بصورة واعية وفعالة. فبينما تنشغل موسيقى الحداثة بعلاقة الأنغام وتنظم تلك العلاقة بواسطة نغمة أو نوطة موسيقية رئيسة، تكون الموسيقى التناغمية ارتباطية وصوتية التوجه ومتعلقة مكانيا. ففي الموسيقى التناغمية تتحرر نوطات الموسيقى الحديثة من قاعدة النوطة الرئيسة (النغمة القرارية) وتجمع معا في مجموعات كلية. وبدلا من التطور من مفهوم حديث الذي فيه تمثل النوطة الرئيسة «الإله الواحد» تطمح الموسيقى التناغمية لحالة من السلسلة المتغلغلة تبادليا وهو ما يدعى ب*كمال* (*pleroma*) الصوت. إن كمال الموسيقى التناغمية يتضمن تراكيب نغمية الا أن القواعد والأنماط والإيقاعات الإلزامية للموسيقى الحديثة تعيق كشف الوعي التناغمي. وبينما تعمل الموسيقى الحديثة على هيكلة النغمات فإن الموسيقى التناغمية ترتبها في شبكة فراغية. وطالما كان هذا يسري، فإنه عامل نمطي للتفكير ما وراء العقلاني لأنه يجمع الأحاسيس الديونيسية والنشطة للموسيقى الدارجة [3] مع البصيرة الفكرية للتوافقيات الكلاسيكية والإنجازات التقنية للحداثة لتخلق فهما ما وراء حداثوي للموسيقى والفن والتواصل وليس ما قبل حداثوي وهذا ما قد يتم سماعه كتعبير صوتي للسلام ما وراء العقلاني.

إن المبدأ الأساسي للموسيقى التناغمية يكمن في ترابط الأصوات قد مارس أثرا

(1) ولد عام 1965

(2) 1895 - 1985

(3) Dietrich (2002) (10 October 2010)

ديناميكيا على وعي المستمعين. ومن المحتمل أن يؤثر هذا الترابط في الفضاء الذي يشغله برمته. وطبقا إلى روديار فإن قوة الموضوع المحدد يمكن أن تفهم فقط من خلال الصدى الجسدي المتطابق الذي تولده عند المستمعين. ومن ثم فإن الموضوع يلبي حاجة شخصية وثقافية واجتماعية بطريقة ما وراء فردية. إن المجال ما وراء الفردي ـ اي الفضاء البشري الرنان للمجتمع المصغي ـ هو المطلب لهذا التأثير. وحالما يكون هذا الصدى في محله سيصبح المجتمع مدركا للتغلغل المتبادل للأصوات المترابطة في الفضاء الصوتي ويفسرها طبقا لذلك. وتعتمد موسيقى هذا النوع على التجارب النغمية التي لم تتشكل بالأفكار المعرفية للتوافقيات الكلاسيكية أو تم تعقيدها بالتدريب الأكاديمي[1].

ومع التسليم بالقوة الاجتماعية للموسيقى التناغمية فإنها حالة مهمة لكل عملية تواصلية حتى لو بقيت غير مرصودة ـ ومن هنا كانت ذات أهمية كبيرة في تحويل النزاع الاستنباطي. إن البصيرة التنظيرية بفعالية الطريقة ما وراء اللغوية هذه يمكن تجربتها وبسهولة في تطبيق غناء النغمة التوافقية والتنفس الصوتي.

ويشترك بهذا الرأي المنتج وإعلامي الجاز وفيلسوف الموسيقى يواكيم أرنست برندت[2]. لقد أنجز برندت عملا رائدا حول الصوت والسمع بالإضافة إلى تعليم ريكابونا. وتعتمد نظرته العالمية على زين (Zen) وتاو (Tao) وتانترا (Tantra) وقد عرضت بصورة عامة في الجزء الأول من ثلاثيته. وهنا نركز على النتائج العملية والتعليمية لفكره. لقد كانت رسالة برندت سياسية وتنويرية وذات توجه سلمي:

نحن نعيش في مجتمع يتحرك بصمت وبرغبة وبشكل غير ملحوظ نحو فاشية جديدة ـ بدون رعب أو ثورة، بدون عنف أو خيانة، بدون «ثورات قومية». إن الذي اهتم به هملر وأنصاره في فرقة ال س س وجواسيس الغستابو يتم القيام به اليوم بصورة أفضل وأكثر فاعلية من قبل الشخصية الميالة للفاشية والراسخة في أنفسنا[3].

---

(1) Rudhyar (1984, pp. 190 - 195)

(2) 1922 - 2000

(3) Berendt (2001, pp. 36 - 44) and Riccabona (2004, p. 2) transl. W. S.

لقد كتب برندت هذه الكلمات في عام 1983. وكبديل عن ذلك فقد إقترح نظرة للعالم كصوت في كل تجلياته الكونية والفيزياوية والصرفية والبايولوجية والأسطورية والتناغمية متمنيا أن تحول هذه الفاشية الظاهرة يوميا وهذا الطريق الخاطيء للحداثة وبدون قتال[1]. إن منهجا كهذا له ارتباط ببحث السلام لكونه يطالب باعتبار عقلاني للمفاهيم النشطة الأساسية للذبذبة والتناغم. وبينما يعتبر بحث السلام الحديث أن التناغم مفهموم إنسانيا اساسي الا أن تفكيره الاختزالي لا يقدم أي أداة لتحقيق التناغم[2]. وينطبق نفس الأسلوب هذا على معظم تفسيرات ما بعد الحداثة للسلام وأدواتها العقلانية. وفي كلتا الحالتين غالبا ما يهمش التناغم باعتباره رومانسية عهد جديد غيرعلمية[3]. وهذا يقيد جوهريا قدرات تحويل النزاع ويوجه الاهتمام نحو طرق تقريرية التي هي النتيجة الضرورية للتفكير (الأحادي) العرضي والاختزالي للمدنية. لقد أنشأ هذا التفكير حواجز اجتماعية واقتصادية وبيئية للتفكير والشعور المنتجين للعنف الثقافي. وبالنسبة لمؤلفين مثل برندت وروديار لا يعتبر الفكر كل شيء. لأنه ببساطة بداية ادراكنا[4]. وكما عبر عنها الان واتس وبإجادة:، إن الفهم لا يعني استيعابا شفويا ـ إنه الشعور به بكامل جوارحك[5].»

وبحسب تقييم روديار قادت النظرة الدولية التعددية للحداثة إلى تمجيد مفهوم مختزل جدا للفرد. وتبعا لذلك ابتكرت الحداثة افكارا مجردة بصيغة ذرات كوحدة اساسية للمادة ونوطات كممثلات معرفات بصرامة للأنغام ومفهوما للمواطن ككائن بشري تم اختزاله لأدنى قيمة وظيفية. إن أي نموذج لمجتمع قائم على الأرقام والأشكال يتطلب وحدة اساسية بهيأة فرد محايد. إن مجتمعا كهذا يمتلك بالدرجة الأساس توجها فكريا. وادعاؤه بالثبات الشمولي هو شمولية فكرية تؤكد أن العلاقات

(1) تصنف الاعمال المشهورة للاعلام الموسيقي الذي اخذ عن Nada Brahma (1983) and Das Dritte Ohr 1985)) بنفس المستوى مع الاعمال المعاصرة كأمثال Fritjof Capra, David Bohm, Ken Wilber, and Ervin Laszlo

(2) هذه ايضا احدى المعتقدات الاساسية عند Rudhyar (1984)

(3) Senghaas (2001)

(4) Berendt (2004, p. 23)

(5) اقتبست في Lederach and Lederach (2010, p. 98)

المجردة تتحدد بالأرقام لا بالناس، بواسطة النظم الرسمية للنظام وليس بالصفات الفردية الجوهرية وطرق الحياة. ويهتم مجتمع كهذا بالعلاقة المنظمة ثقافيا للنوطات المخصصة للنغمات الموسيقية أكثر من النوعية المدركة بصورة طبيعية للطاقة الهزازة ـ أي الرنين الفعلي للنوطات[1].

إن التفسير ما وراء العقلاني للسلام يتضمن النظرة العالمية النشطة ويأخذ بالاعتبار الدور الذي يلعبه التناغم والذبذبات في السياقات الاجتماعية [2]إن السؤال فيما اذا كان التناغم مفهوما ذا معنى لدراسات السلام وغن كان في الغالب سببا في الجدال المحتدم يمكن الإجابة عنه وبسهولة من وجهة نظر ما وراء عقلانية: طالما أن التناغم كان عملية فيزياوية وبيولوجية وفكرية ونفسية للمواجهات الداخل فردية فإنه بالطبع موضوع تهتم به دراسات السلام. إن التحقق من ذلك قد يزيد من المثالية الرومانسية. وعلى أية حال، حالما نقبل بالسلام باعتباره مفهوما يدركه البشر فإن الإنسجام سيكون بالضرورة عنصرا اساسيا في ذلك.

ومن خلال تعريفهم فإن البشر هم كائنات ترسل ذبذبات. وتقوم آذاننا بتوفير محتوى علائقي نوعي وفكري ونفسي وعاطفي لنظامنا العصبي. وعندما تدخل الذبذبات الصوتية إلى الأذن فانها تأخذها ثم تحول ما أخذته إلى شيء معقول وما تدركه إلى شيء حقيقي. ويقوم الصوت داخل الأذن بفصل نفسه عن الآثار الفيزياوية ويتحول إلى طاقة عقلية[3]. بالكاد يكون هنالك مكان كي يصبح مصطلح «حد تواصل في حالة عمل» ملائما من هذا الفاصل بين الطاقة الفيزياوية والنفسية. غن تحويل الذبذبات الفيزياوية إلى معنى فكري أوعاطفي أو روحي يعطي مثالا متكاملا في كيف أن الطاقة تتحول بين المجالات وكيف أنها تتحول وليس مجرد أن يعاد توجيهها أو أن تكبح.

ان كل خلايا الجسم ترسل ذبذبات وتطلق العنان لعملياتها العصبية والبايوكيمياوية.

(1) Rudhyar (1984, p. 163)

(2) يشير (Lederach and Lederach (2010, pp. 111 – 144 إلى هذه النقطة بالاشارة إلى ارتباطها مع دراسات السلام التي ذكرت في هذا الفصل فيما يخص الحديث عن Van Morrison وانا اتفق مع الرأي بانه احد الرموز الموسيقية المثيرة للاهتمام في عصرنا. وفي الحقيقة فأنا اعد Bob Dylan الذي ذكره Lederach and Lederach مرارا احد اهم ممثلي هذا النوع من الفنون.

(3) Berendt (2004, p. 74 - 82)

غن السمع هي عملية كاملة. نحن نسمع من خلال يذاننا ـ وبكل خلية بجسمنا. فالإدراك هو ظاهرة رنين. وحالة الفرد وأحاسيسه ليست شخصية. في كل كائن بشري توجد نتائج لعملية تبادل متواصلة مع البيئة التي يعيش فيها وبضمنها التواصل الداخل فردي. أنا يجب أن أهمل الحالات الطبية لهذه الحقيقة على الرغم من علاقتها بموضوعنا. وما له علاقة هنا هو المفهوم القائل إن الذبذبات والتناغمات في عملية التواصل لها أثر على الحقائق الاجتماعية والسياسية[1].

لماذا يستطيع بعض المرسلين الوصول إلى مستمعيهم بغض النظر عن قدراتهم اللغوية والفكرية بينما لا يتمكن الآخرون من ذلك؟ لماذا تكون الموسيقى أداة فعالة في تحويل النزاع؟ ما الذي يحدث عندما ترد الناس على بعضها في ما وراء المجال اللغوي؟ وهذه اسئلة لها علاقة بدراسات السلام.

إن كل كائن بشري هو موسيقى، موسيقى خالدة تدوي نهارا وليلا. والناس الذين لديهم حس فطري قادرين على سماع ذلك. وهذا هو سبب صد بعض الناس لنا بينما يجتذبنا الآخرون. إن الذي يصدنا ويجذبنا فعلا هي هذه الموسيقى التي ترجع الصدى في كل كائن بشري[2].

وبالتوافق مع بيان برينت، فقد عرف ليديراج معايير عامة لتطبيق الموسيقى على تحويل النزاع. وطبقاـ ليديراج فإن الموسيقى يجب أن تتبع معايير داخلية لا خارجية التي من خلالها يبدو أنه يشير لما اسميه بالدارج ـ الذي ينشأ من السياق الاجتماعي وليس من التناغم الكلاسيكي. وبهذا المعنى، فإن الموسيقى يجب أن تكون أمينة، أي أن تأتي من القلب. لقد أظهرت التجربة بأن الدوافع البسيطة تكون أكثر فاعلية من البهرجة الصالحة. إن الفاصل بين الموسيقي والمستمعين يجب أن يظل مفتوحا كي يشجع على المشاركة. والمرح ليس فقط مسموحا به وإنما هو جزء من الموسيقى قوي وفعال جدا في تحويل النزاع[3].

---

(1) Cousto (1987, p. 16)

(2) Berendt (2001, p. 36 - 44), and Riccabona (2004, p. 208) transl. W. S.

(3) Lederach (2005, p. 159)

ولذلك فإن «الموسيقى الداخلية»، طالما أنها تشكل جزءً من عملية التواصل، لها وظيفة عملية في تحويل النزاع الاستنباطي. وهذا يقود إلى مفهوم التعويذة والأصوات البدائية ورموز الكلمة النموذجية المعبرة عن المشاعر لا المفاهيم، والعواطف لا الأفكار. إن التعاويذ هي أصوات مقطعية لها أثر قوي لأنها أصوات بدون حكم أو غرض. ومصطلح التعويذة يأتي من اللغة السنسكريتية حيث يمثل الإنسان العقل والفكرة والمشاعر ـ وهذا بأشمله يكوّن الإنسان. إن ترام (tram) هو مقطع لآلة. وتشير كلمة التعويذة إلى أداة عقلية أو وسيلة للتفكير. وأداة العقل هذه التي سبقت استخدام اللغة تدخل وعينا في نقطة يتحول فيها النفس[1] إلى كلمة وهو تبادل آخر بين الذبذبات النفسية والفيزياوية. وبالنسبة للصوفيين فإن الإنتقال من الصوت إلى التعويذة إلى الكلمة، ومن الموسيقى إلى الشعر والعلم هو إنتقال سلس[2]. وهذا ما يعبر عنه بالكلمة التركية (nefes) التي تعني حرفيا نفس على الرغم من أنها في الأدب اللاأليفي [3](Alevi) ترمز إلى شعر الحب أو البهجة التي يمكن أن تشير أيضا إلى العناية الإلهية أو الطبيعة أو شخص ما[4]. وهنا اؤكد انني ساتناول هذا النوع من الانتقالات في الوقت الراهن.

تتركز التعاويذ Mantras[5] ومقاطع نوياتها وهي ال(bijas) في اصول اللغة

(1) أن المقصودبـ كلمة نفس هنا هي مفردة أنفاس وليس مفردة أنفس ـ المترجم.

(2) Berendt (2001, p. 36 - 44, and Riccabona (2004, p. 2)

(3) تكلق هذه التسمية على جماعة كبيرة من الطائفة الشيعية المسلمة في تركيا.

(4) Cakir (2009, p. 17)

(5) المانترا، في الحضارة الهندية، هي كلمة سنسكريتية تعني تعويذة إما صوتية أو من كلمة أو من جملة تساعد في خلق تحول نفسي. تختلف استعمالاتها وأنواعها باختلاف المدارس التي تعتمدها. إنطلقت المانترا في الديانة الفيدية الهندية منذ 3000 سنة وأصبحت من أسس ديانات السيخ والهندوس ومن عادات البوذية والجاينية. في العادة، المانترا هو تصويت أو حملة تبداء بصوت «أووم» والتي في الأوبانيشاد، مانترا الأساسية التي تمثل الإله برهمن وكل الخليقة. تتألف كلمة «مانترا» السنسكريتية من مقطعين: «مان» وتعني التفكير و (وهناك كلمة «ماناس» وتعني الروح)، ومن كلمة «ترا» التي تعني «تحرير»، فيصبح معناها «تحرير الروح أو العقل». وهناك من يقول أن «ترا» تترجم إلى «أداة» مما يصبح معناها «أداة التفكير». أقرب معانيها في العربية هي «تعويذة». أما من ناحية مفعولها، فأقرب كلمة عربية لها هي «الذكر» بالمعنى الصوفي الإسلامي والتي تستعمل لارتقاء الروح. وقد يكون هناك تشابه مع فكرة التسبيح الإسلامية التي تتطلب ترديد كلمات محددة لتنقية النفس أو لطلب المغفرة. وبشكل عام، يرفض المسلمون فكرة المانترا كما تطبق في الهندوسية.

والموسيقى. وهذه المقاطع هي ذبذبات. ولما كانت كل خلايا الجسم البشري ترسل ذبذبات فهي لذلك تتبع قانون الرنين بأن الناس تستجيب لذبذبات صوتية. وهذا ينطبق ايضا على ضوضاء الحياة اليومية التي تنهك أعصابنا مثلما ينطبق على الأثر المحفز للموسيقى والذبذبات الراقية للتعاويذ المترنمة والمنغمة والمعبر عنها بإجادة. وكحد اتصال في حالة عمل يعتبر الغنسان جسما مرسلا للذبذبات الصوتية بنسب متناغمة. ولذلك فنحن نستجيب جسديا ونفسيا لتردد نغمة الأساس، ولترتيب الأصوات العلة والصحيحة، والإيقاع، ونمط التنفس، والمعنى والتقاليد والتركيب الداخلي للتعويذة. ويكمن تأثير التعاويذ في أنها تتبع المبادئ الأساسية للذبذبة والتطابق[1].

ويشير مبدأ الذبذبة إلى ما يلي: تؤثر الذبذبات احداها في الأخرى فتربط كل واحدة بالذبذبات الأخرى. وعندما تتغير ذبذبة ما فإنها تغير الجميع. وهذه الفرضية ترتبط بمقدمتنا عن باتسون ونظرية الأنظمة ويمكن اعتبارها أساسا لكل الطرق التي تمت الإشارة لها في هذا الكتاب. إن من المتعارف عليه أن نمط التردد للذبذبة المكون ادراكيا، كالتعويذة البسيطة على سبيل المثال، يؤثر في عقل الإنسان والبيئة بأجمعها. وبالمقابل فغن كل ذبذبة تنشأ من الطبيعة يؤثر في النظام البشري.

ولذلك يتوجب علينا أن نعي أثر نغمة الإيقاعي والنغمات التوافقية طالما أننا وعلى الدوام نواجه الذبذبة عندما نسمع الموسيقى. إن كل نوطة ايقاع منغمة تجعل النغمات الثمانية الأعلى ترن. تدرك الأذن البشرية ترددات معينة فقط من طيف كبير جدا بسبب قدرتها على الاهتزاز بدقة في هذا المدى المحدد من التردد. إنه نغمات ثمانية من الذبذبات الحيوية التي تؤثر فينا دائما. إن المبدأ الصوتي للرنين يوضح أن طبقات صوتية مختلفة وفي فترات متعاقبة تنتج أنماطا مختلفة من التذبذب في الخلايا مما ينشط ردودا عاطفية محددة. فلا توجد هنالك أصوات محايدة. وطبقا إلى الكون الثمانيد هانز كوستو، حيث أن لل Cه أثر مهديء، ولG لها أثر ديناميكي، فال Cه تقوي الإرادة، وطبقة صوت *الغرفة* (المزيفة) A تسبب شعورا بالنشاط، وال F يتشجع العقلنة، وهكذا دواليك.

(1) Riccabona (2004, p. 2)

ويساعد مبدأ التوافق في توضيح لماذا للتعاويذ تاثير في مجالات متعددة، من المادية إلى العقلية. إن عبارة «كما في الأعلى، يكون الأسفل» قابلة للفهم بسرعة وبحسب الموجات الصوتية[1]. وطالما أن كل نغمة أساس منغمة تجعل المقاطع الثمانية الأعلى منها ترن فهنالك نمط تردد محدد الذي سوف يجعل كل النغمات الثمانية ترن. وكل صوت يؤثر في المستوى الذي تم انتاجه علي ويؤثر في كل المستويات بضمنها النغمات الثمانية التي تكون الأذن البشرية قادرة على سماعها. فالتعويذة هي محاولة هادفة وتجريبية وثقافية لعمل تراكيب محددة فيزياوية ونشطة وعاطفية وعقلية ترن وترن ما وراء الحدود البشرية.

إن المانترامية (mantramisctics)، اي تعليم تطبيق الذبذبات، يعمل مع نغمة الأساس، والنغمات التوافقية، وأنماط الفكرة، والمرئيات وأوضاع الجسم[2]. وعندما تتحد قوى كل من الصوت والعقل والعواطف والجسم وتتعرض لنمط ذبذبة واحد فسيكون لهذه الممارسة أثرها الأقوى. وفي تمارين التعويذة يعتبر كل من الكلام المتكرر والتنغيم وانشاد الأصوات والمقاطع الجوهرية والصيغ هي نشاطات خلاقة. وتحفز الذبذبات النظام الصوتي مفعلة بذلك حالات العاطفة الباطنية[3]. وبالتزامن مع مبدأ الرنين فإن التكرار الدائري في تطبيق تعويذي يؤثر في الذبذبات ويعززها. وهذا له أثر استشفائي لأن التعويذة تسمح للذبذبات بالنفاذ إلى الطبقات الأعمق من اللإحساس البشري وفي جوهر تكوينه: «وببساطة فإن التكرار يجعلنا منفتحين لتجربة مشاعر محاطة بحب غير مشروط[4]. »

وفي الممارسة الجماعية يحفز هذا مشاعر الوحدة التي تجعل العمل التعويذي أداة مرتبطة جدا بتحويل النزاع وتمنع الحاجة للجمود العقائدي والتعنت. وفي الواقع فإن أي منهج مرح في التطبيق سيوفر فرصا هائلة يمكن تلمسها في لأساليب الموسيقية الدارجة. ويمتد هذا الطيف من السياقات العابرة للثقافة إلى سياقات الثقافة الأصيلة. ان

(1) Riccabona (2004, p. 3)
(2) Cousto (1987, pp. 83 - 85)
(3) Mookerjee (1984, p. 120)
(4) Lederach and Lederach (2010, p. 127)

تسيير هذه العملية هو فن قديم وقيم. فإذا نجحت المجموعة الممارسة في التعبير عن نفسها من خلال صوت عام، فإن كل مشارك سوف يحاط بتوافق والذي يكون هو فيه المرسل والمستلم كلاهما: وهذه هي أهمية نغمة الأساس بالنسبة لغرض المجموعة. ويمكن أن نفهم نغمة الاساس على أنها الصيغة الأساسية التي تسمح لكل مشترك أن يعطي ويستلم حتى تستطيع حدة صوت المجموعة أن تجعل في النهاية كل الأصوات في حالة توافق. إن الشكل والمحتوى الصوتي للأخذ والعطاء الآني هو مبدأ التناغم الأساسي للفلسفة اللا ثنائية، أي الأدفايتا، والذي يتم تجربته من خلال الحواس[1].

ومن خلال الأصوات والمقاطع والكلمات يقوم الأشخاص الممارسون بالتعبير عن طبيعتهم كأفراد وكمجتمعات. فهم يظهرون كتجمع متجاوب مع كل فرد. إن موجات الفكرة، والموجهه بوعي، تخلق حقلا من أنماط الذبذبة المتطابقة. ولذلك، فمن أجل العمل كأداة جمعية للتحويل، سيكون الهدف هو تحقيق النغمة الصحيحة ولكن بالنسبة لكل الممارسين سيكون الهدف هو تحقيق التناغم. إن فاعلية هذه التمارين لن تتوقف وستكون مدهشة ومؤثرة لتثبت أهمية الصوت كأداة في التواصل[2].

إن مبادئ الذبذبة والتوافق تعرض فاعلية الموسيقى المثيرة العمل التنفسي الشامل لكروف والتنفس الكمي الخفيف لكابال. وتختلف هاتان التقنيتان عن التعويذة في أنهما يوجهان ذبذبات مضخمة الكترونيا ومرتبة في سلاسل مبرهنة نحو الأشخاص الممارسين بينما في تقنيات التعويذة يقوم الممارسون بخلق هذه الترددات بأنفسهم. وهذا يعني أنهم يخلقون الصوت ويكونون هم أول مستقبليه. وهذا الاختلاف هو ذو أهمية عند الإشارة إلى استخدام الموسيقى المثيرة في العمل التنفسي[3]. إن توجيه الموسيقى من خلال مكبرات الصوت نحو جسد وروح المستمع يرقى إلى أن يكون تدخلا خارجيا. وهذا ما يجب التعامل معه بمسؤولية ووعي من قبل المساعد لكي لا يتحول الأمر إلى تلاعب[4].

(1) Rock (1990, p. 106)

(2) Riccabona (2004, p. 4)

(3) Cousto (1987, pp. 18 - 20)

(4) هنالك مثال رائع في Cousto (1987, pp. 93 - 108)

تلعب النغمات التوافقية في تقنيات التعويذة دورا مهما. فلكي تكون سلسلة الكلام والتنغيم والإنشاد مسموعة فإن سرعتها يجب أن تبطّأ بصورة هائلة. فالشخص الذي يعمل الصوت لا يستطيع أن يعرف وبدقة ما الذي يحدث عند الاستماع ولا يعنيه ذلك أيضا. إن كلّا من الاستماع والادراك والانتباه وملاحظة العمليات الداخلية وتركها تتكشف بدون تدخل: هي متطلبات اساسية لتطبيق التعويذة.

تتطلب تقنيات التعويذة تطبيقا وصبرا وتركيزا على الجزء المنوط بالشخص الممارس. وتلعب التعويذة على الحد بين المسموع والبديهي الذي يعلق (يوقف) الاختلاف بين صانع الصوت والمستمع له. وكلما زاد عدد النغمات التوافقية زاد تأثير صوتها على الوعي مسببة تغيرات في ادراك الجسم. وهذه التقنيات النشطة تشحذ العقل والوعي وتفتح الروح وتعزز الحساسية والمهارات التواصلية[1].

إن الغرض من تطبيق التعويذة هو استثارة حساسية الاشخاص الممارسين للمعاني ما وراء اللغوية للأفعال التواصلية التي تلعب دورا هاما في تحويل النزاع الاستنباطي. ويسمح التطبيق بحصول تجربة تقنية ومهارية التي تسهم في التطور الشخصي وتوفير أدوات يمكن تطبيقها بفعالية في مواقف «الحياة الواقعية» بدون أن تتطلب تحضيرا كثيرا. إن أهداف هذه الممارسة هي ما يلي:

تعزيز القدرة على التعاطف مع معلومات المرسل من خلال عمليات تواصلية؛

تغيير معنى المفاهيم المسبقة؛

الحصول على توازن داخلي وخارجي؛

اكتساب القدرة على خلق *مزاج* تأملي؛

اكتساب القدرة على فصل تفكير الشخص عن الأمزجة العرفية؛

اكتساب القدرة على النظر إلى العالم بصورة كلية وعزل النفس عن التورط في آراء جزئية اختزالية[2].

---

(1) Berendt (2004, p. 303 - 307)

(2) Berendt (2001, pp. 36 - 44), and Riccabona (2004, p. 217)

إن المبدأ السماعي من وراء الموسيقى المثيرة وتمارين التعويذة هو بالدرجة الأساس المبدأ نفسه. ولا يختلف تاثيرهما واستخاماتهما عن بعضهما، ماعدا أن التعويذة قد تكون أكثر قربا إلى توسع الوعي عند كابال من تغيير الوعي بلغة كروف. إن هذه التقنيات تحول النظام الجسدي للشخص الممارس. حيث يتم تغيير مجس العالم الداخلي للممارس إلى وضع الاستلام. وهذا أمر أساسي في الإصغاء الفعال ـ الذي اشرت اليه مسبقا عند مناقشة كارل روجرز وجيدو كريشناموراتي وجيرو كابال وروث كوهن والآخرين ـ الذي يعيد ربط التقنيات ما وراء اللغوية بالتقنيات اللغوية.

ويربط الإصغاء النشط الواعي اهتمام الفرد بالحاضر. ونتيجة لذلك يقوم الصفاء النشط باخراس الاستفزازات الممكنة التي تسببها الذكريات والعواطف والأفكار والطموحات والمثاليات. إن الإصغاء، وبضمنه الإصغاء بانتباه إلى نويات المقاطع (bijas) المتشكلة من خلال صوت الشخص، يقوي وعينا. وطبقا لبرندت فإن المستمع لا يلح على نفسه أو على الآخر أو على الفصل بين الفاعل والمفعول به. فالأذن تقوم بربط حد الإتصال الذي هو في حالة عمل مع بيئته. ولذلك لا تمثل الأذن فاصلا بل وحدة[1].

إن القدرة على الحفاظ على اهتمام الشخص بالحاضر هي ذات أهمية جوهرية لتحويل النزاع الاستنباطي. ان الإصغاء الفعال للاصوات، وخاصة اصوات التعويذة، هو بحد ذاته ذو قيمة كبرى. إنه يهيء الأرضية للإصغاء الفعال للمحتوى الدلالي. وعندما يتحرر الإصغاء من الاستفزازات المذكورة فحينها فقط يرتقي بصفاء إلى مرتبة اتصال في حالة عمل. واليوم يعيش معظم الناس في ظروف الحداثة وما بعد الحداثة، والامتصاص الذاتي والثرثرة، التي تركز على المرئي بالدرجة الأساس. إن تمارين الإصغاء الواعي وتمارين ادراك الفرد لصوته هي لذلك عناصر مهمة للتدريب في عمل النزاع الاستنباطي.

(1) تعمل نظرية William Pennell Rock الاصلية مع هذه الرؤية ايضا. (Rock (1990, pp. 106 – 108

الفصل الخامس

مناهج حركية المنحى لتحويل النزاع الاستنباطي

وفقا للعلاج بالموسيقى يحتوي جسم الانسان على جهازين يتواصل بواسطتهما مع العالم: وهما الجهاز الحسّي والجهاز الحركي[1]. ففي وجهة النظر الديكارتية للعصر الحديث، يكون الجهازان منفصلين في حين انهما حسب الاطار الشامل لعلم النفس الانساني والافكار والافعال يتكونان من المادة نفسها ويمكن التحويل بين كلا النظامين.

لقد طبقت مارثا غراهام [2]، وهي رائدة من الولايات المتحدة في فنون الرقص والحركات، وجهة النظر الشاملة هذه في اعمالها. وخلافا للجو السائد في عصرها احدثت غراهام ثورة في رقص الباليه الكلاسيكي بتحريره من سلسلة الحركات الموحدة وفضّلت التعبير عن المشاعر والعواطف على الحركة. ومن خلال تجاربها المتكررة في استكشاف الذات فقد طورت طيفا من التقنيات المستوحاة من التوتر والانشراح والتنفس. لقد اسست مارثا غراهام في عام 1926 مدرسة للرقص المعاصر في مانهاتن، التي صارت لاحقا شركة مارثا غراهام للرقص. وفر عملها سلائف ذات اهمية لهذا الفصل مثل اهمية بدايات الرقص الانطباعي الالماني الجديد.

سأركز هنا اولا على اهمية النظام الحركي وأهمية الحركة كونها عنصرا اساسيا للوجود البشري التي بموجبها ترسم الاساليب الرئيسة لتحويل النزاع الاستنباطي. لقد اشرت سابقا إلى تأويل غابرييل روث[3] المقبول والمفيد لهذه المبادئ. كانت روث،

---

(1) (1977, 130 ص)Koval.

(2) 1894 - 1991

(3) (9 تشرين الثاني 2009)Roth.

كونها مخرجة مسرحية ومدربة رقص ومنتجة موسيقية وقارعة طبل وكاتبة، تنتمي إلى الجيل الشاب من ايقونات معهد ايسالن. وفي ايسالن التقت غريغوري بيتسون وفريتز بيرلز الذين اثرا عليها بشكل كبير. غير ان ملهمها الاكبر[1] كان اوسكار ايتشازو[2]، مؤسس يوغا اريكا. [3]

ارتبط اسم ايتشازو بنموذج فلسفة النفس البشرية الذي هو جزء من التعاليم الصوفية الذي اسماه *التحليل الاولي*. وبشأن علم النفس فقد طور مفردات لتطهير النفس ـ الذي يشير لها على انها «الجوهر» ـ من الغرور. لقد سبق ان اشرت إلى هذه الملاحظة الشائعة لمرات عديدة في هذا الكتاب. خارج الحلقة المباشرة لايتشازو فان اسلوبه هذا الاقل شيوعا هو مادي وليس فكريا. ومن خلال التجارب المادية العملية فهو يسعى إلى تدريب القلب والعقل. [4] وعلى هذه الصيغة من يوغا اريكا تعتمد روث في عملها.

كان للتأويلات المبكرة لفلسفة النفس البشرية تأثير على الرقص الطقوسي ـ العلاجي وعلى المسرح الشافي[5] وخاصة تأويل جورج ايفانوفيتش غوردييف[6]، وهو ملهم كبير لايتشازو. في اوائل السبعينات من القرن العشرين تشكلت فرقة من مدرسة اريكا لايتشازو حول المخرج والممثل المبدع اليخاندرو يودوروفسكي.[7] بدأت الفرقة تترجم ممارسات اريكا إلى اعمال مسرحية. في عام 1973 بدأ في نيويورك تقديم مسرحية حول اغواء الجوهر، أو الذات، من قبل وحش الغرور، وعرضت على انها طقس قبلي يصاحبه حركات وموسيقى روك، بصحبة ويليام بينيل روك. يدّعي روك

(1) (1998, 23 - 20 ص)Roth.

(2) ولد عام 1931 في بوليفيا.

(3) (15 تشرين الثاني 2009)Ichazo.

(4) (1990, 16 ص)Rock.

(5) (2005, 45 - 16 ص)Bartels.

(6) 1866 - 1949.

(7) ولد في عام 1929 في توكوبيلا في تشيلي. من اشهر اعماله فيلم الجبل المقدس الذي انتج في نفس العام يحمل النزعة ذاتها.

انه كان في غيبوبة عميقة طيلة ادائه الدور. [1] وبكل تأكيد مهدت المسرحية الارضية لما سيصبح بعدها ممارسة الايقاعات الخمسة لغابرييل روث.

فضلا عن ممارستها الرقص والموسيقى، ادارت روث مسرحا تطهيريا تحت تأثير تلك المواجهات. وطبقت نظرية النماذج الاصلية ليونغ مشيرة اليها على انها «مسرحا طقوسيا». [2] خطا روك، وهو عالم نفس تبع منهج يونغ، خطوة ابعد في الاتجاه ذاته. في اعقاب تجربته مع ايتشازو ولتأثره بالتبادل المكثف مع بول ريبيلو[3]، فقد اسس مركز العلاجات الفنية التعبيرية العابرة للفردانية في لوس انجلس، الذي كان الهدف من وراء انشائه هو لتأسيس فنون تعبيرية لتكون طريقة علاجية. [4] ومن هناك لم تبق سوى خطوة صغيرة باتجاه تحويل النزاع الاستنباطي. في هذا الفصل سأتتبع الخطوات من الابسط باتجاه الاكثر تعقيدا، من الخطوة التعبيرية النقية نحو شكل من اشكال الدراما.

الايقاعات الخمسة الشهيرة لروث هي (حسب الترتيب): التدفق (flowing) والمتقطع (staccato) والفوضى (chaos) والقيثاري (lyrical) والسكون (stillness). بنيت تلك الايقاعات، كونها تفهم على انها تقديم منحاه الجسد والحركة للتفسير العلاجي للتوازن، على منهج اريكا: ما قبل الاتصال والاتصال وما بعد الاتصال. [5] وبغض النظر عن الاسماء المختلفة للنماذج الفردية، فإنها دائما تدور حول العمل في حدود الاتصال ضمن المنظومة البشرية، فردانية أو اجتماعية؛ من هنا تتجلى اهمية تحويل النزاع الاستنباطي.

فيما يتعلق بعمل روث المكثف[6] فإن ممارستها التي اسمتها الايقاعات الخمسة هي الوسيلة ذات الصلة الاكبر والاكثر فاعلية وشهرة لتحويل النزاع الذي يتمحور حول الحركة. تعد روث ما تسميه موجة الايقاعات الخمسة الاساس وراء عملية التحويل. [7]

(1) (1990, 17 ص)Rock.

(2) Roth(1998, 25 ص).

(3) (1993)Rebillot.

(4) (1990, 20 ص)Rock.

(5) (1977)Perls et al. (1977).

(6) علاوة على عملها ذي الصلة الاكبر لعملنا، Roth (1997 ,نظر ايضا (1998) Roth و (2000) Roth.

(7) (1997, 213 - 193 ص)Roth.

فمن وجهة نظرها يمثل التدفق «الصيغة الانثوية» للاكتشاف الديناميكي في حين يمثل المتقطع «الصيغة الذكرية» للبنية التراتبية. تعبّر الفوضى عن التفكيك، لذا فإنها ابداعية وهي اتحاد الايقاعين السابقين، اما القيثاري فهو يشير إلى الوعي الموسع في ما بعد الاتصال. فيما يمثل السكون التأمل الوجودي الناتج الذي يؤدي إلى الموجة التالية:

> تجد في التدفق نفسك. وفي المتقطع تعرّف نفسك. تساعدك الفوضى على تذويب نفسك، لذا فانك لا تنتهي ثابتا متسمرا في النفس التي اكتشفتها وعرّفتها. يلهمك القيثاري لتكريس نفسك لتحفر عميقا في التعبير الفريد عن طاقتك. اما السكون فيسمح لك بالاختباء في الطاقة الكبيرة التي تمسكنا جميعا وبذا يمكنك ان تبدأ العملية كاملة مجددا. [1]

يعود التنفس إلى غروف وكابال والصوت إلى ريكابونا وبيريندت واللغة إلى روزنبيرغ والكون والحركة إلى روث. تحرر الحركة الايقاعية التعبيرية الدرع والعوائق المخزونة في الجسد والخدر الناتج عن السلوك الذي قد تعلمنا من خلاله ان نحمي انفسنا ضد الانتهاكات، بيد أنها هي التي تحرمنا من المخاطر الممتعة لتجربة الحاضر بانفتاح. المشاعر حقيقية. هي ليست افكارا تجريدية يمكن اطفاؤها بسهولة. تعبر وحدة الجسد والعقل عن التجليات المادية للمشاعر في الحاضر. عندما تبقى المشاعر غير معبّر عنها أو مكبوتة أو مغلقة تصبح طاقتها سامة. فالمشاعر المكبوتة تجعل جسد الفرد والمجتمع مريضين. تصف روث الخوف والغضب والحزن والمرح والعاطفة على انها مشاعر اولية يمكن استطلاعها في عملها التحويلي وتؤكد على ان المشاعر السلبية الظاهرية يجب تجاوزها قبل ان يصل الفرد إلى المشاعر الايجابية الظاهرية. فأولئك الذين يتجنبون المشاعر الاولى لا يختبرون الا نسخة ظاهرية مقنّعة من المشاعر الثانية. [2] وكما هو الحال مع العديد من المؤلفين الذين اشرنا اليهم، تعدّ روث المشاعر لا هي سلبية ولا ايجابية؛ فهي ببساطة وظائف للجسد ـ تدفقات للطاقة بحاجة إلى ان تتدفق بحرية كي تبقينا في الحاضر: «اساسا الخوف يحمي والغضب يدافع والحزن يحرر، والمرح يرقّي، والعاطفة توحّد. [3]

---

(1) (1997, 195 - 194 ص)Roth.
(2) (1998, 57 - 56 ص) Roth.
(3) (1998, 60 ص) Roth.

عندما يجري تجنب المشاعر أو كبتها أو تجاوزها فإنها تعود إلى الفرد والمنظومة المجتمعية مشاعرَ سامّة. تظهر تلك على هيأة اشكال بدنية ونفسية من الجمود الذي يمكن ان يؤدي إلى العقبات. لذا فان وجهة نظر روث الحضرية ـ الشامانية تنتج المعادلة التالية: «المرض هو الجمود والعلاج هو الحركة». (1) ففي كلمات الشاماني الكونغي الذي يصف الشفاء على انه وظيفة الرقص، والرقص وسيلة شفاء ـ من أدق تفصيل لتعقب الوعي الكونداليني ـ عملية معقدة تلخص في «أرقص، ارقص، ارقص، ارقص.» (2)

لا تحاول لغة روث، التي تعبر عنها في عبارات مثل «تعرف على صلواتك» و«الخرائط نحو النشوة»، ان تكون مقبولة أو عقائدية؛ بل هي تشجع ملاحظة الذات المكثفة. الامر هو عدم تقليد روث أو ممارستها، بل الوصول إلى استنتاج ذاتي نتيجة الملاحظة. وفي هذا المعنى، الرقص التعبيري هو طريق نحو التحويل، بيد انه ليس طريقا يحتوي على مسلك واحد، كما انه ليس الطريق الوحيد. (3) يقر جون بول ليديراش صلة هذه المفاهيم بالتحويل الاستنباطي للنزاع، ويصفها بوضوح انها ذات صلة بعمله هو. (4)

5 ـ 1 **بوتو** Buto

بوتو هو نوع من البوجو ((Bujo، الذي هو مرادف ياباني لمفردة رقص. انكوكو بوتو (Ankoku buto)، اي رقص الظلام، هو تكنيك خاص بالسيد تاتسومي هيجيكيتا، صار معروفا خارج حدود اليابان. الكثير مما كتبته عن غابرييل روث ينطبق ايضا على البوتو، رغم ان هذه الحركة قد ظهرت اولا في اليابان على انها احتجاج ضد امركة الثقافة اليابانية. كما ان البوتو كانت ايضا نقدا للترميز التقني الصارم المرتبط بالرقصات التقليدية اليابانية نوح وكيوجين وكذلك كابوكي البورجوازية، التي اقتبست منها عدة عناصر اسلوبية. اثناء بحثهم عن أشكال جديدة، واجه انصار البوتو الرقص (التعبيري)

(1) Roth, (206 ص ,1998)بالتوافق مع .Heinrichs(22-19 ص ,2004)

(2)مقتبسة من سوامي كريباندانا .Swami Kripandana (83 ص ,1984)

(3) (1998, 187 ص)Roth. (3)

(4) (2005, 158 - 152 ص)Lederach. (4)

الالماني الجديد في تقليد لايميل جاك دالكروز، [1] الذي كان هدفه استبعاد المبادئ العقلانية للفترة الحديثة. في عام 1917 وأثناء الحرب العالمية الاولى جعل رودولف فون لابان[2] الرقص التعبيري معروفا على انه احد ادوات سياسات السلام عند تنظيم المسرحية الراقصة ذات الحركات الثلاثث المسماة *اغنية إلى الشمس* *sang an die sonne* في ختام مؤتمر رئيس حول النظرية النباتية ومناهضة العنف. نقلت المؤديتان كلوتيلد فون ديرب[3] والاكثر شهرة ماري ويغمان[4] الرقص التعبيري إلى اليابان في اواسط عشرينات القرن العشرين وأسمياه الرقص الالماني الجديد. وفي الوقت الذي كان لهذا الشكل ابتداءا تأثير على البوتو، فالكثير من اعلامه قد تنصلوا منه لاحقا. كان الرقص الالماني الجديد في وقت مبكر قد عاصر الاعمال الرائدة لجاكوب ليفي مورينو وفريتز بيرلز. كان الرقص الالماني الجديد من جهة قد قمعه النازيون، ومن جهة اخرى كان بعض قادته يختارهم الحزب. ادت تلك التطورات مجتمعة إلى زوال حركة الرقص التعبيري في المانيا.

في اليابان كانت جهود الراقصين المتميزين وارواحهم واحلامهم وذكرياتهم واجسادهم فوق العروض الطقوسية للعصر الحديث قد اثرتها التقنيات المحلية القديمة الامر الذي ادى إلى تطوير شكل تجريبي معاصر ومنشق من الرقص التعبيري. ان البوتو هو مسرح رقص تعبيري بالمعنى الاكثر جذرية. فهو يضع الجسد في صلب العواطف ولا يرنو إلى ان يستوعبه العقل. يرفض البوتو المفاهيم المتجذرة لعلم الجمال. فهو ليس مهتما بخطوات الرقص بل بالتجربة الحدسية لما هو غير قابل للتعليم. [5] يمكن هنا تطبيق عبارة ويليام باتلر ييت «ليس بمقدورك اخبار الراقص من خلال الرقص» [6] وهو ما يكشف عن احد شروط ما بعد الحداثة وراء طرح مناهض للأمريكيين تبناه مؤسسو البوتو.

(1) 1865 - 1950.

(2) 1879 - 1958.

(3) 1892 - 1974.

(4) 1886 - 1973.

(5) (31 ايار 2010)Heinrichs.

(6) مقتبسة من .Grof and Bennet(12 ص ,1993)

طور تاتسومي هيجيكاتا[1] وكازو اونو[2] البوتو كي يكون احتجاجاً ضد اشكال الحضارة المجردة من انسانيتها في اعقاب قصف هيروشيما وناكا زاكي. كان رفضهما للولايات المتحدة جليا في انزوائهما النقدي عما كان يسمى المعجزة الاقتصادية اليابانية، وهو النمو الصناعي الانفجاري لليابان الذي، من وجهة نظرهما، خرّب ثقافة البلد وبيئته الطبيعية. وبشأن الجدل حول التلوث البيئي الذي ظهر في اليابان في حينها قال هيجيكيتا: «يجري باستمرار انتهاك الجسد من طرف الاشياء نفسها التي يحتفى بها على انها تنمية وتكنولوجيا.»[3] عبّرت وجهة النظر هذه عن اصل اسلوبه في البوتو، الذي هدف إلى الوصول إلى وعي الجسد الذي يمكن ان يتجاوز القوة المخادعة والمعيارية التي اكتسبتها المفردة *الجسد* في الزمن المعاصر.

نظمت اولى العروض من هذا النوع في عام 1959، وكانت تلفها الفضيحة. ونجم عنها مقاربة موضوعية وعاطفية ووقتية مع ظهور حركات سلام ما بعد الحداثة والبحث في مجال السلام في الولايات المتحدة وأوروبا. وحدثت ايضا دعوة إلى العودة إلى مبادئ معينة للوجود الانساني ـ وهي ثورة على مستوى الجسد وتمرد على متعه. القى رقص الظلام لتاتسومي هيجيكاتا ضوءا متطرفا على مواضيع محظورة مثل الموت والانحراف الجنسي. من المستحيل معرفة طبيعة الضوء ان لم يكن المرء قد عبر الظلام»[4] ـ وهو القول الذي يتشاطر الكثير مع وجهات النظر المتزامنة الواضحة لعلم النفس الانساني وجذوره في المسرح في فترة ما بين الحربين العالميتين.

بناءً على ذلك عدّ البوتو، الذي قد يجري تأويله على انه مسرح شهواني للتعري، اثارة جنسية وشبقا، غير انه وبنفس القدر يحوي رقة تأملية وتفوق وغريب. ومهما يكن الامر، فانه بكل تأكيد ليس مسرحا تقليديا حتى وإن كان يحيي الفن الياباني القديم في الربط بين الرقص والموسيقى. لقد حاز البوتو، كونه احد اشكال الفنون، في الوقت ذاته على اعتراف عالمي وتفرع إلى عدد لا يحصى من المدارس والمعتقدات المتنوعة.

---

(1) 1928 - 1986.

(2) 1906 - 2010

(3) ستويانوفيتش Stojanovic (2007, ص25) ترجمة فولفغانغ سوتزل

(4) هاردتر و كاواي Haerdter and Kawai (1986, ص42) ترجمة فولفغانغ سوتزل

فإن أخذنا بالحسبان ان مؤسسي هذا الفن قد رفضوا وضع تعريف دقيق لفنّهم، فان من الصعب جدا بعد عقود تحديد اساليبه واشكاله. ومع ذلك، فنحن ننظر إلى البوتو ليس على انه فن ادائي بقدر كونه طريقة لتجريب النفس، وبالنتيجة على انه وسيلة لتحويل النزاع الاستنباطي.

تدور موضوعات البوتو حول غموض الضوء والظلام، والولادة والموت، والظهور والتلاشي. تكشف هذه الموضوعات الطقوس الصوفية المتولدة نتيجة الكوابيس والعذاب، التي تقود إلى صحوة وخلاص وربيع وحقيقة جمال الوجود.

> ينطوي تحرير الروح على عيش الادوار الحقيقية للذات، حالتنا الانسانية، ولايتنا: ادوار الراقص أو المغني أو الشاعر أو الممثل أو المعالج. ان الادوار المتناقصة الاقل شأنا من البشرية التي قد تعلمنا تبنيها عبر السنوات نتيجة الخوف والغضب والحزن هي اقنعة للأنا. جرى تعليمنا على ان نقوم بأدوار بسيطة، ان نرتضي ادواراً تافهة لا تعبر الا عن اقل قدر من امكاناتنا ونفوسنا. تتركنا الادوار الذاتية هذه بطبيعة الامر غير مقتنعين، بيد اننا ننقاد إلى الايمان بأن تنشئتنا والتكييف اليومي للمجتمع هي حقيقة انفسنا. نحن ممثلون على مسرح الحياة. ان التحدي امامنا هو ان نجد المسرحية الحقيقية وادوارنا الفعلية. [1]

يطالب البوتو المرء برفض الانا والتحول بدلا عن ذلك نحو الذكريات الاصلية للجسد واكتشاف النفس التي تظهر فيها. [2] فالجسد دائما على حق. [3]

يمثل راقصو البوتو احد موضوعات الرقص كجزء من البحث النزيه جدا عن اعمق وجود لهم. هذا مشروع محفوف بالمخاطر، حيث ما يمكن ان يواجه الراقصين حقا هو وحوش غرورهم. مع ذلك فان هذه بالضبط هي نقطة التطبيق لذا فهي تبيّن سبب ان الرقص التقليدي والاداء المسرحي قد يكون في غير محله: بدلا عن اماطة اللثام عن الراقصين، يوفر الاداء التقليدي لهم القناع المسرحي، وهو طبقة اضافية من القناع. [4]

(1) (1998, 141 ص)Roth. (1)

(2) فيالا و مايسن سكين .Viala and Masson-Sekine (22 ص ,1988)

(3) هاينريش Heinrichs(110 ص ,2004)

(4) روك .Rock (59 ص ,1990)

فالنيّة في البوتو هي العكس تماما. فهي تقود المؤدي إلى مواجهة مع ظله وقد تصبح مسيرة شافية في الجحيم. لذا فان البوتو يعد تحديا لتحرير الحيوان المتوحش داخل نفس الانسان، ليس لترويضه والباسه وتجميله بل التعرف اليه. فكلما كانت معرفة الانسان لظله افضل كان تعامله معه اسهل واكثر طبيعية. يمثل البوتو بالضرورة جهدا لكبت الغرور من اجل ان يكون لدى «الوحش الداخلي» مجال للتعبير عن نفسه. كلما كبر تجاهلنا وكلما كنا اكثر وحشية وقوة في الوصول إلى «جحر الافعى الداخلي»، كان تطهير وشفاء الاثر اكبر.

يركز البوتو على شخصية المؤدي وتجربته الذاتية، مع ان هذا لا يفترض انها لا تتعدى كونها وسيلة فنية لعلاج الفرد. فان اخذنا البوتو في سياق نظرية المنظومات، يصبح جليا انها تؤدى في وجود المتفرجين وتولّد حلقات تغذية مرتدة متعددة. وإذ ان الامر صحيح كون المتفرجين عادة ما يتابعون، الا انهم مع ذلك يتفاعلون مع المؤدين على المستوى الفاعل. وكلما كان الاداء اصليا ومفتوحا كانت التغذية اقوى.

ان تقارب هذا التفكير مع الاساليب التحفيزية لعلم النفس الانساني يصعب التغاضي عنه حتى مع هذه المرحلة المبكرة من التطور. تشابه الموضوعات الايقاعات الخمسة التي وصفتها غابرييل روث، ومثلما هو الحال مع روث لا يتغاضى البوتو لا عن القواعد الملزمة ولا عن التقليد الطقوسي لرجالاته. يجب علينا، وفقا لتاتسومي هيجيكاتا، العيش في الحاضر وليس في مخاوف يغذيها الماضي أو مقدّرة في المستقبل. وبدلا عن ذلك علينا ان نواجه مخاوفنا بممارسة البوتو وادراك انها افعالنا نحن وانها اشياء لا يعرف الا القلة منا كيفية التعامل معها. هذه هي الفكرة التي علينا معالجتها. يواجه الراقصون مخاوفهم بتأديتهم رقصات تتسلل إلى بواطن الارض. (1) وهذه الفكرة ايضا معروفة في العلاج بالموسيقى.

اصبح بول ريبيلو، وهو فيلسوف وممثل ومخرج وباحث في شؤون المسرح ولد في ديترويت في عام 1931، مشهورا بمسرحي الكابوكي ونوح عند زيارته المطولة لليابان. فقد قدم هذين النوعين من الرقص إلى معهد ايسالن في كاليفورنيا حيث ارتبطا

(1) هاردتر و كاوال ,1986)ص 42) Haerdter and Kawai ترجمة فولفغانغ سوتزل

بسرعة بالعلاج بالموسيقى والدراما النفسية ونظرية الانماط الاولية عند فريتز بيرلز، الامر الذي قاد إلى انماط جديدة من المسرح. ومن بين اكثر هذه الانماط شهرة هي رحلة بطل ريبيلو[1] وعملية الاصول لويليام بينيل روك. تعاون روك مع ريبيلو في ايسالن وكان متأثرا به بشكل ملحوظ. [2]

جرى تقديم البوتو في المانيا في ثمانينات القرن العشرين وبشكل رئيس من قبل ميناكو سيكي ويونيكو يوشيدا[3]. كما أسهم كازو اونو ايضا في نشر البوتو في اوروبا وخاصة في المانيا. ومنذ ذلك الوقت ظهرت حركة واسعة تتضمن كلّا من الصيغ الفنية والعلاجية للبوتو. قدمت هنرييت هاينريش من برلين البوتو كطريقة تعليمية إلى برنامج الماستر في انسبروك. سهل سكوتسمان جون كيلي 5 رقصات ايقاعية، ومنذ عام 2013 تدرّس نيجار حسيب مع شمال امين صيغة كردية معقدة من الاغنيات والحركات التعبيرية.

تقود هذه الحتمية إلى سؤال فيما ان كانت البوتو ورقصة تعبيرية اكثر عمومية وسيلة فاعلة في تحويل النزاع خارج المنهج الاستنباطي (اذ اثبتت كفاءة البوتو). ان جرى تأويله وفق مصطلحات فنية بحتة فان الميدان المحتمل للتطبيق العملي سيبقى حقا محدودا إلى حد ما. فعند الفهم المفتوح والعلاجي قد يرتبط البوتو بسهولة مع اساليب اخرى، سيجرى مناقشة الامر باستفاضة فيما يأتي. فأينما يجري تطبيق ذلك بنجاح قد يعزز البوتو الاساليب التعبيرية للأنواع المختلفة من لعب الادوار والتحول الشافي، ليثبت نفسه انه ذو عون كبير في هذه الاوضاع. ومثلما هو الحال مع الاساليب الاخرى، يعتمد العمل الحركي المنحى على كونه تطبيقيا في وضع مناسب. فعلى سبيل المثال في الديبلوماسية احادية المسار أو في الاعمال فانهما يتطلبان ظروفا مثالية وتحضيرا متأنيا كما يمكن ان يكون متوقعا. ومن جانب اخر يمكن دائما تقريبا تطبيقهما لدى الشباب والمجتمعات المحلية والعمل العائلي ويكونا قد اثمرا عن نتائج مبهرة في تلك الميادين. يتضمن التدريب على العمل الاستنباطي فرصا لتجربة شخصية مباشرة للمشاركين من اجل ان يكونوا قادرين على استخدامها لاحقا في اوضاع مناسبة.

(1) ريبيلو (Rebillot(1993.

(2) روك (,1990ص 15)Rock.

(3) سيكي (14 تشرين الثاني.Seki(2009 ,

5 ـ 2 **بودو ايكيدو** Budo ـ aikido

في الوقت الذي يشير فيه البوتو، كما اسلفنا، إلى فن حركي عموما وشكل محدد من الاداء التعبيري بشكل خاص، الذي غايته التحويلية وتأثيره لا يمكن الجدل حولهما الا قليلا، فإن البودو هو مصطلح عام يطبق على مجموعة كاملة من الفنون القتالية اليابانية. يشير المقطع *بو* في الفنون القتالية اليابانية التقليدية إلى وضع المحارب في حين اشتق المقطع *دو* عن تاو الصينية التي تشير إلى الطريق أو الاسلوب. فالبودو اذا هي اسلوب حياة المحارب. [1] وفقا إلى موريهيه اويشيبا[2]، مؤسس فن الايكيدو القتالي، موضوع هذا الفصل، فان هذا الاسلوب قادر على ايقاف أية افعال تدميرية: «إن كان يفهم معناه الحقيقي جميع البشر في ارجاء العالم، فلا شيء سيجعلني اكثر سعادة.... ان جوهر البودو اليابانية هو الانسجام والحب.»[3] ومع ذلك، فانه حتى في اليابان لا تنال وجهة النظر هذه موافقة بالإجماع.

تشير البودو إلى شكل من انواع الفنون القتالية متحدا مع فلسفة ادراك الذات وضبط النفس، وهي خلافا إلى *البوجوتسو* غير موجهة نحو الفعالية والدمار. بيد انني انظر إلى هذا التعريف بتحفظ لأنه في التطبيق العملي فان الحد بين البودو والبوجوتسو يبدو اقل وضوحا. فضلا عن ذلك فاني لا ارى كيف ان تعاليم المذهب البوذي الصارمة والاخلاقية للسلام يتخللها الفكر الكونفوشي ـ التعبير الديناميكي لماهية البودو وفقا إلى ديسيتز تيتارو سوزوكي[4] يجب ان يحقق فنا قتاليا والذي، عند الشك، لا يوجه ضد من يقاومه. لا تخص شكوكي ملاءمة الاساليب والتقنيات لأغراض ادراك الذات، بل فلسفة السلام الاساسية ويبدو ان الاحداث التاريخية في الصين واليابان تبرر تلك الشكوك. [5]

(1) ناميكاوا 2007 (16 كانون الاول Namekawa(2009.

(2) 1883 - 1969.

(3) موريهيه اويشيبا مقتبس في اويشيبا.Morihei Usehiba(121 ص ,1984)

(4) ستيفنز .Stevens(188 ص ,1992)

(5) ناقشت هذه النقطة في الطبعة الالمانية من الجزء الاول لهذه الثلاثية ديتريخ (138-137 ص ,2008, Dietrich.

من بين المجموعة الواسعة للفنون القتالية اليابانية، لم أجد لغاية الان مقنعا سوى ايكيدو. ايكيدو هو صيغة القرن العشرين البديلة عن البودو، مبنيا على تقنيات وفلسفات اليابان القديمة. كونه استجابة سلمية لحروب الغزو الياباني، ايكيدو ليس متأصلا في طائفة زن البوذية بل في طائفة شنغون البوذية، وهي متغير ياباني عن التانترية. ليس الامر بمصادفة، اذ ان موريهيه اويشيبا مؤلف ايكيدو هو من اصل تانامي، وهو اقليم يتسم بشدة بنوع صوفي شنغوني. هذه الخلفية سوية مع التأثير اللاحق لطائفة اوموتو الشنتوية الجديدة، ولدتا هذا الفكر وفنونه اكثر بكثير مما فعلت الديانة الوطنية الرسمية شنتو في عصره. ليس لايكيدو كونه فن سلمي مرن ومنفتح سوى القليل من المشتركات مع تزمت ومباشرة الزن لا من ناحية فلسفية ولا عملية. [1]

كان موريهيه اويشيبا، وهو من قدامى المحاربين وحامل الكثير من الاوسمة، اول من استخدم مصطلح ايكيدو في عام 1941، وهو العام الذي هاجمت فيه بلاده ميناء بيرل هاربر. كان اويشيبا متمرسا في الفنون القتالية التقليدية، وكان قبل الحرب يُعد ممثلا لا يقهر لعدة اساليب من بودو. بين عامي 1932 ـ 1942 كان ايكي ـ بودو فنا عدوانيا قاسيا باستعمال القوة العضلية وتكنيك متقن. وعندما نضج وفي ضوء خبرته بالمعارك والحرب بدأ بتجريد تلك التكنيكات من معناها القتالي، وأعاد تأويلها على انها تكنيكات سلمية وروحانية لضبط النفس. كان ايكيدو، كما يطلق على تكنيك اويشيبا، ناعما وأنيقا وبباطن الذراع. [2]

تتألف مفردة ايكيدو من ثلاثة حروف صينية ـ يابانية. أي تشير إلى الانسجام، وكي يعني طاقة الحياة، ودو يعني اسلوب حياة، وبدمج الثلاثة يمكن ترجمتها إلى اسلوب القوى المتناغمة. يشير الاسم إلى ان الغرض من ايكيدو هو ليس قهر الخصم، ناهيك عن تدميره. [3] بدلا عن ذلك تبنى هذه الممارسة على التصرف عند مواجهة البشر لبعضهم البعض كما ناقشنا سابقا مع الاشارة إلى مارتن بوبر. أية مواجهة بشرية هي مجابهة، وهي تَوحّد بين حدود الاتصال عند الحركة، يتضمن درجة محددة لنبذ

(1) ستيفنز (,1992ص 187ـ188) Stevens.

(2) ستيفنز (,1992 ص 150ـ156) Stevens.

(3) اويشيبا (,1948ص 15) Usehiba.

أو احتواء الاخر. وقد يعني ذلك تواصل ومشاركة والتقاء، اي اجماع ووحدة وسير مع بعض. عندما تهيمن القوى المفرقة والمانعة والمستبعِدة في مواجهة ما يمكن ان يحصل نزاع، اي انهيار المواجهة. فالقتال والنزاع ما هما سوى نوعين معينين من المواجهة والعلاقة. لذا فإن فلسفة ايكيدو توجه نحو الصيغ الاساسية للعلاقات بين البشر، نحو القيم الفكرية والروحية للوجود البشري. إن تقنيات قتال ايكيدو المتقنة والفاعلة وادعائها الدفاع عن النفس هي تابعة إلى هذا المسار من اللاعنفية. كل هذه الصيغ يحتويها المقطع اللفظي الياباني أي. [1]

لهذا السبب لا يجري اعتراض محور الهجوم، بل يعاد توجيهه. إن مبدأ اللا مقاومة هو ما يميز ايكيدو عن غيره من فنون بودو. يعد اويشيبا اللا مقاومة نصرا مسلما به لأنه يزيل النوايا السيئة والافكار المشاكسة. ولكونه «فناً من فنون السلام» يكون ايكيدو منيعا لا يقهر لان ممارسيه لا يدخلون في قتال ضد اي شيء أو اي احد. [2] يعبّر عن هذا المفهوم من خلال تكنيك جسدي لحركة دائرية والتي بواسطتها يتجنب ايكيدو محور هجوم ما قبل اعادة توجيهه نحو المهاجم، وبذا السيطرة على المهاجم حتى يتحرر أو تتحرر. وفي هذا الصدد يُعد ايكيدو ممارسة جسدية لتحويل الصراع. قد يوفر الاقتباس عن اويشيبا الاكثر شهرة شهادة شعرية لهذا المفهوم: «عندما تتعرض للهجوم ضع خصمك في قلبك.»[3] تؤدي الصفة العدائية والدفاع الذاتي دورا هامشيا عند ممارسة الايكيدو. الكثير من السلاسل الحركية التي تسم الايكيدو لا يمكن ممارستها عند الحاجة للدفاع.

لذا، فان معظم اساليب بودو التي تهدف إلى القتال لا تثمن الايكيدو الا قليلا وتعدها غير فاعلة، فرغم ان اويشيبا لا يزيد طوله عن 155 سم كان يعد لا يقهر حتى عندما كان كبيرا في السن. [4]

(1) فاغنر (1999, ص 82)Wagner.

(2) اويشيبا (2007, ص 93) Usehiba.

(3) مقتبس عن فاغنر (1999, ص 95Wagner) ترجمة فولفغانغ سوتزل.

(4) فاغنر (1999, ص 13)Wagner.

ان قوة العقل (Nen)[1]، وهي القوة الذهنية عند التركيزعلى موضوع واحد دون تشتيت، تؤدي دورا محوريا في الايكيدو. فهي تسمح بادراك ملموس دقيق لهجوم ما ومدخلا منسجما إلى دينامياتها لذا فهي تحوّل الهجوم. ولهذه الغاية تؤدى حركات دائرية في اناقة تشبه رقصة. وفي استجابة لحركات المهاجم يتحرك ممارس الايكيدو حول مركز جاذبيته ويستخدم التنفس من اجل ضمان استقرار محور الحركة. وبواسطة التنفس والحركة يتوسع تدفق الطاقة المتجانسة خارج نطاق الجسد نحو البيئة المحيطة. يحتاج الجسد إلى ان يكون مستقبلا لتدفق القوة والطاقة. يتلقى ممارس الايكيدو هذا الاستقبال على شكل تنفس عميق وحر، في الوقت الذي يعبر عنه خارجيا على انه سلسلة حركات قوية ودقيقة. وبواسطة هذه الحركات يُسحب المهاجم إلى حركات لولبية ودائرية، وبذا يُعرقل توازنه وتُستهلك طاقته. لذا يصبح الخصم تحت السيطرة بسرعة وعلى نحو لا رجعة فيه، حتى يتخلى عن نواياه وينسحب. [2] يدّعي اويشيبا انه ما ان يتناغم الجسد مع الفكر بالأمر الطبيعي للكون من خلال قوة العقل يرتبط ممارس الايكيدو مع ما يمكن ان يُعدّ قوة خارقة للطبيعة.

ان الشرط الاساس لممارسة الايكيدو هو التغلب على الانانية من خلال الحركة، بالحركات البدنية المعبرة عن ضمير الفرد. يجب ان يكون العقل متحررا من صفات الانانية ومن الرغبة في السلطة والاستغلال والمكانة والاعتراف. ومن خلال اللا تعمد فقط تصبح الاستجابات الظرفية المناسبة والقتال دون نصر اكثر من ممارسة والابلاغ عن الحياة اليومية للفرد. يتضمن «فن السلام» في الايكيدو تنظيف النفس من كل تأثيرات الغرور، لذا تحوله بشكل تام إلى البيئة الثقافية للفرد وتزيل عن مسار الفرد جميع العقبات. [3]

وعلى الرغم مما يقال ان اويشيبا يمتلك قوة عضلية لرجل خارق فان الايكيدو لا يهدف إلى القوة. فهو يحقق اكبر تأثير ممكن باستخدام اقل قدر ممكن من الطاقة. يجري تفحص الخصم الذي يمتلك قوة بدنية خارقة ليس عن طريق القوة بل بواسطة

(1) ستيفنز (Stevens, 1992 ص 75).
(2) اويشيبا (Usehiba, 1984 ص 34ـ39).
(3) اويشيبا (Usehiba, 1984 ص 41).

قوة غامضة تسمى في الطاوية *chi* أي الطاقة الطبيعية للكون (وايضا بنفس الاسم في اللهجات البوذية المتأثرة به). في الثقافات في شرق اسيا يمثل مبدأ الحياة المبدأ الاساسي لوحدة الطاقة والوعي، ويستحيل ترجمتها في سياقات اخرى. [1] وهي تشير إلى الطاقة الخفية التي تحرك الكون والى طاقة الحياة التي تتخلل كل شيء. في الطب الشرقي يكون الانسان بصحة عندما تتدفق لديه الطاقة الطبيعية للكون بقوة وانتظام. عندما تكون الطاقة الطبيعية للكون بطيئة وضعيفة يكون الشخص مريضا. [2] اود هنا ان اذكّر القرّاء بالمفهوم المفعم بالطاقة للسلام، في الكانتونية he ping، وفي اليابانية he wa ـ وهو مفهوم جرت تغطيته في الجزء الاول من هذه الثلاثية وجرى تعريفه على انه «نفس هادئ ضمن النفس الالهية في جميع ارجاء العالم.»[3] تبحث الايكيدو لإيجاد هذا بخلق وحدة للطاقة الطبيعية للكون مع العقل والجسد. لذا فانه من الواضح سبب اشارة اويشيبا إلى نمط حركاته على انه فن السلام: انه ليس فقط اخلاقيات المحارب تكرّس إلى السلام المفعم بالطاقة؛ فهي ايضا تجربة حياة المؤدي. وعند فلسفة التنترا فمعناه يخص تناغم العالمين الداخلي والخارجي، اي للإنسان والكون.

في الايكيدو تهدف التمارين والحركات نحو تدفق تناغمي للطاقة الطبيعية للكون. والوسيلة الاكثر اهمية هنا هي الانفاس، وهي مصدر كل الحركة الطبيعية. وفي النتيجة، جوهر الايكيدو هو الانفاس، لان الانفاس بذاتها هي الحركة. فالتنفس هو التحرك والالهام من طاقة الحياة، اي الطاقة الطبيعية للكون. لذا فالتدفق الحر للتنفس هو اساس الحركات الطبيعية، في حين ان التنفس تحت العرقلة والمقاطعة وغير المنتظم يحفز حركات صعبة وغير متزنة. [4] ووفقا إلى اويشيبا، فان حركة التنفس سوية مع الطاقة الطبيعية للكون تتغلغل في الحياة بأكملها. تتنقى طاقة التنفس عبر الجسد بكامله وتغمره بطاقة الحياة التي تسمح بحركات متنوعة ودينامية وعفوية. فإن

---

(1) اويشيبا (2007, ص 20ـ58) Usehiba.

(2) تتضمن المفاهيم التي يمكن ان تفيد في الفهم بالاعتماد على السياق مفهوم "odem" في الانجيل اي النفس المقدس او في الهندية "atman" و "prana" و في البولينيزيية"mama" و في الاغريقية "pneuma"و في الصينية "CH'I") ايضا. فاغنر (1999, ص 47ـ52).

(3) ستيفنز (1992, ص 206)Stevens.

(4) ديتريخ (2012, ص 70ـ71)Dietrich.

كان الجسد والعقل في تناغم تام مع الطاقة الطبيعية للكون فان الجسد بكامله بأعضائه الداخلية سيشع بالطاقة والضوء والقوة. فستحرك عندها الجسد بحرية دون ان يقاوم تأثير العقل. [1] ووفقا إلى اويشيبا يسمح التركيز على الانفاس بسرعة استجابة «اسرع من الضوء.»[2] لذا فان حركة الخصم يمكن توقعها وحركات الشخص الدائرية تبدأ في التوقيت المناسب: «يراني العدو امامه فيهاجم، غير انه في ذلك التوقيت فاني اقف خلفه بأمان.»[3]

ان تعاليم اويشيبا مبنية على تدريبه في شينغون وتوجيهات بوجوستو التقليدية التي تلقاها بداية في شبابه وتجربته الشخصية كونه كان مقاتلا في منغوليا ومنشوريا في الحرب الروسية اليابانية بين عامي 1904 ـ 1905. لم يتحول اويشيبا إلى الجوانب الروحية للفنون القتالية الا بعد عام 1920، بعد لقاء رئيس مع اونيسابورو ديجوتشي، وهو احد مؤسسي الطائفة الشنتوية الجديدة اوموتو في اليابان. [4]

ظهرت اوموتو في عام 1892 في ردة فعل لما نسميها انا وسيلفستر والش [5] الازمة الروحية للمؤسسة ناو ديجوتشي التي توصف في الاوموتو تجربة الاله. [6] تؤسس طائفة اوموتو، التي هي رسميا تحت الارشاد الروحي للنساء، عقيدتها على المبدأ الفاعل للثلاثي العظيم الانسان والطبيعة والخارق للطبيعة. ترجع جذورها إلى كوتوداما، وهو علم الصوت والعقل المتجذر في البوذية التيبتية التي وصلت اليابان قبل اكثر من الف سنة باسم شينغون، اي «الصوت الحقيقي»[7] تفترض هذه العقيدة ان البيجاس، وهي المقاطع الجذرية للغة السنسكريتية، قد ظهرت عن صوت بدائي واحد. ويعتقد ان الطاقة الاهتزازية التي يمكن ادراكها كصوت والوان واشكال هي في اصل كل الكائنات. [8]

---

(1) فاغنر (,1999 ص 47)Wagner.

(2) موريهيه اويشيبا مقبس في اويشيبا (,1984 ص 24) Usehiba.

(3) اويشيبا (,1984 ص 63) Usehiba.

(4) اويشيبا (,2007 ص 148) Usehiba.

(5) اويشيبا (,1984 ص .Usehiba (97

(6) والش .Walch(2003, 294)

(7) لتفاصيل اوسع انظر ستيفنز (,1992 ص 39ـ106)Stevens.

(8) يتوضح هذا المبدأ بأسلوب سهل الفهم باستخدام مصطلحات غربية في روديار (,1984 ص 62ـ71)Rudhyar.

تهدف اوموتو إلى جعل العالم اجمل من خلال الفن اذ تظن انها ستقرب الناس إلى الاله. استنادا إلى العقيدة هذه يساعد العمل الفني في التدفق المتناغم للطاقة الالهية. ان هذا هو التأثير الفكري والروحي الذي يساعد في شرح قواعد لغة اويشيبا المتزايدة جماليات في الاشكال والتوجه الذي صار مسالما إلى حد الصرامة. ومع ان اوموتو تركز على البنية والرسم والشعر وعلى الفنون الابولونية بشكل عام[1]، اعتبر اويشيبا ايكيدو الديونيسية دون جدال ان تكون مساهمته الفنية تجاه تعاليم السلام لهذه الطائفة. فقد ربط البودو اليابانية التقليدية من خلال تأثير طائفة اوموتو مع علم الصوت لكوتوداما وتكنيكيات شينكون كيشين. علّم ديجوتشي اويشيبا تقنية شنتو للتأمل. ان شنتو مشتقة من تانترا المبكرة وهي تبحث عن تركيز الذهن من خلال التصور والتنفس الايقاعي ووضعية الجسد من اجل الوصول إلى حالة اشبه بالغيبوبة يمكن تأويلها على انها الوحدة مع الاله. [2] تدرب اويشيبا على هذا التكنيك بشكل يومي من اجل ان يحافظ على التوازن بين جسده وعقله.

يعتبر اويشيبا الجسد، في اتفاق تام مع تفكير التنترا، مظهر الروح الموجودة في الكون، نوع من الكون المصغر. وكل ما موجود في الكون هو ايضا موجود في الجسد. وما موجود هنا موجود هناك ايضا. وما غير موجود هنا هو غير موجود في اي مكان. [3] فالنَفَس، وهو الجوهر المادي الاكثر دقة ونبلا، ينفع كأداة وصل بين العقل والجسد. ومن اجل السيطرة على العقل، مثلما هو الحال في فن السلام، يجب ان يستفيد البشر من انفاسهم. يقال ان اويشيبا قد مر برؤيا عن استثمار النَفس بعد اعلان بودو عن تجربة حب العناية بأي شيء موجود. [4] ان منحى التنترا هذا الذي كان يعزى اليه فن زن القتالي ذات مرة هو ثوري.

نمت طائفة اوموتو بسرعة ومنذ عام 1921 وما بعدها (تقريبا في الفترة التي انظم

(1) بالمقارنة مع انجيل المسيحيين مزمور يوحنا 1.1:"في البداية كانت الكلمة و كانت الكلمة مع الله و كانت الكلمة هي الله." الانجيل النسخة القياسية المنقحة.http://quod.lib.umich.edu/rsv/browse , html (28 شباط2013 ,).

(2) اوموتو (5 تشرين الثاني.Omoto(2009 ,

(3) ستيفنز (,1992 ص 202)Stevens.

(4) ستيفنز (,1992 ص 199)Stevens.

فيها اويشيبا) صارت تخضع لاضطهاد ديانة الشنتو اليابانية الرسمية. وأصبح هذا الاضطهاد بين عامي 1935 و1945 حملة ابادة. [1] اثناء هذه الفترة كانت الدولة تصادر املاك طائفة اوموتو وجرى تدمير مراكزها الروحية. وجرى اعتقال الالاف من اعضائها بتهمة الخيانة العظمى والطعن في الذات الامبراطورية وجرى تعذيب الكثيرين منهم وقتلهم. نجى اويشيبا من هذا المصير لأنه كان في هذا الوقت يدرّس في الاكاديمية العسكرية وكان يعدّ مدافعا قويا عن الوطن. ومع ذلك كان موقفه من الجيش هو الانتقاد ورفض الحرب. لذا استقال من وظيفته وعاد إلى الوطن مع ابنه كيشومارو[2] تولى ادارة مركز تدريب طوكيو في عام 1942. ولهذا السبب لم تتهمه السلطة المحتلة (الولايات المتحدة) ما مهد الطريق إلى التطور السريع لمدرسته في اليابان ما سمح له بنشر عمله خارج حدود بلده. في عام 1961 نقلته اشهر مهامه للسلام إلى هاواي وتوقع ما اشير اليه لاحقا ديبلوماسية «المسار الثاني»:

> ان الهدف من ذهابي إلى هاواي هو بناء جسر فضي من الفهم. كنت ابني جسرا ذهبيا في اليابان، بيد اني اردت ايضا بناء جسور خارج بلدي من خلال ايكيدو للوصول إلى فهم متبادل بين الشرق والغرب. اردت بناء جسور في كل مكان وربط الناس من خلال التجانس والحب. [3]

ومن ذلك الحين، قدم طلبة اويشيبا الايكيدو حول العالم. ففي المانيا بدأ بالانتشار في اواسط ستينيات القرن العشرين وقاد هذا الانتشار كاتسواكي اساي. [4]

تعافت طائفة اوموتو من الاضطهاد بعد الحرب. مع ذلك فقد عمقت تجربة خضوع الطائفة للعنف من التزامها بالتهدئة وعززت انفتاحها على المعتقدات الدينية الاخرى. فأصبحت صوتا رئيسا لحركة مناهضة السلاح النووي بعد الحرب. [5] صار التسامح الثوري عند اوموتو، وعند اويشيبا، توجها اساسيا.

وعلى الرغم من التبشير والتوحيد متعدد الاشكال، [6] لا يزال اوتو يعد منفتح الفكر

(1) بيردي (5 ايلول Beardi(2009.

(2) اويشيبا، كيشومارو؛ المقدمة؛ في اويشيبا (,1991 ص 19) Usehiba.

(3) 1921 - 1999

(4) موريهي اويشيبا مقتبس في اويشيبا (,1984ص 121) Usehiba.

(5) ولد في عام 1942 في طوكيو.

(6) اوموتو (5 تشرين الثاني Omoto(2009.

ومتسامحا وذا توجهات فنية. وبسبب هذا التأثر آمن اويشيبا ان فنه للسلام قد وفر مكانا لكل الالهة الثمانية ملايين حول العالم وكان راغبا في التعاون مع احدها. فقد صرّح ان اله السلام كان عظيما وسيكون راضيا عن كل شيء قدسي ومتنور في اي بلد. [1]

هذا هو الاساس الذي حوّل اويشيبا ضده البوجوستو التقليدي إلى فن مسالم وحركة ذات صلة مع الايكيدو. لا يمكن التغاضي عن المقاربة السياسية والفلسفية والجمالية مع انكوكو بوتو، التي ظهرت بعد مدة قصيرة. فضلا عن ذلك تمثل ايكيدو تعبيرا روحيا عن مسلّمات المناهج الغربية المعاصرة للدراما النفسية، العلاج بالموسيقى (الغشتالتي)، وعلم النفس الانساني. تتشاطر الحكمة الغربية وعلم النفس الغربي وجهة النظر القائلة ان المنظومتين الحسية والحركية تتفقان مع بعض وإن النزاعات يمكن التعامل معها وفق كلا المستويين. لذا فضلا عن ابعادها المادية والفلسفية الروحية، فان لايكيدو اهمية علاجية. افتتح اويشيبا فصلا جديدا في تاريخ وتأويل فن الحركة هذا وحوله إلى وسيلة في تحويل النزاع الاستنباطي.

ربما يكون كينوميشي ماساميشي نورو[2] هو الاكثر حزما في تطوير هذا المنهج. يربط نورو بوضوح الفلسفة السلمية لايكيدو مع مبادئ علم النفس الانساني وكان يرفض اي صيغ عدائية مهما كان شكلها. يهدف تكنيك نورو إلى تعزيز التركيز من خلال ممارسة تتابع الحركات المعقدة وتنقية الوعي وتمتين التعاون مع الجسد من خلال ممارسة مهاراته الحركية الكلية والدقيقة. أسهم هذا في استدامة تحسين الصحة البدنية والذهنية وفي الادراك الواعي للبيئة: اي التأثير الشافي في علم النفس الانساني.

يؤكد ايكيدو على جملة صيغ تؤدي دورا في تحويل النزاع الاستنباطي: الوعي في الوقت الحاضر ورفع كفاءة التنفس والجسد والسيطرة على لغة الفرد وإشاراته ورشاقته

(1) جرى التعامل مع المصطلح الجديد "التوحيد متعدد الاشكال" اي "الواحد من الجميع و الجميع من الواحد" على انه البديل عن فكرة التسامح، في سوامي فيدا بهاراتي (,2010ص 183–199). التفكير بالامر على انه مبدأ فلسفي يتجاوز الدين فانه قد اشتق من ترجمة المصطلح "فيشوروبا" اي "الشكل الكوني" او المظاهر المتعددة للاله الواحد المعروف في التنترا الهندوسية. لقد عد الشنتو التقليدية اليابانية انها تحمل وجهة النظر ذاتها. لقد اثرت كلا من التنترا و الشنتو على اوموتو حيث اعيد تأويل المبدأ بطريقة دينية.

(2) اويشيبا (,2007 ص 173) Usehiba.

وارخاء الشد العضلي والتردد المؤكد مع الخصم ـ وهو الخصم الذي يعد شريكا منذ ان يصبح واحدا ممارسا لايكيدو من خلال طاقة الحركة. واستنادا إلى اويشيبا هاهنا حيث يكمن جمال فن السلام. [1] ان ايكيدو في افضل اشكالها هي ليست فنا قتاليا، بل انها فنا علائقيا للجسد، اي انها فن الحركة مبنيا على وحدة التجانس مع طاقات الاخر أو الاخرين. وحيث ان ذلك على البال، فان اويشيبا يشير احيانا إلى ايكيدو على انه فن السلام:

> يبدأ فن السلام معك. فالعمل على نفسك ومهمتك المحددة في فن السلام. لكل شخص روح يمكن صقلها وجسد يمكن تدريبه بأسلوب ما، وهو طريق ملائم لاتباعه. فانك هنا لا لسبب غير ادراك قدسيتك الداخلية واظهار تنويرك الداخلي. عزز السلام في حياتك ومن ثم طبق الفن على كل من تواجهه. [2]

ان هدف ايكيدو هو مساعدة الناس في ان يصبحوا اناسا رصينين ومسؤولين، اي اناسا يربطون العقل والجسد وقادرين على التصرف بشكل مسؤول دون تردد أو شك، ويفهمون قوة الطلمة قبل العنف الجسدي. اي انهم ابطال تحويل النزاع الاستنباطي.

ان ايكيدو صعب التعلم ويتطلب سنوات من التدريب. وان المهارات التي يطورها هي نفسها التي يبنى على اساسها عمل النزاع الاستنباطي: التركيز الكامل على الحاضر؛ السيطرة على الجسد والعقل من خلال التنفس؛ ادراك الصوت والكلام؛ الحركات المثمرة للجسد؛ التردد التام مع الشريك في الحوار والبيئة الاجتماعية والقدرة في حالات معينة على اعادة توجيه طاقات النزاع بشكل تحويلي.

في الوقت نفسه ظهرت انواع جديدة كثيرة من ايكيدو تنحو نحو تلك الصيغ البدنية والقتالية التي استثناها اويشيبا بشكل كامل. [3] فلدى ايكيدو عند اويشيبا تكون غائبة فكرة الفوز ـ التي هي الهدف من الفنون القتالية والمنافسات الرياضية. لذا يمكن الجدل ان مزيج من التركيز الذهني والتنفس والصوت والحركة عند ممارسة ايكيدو يجعله بوتو وليس بودو ـ فن الحركة وليس الفن القتالي. سأتفق مع وجهة النظر هذه

---

(1) ولد في عام 1935 في طوكيو.

(2) اويشيبا (Usehiba ,2007 ص 141).

(3) اويشيبا (Usehiba ,2007 ص 3 و ص 4).

حتى وان لم يدعمها تطور ايكيدو، وليس بجماليات ادائها. في برنامج دراسات السلام في انسبروك يدرّس استاذ الايكيدو الالمانية وخبير العلاج النفسي (الغشتالتي ـ gestalt) وينفريد فاغنر دروسا بروح واسلوب سلميين أصليين من موريهيه اويشيبا.

5 ـ 3 التشكيلة السياسية

اشرت سابقا إلى الدراما النفسية لجاكوب ليفي مورينو ومنحوتات عائلة فرجينيا ساتير كونهما اسلوبين من اساليب العلاج المنظم المعتمد على التواصل. في حين في جزء سابق من هذا الفصل كان التركيز على الاساليب المبنية على الحركة والمدرسة اليابانية للعمل الجسدي الشافي (الذي له تعابير مكافئة في تعاليم مورينو والعلاج الغشتالتي)، سنتحول الان إلى التطبيقات التي سبق ان اطلق عليها مصطلح «العمل التشكيلاتي»، استنادا إلى ما سبق عن فرجينيا ساتير وغريغوري باتيسون. يمكن ايضا هنا تطبيق نظرية العلاج الغشتالتي للتطابق بين المنظومتين الحسية والحركية، على الرغم من ان التركيز هنا ليس على العمل العلاجي أو التعبيري أو الديناميكي للماديات المكبوتة، بل على جعل التجاهل ذات الصلة بحدود الاتصال المتفكك ظاهرا للعيان. هذا موضوع جدلي وسأتطرق اليه فقط طالما استدعت الضرورة لتعريف مكانه في تحويل النزاع الاستنباطي.

كانت اعادة بناء عائلة ساتير ثورية في تأويلها للنزاعات والامراض والاختلالات الوظيفية وليست كمشكلات للفرد بل للمجموعة ككيان كلي يمتد لعدة اجيال. لذا يتداخل منهجها مع علاج عائلة التحليل النفسي كما هي شائعة في اوروبا عند هورست ابرهارد ريختر.[1] يفترض كلا المنهجين ان هناك ارثا عاطفيا يربط الاجيال الحالية بالصدمات والنزاعات العصبية وانماط الدفاع عن النفس للأجيال السابقة. فكلما كان نزاع ما غير محلول اكثر قساوة على الفرد أو عائلته كان تأثيره اقوى على الاجيال اللاحقة.[2] يعدّ ليديراش تحليل الترابط عبر الاجيال احدى صيغ تحويل النزاع

(1)اويشيبا (,1984 ص 16) ,Usehiba ستيفنز (,1992 ص 184)Stevens.

(2)ريختر Richter(|1963) و ريختر (1982) Richter.

الاستنباطي.[1] فالسؤال اذا هو ما هي اداة التحليل المناسبة لعمل النزاع التطبيقي؟ يبدو عمل التشكيلة يقدم نفسه لهذا الغرض:

> يمكن ان نتجاوز ما يمر بوعي من جيل إلى اخر ونسلط الضوء على ما ينتقل بأسلوب عابر للأجيال، اي ما يحال دون ان يجري استيعابنا لأنه لم يقال وبقي غامضا بسبب اسرار عائلية غير محكية. [2]

ومنذ ساتير، يرى العلاج المنظم والمشورة ان الفرد تشكّله العائلة. ومن هذا المنظور فان كلا من الخيار والامكانية يحددها بقوة تاريخ الاجيال السابقة مثل قواعدها وانماطها وولاءاتها. لذا فان تغيير السلوك لفرد ما يتوقف على ان يكون الاكثر اهمية. وبالأحرى، يكون التركيز على تحديد الهوية والتحقيق وتحول العلاقات الاشكالية التي تساعد في استمرار النزاع. هذا التحول في غاية الاهمية، ليس فقط في هيكلية العائلة، بل ايضا في صفات التشكيلات الاكبر للسياقات السياسية؛ لذا فانه ذا صلة بالسلام والبحث حول النزاع.

ان فن نحت عائلة ساتير هو من بين اساليب عديدة لتمثيل علاقات العائلة في البيئة المكانية. ومثلما هو الحال دائما في علم النفس الانساني يدرك الوسيط حدود معرفتهم ويقتربون من زبائنهم ومنظوراتهم بحساسية واحترام شديدين. وهم واعون لاستقلالية زبائنهم ومساعدتهم في اكتشاف وخلق خيارات جديدة.

في فن نحت العائلة يوضع افراد العائلة فيما بينهم بعلاقة مكانية. بعد عمل مورينو اصبح من الشائع استبدال اعضاء العائلة الحقيقيين بممثليهم (وكلائهم)، الذين لهم ميزة في دعوة اعضاء العائلة الميتين أو الغائبين فضلا عن موضوعات قوية، مثل الطيران أو الادمان، في بيئة النشاط. [3] علاوة على ذلك، وخلافا للأفراد الحقيقيين فان الممثلين هم اقل تلاعبا أو يمكن التغاضي عنهم أو يجري تأويل نتائجهم بتحفظ. مع ذلك يجب ان لا يجري فهم الممثلين على انهم متقمصي ادوار، كما لا يجب ان يجري الخلط بين الطريقة مع لعب الادوار أو طريقة مورينو الشافية

(1) يصف روبيرت (Ruppert(173_172 و ص 100, ص 2002,) الانسان على انه من ثلاثة اجيال.
(2) ليديراش (Lederach(149 _ 142 ص 2005,).
(3) انسلين شوتزينبرغر (Ancelin Schützenberger (19 ص 2005,) ترجمة ولفغانغ سوتزل.

المخصصة للمسرح. الممثلون هم اجساد مؤكدة ومستجيبة ورنانة، تعكس علاقات مجموعة عابرة للشخصية، وهم ليسوا مؤدين مستقلين في نياتهم أو مخططاتهم. فهم لا يتبعون نصوصا.

لقد جرى على وجه السرعة تبني كلّ من علم التحكم الآلي ونظرية المنظومات من طرف المعالجين النفسانيين وبعد عمل ساتير، تكاملت طرائقهم إلى ذخيرة لعلاج العائلة وما ابعد من ذلك. لم يعد العمل التشكيلاتي تكنيكاً منعزلا ومتخصصا، بل وسطا للأداء يعد جزءا لا يتجزأ من سياق علاجي اكبر بكثير. يبدو واضحا نوعا ما ان تتحول مثل هكذا طريقة من علاج عائلي ـ وهو من اشكال العمل في النزاعات ـ إلى ميدان اوسع من تحويل النزاع الاستنباطي ويطبق على جميع اساليب المجموعات والمنظومات. جميع انواع النزاعات توضع في تكوين التشكيلات المنظمة بدءاً بالعلاقات الشخصية والعائلية وتمتد إلى المنظمات والمؤسسات والمجموعات الاثنية ـ السياسية والدول والامم. تجعل التشكيلة ممكنا التحول إلى ملموسة تلك القضايا غير المدرَكة والمرفوضة والمنسية في حين تجلب ايضا فرصا للتغيير الايجابي. وهذه تسمح بتجربة جسدية وحسية للأمور ويجري ادراكها على انها حقيقية ومؤثرة. وهذه بدورها تخلق احتمالية لرؤية تكوين نزاع ما أو علاقة متبادلة أو تشكيلة ما حرفيا من خلال عيون مختلفة لتوسّع افق الفرد أو حتى تبنّي منظور لما سبق تجربته دون وعي على انه غير شامل أو مخطئ أو شرير.

ما ان نحاول رؤية انفسنا واهتماماتنا وعالمنا من خلال عيون خصومنا، من خلال عيون من نرفضه أو الخوف أو القتال ـ سواء الناس الاخرين وقناعاتهم أو اعباء حياتنا ـ نفتح انفسنا لما نعارضه والذي قد يقودنا إلى ازمة. يمكن لهكذا ازمة ان تكون شافية. تعريف انفسنا بما نظنه سيئا أو مخيفا أو مهددا يحمل بشكل مفاجئ احتمالية قوية لسلام داخلي وخارجي. (1)

لا يمكن للجهود تجاه تحويل النزاع والسلام والمصالحة ان تكون مقصورة على بحث مثالي عن عالم افضل. وكما ارانا التاريخ في القرن العشرين يمكن لمثل تلك

(1) اصبح هذا التكنيك شائعا تحت المصطلح الغريب نوع ما ان لم يكن المتناقض "الكوكبة الهيكلية النظامية"

المحاولات ان تكون عواقب وخيمة. ومع ذلك، يمكن لألية دقيقة قد نوظفها لاستثناء ما نجده شريرا ان تؤدي إلى نقل النزاع وبذا عودة ظهور النزاع في شكل مشوّه. يعي تحويل النزاع الاستنباطي ان ميل الانسان إلى العنف والحرب وصراعنا الدائم مع الخصم والاجنبي والغريب والمخيف؛ هو قتال لتوكيد ما هو لنا. وحيث توظف على مستوى اللاوعي ربما يكون للقوة المستثمرة في هذه الصراعات عواقب مهلكة. ومع ذلك، فان مثل تلك القوة إن جرى توظيفها والسيطرة عليها بشكل واع يمكن ان تصبح القوة المؤدية إلى تحول فردي وجماعي وتكشف وجهات نظر حياة اكثر رضىً. ان العمل التشكيلاتي كونه وسيلة تحليل مرئية تطبق على العلاقات الانسانية والاجتماعية المتبادلة فهو وسيلة قيّمة لتحويل النزاع الاستنباطي. هذه هي الطريقة ـ وهي الطريقة الوحيدة ـ التي ارغب ان تكون مفهومة هنا.

ان هذا التمييز مهم عمليا في المناطق الناطقة بالألمانية حيث كان نزاعا حماسيا حول الشخصية الايقونية بيرت هيلينغر [1] قد وفر *عملا تشكيلاتيا* ذا سمعة جذابة ومريبة في الوقت نفسه. من المستحيل تماما التحدث عن العمل التشكيلاتي دون الاشارة إلى هيلينغر. ونتيجة انطباع تجربته في جنوب افريقيا، حيث شهد طقوس بانتو العلاجية، حوّل هيلينغر اداة علاجية إلى حدث مدهش يسمى التشكيل العائلي. اثناء ثمانينات القرن العشرين حظي التشكيل العائلي بشعبية كبيرة بين جماهير واسعة جدا. يمكنني فقط، مع تحفظات، اثبات مثل هكذا تطبيقات. واذ ان الامر صحيحا كون تشكيلات هيلينغر قد وفرت طريقة نافعة للكثير، التشكيلات العائلية يجب دائما ان تكون جزءا من عملية مستفيضة لاستشارة منظمة، تطبق كمكون واحد في عملية تحويلية، وليست كنهاية بحد ذاتها. تتطلب التشكيلة العائلية مجموعة عاملة ذات حجم مناسب. للمشاهدة بكل تأكيد تأثيرا كاملا على العملية، لكن فقط في مجموعات صغيرة لدرجة غرس الثقة وعلاقات مؤكدة. ان الجماهير الواسعة ليست شاهدة في هذا المعنى. يعدّل جمهور واسع مجهول وسلبي الجمهور ـ العميل ـ المعالج إلى ثالوث وهكذا طبيعة الحدث. فهي تنقل الوسطاء من مكان صحبتهم إلى بريق الشهرة لمقدّم يخرج

(1) ماهر Mahr(2003).

العملية ويفهم دورها وتتابعها ويعرف الحل ـ يعير إلى العملية صفات مسرحية. في مثل هكذا مجموعات كبيرة، يصبح العملاء في موقف ضعيف تحت رحمة المقدم ويصيرون دون حماية.

فضلا عن هذه المشكلة المنهجية، يشجع هيلينغر مجموعة عقائدية من الاوامر والقيم والهياكل الهرمية الاساسية ويمنح تشكيلاته شخصية شبه دينية. وعلى هذا الاساس، يدافع عن مفاهيمه وتأويلاته ومداخلاته بحكم مطلق مستبد يحدد من استقلالية عملائه. [1] لست في موقع لتقييم عواقب مثل هكذا نشاطات بالتفصيل، مع انها قد تسببت في نقد بين كتّاب اكفاء. [2]

في جميع الاحوال، يناقض تشكيل وهرمية الجمهور الواسع لهيلينغر المبادئ الاخلاقية لعلم النفس الانساني. هذا صحيح جزئيا فيما يتعلق بفهم كون العملاء مسيطرين على اهدافهم. في علم النفس الانساني يحدد الوسيط نفسه لخلق ظروف مفضلة لوجهات نظر جديدة ويبقون غير منحازين في علاقاتهم مع الناس والافكار التي يواجهونها. الهدف هو زيادة الخيارات المتوفرة للعميل وليس تعريض العميل إلى شريعة اخلاقية من القيم. ان المؤهلات العلاجية ومعرفة اجراءات العلاج النفسي هما متطلبان من اجل اجراء التشكيلة. واذ جعلت ارائي واضحة، الان سأتناول موضوع الطريقة نفسها.

ان التشكيلة في جوهرها هي عابرة للشخصيات يقصد منها جني ثمار الآراء والخيارات التي لم تكن متوفر من قبل. وهي تشمل، الا انها ايضا تتجاوز، نطاق التصورات الشائعة والشخصية. يرسم العمل التشكيلاتي العلاقات المتبادلة وعواقبها التي تمتد إلى عدة اجيال وذات صلة بمصير العائلة أو الجيران أو مجموعة اثنية ـ سياسية أو دولة. لذا فان التصور الفردي يتحد مع البنى عبر الشخصية للمعنى واحيانا، يفاجئ خطوات نحو ظهور تحويل. [3]

(1) ولد في عام 1925 في لايمن بألمانيا.

(2) لم اشارك مطلقا في حدث هيلينغر و لم التق به شخصيا ابدا. مع ذلك ان شخصيات هذه الاحداث واضحة في الفيديوهات التي يوزعها بنفسه.

(3) المؤسسة الالمانية للعلاج المنظم و الاستشارة و علاج الاسرة (2003) (12 كانون الاول 2009).

قبل ان يبدأ التشكيل، يُسأل الشخص الذي طلبه من اجل معرفة المنظومات التي تعود اهتماماته اليها (العائلة أو المنظمة أو المجموعة)، والاهداف والقضايا المطلوبة. يوفر هذا للوسيط أساسا يحدد على ضوئه عدد وادوار الممثلين الذين سيتم فيما بعد اختيارهم من قبل العميل ويوضعون في المواقع المخصصة. ويفضل، على الرغم من ان هذا ليس ضروريا، اختيار رجال من اجل المواقع الذكورية ونساء من اجل المواقع الانثوية. وفي كل تشكيل يضع العميل الممثلين المختارين بطريقة يتطابقون بها مع تصورهم للحالة. (1)

وفي اعقاب فترة التكيف، فإن سؤال الممثلين ـ الذين ليس لديهم اي معلومات تفصيلية مسبقة عن المنظومة الاصلية ـ يجري سؤالهم كيف يشعرون ضمن هذه المنظومة المكانية من العلاقات. وهم بين آونة واخرى يعبرون عن تغييرات جسدية واضحة ويظهرونها، مثل وضع الجسم والكيمياء أو الشعور بالحرارة أو البرودة أو ثقل الاطراف أو التعرق أو ارتفاع ضغط الدم أو الشعور بالوخز في البطن أو حتى الجوع أو ضيق التنفس أو غير ذلك من اعراض.

عمليا، يكون الممثلون احيانا قادرين على التحدث عن الحالة والعلاقات للشخص الذي يمثلونه بطريقة واعية بشكل يثير الدهشة. ربما يتحدثون عن احاسيس الانتماء أو البعد فيما يخص الاخرين ضمن المنظومة وعن الضيق الذي يحسونه في بعض المواقع ورغبتهم في تركها. وهم يعبرون عن الافكار والتفاصيل والجمل التي لا يمكن اصلا ان تحدث في اوساطهم هم، كما يُظهرون علامات التحسس أو الارتياح أو التململ أو التنبؤ أو العبء التي تعود ايضا إلى السياق الذي يمثلونه وليس سياقهم.

لقد اكدت مجموعة دراسات علمية هذه الظاهرة، مع انه لا يوجد تفسير عام متفق عليه لأسبابها. (2) لن اتوقع مثل هكذا تفسير، على الاقل ليس في اطار العلم الحديث، يعتمد كما هو الحال على مفهوم الفرد الذي يستبعد اية ظاهرة مماثلة. ومع ذلك تفترض نظرية المنظومات ـ وبعدها علم النفس التجاوزي (العابر للشخصية) ـ ان الظروف والتصرفات والمواقف والقيم وصفات الشخصية لا يمكن ابدا ان تعزى بشكل كامل

(1) ماهر (14 كانون الاول Mahr(2009.

(2) كالر ـ ديتريخ (14 كانون الاول Kaller–Dietrich(2009.

إلى فرد واحد. اي لا يمكن ان توجد في الافراد بل انها دائما تبنى ثم تعزى واخيرا يتشاركونها. وبالنتيجة تظهر في المجال العابر للشخصية الذي هو موقع النزاعات من جميع الاشكال بين البشر. يعود هذا إلى الفلسفة الحوارية وعلم نفس مارتن بوبر التي سبق مناقشتها، التي وفقا اليها يصبح الانسان ذاته بالتفاعل مع الوسط المحيط به. Thau[1] يؤمن البريخت ماهر[2] ان البشر لديهم القدرة لإعادة انتاج تجارب الاخرين، شعوريا وجسديا، داخل انفسهم، دون ادراك التجربة. وفقا لماهر، فان القدرة على الخدمة كوسط لتجربة الاخرين مستقاة من معرفة انسانية قديمة جدا. وهو ايضا يضع هذه المعرفة في مفهوم التحليل النفسي للتشابك العاطفي وما يعكس الظاهرة، التي جرى تفصيلها بشكل كبير في العمل التشكيلاتي. وهو يشير إلى التشكيلات على انها «حقول معرفة» تكمل مفهوم الميدان العلمي بميدان المعلومات الذهنية. وايضا ليس هناك من اتفاق عام بهذا الصدد. اود ان اخمّن ان تفسيرا لهذه الظواهر يمكن ايجاده في مكان ما بين الوظيفية السلوكية ونظرية الحقل العابر للشخصية. ومع ذلك ليس لدي تفسير افضل من المختصين الذين يعملون على هذا الموضوع على اساس مستمر. ومهما يكن الامر، فالشهادة التالية لطالب من انسبروك تؤكد هذه الظاهرة:

> اني اؤمن بشدة ان الاستاذ ماهر كان قد نوّم الممثلين مغناطيسيا. لذا فقدت الاهتمام بعمل التشكيل السياسي Political Constellation Work PCW)). في اليوم الثالث من هذه الحلقة النقاشية اختارتني احدى صديقاتي لأكون ممثلا في عمل التشكيل السياسي لها. لم ارغب في ان اخذلها، لذا وافقت.... ثم اصبحت جزءا من العملية. فورا شعرت بعدة عواطف لا تعود لي. تفاجأت من شدة ونوعية تلك العواطف. والافضل كان حقيقة اني كنت مدركا لكل شيء يحيط بي، مشاعري، وايضا تلك المشاعر التي لا تعود لي؛ تلك المشاعر كانت تعود إلى والد صديقتي، الذي كنت امثله. كان هذا الاكتشاف قد ابطل فكرتي عن التنويم المغناطيسي. كان علي الاقرار لنفسي اني لم اكن منوما مغناطيسيا. واخيرا وافقت على ذلك واستمريت في المشاركة في عمل التشكيل السياسي بكل احساس بالمنطق... [3]

---

(1) هوبنر (Höppner,(2001 ماير (Mahr,(2008 روبيرت (Ruppert(2005.

(2) فارغا فون كيبد (2003, ص 54 ـ 63) Varga von Kibéd.

(3) ماهر (1999, ص 15)Mahr.

واذ ان هذه التجارب احيانا تكون مركزة، من الضروري توجيه الممثلين مجددا إلى منظومتهم الاصلية بعناية شديدة. وحيث ان التشكيلات ايضا محفزات قوية لظاهرتي الانتقال والانتقال المقابل، يجب التعامل معها بأسلوب مهني وواعٍ.

تنتج التشكيلات صورة علاقات منظمة مختلة، دون معرفة خلفية واعية أو تلاعب مقصود. يخلق هذا احتمالية العمل على البنية العلاقاتية. ابتداءا، لا العميل ولا اطراف النزاع يشاركون تشكيل منظومة النزاع. بدلا عن ذلك، لهم الفرصة لرؤية صورهم الداخلية من منظور خارجي. وبمساعدة الممثلين تتكشف منظومة النزاع من خلال عدة تشكيلات لاحقة. يعدل الممثلون المختارون مواقعهم استجابة للمشاعر التي يحسون بها في التشكيل الاول حتى يصبحوا في علاقة متجانسة مع بعضهم البعض. إن جرى النظر اليها من الخارج يرتقى هذا إلى تغيير مواضع الممثلين ومن المحتمل اضافة مشاعر اخرى لهم. وفي هذه العملية تخدم الاشارات الجسدية كمؤشرات. العمل التشكيلاتي هو نوع من العلاج الجسدي بعناية، استنادا إلى رؤى كل من الدراما النفسية والعلاج الغشتالتي.

تتنوع درجة الحرية التي قد يتحرك بها الممثلون من مدرسة إلى اخرى وقد تستجيب إلى تداخل توزيع عبارات الحل. وبالنظر إلى التجربة المكثفة للعواطف، تعبر عبارات الحل الحقائق والخيارات، والدليل ورؤى المساعدة التي قد تبدو بادئ ذي بدء مفاجئة أو صعبة أو لا يمكن تخيلها، بيد ان ذلك احيانا يشجع قلوب المشاركين لتزدهر وتتعزز شجاعتها.

غالبا يتفق وسيط النشاط والعميل على النتيجة المرجوة لكل جزء من العمل التشكيلاتي. فالاتصال الحذر والموثوق بين الوسيط والعميل ذو اهمية بالغة في هذه العملية. تظهر ما تسمى «صورة الحل» عندما يكون كل ممثل خالٍ من الاعراض السلبية حيث وجد مكانا تمكينيا ضمن المنظومة الذي منه يتصل مع الاخرين بأسلوب متطابق.

في هذه المرحلة (او، اعتمادا على الحالة، خطوة واحدة تسبقها) يتحرك العميل إلى موقعه في التشكيل من اجل ان يجرب بشكل مباشر التحولات المهمة في منظومة

النزاع. يمكن للعميل عندها ان يكون واعيا لديناميكيات النزاع الحالي واحتمالية التحويل دون حكم أو الرجوع إلى اللائمين والظروف، كما يمكن ان يكون قد جرب سابقا. ان تكامل هذه التجربة مع الشعور بالوعي التام في الحياة اليومية هو امر حاسم. يعني هذا رؤية الشخص والاخرين في ضوء تجربة التشكيل والتصرف وفقا لذلك، خاصة في الحالات التي فيها قد يجري تحفيز انماط النزاع المثالي. [1]

عندما تشير مدرسة هيلينغر إلى النتيجة اعلاه على انها «الحل»[2] فإنه يبدو خيار كلمة مضللة، حيث ان المنظومة الاصلية وبنيتها العلائقية ليست معدلة بدرجة كبيرة نتيجة العملية. وبدلا عن ذلك، فان صورة الحل تبين نفسها في مجال تصور العميل والاحساس كرؤية عاطفية وفكرية. وفي خطوة اخرى قد توسع هذه الرؤية نطاق التصورات والمشاعر والاحاسيس المتوفرة في المنظومة الاصلية، وبذا تقود إلى تغيير في تصرف الشخص الذي، وفقا لنظرية المنظومات، ستكون عندها تغذية مرتدة للشخص.

وجدت هذه الطريقة في علاج العائلة اولا، الا انها تستعمل في الكثير من السياقات في الوقت الحاضر. فهي تطبق في التشكيلات التنظيمية من جميع الانواع، وفي التشكيلات البنيوية. تشير الاخيرة ربما يجري تعديل الطريقة وفقا للموضوع والسياق. احيانا تكون التشكيلات المبنية على فرق العمل عاملة، ليست مع الممثلين، بل مع الافراد الذين يمثلون انفسهم. الا ان مثل هكذا تنوعات ظرفية لا ترتقي إلى استطرادات من الطريقة.

اود ان اطرح سؤال لماذا ان هذه الطريقة قد تطبق على وسط سياسي على مستوى مجموعات اكبر من اجل مناقشة استعارة فاميك فولكان الخيوط السبعة. [3] ان فولكان[4] هو محلل نفسي متفتح بشكل خاص للطرق الجديدة وله خبرة عملية كبيرة في الاوساط السياسية. مع ان فكره بنيوي اكثر مما هو منهجي فان مَثله بشأن الخيوط

(1) مقتبس في كالر-ديتريخ (,2007 ص 14) (14 كانون الاول 2009)Kaller-Dietrich.

(2) ماهر (14 كانون الاول 2009)Mahr.

(3) هيلينغر (2003)Hellinger.

(4) فولكان (,2003 ص 47 ـ 137)Volkan.

السبعة يوفر مدخلا حدسيا إلى بنى اعمق للنزاعات الوطنية والاثنية ـ السياسية والدينية التي تشغل عمل التشكيلات السياسية. تشير الخيوط السبعة إلى المكونات المتنوعة التي تشكل مع بعض كينونة المجموعة الاكبر عبر ربطها إلى طبقات النسيج المحبوك.

عند النظر إلى ما هو ابعد من خلفية التحليل النفسي المكثف عند فولكان والتركيز بدلا عن ذلك على النتائج، تشير الخيطين الاولين إلى نقل الصور «الجيدة» للشخص والاشياء في المستودعات المناسبة في سياق تكوين هوية فرد ما. وبناءً عليه، فسِّرت جميع الافكار والتصورات والعواطف على انها «جيدة»، غير انها لا تتكامل لدى فرد ما بل متوقعة على خزين المجموعة التي ينتمي اليها ذلك الفرد. فالموافقة المتبادلة للفرد والمجموعة في هذا التأويل يخلق فكرة «انتماء بعضهم لبعض» التي تقيد اعضاء المجموعة الاكبر إلى بعضهم البعض في مصير مشترك. لذى فان الاستعانة باليات خارجية للصورة الذاتية «الجيدة» يعطي الفرد احساسا بالانتماء.

يربط فولكان الخيط الاول مع الخيط الثاني، الذي يعرّفه على انه تحديد سمة الجيل الثاني مع قيادة في مجموعة كبيرة. وفقا إلى فولكان، يخلق الخيطان المذكوران حلقة الوصل بين الهوية الجوهرية للفرد وهوية مجموعة اكبر. وحيث ان تلكما الهويتين الايجابيتين لا تظهران من فراغ، فسيلتقيان في المحصلة بحدود التماس بالهويات الاخرى في المجموعة، وتنتج عنها الحاجة إلى التفاعل والتواصل.

تمثل المجموعات الاخرى، عادة المجموعات المحادة، خزينا للاستعانة باليات خارجية للصور «السيئة» للفرد والاشياء. استنادا إلى فرويد، يقترح فولكان ان الاختلافات البسيطة بين المجموعات المتشابهة من المحتمل بشكل خاص ان تؤدي إلى مشاعر بالغربة والعدائية، اذ ان صفات ظل الشخص تكون اكثر ميلا للانتقال إلى مجموعة اخرى المعروفة والمفهومة من تلك التي هي غير معروفة بتاتا. [1]

ينسج الخيط الثالث النمط التقليدي من «الانتماء الجيد لبعض» بصلة مع «الغير السيء». ان كان اتصال مجموعة يجرب على انه غير متوازن بدرجة كبيرة لفترة اطول، فانه قد يستوعب الاسقاطات السيئة المؤدية اليه، مثلما هو الحال حين تستخدم مجموعة

---

(1) ولد في عام 1932 في نيقوسيا بقبرص.

مكبوتة الصور النمطية السلبية التي من خلالها قد همشتها المجموعة المهيمنة كأدوات لتصورها الذاتي. وفي مثل تلك الحالات، قد يظن الناس انفسهم ادنى شأنا أو سيئين أو اغبياء، لانهم ينتمون إلى مجموعة معينة.

في هذه النقطة ينسج فولكان الخيطين الرابع والخامس: الروائع المختارة والصدمات المختارة. يخص هذان الخيطان الذاكرة الجمعية الواعية وغير الواعية والاهمية المعزاة إلى الاحداث الفردية. تعرف السياسة على انها تمجد الاحداث التاريخية من اجل خلق هوية مجموعة، موظفة رايات وشعارات نبالة والعطل الوطنية والنصب التذكارية والاساطير والاحتفالات. بالاشتراك في الطقوس ذات الصلة يعرّف الجيل الجديد نفسه بالوعي التقليدي للمجموعة. مع ذلك فان المحتوى والاساس التاريخي لهذه الطقوس والحكايات تؤدي دورا ثانويا فقط. فالقضية الوظيفية الاساسية هي الانتقال عبر الاجيال للحكايات التي من خلالها يجري تهيئة الصور الذهني للأحداث الصادمة والبطولية للأجيال اللاحقة وبذا تودع في فهم الذات لدى الشباب. عندما تصبح صورة ذهنية لحدث صادم هي الصدمة المختارة فان التاريخ الحقيقي للحدث يكون ليس بذي اهمية. عند حدث صادم تصبح الحكاية السمة البارزة القاطعة للمجموعة الكبيرة، حيث تربط اعضائها بعضهم مع بعض وتمنحهم شعوراً بالمساواة في المعاناة. لان المجموعات عرضة للتغيير، فان وظيفة صدمة مختارة قد تختلف باختلاف الاجيال؛ ومع ذلك هي دائما تكون بشأن الاذلال والخسارة عدم قدرة الاجيال السابقة على الحداد. ومن خلال هكذا تحول ينقل جيل مهمة عملية اتمام الحداد الخاص به إلى الجيل التالي. يمر احيانا الجيل اللاحق بالرغبة لتصحيح الظلم الذي عانى منه الجيل السابق، الامر الذي يؤدي إلى الرغبة في الانتقام، أو ان لم يكن ذلك من المستحيل تحقيقه، وضع مثالي دائم لحالة ضحية.

وما ان يبدأ جيل لاحق عملية الحداد، فان من الممكن ان تزال عن الجيل الذي عانى الخسارة الاصلية. وفي هذه الحالة ليس بالضرورة ان يكون الجيل اللاحق واعيا لسبب وعملية الحداد؛ وربما حتى لا يكون مدركا للعواف ذات الصلة في الوقت الذي، في الحقيقة، تسيطر عليه. ومع ذلك، ستبقى الصدمة مؤثرة اثناء الانتقال وربما تمثل خطرا مشابها لخطر قذيفة منسية مدفونة يمكن ان تفجرها الهزات بعد مدة طويلة من اطلاقها.

يوضح فولكان هذا المفهوم من خلال المثال المشهور الان لحكاية معركة كوسوفو لعام 1389 واعادة تنشيطها بعد عدة قرون اثناء حروب يوغسلافيا السابقة. [1]

يخص الخيط السادس تأثير شخصية القائد على مجموعة كبيرة. وفقا لفولكان يجب ان ينطبق على القائد متطلبان من اجل ان يكون له تأثير دائم على المجموعة. يجب ان تكون المجموعة محاطة بأزمة هوية، ولذا وان تكون متقبلة لرسائل الخلاص وخيالات الخلاص البطولي. ثانيا، يجب ان يتمتع القائد بشخصية تحويلية وجذابة. هنا، يشير فولكان إلى شخصية تمكنه طبيعته النرجسية وقناعته المطلقة ليظهر صفات الابوة والامومة، مشجعا ومخيفا عندما يتحدث إلى جمهور واسع، وبذا يخلق علاقة عاطفية. وما ان يبدأ التفاعل بين مثل هكذا قائد ومجموعة كبيرة تبحث عن الخلاص، يطور الخيط السادس قوة يمكن ان تستمر لما بعد موت القائد. استنادا إلى فولكان فان مصطفى كمال اتاتورك يجسد هذا المفهوم.

اخيرا، يتضمن الخيط السابع خلق رمز يمثل هوية المجموعة الكبيرة ويحققها. ربما يكون هذا مكانا، بناية أو رمزا مرئيا يرتبط بالخيوط الستة الاخرى، الذي تجعله طبيعته المادية مناسبا لتفعيل نزاعات المجموعة في الوقت الحاضر.

قد يتطلب الامر وقتا طويلا لسوء الحظ الذي تمر به المجموعة ليتطور إلى صدمة مختارة، ويتحول اخيرا إلى رمز. وما ان يتطور حتى يصبح مادة لعمل السلام: عندما يكون موقف ضحية ما جزءا من هوية المجموعة فان الميول العنيفة والبحث عن الانتقام والصدمات الجديدة ليست بمستبعدة. في هذه الحالة تكون مهمة عمل السلام هي لتحديد الحدث الصادم الاصلي وخلق ظروف تسمح للطرف الضحية لإنجاز عملية حداده. مع ان فولكان يعول على خيوطه السبعة بمصطلحات تحليلية نفسية، فهو ايضا يوضح اهمية التشكيلات السياسية كونها طريقة من طرق عمل السلام.

يختص المنتدى الدولي للتشكيلات السياسية (IFBA) في فورتسبورغ بألمانيا بالبحث عن امكانية تطبيق التشكيلات المنظمة في النزاعات السياسية. [2] الفارق بين

(1) فولكان (Volkan، 2003، ص 151).

(2) فولكان (Volkan، 2003، ص 84-97)

التشكيلات العائلية والتشكيلات السياسية يكمن في حجم وتعقيد الميدانين وتنوع الافراد والدقة التي بها يجري تعريف الاهداف. توفر التشكيلات السياسية، لوحدها، حلولا قليلة كتشكيلات عائلية. مع ذلك، يمكنها ان تحدد وتوضح وتغيّر بنى النزاعات. وبدلا عن استبدال اشكال اخرى من السلام الاستنباطي والعمل في النزاعات، فهي تكملها.[1]

مثل جميع التشكيلات المنظمة تبدأ التشكيلات السياسية بما هو غير واعٍ تبحث من اجل جلبه إلى الوعي من خلال تحويل ايجابي. تجعل التشكيلات ممكنا القاء نظرة تحت السطح المدهش للنزاعات والنظر إلى مستويات اعمق حيث تحدث حركة غير واعية وتصبح مؤثرة. يبحث عمل التشكيل السياسي من اجل توسيع منظر الديناميكيات ذات الصلة بالنزاع. عندما يكون عدد كبير من الناس والعوامل جزءا من النزاع ويفسَّرون منهجيا في التحليل يمكن تحديد مكونات مكبوتة ومنسية ويقل تعقيد التصور. ان وجد كل الناس والعوامل والاعراض مكانهم في تصورات المشاركين، تسهل عملية التحويل. باستخدام طريق الايضاح سأوجز اسس التشكيلات السياسية.[2]

الهدف من وراء التشكيلات السياسية هو رسم خارطة ديناميكيات النزاع الاكثر عمقا. تكشف العملية احيانا آراءا جديدة فيما يتعلق بأطراف النزاع. من وجهة نظر عملية فان عبارة *اطراف النزاع* هي بحد ذاتها مضللة، حيث انها تفترض قطبية لا تظهر الا على سطح حلقة النزاع. تحاول التشكيلات السياسية ان تعمل ضد هكذا استقطاب باشراك كل ما ممكن من الناس والعوامل والاعراض والديناميكيات ذات الصلة بالنزاع. في التشكيلات السياسية يجب الاخذ بنظر الاعتبار كل شيء يمكن تصوره. يطلق هذا طاقة في المنظومة يمكن تطبيقها بالديناميكيات ذات الصلة وتسهل احترام وفهم الاخر. واذ يهدف إلى الحفاظ على التوازن، يشير النظام نفسه إلى الاتجاه ذاته.

هذا ليس المكان لتوضيح التفكير العقيم والتكتيكات والتوجهات مثل لوم الاخر أو ادعاء الحيازة الحصرية للحقيقة. في الحقيقة ان الانقسام الاخلاقي مثلا بين

---

(1) Internationales Forum Politische Aufstellungen (12 كانون الاول 2009).

(2) عدا ان اشرت الى خلاف ذلك اني اتبع كالر-ديتريخ (2007, ص 17-25) (14 كانون الأول 2009) Kaller-Dietrich.

الجيد والسيء أو الصح والخطأ يبدو انه يحرّف من خلال التشكيلات السياسية كون الآراء التكاملية حول النزاع هي اكثر توصيلا للإدارة من الآراء الاستقطابية. يسبب عمل التشكيلات تحولات زمانية ومكانية في احداثيات النزاع، مما يمكّن من صياغة منظورات أو خيارات جديدة أو ظهور اعراض مهملة ومكبوتة ومنسية لمنظومة النزاع، ما يسبب فهما محتملا جديدا.

يبدأ عمل التشكيلة بالسؤال حول من وماذا ينتمي إلى المنظومة. في التشكيلات العائلية يعرف الانتماء بالأصل وتاريخ العائلة. في التشكيلات التنظيمية ما يهم هو العضوية في المنظمة أو العمل أو الحزب السياسي. تختص التشكيلات السياسية بمجموعات كبيرة. لا يعني هذا ان هناك ضرورة لعدد كبير من الممثلين أو العوائل، لأن مجرد ممثلين قد ينوبون عن مجموعات بكاملها. بإضافة الناس وعوامل المنظومة ومن المحتمل الاعراض والعمليات فان التشكيلات السياسية لا تختلف عن الاشكال الاخرى للتشكيلات.

ان مثل هذا التشابه يعزى إلى ان عمل التشكيلات، واستنادا إلى الملاحظات العملية، تخاطب ثلاثة مفاهيم ذات صلة متبادلة من الضمير التي هي من اسباب سلوك الناس في النزاع، حيث يعرّف الضمير على انه المحرك البشري للمحافظة على الترابط بين الفرد والمجموعة الاكبر.[1] اول تلك، الضمير الفردي، يشير إلى العلاقة بين الفرد وما يتصوره عائلته أو المجموعة المساندة. الضمير الفردي ليس مؤشرا اخلاقيا بل اجتماعي موجه اساساً نحو مصلحة السياق الخاص بالمجموعة الصغيرة. وهو يسمح للفرد ليعرف درجة التوافق المطلوبة من قبل السلطة الاجتماعية المتمثلة بالضمير الجمعي، ما يؤدي إلى الاحساس بالبراءة عنما يكون هناك تطابق ويولّد ذنبا في حين ليس هناك من ذنب. ثانيا، منظومات القرابة لها ضمير يهدف إلى الكمال. مثل تلك المنظومات تصبح مفككة عندما يجري استثناء اعضاء أو عوامل أو موضوعات، ما يمكن ان يؤدي بالأجيال اللاحقة لتصبح معلقة بمصير اولئك المستثنين أو مرتبطين معهم ارتباطا لا ينفصم أو مثقلين بهم. ثالثا، هناك ضمير شامل هو نتيجة تجربة واعية

(1) كالر ـ ديتريخ (2007, ص 4) (14 كانون الأول 2009) Kaller ـ Dietrich.

للترابط المتبادل للحياة وتجري تجربته كتعليق لجميع ما يفرق ويستثني ويحكم. وهو يؤدي إلى موقف تعاطف واحترام لكل الكائنات الحية. [1]

تجعل مفاهيم الضمير هذه من الممكن تطبيق عمل التشكيلة على الافراد بنفس قدر المجموعات الكبيرة. ان الصيغ الرئيسة لنزاعات المجموعة الكبيرة لا تختلف عن تلك الخاصة بالمشكلات الفردية في المجموعات الصغيرة. وفي كلتا الحالتين، يشعر كل اطراف النزاع انهم على حق. وبسبب الجروح السابقة، فهناك استعداد قليل أو لا استعداد للمصالحة، والميل نحو استخدام امور تافهة موجودة في الساحات الثانوية لإعادة النزاعات المخزونة في طبقات الثقافة العميقة إلى كامل فاعليتها. عندما يحدث هذا في الوسط السياسي للمجموعات الكبيرة التي لها اهتمام خاص في هذا الكتاب، قد توفر التشكيلات السياسي طرق التحويل.

حتى وقت قريب اشار المنتدى الدولي للتشكيلات السياسية إلى محاولات مثل «كل التشكيلات» (Aufsellungen ـ Alles) مع انه الان يستخدم هذا المنتدى مثل «العدسات الثلاثة» التي تركز بشكل كامل العناصر السياسية والتنظيمية النفسية ـ الاجتماعية لمنظومات نزاعات العملاء. [2] استخدام كلمة «كل» يعكس قناعتهم ان النزاعات السياسية هي جزء من طبيعة الانسان وإن لها تداعيات على «الكل» في العالم. ومالم لم تعالج، تشق النزاعات طريقها عبر الاجيال. واذ وصلنا إلى هذه الفكرة ويمكن تطبيقها في حالات فردية يعكس نظرية العلاج الغشتالتي الذي وفقا له فصل الاخر لا يوجد سوى في خيالنا. تختص التشكيلات السياسية بتحويل لشخصيات الفكر المعارض. تتضمن هذه الشخصيات معارض الصديق وكذلك الخصم، فضلا عن الجاني والضحية. وفي اي منظومة حيث هناك جناة أو الناس الذين اثبتوا بسلبية افعال الاخرين، هؤلاء الناس يشاركون في معاناة الضحايا. وخلافا لذلك، عندما كان هناك ضحايا في منظومة ما يمضي الجناة قدما بذاكرة الضحايا حتى عندما يحاولون ان يقمعوا أو يبرروا أو يسفهوا افعال بعضهم. فالجناة والضحايا والعلاقات المتبادلة بينهم

(1) ياغر (Jäger(278 ص 2003,).

(2) ماهر (Mahr(18_17 ص 2003,) تبنى ماهر هذه الفئات من هيلينغر (Hellinger(68_67 ص 2003,).

يمكن ان توجد في كافة ارجاء العالم. تحصل احداث وتجري افعال الا ان منظومة ما لا تعرف افرادا جناة أو ضحايا، بل فقط علاقات متبادلة. ربما تساعد التشكيلات السياسية في اقرار هذه الحقيقة عبر ابداء الاحترام للضحايا والجناة من جميع الجهات. يعبر ويليغيس ياغر في ما يأتي بمفردات نوعا ما درامية:

> قبل وجود الابعاد المختلفة للوجود جرب الناس انفسهم على انهم شخص واحد. من وجهة النظر هذه فالمهاجم مطابق للمتعرض للهجوم، والدكتاتور للمقموع والمغتصب مع ضحية الاغتصاب والمتصدق مع المستجدي والقاتل مع ضحيته. وفي نهاية المطاف الشر وكل المعاناة تنتج تصور محدود يفترض ان هناك ذات فردية مستقلة. [1]

وإذ يجري التعبير عنه بعبارات قاطعة، فان عمل التشكيلات السياسية لا بد ان يسبب غضبا ويلقى معارضة من الاخلاقيين والبنيويين والمثاليين وأولئك الذين يفكرون بعبارات حديثة. مع ذلك، فانه يعبر عن حقيقة اساسية لنظرية المنظومات: البصيرة التي تفيد بان الاخر هو جزء من منظومة الفرد - خاصة عندما يُنظر إلى الاخر كخصم - تجلب الوضوح والتوازن والراحة. ان مكونات المنظومة التي تظهر من ظلال تكوينات النزاعات، اذ انها مستقلة عن الاحكام الاخلاقية بشأن هذا المنهج، احيانا تدل على الطريق نحو التحويل. يقر عمل السلام عبر العقلاني هذا برؤية الاحتمالية الفاعلة التي تهدف إلى التغيير الذي يختزنه عمل التشكيلة السياسية فيما يتعلق بتحويل النزاع الاستنباطي. يعدّ البرت ماهر[2] المعركة المستمرة مع ما هو معادٍ واجنبي بما هو لغاية الان غير مفهوم وباعث على الخوف، حيث ان القوة الدافعة للحركة اللانهائية نحو تحقيق الحياة. ان النزاعات هي جزء من العلاقات الانسانية. والنزاعات ذاتها، وتحويلها، لا يمكن ان تحدث دون علاقات. يشير الاقرار بجوانب الظلال إلى بداية عملية التعافي لأولئك المنتمين إلى المنظومة، وهي عملية تدعى المرونة. [3] ومثل كل المنظومات الاخرى، تبحث المنظومات الانسانية التي مرت بصدمة عن العودة إلى حالة التوازن.

(1) شكر خاص الى فابيان ماير Fabian Mayr لهذا التحديث لأحدث التطورات.

(2) ياغر (Jäger 2003, ص 285) ترجمة فولفغانغ سوتزل

(3) ماهر (Mahr 2003, ص 14).

> يجب ان تكون المنظومات الحية، الاجتماعية أو البيئية، قادرة على استعادة شكلها أو موقعها الاصليين بعد ان تثنى أو تمد أو تضغط. المرونة هي بنية متعددة الابعاد تعرف على انها قدرة الافراد والعائلات والمجتمعات والمنظومات والمؤسسات لتوقّع، وتحمل و/او تنخرط بحكمة في الاحداث الكارثية و/او التجارب وتوجِد بنشاط معنى من المحنة، بهدف الحفاظ على الوظيفة طبيعية دون خسارة هوياتها بشكل كبير. [1]

يحدد استجابة منظومة ما لحدث صادم فيما ان كان سيحدث شفاء أو انتكاسة. على العاملين في النزاعات ان يراعوا اقصى انتباه إلى حالة منظومة اجتماعية ما والخيارات المتاحة لها. وليس في اية حالة سيحرر الشفاء الذاتي لمنظومة الذي يحدث في نقطة تشعب[2] الافراد في التشكيلات السياسية من مسؤوليتهم عن افعالهم واوجه التقصير. لذا، يطرح سؤال معقد حول ما هو المعيار الذي يجب ان يستخدم في تقييم هذه المسؤوليات. وفي رد على ذلك، يطبق المنتدى الدولي للتشكيلات السياسية ثلاثة مما تسمى «قوانين المنظومة الحقيقية».

اول تلك القوانين يشير إلى الرابطة الانسانية. وهي، ان جميع اعضاء المنظومة لهم الحق بالانتماء بصرف النظر عن «ادائهم الاخلاقي» الخاضع للتقييم. ستسبب محاولة اقصاء اعضاء من المنظومة الاخرين إلى شحذ ذاكرتهم بالتصرف بشكل مشابه لأنه، على مستوى الموضوع، مثل هكذا استثناء مستحيل. يذكّر اعتراف الممثلين بالذنب المنظومة بالعناصر والغشتالتية التي بحاجة للشفاء. فالأفراد الذين يتحملون دون ادراك المعاناة لأولئك المستثنين يمكن ان يقودوا منظومة ما إلى تكرار تحويل النزاع المعلق. يفهم جلب مرتكبي الجرائم والضحايا، خاصة اخلافهم، مع بعض على انه يخفف الوطأة ويشفي ويمكّن هدف التشكيلات السياسية.

يخص القانون الثاني عدم امكانية نقل تجربة حياة فرد ما. ان الحرب والتهجير

(1)يعود الفضل الى البرنامج العالمي للمرونة (14 كانون الأول 2009) لتوفير تعريف للمصطلح الذي جررت مناقشته بقوة" المرونة". ليديراش و ليديراش Lederach and Lederach(72-68 ص ,2010)يعدان المرونة حجر الاساس للتحول عبر العقلانيأو يشيران الى التحول ذلك بعبارة "التحول المجازي".

(2)الميدون (,2008 ص 5 ـ 13)Almedon.

القسري والمعاناة المتأتية من العنف أو الاجرام تسبب معاناة تستمر لعدة اجيال، حيث ان الجيل الاصغر عمرا يحاول تحمل اعباء ابائهم واجدادهم. يبدو احيانا من المغري للجيل الاصغر عمرا تحديد الافعال أو الآثام أو الصدمات المختارة لأسلافهم مع ان هكذا تحديد يثبط نمو الجيل. يديم مثل هكذا تحديد ميلا لافتراض دون وعي ان تصرفات الاجيال السابقة غير المصرح بها والذنب المقترن بها. ما لم تحصل مقاطعة هذه العملية سينتقل العبء من جيل إلى الجيل اللاحق، وتزداد صعوبة تحديده. تخدم التشكيلات المنظمة هدف السماح للجيل الحالي لترك مثل هكذا اعباء مع اسلافهم وبذا يعيدون الكرامة إلى الجيل الحالي. ان هذه التشكيلات على وشك الطلب من اسلاف الفرد ان يتحملوا المسؤولية. وفقا إلى نظرية المنظومات يمكن للأجيال الحالية ان تكون لهم قوة اسلافهم دون الاحساس بأعباء شعورهم بالذنب. في المناطق الناطقة بالألمانية ـ مع ان ذلك لا يعني فقط تلك المناطق ـ كان هذا موضوعا حاسما منذ عقود. واذ ان الألمانية هي لغتي الام وعملت في عمل النزاع الدولي، اشعر احيانا بالاستغراب كيف ان هذا الموضوع مكبوت ويتم التغاضي عنه في دول شرق اسيا، مثل اليابان، حيث يرتبط بالشعور بالخزي ويستمر بوضع الاعباء على حياة الاجيال الشابة. [1]

يشير القانون الثالث إلى الترتيب الهيكلي: الموقع المتفرد لشخص أو مكون في منظومة ما بنفس مستوى اهمية الانتماء وعدم امكانية نقل تجربة الحياة. يبدو هذا منطقيا. مع ذلك، فان كان تفضيل السابق على اللاحق موجود، سيرسخ القانون مفهوما خطيا للزمن الذي يناقض تفكير نظرية المنظومات. [2] من هكذا خطية نوعية زمنية ليس بمستبعد التفكير بالترتيب الايديولوجي والعقائدي (مثلما يشكك بنقد بيرت هيلينغر). لذا فقراءتي الشخصية لهكذا قانون افتراضي تقترح ان بديهية عملية تساعد في تأويل حلقات العمل المعقدة في المنظومات الاجتماعية ـ مثل فيزياء نيوتن ـ لا زالت نافعة

(1) لاسلو (Laszlo(2006.

(2)ان الامر تخميني، مع انه واضح، لربط هكذا موقف بمعدلات الانتحار المرتفعة في اليابان و كوريا الجنوبية/تلك المعدلات التي لا توجد الا في المجتمعات التي تمر بحداثة سريعة. منظمة الصحة العالمية (14 كانون الأول 2009).

في التعابير الشائعة الا انها مجردة من الادعاءات المطلقة للفيزياء الكمية. وفي مطلق الاحوال، تعمل التشكيلات السياسية بهيكليات اعمق بنية لتساعد وعي المجموعة في الافصاح عن نفسه، مع ذلك توضح ثانية مدى الارتباط الوثيق الذي يعرّف علم النفس الانساني النزاع الحقيقي بتوقع المراقب له. وفي نهاية المطاف نحن ننظر إلى كيف يفكر شخص معين بالواقع. لذا، ما دام تحويل الصور الداخلية للنزاع يكون ذا صلة، فان التشكيلات السياسية تدل على الطريق: بتحويل النزاعات التي تخص الجميع فان ذلك سيساهم في عمل النزاع.

5 ـ 4 عمل المسرح التحويلي

في هذا الجزء من الفصل، كل الطرق التي ذكرت سابقا لتحويل النزاع الاستنباطي ستأتي مع بعضها البعض. فالمسرح، الذي هو من اكثر الفنون الديونيسية شمولية، يجمع التنفس والصوت والطرائق التي غايتها الحركة في شكل متكامل واحد. سأبدأ مع مسرح *المضطَهَدين*، الذي طوره المخرج والكاتب المسرحي البرازيلي اوغستو بول.[1]

يمكن توضيح علاقة عمل المسرح مع المفاهيم التي ذكرت سابقا باتباع منهج حياة بول. كونه كاتب مسرحي من اصول برازيلية، كان مشهورا بالمسرح الاوربي الكلاسيكي مثلما كان مع اصول المسرح الشعبي البرازيلي. ففكره المتحرر بشدة والديمقراطي قاده سريعا ليدير ظهره للمسرح الكلاسيكي رافضا جداره الرابع ـ الفصل بين الممثلين الذين «يعلمون» والجمهور «الجاهل». فمن وجهة نظره، حتى ـ وبشكل خاص ـ مسرح بيرتولت بريخت المتنور والتعليمي والملحمي، الذي كان في الاساس الهام بول الاكبر، اصيب بهذا العيب. باستخدام تكنيكات الغربة خرق بريخت هذا الجدار من المسرح باتجاه الجمهور، ولكن ليس في الاتجاه المعاكس ابدا.

عندما كان علم النفس الانساني يتطور، درس بول الكيمياء في جامعة كولومبيا في نيويورك. وفي نيويورك، في احد مسارح برودواي الصغيرة تولى خطواته الاولى

(1) يضع ليديراش و ليديراش (Lederach and Lederach, 2010 ص 195 ـ 234) توكيدا كبيرا على الطبيعة الدوارة لتحويل النزاع الاستنباطي. و انا اتفق معهما في هذا الرأي.

ككاتب مسرحي. كان بول احد الايقونات المعاصرة في العلاج الامريكي اللاتيني، مثله مثل اوسكار ايتشازو وكلاوديو نارانجا واومبيرتو ماتورانا. من خلال معلمه باولو فرير تعرف عليهم بول وكذلك على العديد من زملائهم الامريكيين الشماليين والاوربيين والهنود واليابانيين. تقاطعت حياة بول مع حياة اولئك في ايسالين كذلك في بونا وبوسطن ونيويورك. كانوا يلتقون غالبا في مركز ايفان متعدد الثقافات للتوثيق[1] في كويرنافاكا في المكسيك. لم تكن مصادفة عشوائية التداخل التاريخي والنظري بين علم النفس الانساني وتعليم المضطهدين وعلم ثيولوجيا التحرر ومسرح المضطهَدين وتحويل النزاع الاستنباطي.

اعتبر بول عمل باولو فرير الهامه الاكبر. ومثلما اشير في المقدمة، كان فرير قد اثر على كل من تعليم المضطهَدين وعلى ادم كورل، لذا ميّز اصل تحويل النزاع الاستنباطي بنفس معنى جون بول ليديراش. حيث ان عمل النزاع الاستنباطي كان يستفيد اساسا من الصيغ النظامية والشفائية والروحية لعمل فرير، قادته وجهة نظر اوغستو بول عن العالم الماركسي ليشارك حب فرير لتشي جيفارا وفيدل كاسترو. ونتيجة لذلك، شارك ايضا الفهم البنيوي لفرير عن الاضطهاد. وفي هذا الفهم، فان المضطهَدين هم افراد أو مجموعات منعوا من ادراك حقهم في الحوار عبر طرق اجتماعية أو ثقافية أو سياسية أو اقتصادية أو عرقية أو جنسية. بالنسبة لبول فالقتال من اجل حقوق المضطهَدين كان حركة لا عنفية وجمالية تجاه ما اسماه «سلام من دون موقف سلبي.»[2] قطعا لا يجب ان يعدّ المسرح مكانا حيث يؤدي الممثلون من اجل المضطهَدين بل على انه فعالية يقوم بها المضطهدون لمخاطبة اهتماماتهم. ان مبدأ فرير الحواري يمثل وجهة النظر هذه بقوة.

يرفض بول بشدة مفهوم ارسطو لمسرح شفائي. في سنواته الاولى بشكل خاص قلب بول هذا المفهوم رأسا على عقب وركز بدلا عن ذلك على كشف الصيغ المحتملة والمتنوعة للشخص والارقام والشخصيات والادوار التي يؤدونها (او يمكن

(1) 1931 - 2009

(2) كالر – ديتريخ (2007) Kaller – Dietrich.

ان يؤدونها) في الحياة الواقعية. لكن ليس فقط الفرد ان يصل لدرجة الغليان، فالمسرح كله كان يجب ان يغلي ويهتز. فالمسرح عند بول هو مصدر اضطراب يحث الناس على مغادرة اماكن راحتهم؛ وذلك يزعجهم ويزعزعهم بجعل خيارات جديدة ممكن تصورها. وبالنتيجة، فان مهمة المسرح هي لتحدي الناس للاضطلاع بمسؤوليتهم عن انفسهم وبذا يمكنهم ان يساهموا بإبداع وبشكل بناء في تشكيل المجتمع. مبتدئا من فهمه الماركسي للاضطهاد، بحث بول عن تشجيع الناس على المقاومة وان يكون شكل المسرح قادرا على تعزيز هذا الهدف بالنسبة له هو الافضل. [1]

في مسرح بول، يجب ان يكون الممثلون جاهزين لان يجعلوا كينوناتهم محل نقاش. كي يكونوا قادرين على تأدية ادوارهم يجب ان يتحركوا في ابعاد غير معروفة عن شخصياتهم. يريد مسرح المضطهَدين تحرير وإماطة اللثام عن صفات الشياطين والملائكة، والكآبة العصبية والذعر والاضطراب العقلي والانفصام في الوجود الانساني. ووفقا لبول، ليس اي من شخصيات المسرح «طبيعي» في اي معنى معروف اجتماعية؛ فهم متطرفون ومبالغون وحتى مرضى. عندما يؤدى الممثل شخصية مريضة، يخلق المسرح فرصة للشفاء. بيد ان بول لا يضع مسؤوليته ككاتب مسرحي في تواصله مع المعايير التي تعتبر مرغوبة لدى السياسيين والحكام. [2]

اثناء بحثه عن بدائل عن التعبير التقى بول بوقت مبكر مع فن كابويرا[3] البرازيلي، احد الفنون القتالية جرى تطويره بشكل اساسي من قبل احفاد العبيد. باستخدام التركيز والتنفس والتردد مع الخصوم، يتّبع الممارسون منظومة متقنة من الخطوات التي تسمح لهم بالبقاء متوازنين. ربما تعدّ الكابويرا تاريخيا مكافئ برازيلي للبودو. وبمرور الوقت تطورت الكابويرا من فن قتالي إلى اداء فني، نوع من البوتو البرازيلية اذا جاز التعبير، مع انها اقرب إلى النوولكابوكي. [4] اصبحت الكابويرا جزءا من الفولكلور وبعض مكوناته تتناول فنون حركات جديدة، ما جعلها في السنوات الاخيرة شائعة في ارجاء العالم.

(1) المسرح الدولي لمنظمة المضطهدين (3 شباط 2010).

(2) شتافلر (Staffler, 2009 ص 40).

(3) شتافلر (Staffler, 2009 ص 52 ـ 53).

(4) بول (Boal, 1989 ص 23).

عندما درس بول الكابويرا في سبعينيات القرن العشرين، كانت معروفة على مستوى اقل بكثير. كان همه ينصب بشكل رئيس على الصيغ التحررية لهذه الممارسة الجسدية. وما ان ازدادت اهمية الكابويرا في عمله، اشار اخيرا إلى المسرح نفسه على انه فن قتالي. (1)

عندما اراد جاكوب ليفي مورينو استخدام التنفيس المسرحي كعلاج، عكَسَ منطق ارسطو هذا. فمن وجهة نظره لا يمكن للتنفيس ان ينبع الا من تلك الافعال والحركات الديناميكية التي تحرر المشارك من المجموعات الداخلية. ومع ذلك، سيكون مضللا رؤية طريقتي ديناميكية بول وتحويل كورل على انهما مختلفان عن تأويلات فرير.

قبل تسعينيات القرن العشرين، لم يكن بول قد اسس اطارا نظريا دائما لمسرح يختص بالممارسات المضطهدة. غير ان فرضيته الفاعلة كانت ان الافعال التي يقوم بها المضطهدون انفسهم، وليس الممثلين بدلا عنهم، في الوسط الخيالي للمسرح، ستمكنهم من التصرف بنفس الطريقة في حياتهم. (2) علاوة على ذلك، اصبحت دعائم مفهومه الديناميكي تناضحية وبينية وتوجيها تناظريا. تشير مفردة التناضحي إلى انتشار علاقات القوة وبضمنها في تصور الفرد؛ اما البينية فتشير إلى القدرة على الانتماء إلى صورة نظرية للواقع والى واقع الصورة؛ اما التوجيه التناظري فهي طريقة مضاعفة قصة الفرد حتى تصبح ذات صلة اجتماعية وموضوعا محتملا لعمل الاخرين. (3)

في اعماله الاخيرة الذي يؤكد على الطرق المتعمقة مثل «قوس قزح الرغبات» و«شرطي على البال»، تبنى بوال الذي كان سابقا جامحا وثوريا طرقا علاجية. كان «مسرحه التشريعي» الذي طوره بوال في تسعينيات القرن العشرين عندما كان عضو مجلس مدينة ريو دي جانيرو، له تركيز تحويلي وليس ثوري. (4) وفي هذه النقطة، ان لم تكن بدايتها تماما، يمكن ان يفهم مسرح المضطهَدين كونه احدى طرق عمل النزاعات. وما ان صاغ ليديراش مصطلح «الاستنباطي» يمكن لمسرح المضطهَدين ان يرى على انه يوفر شكلا معقدا ومؤثرا من فن تحويل النزاع الاستنباطي.

---

(1) انظر الفصلين السابقين عن البوتو و الايكيدو.

(2) بوال (2006, ص 62) Boal.

(3) بوال (1995) Boal.

(4) بوال (1995) Boal.

في الحقيقة اشير إلى مسرح المضطهَدين، في ذروته وبتنوع فروعه وطرقه، على انه الفن العالي لعمل النزاع الاستنباطي لأنه يتضمن كل الطرق المشار اليها سابقا. فعلم النفس الانساني وعمل النزاع الاستنباطي لهما اصل في التجربة المسرحية لكل من جاكوب ليفي مورينو وفريد بيرل. يؤشر عمل اوغستو بول اكمال الدائرة التي بدأت بهما، تطوير شكل من اشكال المسرح الذي يستفيد من انجازات علم النفس الانساني في الوقت الذي يترجم مثالا اعلى لتحويل النزاع الاستنباطي.

في مقدمة الطبعة الالمانية من عمله الاكثر مبيعا عالميا عن مسرح المضطهَدين، يضع بوال نفسه بنفس مقام جاكوب ليفي مورينو وفريتز بيرلز وكارل روجرز في المسرح:

> اعلم اني لست اكثر ذكاء من متفرجي. اعلم اني كنت، مثل كل الاخرين، محاطا بطقوس المسرح، وبالتحيزات والاكاذيب المعتادة. بدأت احتقر الصلة التقليدية بين المتفرج والممثل، مثلما هو الحال مع اي علاقة بين فاعل ومفعول التي تدين شخصا ما كونه متفرجا على الاخر، الذي يصبح بشكل متزايد انسانا خارقا وعدوا. اكره كون الفنان «كائنا اعلى منزلة» واسعى لإيجاد الفنان في اي انسان. احتقر مسرح الاستبداد وانشاء مسرح المضطهَدين. المسرح التعليمي هو مسرح استبدادي ايضا، لأنه يفترض ان المؤدي يفهم وقادر على ما هو اكثر مما يفهمه المتفرج وقادر عليه. [1]

بالنسبة لبوال، مسرح المضطهَدين هو وسيلة تثقيف ديمقراطية والتي تخترق بدرجة كبيرة بحرّية من الازدواجيات مثل معلم ـ طالب ومسرح ـ جمهور ومرسل ـ مستقبل وايجابي ـ سلبي وحي ـ ميت. هدفه هو من اجل تكون للمضطهَدين كلمتهم، لانهم هم فقط الذين يمكنهم التعبير عن اضطهادهم، وانهم هم الذين يجب ان يجربوا بأفعال قد تفتح لهم المسار إلى الحرية. يجب ان يتعلم الجمهور والممثلون معا، دون ان يكون احدهم افضل أو يعرف اكثر من اي شخص اخر: مسرح المضطهَدين هو مكان للتعلم المشترك والاكتشاف والابتكار والقرار. يقلل بوال دور المخرج إلى منسق أو جوكر الذي لا يعرف الحقيقة، بل فقط بعض التكنيكات. ضم بوال بشكل معروف الجمهور والممثلين بمصطلح مفرد هو «جممثل» مفترضا ان المشاركين دائما هما كلاهما.

(1) شتافلر (Staffler, 2009، ص 116).

عمل بوال في سنواته الاولى مع المسرح التعليمي حسب تقليد بريخت ومسرح الدعاية الهدامة. في ستينيات القرن العشرين بدأ تنفيذ خطة العمل بين ايدي جمهوره على شكل «مسرح الجرائد.» شمل هذا مجموعة من تكنيكات قراءة الصحف تحت الرقابة في تضاد مع المعاني المقصودة بمساعدة التنغيم والايقاع، وتبعها اداء هذه القراءات على المسرح. سمح مسرح الجرائد للجمهور ان يكونوا هم المنتجين للتحايل على الرقابة وبالضرورة وفر هذا طريقة لأولئك المهتمين للتحدث حتى في ظروف سياسية صعبة. (1)

بعد ان القي القبض عليه وجرى تعذيبه في البرازيل في عام 1971 هرب بوال إلى الارجنتين حيث طور «المسرح المخفي»؛ وهو العمل الذي يبقى جدليا حتى يومنا هذا ولا يمكن ان يمارس سوى من قبل الطلبة المتقدمين.

في عام 1973، طور «مسرح التماثيل» في بيرو، وهو شكل مسرحي حافل بذكريات تماثيل عائلة فيرجينيا ساتير، وفيه الكثير من التشابه مع عمل التشكيل السياسي كما جرى مناقشته في الفصل السابق. بعد ذلك طور بوال مسرح التماثيل إلى «مسرح الصورة». وفي نهاية المطاف اصبح «مسرح المنتديات» الصيغة الاكثر شهرة وتطورا لمسرح المضطهَدين. احيانا يعادل مسرح المضطهَدين مع مسرح المنتديات لان الاخير يسمح بالتكامل مع الاشكال الاخرى. (2)

طريق التحرير لدى بوال، الذي يقود من ملاحظة المعاناة إلى العمل المستقل، يتغلغل عبر الجسد، مثلما بالطرق السابقة وفي كابويرا. في المجتمعات المعاصرة، يواجه الجسد بالعداء، ولذا من الضروري اولا استطلاع جسد المرء والجروح التي حازها في حياته اليومية. لا يمكن تجاهل هذه النقطة. ما يمكن تصوره كتحمية لعمل المسرح الحقيقي هو، في الحقيقة اكثر من نصف التمرين، يتطلب عادة عدة ايام، يستند إلى عدد كبير جدا من انواع التنفس والصوت والعمل الحركي. وهو يحتوي على

(1) بوال (Boal ,1989 ص 7ـ8) ترجمة فولفغانغ سوتزل.

(2) الاشكال المنفردة من "مسرح الجرائد" ملخصة في بوال (Boal ,1989 ص 28ـ34) يمكن ان تتنوع الى ما لا نهاية تقريبا لتتلاءم مع النوايا و الاحتمالات المطلوبة في مواقف محددة.

تمارين محددة وهي تحتوي اولا صيغا اساسية من الفكرة المختارة. وإن التمارين هي متكاملة وهي جزء مستقل من عمل التحويل الفني. فان اقتصرت على تمارين الاحماء والتي يمكن ممارستها في اوساط محافظة، فستفقد فرصة فريدة لاكتشاف وجهات نظر. حتى في مجموعات متجانسة، هذا التحضير لا يمكن الاستغناء عنه: فهو يسمح للمشاركين ليعتادوا على بعضهم البعض على مستوى بدني ونفسي ويقيّموا التعاون المحتمل وقبل كل شيء، العمل مع بعض على التعبير البدني. [1] ولهذه الغاية، يؤكد بوال على الاتي:

- الاحساس بما نلمسه؛
- الاصغاء لما نسمعه؛
- تنشيط عدة احاسيس؛
- رؤية ما ننظر اليه؛
- ذاكرة الاحاسيس. [2]

يريد بوال اولا ان يصبح كل المشاركين مدركين لما يسميه «توجيههم للعضلات». الهدف من وراء هذه التمارين الاولية المرحة هو التركيز على البنية العضلية للشخص، والاحساس بها وتدريبها بالتفصيل، وان يصبح مدركا لها. وما ان يمكننا الاحساس وتجربة انفسنا من خلال بنية عضلاتنا سنكون في موقف ان نضع انفسنا في الموقف البدني للناس في اختصاصات اخرى، أو قصص الحياة أو المواقف الاجتماعية. والهدف ليس لان نصبح نوعا من الرياضيين أو الاداء البهلواني، بل نيل الادراك بأجسامنا.

احد التكنيكات في صندوق كنز بوال الواسع هو «سباق الحركة البطيئة» واسع الانتشار، الذي فيه اخر المشاركين يكون هو الفائز، ما دام لا يتوقف أو يقطع الحركة

(1) بوال (Boal (1989, ص 34–41. يصف بوال عدة امثلة اود ان انبه القراء ان لا ينسخونها الا بعد تفكير معمق و تحضير. مع انه مؤثراً لا يجب ممارسة هذا النوع من المسرح من قبل ممثلين محترفين و بخطوات امان ملائمة.

(2) ثورو (Thorau(1989, ص 9–16.

ـ وهي تجربة تتطلب قدرا كبيرا من التمرين. تشمل التمارين الشائعة «سباق الثنائيات بأرجل مربوطة» و«التنويم المغناطيسي الكولومبي، حيث يقود احد المشاركين مشاركا اخر عبر الغرفة بوضع راحة يديه امام وجه الاخر. [1] تسترشد مثل هكذا تكنيكات بالكابويرا.

وفي خطوة ثانية، يريد بوال الجسد ان يصبح معبّرا. يمكن لهذا، على سبيل المثال، ان يأخذ شكل التقليد الصامت للحيوانات، أو في حالة توكيد سياسي أو مواقف مهنية أو اجتماعية اكبر.

تقود الخطوة الثالثة إلى اشكال مقروءة. في المراحل الاولى من مسرح المضطهَدين، تكون حبكة اشكالية أو طريقة سرد لنزاع ما ان تنعكس في مشهد يرتجله الممثلون. يؤدي الممثلون المشهد حتى يصل إلى ذروة النزاع ثم يتوقفون. في تلك المرحلة، الفاصل بين الممثلين والجمهور لا زال قائما وسيجري سؤال المتفرجين عن آرائهم ومقترحاتهم عن خيارات بديلة حيث سيجري تمثيلها الواحد تلو الاخر. سيؤثر المتفرجون على العملية عن طريق اقتراحاتهم دون ان يؤدوا الادوار بأنفسهم. [2] هذا الامر ليس ممكنا الا ان كان للمشرف على العرض امكانية الوصول إلى فريق من الممثلين المحترفين، مثلما هو الحال في محاولات واسعة المجال مثل تطوير التعاون أو تطوير المجتمع. مع ذلك، كان مسرح المضطهدين بشكل متزايد يُدرك في مجتمع محدود يساعد المنظمات حيث لا تتوفر عادة مثل هذه الفرق. وبالنتيجة، تتطلب كل خطوة ارتجالا باستثمار الموارد المتوفرة. وفي نهاية المطاف، تصبح المسرحية ذاتها قواعد توجيهية. من اجل ان يحقق هذا النوع من الاداء نتائج ايجابية، اوصي بتمارين بدنية مكثفة يتبعها انتقال لفظي لمسرح الصورة لبوال.

في هذه العملية يسرد بطل الحبكة من ثم يعبر عنها مشاركون مختارون على شكل مجموعة تماثيل فيها كل شخصية تتبنى موقفا وتعبيرا يطابق دورها. كل شخصية تكون ذات علاقة بالأخرين وتجرب العواطف، والتي تعد سوية، التي تعبّر عن النزاع. يسأل

---

(1) بوال (Boal (1989, ص 70.

(2) لشرح كامل انظر شتافلر (Staffler(2009, ص 68 ـ 69.

المشرف الشخصيات كيف يشعرون وهم يمثلون الواقع. اما *المتفرجون* الباقون فيسمح لهم بعدة مقترحات من اجل التغيير، كي تكون صورة الواقع ربما تتحول إلى صورة مثالية يكون الجميع فيها افضل. من الضروري ان تطابق الصورة المثالية الفهم الجماعي للواقع. ان الهدف هو لتحديد خيارات واقعية وليست احلام غير واقعية. [1]

في متنوع اخر لهذه الطريقة، ربما يطبق اعضاء فن نحت المجموعة تغييرات خطوة ـ خطوة إلى ان يصلوا إلى صورة واقعية. وفي كلتا الحالتين من الضرورة المراجعة عدة مرات وبالسرعة البطيئة، تؤدي العملية من صورة النزاع إلى الصورة المثالية كي ربما يحفظها المشاركون. العملية هي نوع من تجربة مختبر تقود إلى توسيع الخيارات المتوفرة امام المشاركين. ان ادراك مثل تلك الخيارات بتكرار ومرح يترك علامته على وعي المتفرجين. التشابه مع عمل التشكيلات هو حتى اوضح في هذا المتغير عما هو عليه في المتغير السابق. [2] في اي حدث، فان مسرح الحدث يعدّ طريقة مؤثرة لتصور النزاعات في منظومة ما وسبر خيارات جديدة تتجاوز مجرد التأكيدات اللفظية.

تضم مبادئ مسرح الصورة عناصر ما يسميه بوال «مسرح المنتديات» حيث الفصل بين المتفرجين والممثلين يتم التغلب عليه اخيرا. الفارق الاساس هو ان مسرح المنتديات يؤدي فيه الجمهور مثلما هو الحال في المسرح التقليدي. فهم يرون من النزاع الواقع ويتحركون باتجاه الكارثة التي ربما تحصل مالم يتغير تصرف كل مشترك. في الجولة الاولى توقف المسرحية في النقطة التي تبدأ فيها الكارثة بالظهور. وفي التكرار اللاحق لجميع المفرجين احتمالية التوقف في اية نقطة. فهم يقترحون خيارات واقعية ويقدمونها في المسرحية بطريقة من الضروري فيها ان يتصرف بشكل مختلف المؤدون الاخرون، وخاصة ممثلو المضطهَدين.

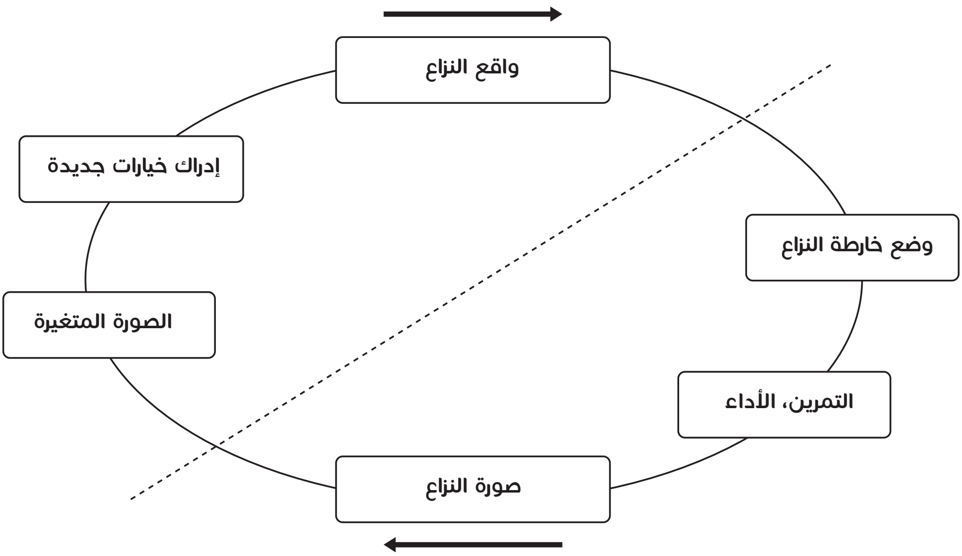
في الاعمال الاولى لبوال فإن تطبيق التغييرات المباشرة على شخصية الجلاد (المضطهِد) كان غير مسموح، لان التوقع كان ان الخيارات الواقعية للمضطهَد يمكن ان تتطور والتي عندها يكون لها تأثير تحويلي على المضطهِد. وفي ضوء هذا الهدف،

(1) جرى شرحها بالتفصيل في بوال (,1989 ص 47 ـ 49) Boal.

(2) بوال (,1989 ص 51 ـ 53) Boal.

فالفرصة النادرة التي يمكن للجلاد ان يكتشف فيها حبه لجيرانه ويقرر اطلاق سراح السجين لا تعد ذات قيمة. مع ذلك وعند التجربة كانت باستمرار تفيد في السماح للمتفرجين لافتراض دور الجلاد وبذا يمكنهم ان يعودوا انفسهم على وجهة نظره، عدا احتمالية تغيير الجلاد وفقا لرغبات المضطهَد. وان تطبق بأسلوب منظم بعناية، يحتمل ان يكون للمتفرجين ان يفهموا الضغوط والظروف التي تؤثر على الجلاد، وهو السبب الذي جعل بوال اخيرا ان يوصي باستخدام هذه الاداة بأسلوب مرن وسياقي.

في جوهرها، كل اشكال مسرح المضطهَدين تهدف إلى الحلقة التالية التي لها جذور في مبادئ علم النفس الانساني، وبخاصة في العلاج الغشتالتي:



شكل رقم 5 ـ 1 المبدأ الفاعل للمسرح التحويلي[1]

يوضح الرسم البياني الفرق بين منهج بوال واسلافه خاصة مورينو. بالنسبة لمورينو مثلما هو الحال مع معظم باقي شخصيات المسرح الثوري لهذه الفترة، فالتنفيس كان وظيفة مركزية للمسرح. كان الاداء يعدّ فعلا للتحرير، وبالنتيجة فان طرق المسرح خدمت على انها تهيئة للتحرير. فالتنفيس في منهجه يحرر الناس من العقبات التي تقف

(1) يمثل هذا الشكل وجهة نظري حول تفكير اغوستو بوال وتحت تأثير دافيد دايموند وارمين شتافلر David Diamond and Armin Staffler(2009، ص 39).

في طريق العمل نحو التغيير. ببناء الوعي يرغب بوال لتقوية، وليس لحرف، الاندفاعة الثورية المتمردة التي يظنها موجودة عند كل شخص مضطهَد. [1] لذا فان مسرح بوال، بأسلوب مثالي بالضرورة، يوجه نحو المستقبل. دعونا نترك المسرح خلفنا الذي فقط يؤول الواقع، يقول بوال ان الوقت حان لتغيير ذلك الواقع. لا يمثل مسرح المضطهَدين صور الماضي، انه يخلق نماذج للعمل المستقبلي. على المشاركين في مسرح بوال الاقرار ان موضوع المسرحية يشير إلى حدث مستقبلي سيحصل. [2]

اني اترجم نوايا بوال ضمن سياق تقدمي ومثالي وثوري لفترته. لن انظر لهذا الشكل من المسرح كونه اداة حرفية لتحويل النزاع، بل كسلاح. مع ذلك لا اعدّ منظوره السياسي مهما وصحيحا ووفقا له لا يمكن لقدرة النزاع ان تقلل في المسرحية ـ بدلا عن ذلك التغيرات في الصراع تأتي من خلق ممارسة خيارات بديلة. ان كانت النوايا التحويلية لبحث السلام في القرن الحادي والعشرين تحل محل النوايا الثورية في ستينيات القرن العشرين، عندها تقريبا كل طرق بوال سيجري تطبيقها. في الواقع العملي، فان هذا قد حصل لبعض الوقت، حيث عبد الطريق لذلك الاعمال الاخيرة والتكنيكات لبوال مثل «شرطي على البال» و«قوس قزح الامنيات» واخيرا «المسرح التشريعي».

فشرطي على البال هي تفاعل مع الانا العليا للفرد او، بتبني مصطلح بيرلز، «الكلب الكبير» (او الزعيم). فهي تختص بأصداء الاصوات التي تتبعنا اثناء حياتنا: اصوات الوالدين والمدرسين أو الاصدقاء أو الاخوة والاخوات أو شركاء الحياة أو الرؤساء، الافراد الذين اظهروا ذات مرة كم كنا اغبياء وضعفاء وغير اكفاء أو عديمي الفائدة، من وماذا لم نكن نستحق، اين لم نكن جيدين، وما الذي لن نتمكن من انجازه ابدا. هذه الاصوات هي ليست اصواتنا، بل انها قد يتردد صداها في رؤوسنا أو حتى في اصواتنا طالما نواجه تحديات أو قرارات تذكرنا بالحالة الاصلية.

يساعد تكنيك شرطي على البال لتحديد هذه الاصوات وللفصل بين الواحد

(1) بوال (1989، ص 98) Boal.

(2) بوال (1989، ص 68 ـ 69) Boal.

والاخر، واخيرا لتحييدها. انه يعمل في حالات التي يفعل بها البطل شيئا لا يرغب في فعله، أو يمتنع عن فعل شيء يرغب في فعله حقا. يمثل «الشرطي» اصوات الانا العليا التي تغذيها الخبرات السابقة التي تركت علامتها. يبدو «محددو المعايير» والسلطات القديمة على شكل «شرطة» ويعبرون عن الموضوعات المقابلة من خلال مواقفهم. بمساعدة المتفرجين يشكل البطل صورة المجموعة التي تمثل التدخلات المعرقلة والمحظورات والاوامر. اساسا هذا هو تصور وتمثيل ما يسميه شولتز فون ثون «الفريق الداخلي». [1]

مثلما في مسرح المنتديات التأثر المعيق الذي خلق اصواتا بتناقض متبادل جاء إلى وعي البطل، ويوضح ما يحدث عندما لا يحدث شيء. ولاحقا تحيّد الاصوات وتوضع في ترتيب من قبل الاجسام المضادة بطريقة يمكن ان يستعيد الحركة فيها البطل، الذي سبق ان اغلق حدود الاتصال. هي مهمة البطل ان يحرك رجال الشرطة على المسرح ويغير مواقعهم المهددة بطريقة الدفاع عن نفسه ضدهم. مع ذلك، يعود رجال الشرطة إلى مواقعهم الاصلية بالحركة البطيئة مما يجبر البطل إلى ان يعيد هيكلة وضعهم بصورة متكررة وبوعي. وما ان يكون موقع معين قد جرى تجريبه بشكل كاف، يمكن لمتفرجين اخرين ان يتخذوا موقع الجسم المضاد للبطل ويخرسوا أو يحيدوا بصورة دائمة رجال الشرطة المنفردين بجعلهم يتعاونون أو بنقلهم إلى سياق مختلف. لذا فان مدى الخيارات الواعية المتاحة لجميع المشتركين يتوسع وتظهر الاحتمالات الجديدة في الصورة. وفي الخلاصة تناقش المجموعة وجهات النظر والخبرات المتحصلة.

ان مسرحية «قوس قزح الرغبات» لبوال هي مجاز يعكس التعقيد متعدد الطبقات لمشاعر الانسان ورغباته. فهو يؤمن ان ليس هناك من شعور أو رغبة تظهر ابدا في شكل نقي بل دائما خليط محتمل ان يكون موهما ومنتشرا من العواطف والافكار والتوقعات. ان قوس قزح الرغبات هو تكنيك يساعد في التعرف على تلك العناصر المختلفة ووضعها في ترتيب، والتفكير بها بطرق مختلفة. وبعمل ذلك، لا يستهدف التكنيك بالضرورة القمع في معنى بنيوي، بل انه يهدف إلى تحرير البطل من عدم

---

(1) دايموند (2007، ص 193Diamond(.

اليقين وعدم اتخاذ قرار. ان الامر الاخير الذي جعل بوال يتحول نحو العلاج هو اكثر ما عبر عنه بوضوح. ان العملية شبيهة لما في شرطي على البال، عدا انها الافكار التي نصنعها بأنفسنا التي تجلب إلى خشبة المسرح مع التشابك والخوف والتناقض التي تأتي في اعقابها. تتمثل المواضيع المتنوعة باللون في قوس قزح الرغبات. كونه حدد له دوره على المسرح ويتسبب في اشتباك مفتوح بين المتخاصمين، يبدأ البطل يفهم ويبني افكاره المشوشة. [1]

اخيرا ان التحويل لدى بوال يبرز واضحا من خلال عمله «المسرح التشريعي». فبعد سلسلة من الاحداث الغريبة اصبح نائبا ببرلمان مدينة ريو دي جانيرو عن حزب العمال في عام 1993. اراد استثمار افكاره الديمقراطية الراديكالية. استنادا إلى الطرق التي كان قد طورها سعى لتحديد الافضليات في ما يخص قضايا محددة للناس الذين صوتوا له، ولترجمة تلك الاولويات في لائحة تشريعية. المسرح التشريعي ليس طريقة بحد ذاتها بل انه تطبيق للطرق التي قدمت اعلاه، خاصة من مسرح المنتديات إلى العملية التشريعية. عادة في نهاية مسرح المنتديات في موضوع معين كانت فسحة تخلق والتي كان فيها المتفرجون يقدمون مقترحات لقوانين تترجم لاحقا إلى لغة وشكل مناسبين من طرف محامين حاضرين في الموقع.

بالنسبة إلى شخص عمل على ايقاد شعلة الثورة من خلال المسرح والذي سبق ان ادان القوانين كونها ترسيخ رسمي للاضطهاد[2] كان هذا تحولا لافتا للنظر ـ تحولا رفضه الكثيرون. ومن وجهة نظري كانت خطوة منطقية اتخذها شخص واع سياسيا عاش خلال فترة انتقالية بين البنيوية وما بعد البنيوية، وهو الذي، مع انه بتردد، توصل إلى استنتاجات ضرورية. في مذكراته يجرى التعبير عنها برمزية على انها انتقال من بنيوي امريكي لاتيني إلى فترة ما بعد بنيوي فرنسية من العمل. [3] لذا فالانتقال الذي يرمز ايضا إلى جسر بناه بوال بين الجنوب العالمي والشمال العالمي. ظهرت طريقته اولا في السياق البنيوي لهامش النظام العالمي، الذي رشحت عنه إلى مراكز صناعية

(1) من اجل نقاش موسع انظر بوال (1995) Boal.

(2) بوال (1989، ص 117) Boal.

(3) دايموند (2007، ص 201)Diamond.

بأسلوب ما بعد بنيوي تقليدي. ومنذ ذلك الحين، فقد خدمت كطريقة تحررية من التواصل بين الناس الذين يعيشون في عوالم مختلفة.

من وجهة نظر دراسات السلام، اني اعدّ هذا التحول كان ضروريا لأنه جعل مسرح المضطهَدين ذا صلة بتحويل النزاع الاستنباطي. استنادا إلى خبرتي مع بوال، اني اظن انه بالرغم من تنازله الفكري والمنهجي امام ما بعد البنيوية، فانه شعر وفكر بالمصطلحات البنيوية طوال حياته. كان ماركسيا وثوريا محبوبا، تشرّب بعمق بالمثاليات الانسانية عرف بالنضال من اجل العدالة والحرية تحت دكتاتوريات عسكرية امريكية لاتينية اثناء ستينيات وسبعينيات القرن العشرين وطغى عليه تأثير منفاه الاوربي قبل ان يجلب تجاربه هذه مع بعض في مرحلة عمله الاخيرة. مع ان بوال لم يحب التحدث عن القيم الروحية، رأيت فيه شخصا بميول روحية وربما يكون كتابه الاخير يقرأ بنفس الطريقة.[1]

كان الكندي ديفيد دايموند[2] هو الذي ادرج طرق بوال في تحويل النزاع الاستنباطي. اوجد دايموند مسرح العناوين في فانكوفر في عام 1981[3] وبموافقة بوال اوجد مسرح من اجل العيش بناءً على مسرح المضطهَدين. ومثلما بنى بوال على وجهات نظر اسلافه، اتخذ عمله شكلا عبر عقلانيا في تكرار لدايمون.[4] استند دايموند على فريتيوف كابرا، مثلما فعلت انا في الجزء الاول من هذه الثلاثية، وبالنتيجة وضع الاساسات البنيوية لمسرح المضطهَدين في فهم العصر الحديث للسلام، في حين ان منهجا منظوماتيا ـ نظريا لمسرح من اجل العيش يعرفه على انه احدى طرق تحويل النزاع الاستنباطي وينقلها إلى مجال السلام عبر العقلاني. عدّ دايموند الفصل بين المضطهِد والمضطهَد على انه بنية ميكانيكية،[5] وهي وجهة نظر يشارك بها بوال بعدة عدة سنوات من التجربة. ان ميزة دايموند هي ترجمة وجهة النظر هذه، المأخوذة عن تجربة مسرح المضطهَدين، إلى مفهوم متماسك وشامل لنظرية سلام.

---

(1) بوال (2006) Boal.

(2) ولد عام 1949 في وينيبيغ.

(3) مسرح العناوين في فانكوفر (18 شباط 2010).

(4) دايموند (2007، ص 24)Diamond.

(5) دايموند (2007، ص 22)Diamond.

من وجهة نظر نظرية منظومات لمسرح من اجل العيش، المعارضة بين المضطهِد والمضطهَد تعد صيغة مختلة لكائن حي واحد على قيد الحياة، الذي هو: المجتمع. من اجل الاقتراب من جذور المشكلة في هذا النوع من المسرح، يجري فحص حالة المضطهَدين، غير ان هناك فسحة ايضا للمخاوف والرغبات والافكار للمضطهِدين، لان في منظومة حية فان المضطهِدين ليسوا خارجيين. بل انهم يُخلقون ويُزرعون من جانب النظام نفسه. وفي هذا المنظور فالحد الفاصل الواضح المعالم بين المضطهِد والمضطهَد لم يعد موجودا، مثلما هو الحال في الماركسية والبنيوية. يشمل دايموند بوضوح منهجه ضمن نظرية منظومات، التي تنقل قانون نظرية المنظومات إلى مركز تحويل النزاع الاستنباطي. لذا فان فكره بشكل خاص ذو صلة بهذا الكتاب، مع ان مثل هكذا تأكيد لا يقلل من شأن مزايا خلفاء اخرين مهمين لبوال. [1]

يتلاعب دايموند بمناهج بوال الا انه، خلافا لمورينو، لا يدافع عن ممارسة شافية. لقد اكد مرارا وتكرارا انه لا يرغب ان ينظر اليه على انه معالج. ومثل بوال، يسعى دايموند إلى توظيف المسرح ليكون قوة محركة فاعلة في عمل المجتمع. هدفه ليس مهادنة ولا هو ثورة، بل انه مفهوم، مصطلح استعاره من كابرا. وهو يوظف المصطلح لتمثيل المجتمعات أو الجمعيات ككائنات حية تخلق فضاءها الخاص بها. [2] ان كانت هذه العملية لتنظيم الذات جرى تجريبها على انها مختلة، فان المنظومة ستبحث عن وسيلة بها تصحح الخلل.

في نظرية المنظومات، الفرضية الماركسي، الذي استنادا اليه الناس مقيدون بالبنى التي يعيشون فيها، من المستحيل الحفاظ عليه. فالفرضية في نظرية المنظومات هي العكس منها. اي ان البنى غير العادلة والعنيفة تحدث نتيجة سلوك كل من له صلة. لذا، كل ناشط سياسي يستهدف البنى دون ان يأخذ بالاعتبار الانماط السلوكية محكوم

---

(1) اشارت الي بريجيت فريتز لأهمية سانجوي غانغولي من انديانا جانا سنسكريتي والبروفيسور والكاتب المسرحي والممثل البريطاني رالف يارو. اكدت على ان هناك عدة نساء من يحتلن مواقع مهمة في هذه الحركة، مثل جان كوهين كروز وميدي شوتزمان. اشكرها على اشارتها وانا سعيد لجعلهم متاحين امام القارئ. انظر امريكا تتخيل (11 تشرين الثاني 2010) معهد كاليفورنيا للفنون (11 تشرين الثاني 2010) وكوهين ـ كروز وشوتزمان (2006).

(2) دايموند (2007، ص 45/)Diamond.

بالفشل. في مسرح امن اجل العيش تعد الجمعيات الانسانية كائنات حية مستقلة، على الرغم من انها متكونة من افراد. يطبق دايموند مسرح بوال للمنتديات وعمل الصورة في شكلهما الاصلي ليستهدف انماط السلوك التي تولد العنف الهيكلي بدلا عن استهداف البنى القمعية ذاتها. (1)

وفقا لدايموند فان الظاهرة المعقدة والمحبوكة بعناية للحياة تجعل من المستحيل جعل البيانات بخصوص الاضطهاد مرتبة بتسلسل هرمي وغير غامضة: في منظومة ما، يؤثر كل تصرف على الفرد بطرق معقدة. يقدم دايموند حالات مقنعة لمضطهَدين وهم ايضا مشتركون في الاضطهاد؛ الناس الذين يظهرون جلادين وطغاة في جزء من الواقع في حين جزء اخر فانهم خاضعون لهياكل تعسفية. احد الامثلة المتطرفة هي في المجندين الاطفال. فأولئك الاطفال هم دون شك ضحايا الهياكل العنفية؛ هم عرضة لاضطهاد فظيع. بيد ان أولئك الذين يواجهونهم في الميدان من المحتمل ان يمروا بتهديدات عنيفة وغير متوقعة لحياتهم؛ من المحتمل ان يروا الاطفال وسائل ارهابية للاضطهاد. (2)

في منظومة احياء مثل العائلة أو الجيران أو المجتمع، فان المضطهِدين والمضطهَدين هم ليسوا مرتبطين ببعضهم البعض فحسب، فانهم مكونات مؤتلفين بصلات في الشبكة نفسها. فالمنظومة تولد اخلاقياتها وقواعدها وهياكلها غير انها ليست اخلاقية في المعنى المطلق للمفردة. في نظرية المنظومات ليس هناك من مضطهَد جيد بالمطلق ولا مضطهِد سيء بالمطلق، هناك فقط بيئة تعسفية وربما متخللة، ولهذا السبب تماما يمكن تعديلها وجلب الشفاء. (3) اني اتفق مع دايموند بشأن كون المسرح شكلا من تحويل النزاع كونه يجب ان يؤكد شفاء المنظومات من خلال زيادة الوعي للبنى التي تدمر نفسها بدلا من الحكم أو العزل أو غلب المضطهِدين الافراد.

يخاطب مسرح من اجل العيش، كونه يمارس كطريقة، انماط السلوك التواصلي

---

(1) دايموند (2007، ص 38 ـ 39)Diamond يشاركه بوال هذا الرأي في عمله الاخير.

(2) يستخدم ليديراش وليديراش (2010، ص 17 ـ 22)Lederach and Lederach. نفس المثال مع اشارة واضحة للقوى التحويلية للمسرح والموسيقى لكن دون علم بنموذجي.

(3) دايموند (2007، ص 63)Diamond.

وحلقات التغذية المرتدة. يرغب دايموند لتوجيه الطاقة المتولدة من المسرح ضد انماط السلوك التعسفي لجميع المشتركين وليس ضد مضطهِد منفرد. في ممارسة دايموند للمنتديات، ربما يوضع المضطهِد مع البدائل الواقعيين. معظم الوقت، على الرغم من ذلك، لا تظهر شخصية المضطهِد بل كشخص متعدد الوجوه يسهم في النزاع، بدرجة كبيرة أو قليلة، كونه خصم. في المسرح، مسألة كيفية تمثيل مضطهِد كانت ولا زالت منذ فترة طويلة نقطة جدل وليس هناك من اتفاق تام بشأنها حتى اليوم.

لا يمكن لمسرح من اجل العيش ان يعرض للمضطهَدين ـ فهو لا يرغب بتغيير المجتمع استنادا إلى مثاليات مفروضة. فهو يؤدي فقط عندما يدعوه المجتمع ان يختار العمل على صيغه المتخلخلة من خلال ادوات مسرحية. وبدلا عن ذلك، يمكن لمسرح من اجل العيش توجيه دعوة.

دافع بوال عن اشكال المسرح التي تمنح صوتا للمضطهَد. كانت لديه فكرة محددة بشأن العدالة والديمقراطية والتطور الاجتماعي، واراد المجتمعات ان تتبنى مثالياته بطرق ثورية. فالطرق المسرحية التي صنعها لهذا الغرض تركز على الاسئلة، وليس على الاجابات الجاهزة. ومن صالح بوال انه لم يوفر للمضطهَد مسارا للفعل ـ مثلما قد تفعل ثوريات اخرى ـ بل انه جهز المسرح على انه وسيلة لخلق التغيير. كان دائما مدركا لاحتمالية خطأه وبقي منفتحا على البدائل التي تتطور في الموقع. ومع ذلك، بقدر ما عمل بوال نحو ادراك مثالياته السياسية، بقي فهمه لتحويل النزاع ضمن المفاهيم التوجيهية للعصر الحديث.

يعارض دايموند هذا المنهج. يأخذ على بوال كلمته ويصر، عندما يكون مجتمع حي مدعوا للتعبير عن نزاعاته من خلال مناهج مسرحية، على ان كل ما يجلب إلى المسرح يجب ان يكون مقبولا ومحترما ومجهزا بشكل جيد، بغض النظر عن نوايا المشرف على العمل. يواجه هذا المنهج المتفرجين على شكل افراد أو مجموعات بإسئلة معقدة بشأن حياتهم ومكانهم ومجتمعهم ونزاعاتهم ومعاركهم. فهم يجري تشجيعهم ان يفكروا بشكل مختلف وان يجعلوا هناك روابط بين خبراتهم وافكار الاخرين. وهم ايضا مدعوون لانفتاح انفسهم إلى عملية المجموعة والمساعدة في

بث الحياة في وعي المجموعة. ربما تكون الاسئلة التي توجد كنتيجة لهذه العملية بعيدة عن ما يفضله المشرف أو «الجوكر» أو المضيف أو الراعي. مع ذلك، تعد الاجابات الموجودة لدى المجتمع في المسرح من اجل الحياة اصلية، وهي تقود كلا من المسرحية والتجارب التي عاشها المشاركون إلى مرحلة لاحقة. [1]

إن مسرح من اجل الحياة هو منهج استنباطي يوظف خيارات تحويل النزاع التي يخلقها المجتمع. بكلمات دايموند: «لسنا هناك لتعليمهم الدروس. مسرح من اجل الحياة ليس توجيهي.... نحن هناك لاستطلاع هذه اللحظة، تلك الفكرة التي قد جاءت من المجتمع.»[2] ليس المشرف أو «الجوكر» بدليل مطلقا، أو حتى يلمّح إلى اين يمكن للرحلة ان تذهب. فهو قد يساعد المجتمع في تحديد موقعه في الحاضر وفي استطلاع اين يرغب في الذهاب. يعد هذا كافيا وهو صعب بدرجة عالية ان اخذنا بالاعتبار المقاومة الشديدة التي تظهر عادة من منظومة ما ضد مثل تلك العمليات لرفع الوعي. العمل المجتمعي في المسرح والتحليل الذاتي للمجموعة هي عمليات قد يساعد المشرف فيها عندما يطلب منه ذلك. ربما يوفر ايضا النصيحة والعون بخصوص الطرق والتكنيكات. مع ذلك فان اعضاء المجموعة هم فقط الخبراء بخصوص حياتهم. [3]

كل من يفترض ان الاضطهاد هو كيان ثابت، الا انه مجرد، ولا يعمل الا مع المضطهَدين قد يعتمد على معلومات الاخيرين عن حياتهم الخاصة ويكون متأكدا انهم سيستعملون مسرح من اجل الحياة لاستكشاف المدى الكامل من الخيارات المتوفرة لهم. مع ذلك، اولئك الذين يفهمون الاضطهاد بطريقة منظمة ة يرغبون في تتبع حلقاتها للتغذية المرتدة يتطلبون نوعا من المعلومات تكون احيانا غير متوفرة في سياقات بسيطة. وبهذا الصدد، يكتب دايمون عن المصداقية الحقيقية للمضطهِدين واصواتهم الحقيقية. وهو يستعمل المثال بشأن البيئة الطبية التي فيها يكون طبيب ما هو المضطهِد. وما لم يكن الطبيب يبقى كيانا راسخا ومجردا، سيتطلب المسرح متفرجا

(1) دايموند (2007، ص 83 وص 181)Diamond.

(2) دايموند (2007، ص، 79) Diamond.

(3) دايموند (2007، ص، 202) Diamond.

يمتلك معرفة طبية، وهو قادر على الاستجابة لحالات متعددة تُذكر في المسرحية. ما لم تكن تلك المعرفة متوفرة ربما ينزلق كل المشروع إلى خيال ووهم. [1]

الشيء نفسه يصح بالنسبة للأعمال العلاجية المتأخرة لمسرح بوال، حيث تميز «الشرطة على بالي» تقدمه الكبير نحو العمل المنظم. فالشرطة، وهم الممثلون للصيغ المختلفة للانا العليا للشخص، ربما تبدو نوعا ما جامدة واستبدادية في عمل بوال، في حين يتصور دايموند المضطهِدين في اسلوب مفتوح وتلقائي ـ حيث الاصوات المختلفة لحلقة التغذية المرتدة الاجتماعية التي تؤثر على تفكير وفعل الفرد في الحاضر.

ومع ذلك، يتخذ دايموند خطوة منظمة حاسمة واحدة اضافية عن بوال عندما يسأل فيما ان كان رجال الشرطة موجودين فقط في رؤوس الافراد، أو فيما ان كانت ايضا هناك «الشرطة على البال» تملأ الوعي الجمعي للمجموعة. واذ يجادل ان اصوات العامة في المؤسسات ومجموعات الضغط والشركات على الاقل حاضرة في الحياة اليومية للمجتمعات التواصلية مثل تلك السلطات المتجسدة بصورة طبيعية، فهو يضع «الشركات في رؤوسنا» بدلا عن «رجال الشرطة». في ضوء نظرية المنظومات كل تلك المؤسسات هي منظومات حية مترتب على البيئة الاجتماعية. [2] وفي النتيجة لهذه الفرضية، يتوقع دايموند ان منهجه قابل للتطبيق لمجتمع ككل واحد. مع ان هذا يمثل انحرافا معرفيا عن بوال، العواقب المعرفية هي ثانوية. في «الشركات في رؤوسنا» يتبنى دايموند تكنيكات بوال تقريبا دون تعديل، مجرد توسيع مجال التأويل والتطبيق. [3]

ليس الامر هكذا مع «قوس قزح الرغبات». يجرد دايموند هذا المنهج عن حداثته، والتركيز الفرداني ويضعه في منهجه للمنظومات. من الناحية العملية لم يعد دايموند مهتما بمخاوف البطل وآرائه ورغباته فحسب، بل ايضا بالضرورة لهؤلاء لان يوجّهوا خلال المخاوف والآراء والرغبات على الاقل لشريك معاد واحد في الحوار. من خلال

(1) دايموند (2007، ص، 77) Diamond.

(2) دايموند (2007، ص، 198 ـ 202) Diamond.

(3) دايموند (2007، ص 193 ـ 198) Diamond.

شخصيات خشبة المسرح يكشف دايموند طيف عواطف الراوي فضلا عن واحد من الاعداء المذكرين من قبل الراوي. وبعمل هذا يطلق القصة من وجهة نظر الراوي فقط، وجعلها مفتوحة لتجربة المتفرجين المتضاربة والمتجمعة. على خشبة المسح، الالوان المختلفة لقوس قزح توضع في علاقة تبادلية بعضها مع بعض. تنتج حلقات التغذية المرتدة الناتجة فهماً بشأن احد اللاعبين الاماميين[1] واساليب التواصل الذي يؤدي لأي استجابة من لاعبي الامام للشريك. وبهذه الطريقة، قصة فرد تترجم إلى استكشاف لأشكال التواصل ضمن المنظومة الاجتماعية للمتفرجين. يمكن ان يكون هذا تجربة مفيدة وتحويلية للمشاركين مثلما هي للبطل. في حين مع بوال، الخصم ـ مرادف مع المضطهِد ـ يبقى فاعل، يضفي دايموند طابعا انسانيا على الخصم، يوفر له مخاوف ورغبات وامال. وكنتيجة يصبح شخصية مرنة ومتقبلة، ويتوسع طيف الخيارات المتوفرة ـ ناتج مرغوبا فيه من حيث تحويل النزاع الاستنباطي. [2]

ان نطاق الاستخدامات الحقيقية والمحتملة للمسرح حيث الانضباط البارع لتحويل النزاع الاستنباطي غير محدود تقريبا. لقد اصبح هذا الطيف ايضا متنوعا بدرجة كبيرة. ليس ديفيد دايموند بأية حال الخليفة الوحيد ـ ومن وجهة نظر المسرح ربما ولا حتى الاكثر اهمية. مع ذلك، ففي عمل دايموند فان صلة المناهج المبنية على المسرح لتحويل النزاع الاستنباطي تبدو واضحة للعيان. ليس بالضرورة ان يعتمد عمل النزاع الاستنباطي على منهج دايموند، حيث ان هذا سيحوله إلى توجيهي وسيطمس الطبيعة المتنوعة لتطبيقه. بمعنى اخر يتصرف العاملون في النزاع الاستنباطي كمشرفين مثلما يفعلون في منهج دايموند، وبالتالي يضع ارضية له في تجربة عملية. عادة تدرّس المناهج المسرحية في انسبروك من قبل عضوي الهيئة التدريسية الاساس ارمين شتافلر وبريجيت فريتز. مع ذلك استمر اوغستو بوال يدرس في انسبروك في اخر ايام حياته. يزور ديفيد دايموند انسبروك بين حين واخر. كان المتحدث الرئيسي في برنامج الاحتفال السنوي العاشر في تموز عام 2012 وهو من وقت لأخر ينظم ورش عمل للطلبة والمتخرجين.

---

(1) شولتز فان ثون (22 ايلول 2009)Schulz von Thun.

(2) دايموند (2007، ص، 184 ـ 193) Diamond.

الفصل السادس

حول التحول عبر العقلاني في العمل الدولي للسلام

مع ان طرائق التحويل الاستنباطي للنزاع قد اثبتت انها فاعلة في عدد لا يحصى من المناسبات، ويعد ممثلوها بين العاملين الاكثر نجاحا وتجددا في مجال النزاعات في زمننا الحالي، الا ان مسألة صلتها العملية تبقى تتكرر باستمرار. يرجع السبب في هذا إلى ان التحويل الاستنباطي للنزاعات لم يحظ بالتطبيق على نطاق عالمي مثلما تفعل الطرائق الالزامية. بيد انه وفي التطبيقات السياقية تكون صلته اكبر بكثير مما يمكن توقعه للوهلة الاولى. لا تبدو الطرائق الاستنباطية غير تقليدية الا عند النظر اليها فيما يتعلق بالإخفاءات السطحية للترقيع السلوكي للنزاعات.

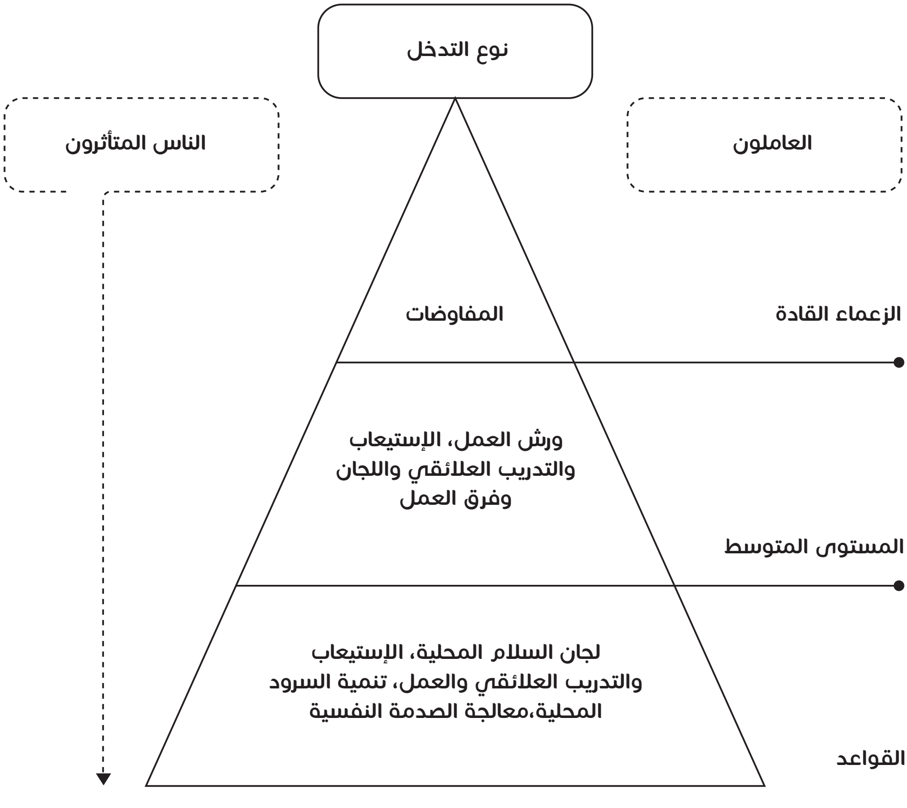
في صميم السياسة، مثلما هو الحال في أي فعالية تهدف إلى إحداث تغيير اجتماعي، فان هناك علاقات انسانية لا يمكن ان تتأثر الا بصور ثانوية بالعلم الوضعي. ومهما يحوز واضعو السياسات الحساسة أو المسؤولون رفيعو المستوى أو الديبلوماسيون من المعلومات التقنية أو البيانات أو المعلومات الحساسة فإن استعدادهم للصدق الانتقائي واستكشاف النفس وقدرتهم على التعاطف وتقبلهم لمشاعر الاخرين واحتياجاتهم ورغباتهم وصدقهم في التعبير عن اولوياتهم واهدافهم هو ما يمثل عوامل غير قابلة للقياس الكمي غير انها حاسمة في المفاوضات السياسية أو الديبلوماسية وفي العمل في مجال النزاعات.

باستعماله لمصطلح «الاستنباطي»[1] يعيد جون بول ليديراخ الاهمية الحاسمة لهذه الملاحظات بشأن العمل في مجال النزاعات. وفي نسخته الاصلية فإن هرمه[2]

(1) ذكر اولا عند (Lederach(1995.

(2) هذا التقديم مبني على (Lederach ,,1997ص 39).

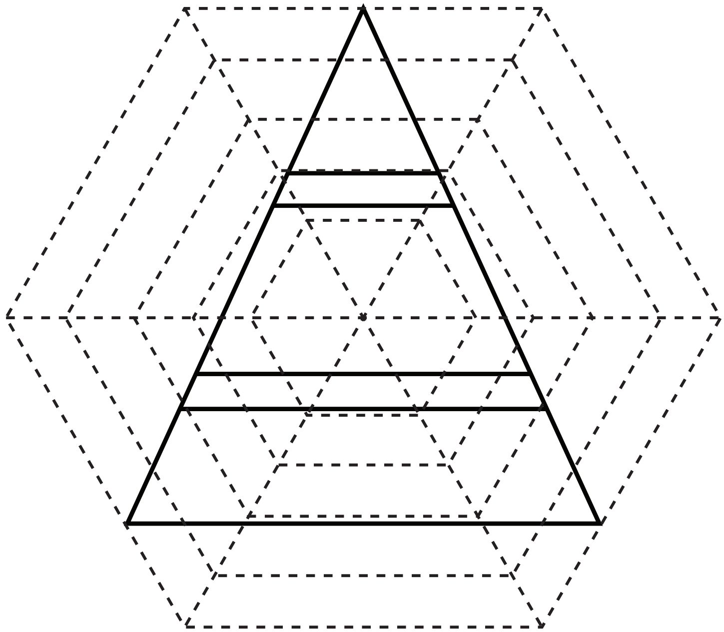
المعروف على نطاق واسع يشير ببساطة إلى ان جميع العاملين يتفاعلون عبر الطبقات الاجتماعية المتنوعة ـ من القاعدة الشعبية إلى النطاق المتوسط للخبراء والقادة الاقليميين (وهم يحتلون مكانة خاصة لدى ليديراخ)، إلى زعماء الدول ـ وهم يناسبون عملية التحول في اعقاب تجربة العنف. لذا، وفقا إلى ليديراخ، فانه يجب مخاطبة العاملين بأسلوب سياقي، باستخدام اشكال مناسبة من التدخل.



الشكل رقم 6 ـ 1 هرم ليديراخ، النسخة الاصلية

يتمثل هرم ليديراخ عادة بهذا المنظر الافقي البسيط. غير انه قد جرى تأويله وتعديله وتوسيعه في مناسبات متعددة. كان النموذج في تسعينات القرن العشرين مبادرة رائدة في التحول من الميكانيكية إلى الفكر المنهجي في دراسات السلام. يعود السبب بدقة في اهمية ريادته إلى ان النموذج هذا يتطلب فكرا وإعدادا اضافيين. وبعد عشرة اعوام من الطباعة الاصلية للنموذج الهرمي، قدم ليديراخ توسيعا ونسخة معمقة. واذ ان

النموذج كان قد فسّر احيانا بطرق هرمية وميكانيكية، فانه قد اضاف شبكة عنكبوتية مجازية تقترب من الشكل الاتي[1]:



الشكل 6 ـ 2 شبكة ليديراخ العنكبوتية

ومن وجهة نظري لا يضيف هذا الكثير من الوضوح. ان جرى التفكير بالهرم على انه طريقة منهجية، فان من غير المنطقي تمثيله على انه مثلث ثنائي الابعاد متشابك من اجل تأكيد اعتمادية المستويات على بعضها البعض. وبحسب ما افهم فان «المنهجية» تعني متعددة الابعاد، اي انها هرم حقيقي وليس مثلثا ثنائي الابعاد. المح ليديراخ إلى وجهة النظر هذه في مسودته الاولى، بيد انه لم يتابع الامر. وهو يشير إلى تجربته الميدانية اثناء مهمته في النزاع في ساندينيستا في نيكاراغوا في ثمانينات القرن العشرين، وجد في المزمور 85:10 اهمية خاصة: «الحب والاخلاص يلتقيان مع بعض؛ العدل والسلام يقبلان بعضهما البعض.» ومن هذا المزمور استنبط القيم الاساسية الاربع: الحقيقة والرحمة والعدالة والسلام. تكمن المصالحة، من وجهة نظر

(1) Lederach (2005، ص 82) (1)

ليديراخ، حيث تجتمع القيم الاربع، ولذا فان المصالحة تعد هدفا ضروريا من اهداف العمل في مجال النزاعات. [1]

يوسع ليديراخ [2] مثلث غالتونغ التركيبي للعنف الجسدي والثقافي بإضافة بعد رابع وذلك بتقسيم البعد الجسدي إلى شطرين، صيغة شخصية وأخرى علائقية. يرتقي هذا إلى فارق جوهري: فهو يسمح لاعتبار الوجود الانساني كونه حد تماسي في العمل يستفيد من انجازات علم النفس الانساني في الوقت الذي ينشئ دوامة من حلقة النزاع حتى بؤرته.

يقر ليديراخ بصدق بالعمل الريادي لتشارلس رايت ميلز[3] الذي حث علماء الاجتماع على احترام العلاقات المتبادلة بين التواريخ الفردية والبنى الاجتماعية. [4] لذا اقر بالصلة بين العمليات الداخلية للشخص والعلاقات الاجتماعية ـ العلاقات التي بدورها تحتوي على الاوضاع المباشرة وسياق اوسع ومستوى اعمق من الادراك والتأويل والفعل. وفي الحقيقة ان ميلز يذكّر فقط بالعلوم الاجتماعية للفكر الثوري في حينه لمارتن بوبر الذي صنّف الناس على انهم حدود اتصال في العمل وفي العمل المبكر لنظرية النظم. وبعد نصف قرن التقط ليديراخ هذا الفكر من اجل دراسات السلام. ويبدو انه لغاية الان يبقى مثل هذا الفكر ثوريا، ويساء فهمه احيانا. وفي مطلق الاحوال، فإن الحاجة المتجددة باستمرار التي لا مفر منها للخيارات المسؤولة التي يتخذها الناس الذين ولدوا احرارا تصبح اساسا منهجيا للعمل الاستنباطي في مجال النزاعات.

يلهمني هذا العمل لتوسيع الهرم بتحويله إلى تمثيل اربعة ارباع: «الشخص» و«البنية» و«العلاقة» و«الثقافة»، بدلا عن ان يكون بنية ثنائية الابعاد. وعند النظر اليه من الاعلى، يبدو الهرم مثل هذا:

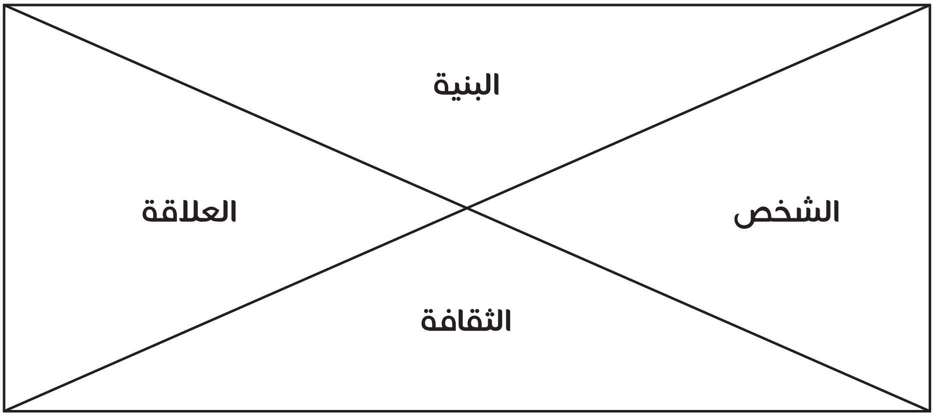
---

(1) (2005، ص 82) Lederach.

(2) (2007، ص28) Lederach 35 - 23 (و(2003، ص 23) Lederach.

(3) 1916 - 1962.

(4) Mills(1959) عد خيطا ارشاديا عن Lederach (2005).



الشكل 6 ـ 3هرم ليديراخ، الموسّع، من وجهة نظر عين الطائر

يلقي هذا التقديم الضوء على الصلة الوثيقة بين نهج ليديراخ في التحول الاستنباطي للنزاعات ونموذج السلام التحولي الذي قدمته في الجزء الاول من هذه الثلاثية، المبنية على تأويل كين ويلبر. اختصرت هذا التأويل مثلما موضح ادناه:[1]

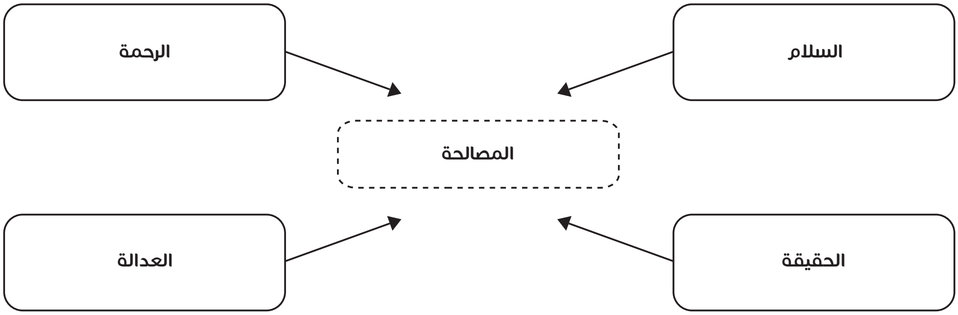
	الداخلي الحيوية وما بعدالحداثة	الخارجي الأخلاقية والحداثة
المفرد / الفردي	الداخلي السلام الناجم عن الوئام	السلوكي السلام الناجم عن الأمن
الجمع / الجماعي	الثقافي السلام الناجم عن الحقيقة	الإجتماعي السلام الناجم عن العدالة

الشكل 6 ـ 4 النموذج الاصلي للسلام الانتقالية بطريقة مبسّطة

فإن مخطط ليديراخ للمصالة المستقى من الانجيل والذي عنوانه هو «مكان يسمى مصالحة» يبدو كما يأتي:[2]

(1) (2012، 252ص)Dietrich.

(2) (2005, 82 ص) Lederach.

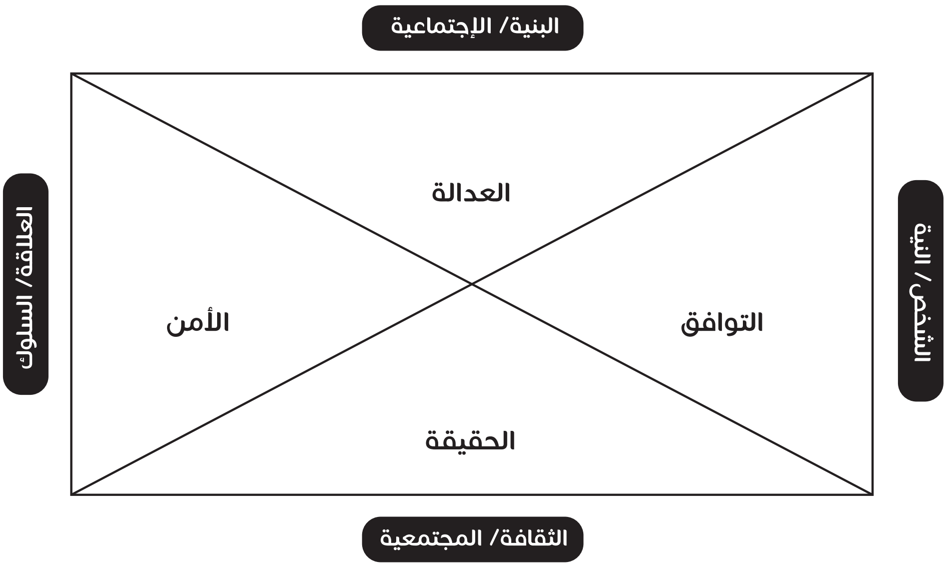


الشكل 6 ـ 5 مخطط ليديراخ للمصالحة

ادرك ان موضوع الجزء الاول من ثلاثيتي، وهو «السلام»، يتطابق مع مفهوم ليديراخ الارشادي بشأن المصالحة. وفي ضوء عنوان كتابه، *بناء السلام*، يبدو هذا مشروعا. لذا افترض انه حيثما يستخدم ليديراخ المفهوم الوظيفي للمصالحة، فانه يشير إلى السلام بمصطلحات غائية. في المخطط الاصلي يضع ليديراخ التوافق والوحدة والرفاهية والامن والاحترام ضمن عنوان السلام. وعلى الاقل يشير المفهومان الاولان إلى التصورات الذاتية والداخلية، وهو السبب وراء ثقتي انني وليديراخ في اتفاق هنا. فمفهومي الحقيقة والعدالة متطابقان في كلا النموذجين. اما الامن، الذي هو مفهوم رئيس خارجي وفردي في مصفوفتي، فانه فئة فرعية للسلام عند ليديراخ. وهذا في حد ذاته لا يرتقي إلى مستوى التناقض بين نموذجينا إن لم يكن بشأن حقيقة ان للعدالة في نموذج ليديراخ رباعيتها ويجمع مع بعض الفئات الفرعية للمصالحة والمسامحة والمساندة والتعاطف والشفاء، التي ارجعها جميعها إلى الرباعي المفرد الداخلي وليس المفرد الخارجي.

تمثل الرحمة وفئاتها الفرعية ضمن نموذج ليديراخ جزءا من الرباعي الذي يتعلق بالعلاقة والسلوك. اظن ان من الممكن في هذا السياق تأويل الامن على انه حاجة علائقية والرحمة على انها سلوك مقابل يهدف إلى المصالحة والسلام. ومن هذا المنظور لا يعد اختلافنا تناقضا خطيرا، بل انه جانبي العملة نفسها. وحيثما تثري الرحمة السلوك سيكون هناك امان في العلاقات. وحيث الحاجة إلى الامان ستكون الرحمة في اساس السلوك التواصلي المناسب.

في البداية، لم يضمّن ليديراخ قيم الكتاب المقدس الا ضمنيا في مخططه للعمل في موضوع النزاعات، لذا كان ثنائي الابعاد ويعرض منظرا رأسيا جانبيا تماما. وعند تكامل مصفوفتي للسلام عبر العقلاني مع مفهوم ليديراخ لتحويل النزاعات الاستنباطي، تنتج الصورة ادناه، التي فيها لا تنفصم الصلة بين العمليات الداخلية والخارجية والفردية والجماعية على طول حدود التماس الانساني في العمل وتبدو ظاهرة للعيان. يجمع هذا التقديم للهرم فكرة السلام عبر العقلاني مع مفهوم ليديراخ العملي لتحويل النزاعات الاستنباطي:



الشكل 6 ـ 6 مخطط ليديراخ للمصالحة والنموذج عبر العقلاني، من وجهة نظر عين الطائر

يوفر المنظر اعلاه توضيحا للترابط بين هذه الصيغ افضل مما في مصفوفتي الاصلية. لا يمكن استيعاب المعنى الكامل للهرم على اساس حلقة على سطحه. يطابق الشخص كما قدمه ليديراخ الفرد والداخلي، للرباعي الفاعل للسلام الناجم عن التوافق عبر العقلاني. ويفتح هذا الباب، كما كان، للداخلي للشخصية[1]، الذي هو نظام وفقا للمبدأ الشامل. لذا فان الهرم يجب ان ينظر اليه مثل دمية ماتريوشكا أو

(1) نوقش استخدام هذا المصطلح باستفاضة لدى (Dietrich(232_272 ص 2012,).

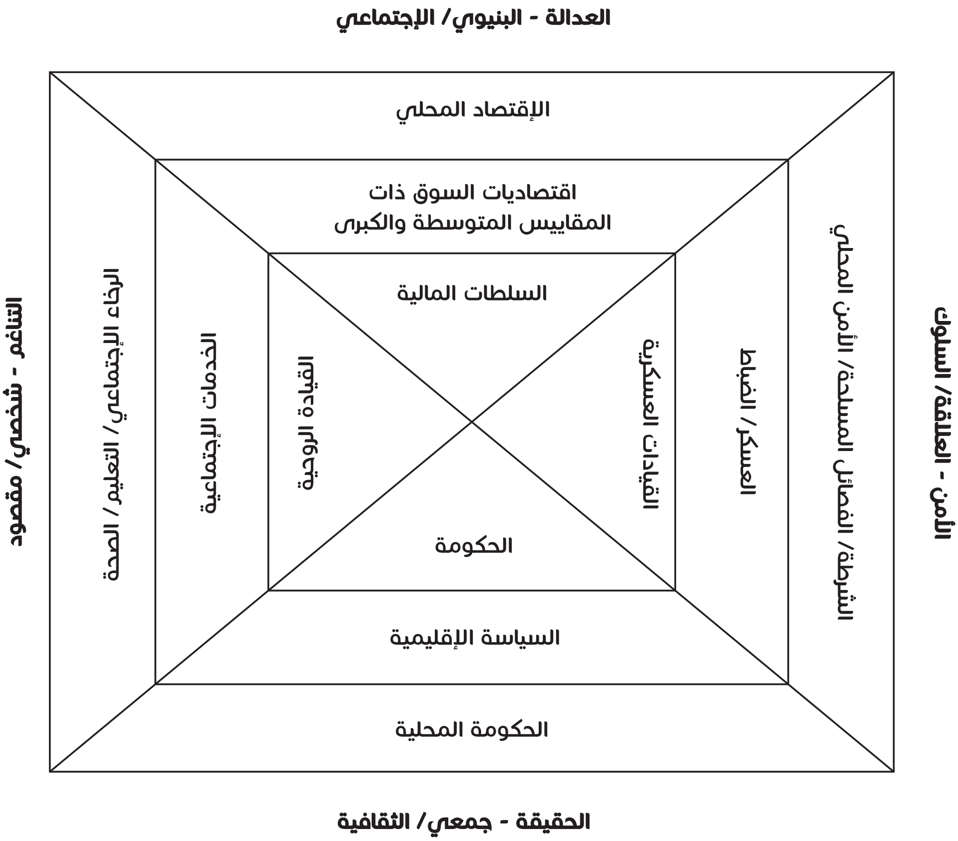
صندوق صيني، حيث توجد في داخله اهرام اصغر للذات والاصوات المنفردة للفريق الداخلي والنفس كونها مركزا متعدد الطبقات. يقترح فرانز روبيرت [(1)] طبقات علاجية بين الحلقة الاجتماعية والمركز الفاعل: المجتمع ولقرابة ونواة العائلة والموضوع والجسد والاعضاء والخلايا والذرات. وفي المقابل وفي حالة عملية دولية تابعة للأمم المتحدة، فإن هرما عالميا يوضع على قمة السطح الاجتماعي لحلقة يسودها النزاع يوفر اداة للتدخل الذي، ان عُدّ مبادرة سلام، يجب ان يتفاعل بشكل متكافئ مع جميع مستويات وزوايا حلقة ما. وفي كل مستوى من المنظومة هناك حركات نحو الاعلى والاسفل. وعند العمل [(2)]على النزاع فان هذا يطرح السؤال بشأن اي من المستويات يجب تحليله ويجري التركيز عليه. هل ان النزاع حلقة اجتماعية، ام تدخل اجتماعي، ام تشابك اسري، ام سلسلة من التصورات، ام مشكلة ايضية ام بدنية أو عملية كيميائية؟

لقد قدمت لاينا رينولدز ليفي [(3)] اداة يمكن ان تكون نافعة تجاه الاجابة عن مثل هذه الاسئلة. اذ انها قدمت اساسات المجتمع من خلال نظرة علوية على الهرم اكثر تفصيلا. وإذ تختلف قليلا عن ليديراخ، فأنها تسمي الجوانب الاربعة لسطح الهرم السياسي ـ الدستوري والعسكري ـ الامني والنفسي ـ الاجتماعي والاقتصادي ـ الاجتماعي. ان كلا من هرم ليديراخ واعادة انتاج رينولدز ليفي له يقودهما اهتمام بتعريف واعادة تقديم عمليات واليات بين الاعراق وبين الدول. وفي ادناه اقدم نسخة من مخطط رينولدز ليفي، يتناسب مع النماذج التي سبق ان جرت مناقشتها ويتضمن المجالات التي عرفتها اعلاه:

(1) (2002, 49ص)Ruppert.

(2) طرح (2012, ص44ـ68) Lederach Lederach and حجة مشابهة باستخدام مفردات مختلفة. يبدو اننا جميعا استمرينا بتطوير منهج ليديراخ الاولي بشكل متوازٍ باتجاه ما اسميه الانعطافة التحويلية.

(3) (2004)Levy.



الشكل 6 ـ 7 تفسير رينولدز ليفي لهرم ليديراخ: نظرة بعين طائر

على اساس هذا التفسير لتطبيق ليديراخ وتطوير رينولدز ليفي له، اطرح السؤال الاتي: كيف ان هذه العمليات التي هي من السهولة نوعا ما اثباتها وتطبيقها ان تكون قد اثّرت على هذه المجالات الاحترافية التي فيها يحصل السلام العملي والعمل في النزاعات في فترة ما بعد انهيار الاتحاد السوفييتي وخطة بطرس غالي للسلام في عام 1992؟[1] ومن حيث جدول اعمال الخطة يمكننا ان نشير إلى عمل السلام متعدد الاطراف ومتعدد الجنسيات ومتعدد الثقافات ومتعدد الابعاد الذي يخص مجالات مواضيع المخطط اعلاه من الخارج، لذا فانه يؤسس لتطابق بين كل منها ومع المنظومة الاكبر. ماهي التغييرات الجوهرية التي يمكن تحديدها؟

(1) بطرس غالي (,1992أ/ 47/ 277 ـ س/ 24111) (17 حزيران، 1992).

اني اعمل ضمن فرضية ان في تلك المجموعات الاجتماعية في مركز منظومة العالم التي اليها يرجع معظم العاملين اليها هنا، التحول من عاطفة ما بعد حداثوية وحالة عقلية إلى حالة فوق العقلانية متعددة الاقطاب يمكن ان يحدث في خطوات صغيرة غير ملحوظة إلى حد ما، ومع ذلك يحدث. وبالإشارة إلى العمل في مجال السلام منذ حروب البلقان في تسعينات القرن العشرين فإن تحويل النزاع الاستنباطي لليديراخ ما عاد فضيحة. قدم ليديراخ هذا النموذج في عام 1997، اي بعد خمس سنوات من خطة السلام. ومنذ ذلك الحين لاحظت ازديادا مطّرِدا في عدد العاملين عند فوق العقلانية في المجالات الشائعة في ميدان العمل في النزاعات.

ان ينظر المرء إلى مناطق النزاعات في افريقيا وفلسطين والعراق وافغانستان وباكستان وسريلانكا والكثير ايضا، فإن نتائج السلام ـ السياسي لا تبدو مشجعة. وبكل تأكيد لا يمكن الادعاء ان ممثلي فوق العقلانية قد انقذوا العالم أو يمكن ان يفعلوا ابدا. سيكون هذا متضاربا بشكل جوهري مع نظرية ما فوق العقلانية. بيد اني اظن ان ممثلي فوق العقلانية لديهم امكانية الوصول إلى طيف واسع من الطرائق والامكانيات والمنظورات الجديدة، التي لكل منها قوة تحويلية في سياقات معينة. ما اسماه ليديراخ تحويل النزاع الاستنباطي كان منذ فترة طويلة حقيقة قائمة بذاتها ذات امكانية وصول ومدة محدودتين. فهي تنتج العديد من حالات السلام الصغير التي هناك حاجة يومية لإعادة توكيده وفهمه واستعادته.

في ما يأتي سأركز على النشاطات الجوهرية للفاعلين الدوليين في تلك الحقول التي قد بدأت فيها التحول عبر العقلاني تتحقق: على المستوى السياسي والاداري هذه هي ديبلوماسية، مظهر من مظاهر ثقافة نزاع عبر عقلانية؛ وفي مجال العلاقات الاجتماعية فان الجيش والشرطة هم من يمثلون ادوات عمليات الامن الدولي؛ اما في المجال الاجتماعي ـ النفسي فإنها سياسة تنمية تخدم في نهاية المطاف الوئام الشخصي والمقصود؛ وعلى المستوى البنيوي للعدالة فإنها تخص السؤال حول الاقتصاد المستدام اجتماعيا. [1]

(1) يبرر (2005، ص 28) Lederach نهجه بمصطلحات مشابهة.

1.6 التحول عبر العقلاني في الديبلوماسية

ترجع الدبلوماسية كونها وظيفة اجتماعية إلى ازمنة ما قبل التاريخ. فهي اقدم من فكرة الدولة. اذ ان الحاجة إلى اشخاص يمكنهم تمثيل احتياجات ومصالح مجموعة واحدة بالعلاقة مع اخرى يجب ان تكون قد ظهرت حال ان طور الناس وعيا وبدأوا العيش في جماعات اجتماعية. وحتى ان المؤسسة الاكثر حداثة للتمثيل الخارجي المخولة والرسمية التي يسيرها بروتوكول وتخضع لطقوس اجتماعية هي اقدم من الدولة القومية. انها ترجع إلى ما قبل العصور الوسطى إلى العصور القديمة عبر العالم. [1] في عام 1815، تم تبني اتفاقية فيينا للعلاقات الديبلوماسية في مؤتمر فيينا. [2]ومنذ ذلك الحين، نحن نستخدم مصطلح الديبلوماسية في معناه المعاصر. في وثائق فيينا، فإن المهام والامتيازات العامة للديبلوماسيين قد جرى تصنيفها ووصفها وتمريرها ضمن القانون الدولي. تتضمن الحقوق الخاصة التقليدية للديبلوماسيين الحصانة والولاية خارج الاقليم وحق الممارسة الحرة لدياناتهم. تشمل المهام التقليدية للديبلوماسيين تمثيل مصالح الدولة المرسلة لدى الدولة المضيفة؛ حيازة معلومات تخص الدولة المرسلة لدى الدولة المضيفة؛ وخلق المناخ والاسس الاجتماعية لتنمية العلاقات الثنائية؛ ومنع التوترات الثنائية أو التخفيف منها؛ الاضطلاع بتنفيذ التعليمات الوزارية على اساس محدد سلفا؛ وتنمية معايير وممارسات القانون الدولي وفقا لعادات وتجارب معينة.

على الرغم من أن السياسة الخارجية التي تمارسها الدول القومية قد انتقدها منظرو ما بعد الحداثة [3] كونها استمرارا للحرب بطرق اخرى، الا ان الديبلوماسيين يرون بشكل شائع مسؤوليتهم في فض تضارب المصالح والنزاعات بين الدول دون استخدام العنف البدني أو القوة العسكرية. ووفقا لذلك يمكن ان تعَد الديبلوماسية نوعا مثاليا من العمل في مجال السلام. فعلى سبيل المثال في النظام الديبلوماسي تكون العسكرية خاضعة للديبلوماسية والحرب يجب ان تكون استمرارا للسياسة بطرق اخرى [4] (كما

(1) (29 اذار 2010)Burton.

(2) (31 اذار 2010)Traxl.

(3) على سبيل المثال (2003)Foucault.

(4) (1976)Clausewitz.

عبر كارل فون كلاوزفيتز[1] في اشهر تصريحاته)، وليس العكس. ونتيجة لذلك، فان وجهة نظر ما بعد الحداثة هي مغلوطة تقنيا وغير مسؤولة اخلاقيا. وحيث ان ذلك نزاع بين التصورات الحداثوية وتلك ما بعد الحداثوية قد جرى توثيقه على نطاق واسع فليس هناك من حاجة إلى للمشاركة في النزاعات. ان الطرق وليس الغايات هي ذات الاهمية الاساسية. ومهما تكون الغايات فان الظروف التي يقوم فيها الديبلوماسيون بأعمالهم قد تغيرت بشكل جذري منذ ان تأسست المكاتب بشكل رسمي حول العالم.

عرف الديبلوماسيون التقليديون كيف يبحثون في اراضي الدول. ان تقاليد عالمهم الصغير قد اضفى عليها الطابع الرسمي من خلال هياكل هرمية وقواعد اخلاقية وقانونية، ما ادى إلى استيعابهم في السلك الديبلوماسي بغض النظر عن خلفياتهم العرقية أو السياسية. وهذا تماما ما ميزهم عن الناس الإعتياديين في مجتمعاتهم في الوقت الذي يصبحون جزءا من مجتمع محلي مستقل عن الاشخاص المناظرين لهم. ربما كان لسفير سويدي امور مشتركة مع سفير تشيلي اكثر مما له مع خباز سويدي بغض النظر عن شخصيته. كان هذا يعد مفضلا عند وصف عمل الديبلوماسي التقليدي، لان مهمته الاساسية هي التواصل مع نظرائه من الدول الاخرى، وليس مع المزارعين أو تجار الاثاث (الذين جرى تقديمهم فكريا ووظيفيا). لذى فان البيئة الديبلوماسية قد حددتها مصطلحاتها ومعتقداتها وسلوكياتها شبه الارستقراطية. كانت اللغة المشتركة هي الفرنسية والنزعة الفردية لم يكن مرحب بها.

كانت الديبلوماسية في المعنى اعلاه فنّا بحق. ففي اماكن بعيدة عن عاصمتهم كان على الديبلوماسيين ان يعتمدوا بشكل كامل على اسلوبهم الشخصي، وجاذبيتهم وشخصيتهم وهيبتهم وذكائهم وقوة ملاحظتهم ومهاراتهم في التواصل وهم يعملون ضمن قيود ضيقة تحددها ولاية الحكومة وبروتوكولها. ومن وجهة نظر نفسية، تمثل الطقوس البروتوكولية انماطا وسواسية في الوسط الديبلوماسي. وبالحديث عن الدبلوماسية الحديثة، لابد ان نذكر انها نبعت من خوف كبير من ان العواطف أو المصالح أو العلاقات الشخصية قد تتدخل في حسن سير التمثيل الديبلوماسي. ومن

(1) 1780 - 1831.

وجهة نظر عبر عقلانية فإن مثل هذا الاعتقاد في اضفاء الطابع المؤسساتي على الشيأنة والعقلنة ستجري مقابلته بالدهشة فضلا عن التعاطف مع اشخاص عرضة لهكذا وصف وظيفي.

كانت المعضلة انه في الوقت الذي للدبلوماسيين درجة عالية من الحرية والمسؤولية الشخصية، فهم مع ذلك خاضعون لتعليمات حكوماتهم، غالبا كونهم موظفين مدنيين [1] ويتقيدون ببروتوكولات وظيفتهم. وفي النظر إلى الوراء، فانه من غير المفاجئ ان فقط القلة هم من ارشفوا هذا التوازن. قد يتصور المرء كيف ان الكثير من الحروب المحتملة اثناء القرنين التاسع عشر والعشرين قد جرى تجنبها بسبب الدبلوماسية الناجحة. وفقا لفرانك بفيتش وكريستوف رولوف، ففي الفترة بين عامي 1945 و1994، جرى فض 13 من بين 121 من النزاعات العنيفة حول العالم بالطرق الدبلوماسية. [2] كانت تلك النزاعات قد حصلت بسبب الاختلافات بشأن الاستقلال الاقليمي أو تلك التي لها جذور عرقية ـ سياسية أو دينية. يمكن للمرء دائما الجدال بشأن الأعداد وبشأن الطرائق في استرجاع البيانات والتقييم؛ ومع ذلك توفر هذه الارقام فكرة تقريبية. ومن البيّن ايضا ان الدبلوماسية عالية المستوى قد توسعت وازدهرت اثناء فترة ما قبل عام 1945 ـ ومن ثم في الوقت نفسه الذي شهد اقسى انواع العنف في التاريخ البشري.

كانت اتفاقية فينا حول العلاقات الدبلوماسية في عام [3]1961 اول نسخة معدلة عن وثيقة عام 1815 بموجب القانون الدولي. ومع ذلك، ومنذ اواسط القرن العشرين، وخاصة في تسعينيات القرن نفسه، قد شهدت ممارسة الدبلوماسية تغيرا اكثر جذرية من القانون الدولي. لقد غيرت ثورة تكنولوجيا المعلومات طبيعة المهام الدبلوماسية ووسائلها واطارها. ومنذ تسعينات القرن العشرين والتعاقب السريع لاجتماعات القمة لممثلي الدول والاقاليم والمنظمات وكانت القضايا برهانا على التحول الكبير: اصبحت الوظائف التي يتعامل معها الدبلوماسيون تتناولها مراكز الحكومات. وإذ ان تبادل المعلومات في وقتها الحقيقي وشبكات النقل العالمية القادرة على نقل

(1) تعد الولايات المتحدة استثناءا مهما، حيث ان السفراء ليسوا دبلوماسيين مهنيين.

(2) (2000)Pfetsch and Roloff.

(3) (2007)Wagner et al..

كبار المدراء وأمناء السر والرؤساء إلى اي موقع في العالم بغضون ساعات فقط، فان الديبلوماسية التقليدية قد جرى خفض اهميتها من فن إلى اداة ادارية تخضع للتوجيهات وبشكل دقيق في ضوء تقليص الدور هذا صار التصور انها فائضة. ومع ذلك فان فقدان المكانة هذا، على كلا المستويين التقني والوظيفي، لم يحرر العمل الديبلوماسي من قيدها. وعلى النقيض من ذلك، ونظرا للأوضاع الجديدة فان الطقوس الصارمة ما ان تُعدّ نافعة فإنها قد اصبحت عقبة امام عمل السلام التطبيقي.

على المستوى الشخصي فإن الاتصالات السريعة والوصول السهل إلى المهمة من جانب مركز الحكومة يعني ان الموظفين العاملين في السلك الديبلوماسي وقد تقلص وجودهم الخارجي صاروا يشعرون انهم مسيطر عليهم بدرجة اكبر. فالأخطاء الرسمية والمادية ستكون لها عواقب اكبر، حيث انها ربما تؤثر بدرجة اكبر على وظائفهم الديبلوماسية. ونتيجة لذلك، فان الديبلوماسيين الان اقل استقلالية واقل استعدادا للمجازفة وتحمل المسؤولية. ومن وجهة نظر فردية، فإننا ننظر إلى بيئة اكثر تقييدا مع حرية فردية اقل ومكانة ادنى، الامر الذي بدوره يجذب اناسا جديدين إلى الوظيفة. ان الامر منطقيا فحسب ان اثناء الازمة المالية العالمية في عام 2008 دار نقاش في عدد من الدول بشأن فائدة التمثيل الديبلوماسي. قبل مئة عام فان هذا الامر لم يكن ممكنا تصوره.

ومع ذلك فإننا بعيدون عن اعلان نهاية الديبلوماسية. على الرغم من الاختراعات التكنولوجية، تبقى الدول منتجة الشعوب، وإن الناس وحدهم هم من يقود ويمثل الدول. لذا فإن التفاعل بين الناس يبقى اساس العلاقات الحكومية والاجتماعية. حتى اعلى مستويات التمثيل في المحصلة تعمل من خلال التواصل بين الاشخاص. لذا يجب على اولئك الذين يعملون في السياسة أو الديبلوماسية ان يكونوا في موقف لتأويل اساليب التواصل وأن يقرأوا ويوجهوا عمليات المجموعة وأن يفصلوا التيارات الانفعالية في العلاقات عن تضارب المالح المادية. عليهم ان يكونوا قادرين على تحديد الصدمة الفردية أو الصدمة المختارة جماعيا والانتقال والانتقال المقابل والاسقاط والاستدماج خلف ما يبدو انها حجج موضوعية. وعليهم ان يكونوا قادرين على اتباع منهج يدل على الاحترام مع المفاوضين والاقرار بحساسيات المجموعات

المعنية وكياناتها والبقاء راسخين بشدة على الوعي الذاتي. ومن هذه الزاوية تبقى الديبلوماسية فنا ضروريا، مع ان تحقيقها قد تحول من عمل الديبلوماسيين التقليديين باتجاه مدى اوسع من المجموعات الاجتماعية ويمر بتوسع اثناء العملية.

اني ارى هذا التحول نوعا من فوق ـ العقلنة يظهر بوضوح في ما صار يصطلح عليها «الديبلوماسية متعددة المضامير». ظهر هذا المصطلح في الدوائر الاكاديمية في منتصف ثمانينات القرن العشرين عندما بدأ علماء غربيون مؤثرون يلتقون مع نظرائهم من الاتحاد السوفييتي الآيل للتفكك. في تلك السنوات بدأت مؤسسات اقدم مثل مؤتمر بوغواش حول العلوم والشؤون الدولية، وجامعة جورج ماسون وجامعة هارفارد ومعهد اسلان تؤدي دورا رئيسا في تأسيس الديبلوماسية متعددة المضامير. وبدأت معاهد اكاديمية وجمعيات مثل الجمعية الامريكية للأطباء النفسيين ومبادرة كارل روجرز للسلام بتنظيم مؤتمرات مع نظرائهم من مناطق النزاعات حيث جرت النقاشات فضلا عن اللقاءات غير الرسمية التي هي نموذج للديبلوماسية التقليدية. في تلك الاجتماعات وصل تبادل الآراء والمعلومات في نهاية المطاف إلى المراكز الادارية للقوى الكبرى بطرق غالبا غير رسمية وسرية.

لم تكن تلك المبادرات من حيث المبدأ جديدة. فالعلماء وأصحاب الاعمال والرياضيون والفنانون قد حافظوا باستمرار على المراسلات على مختلف التوجهات الوطنية والدينية والايديولوجية. وهم يسافرون إلى الطرف الاخر انخرطوا في نقاشات واستشارات مع اقرانهم ووفروا لحكوماتهم معلومات وآراء. غير ان الديبلوماسيين من المدرسة القديمة لم يوافقوا عندما تتدخل مثل تلك النشاطات في صلب عملهم. الا ان ذلك قد تغير عند قدوم البيريسترويكا[1] والغلاسنوست[2] وانهيار الاتحاد السوفييتي في نهاية المطاف. ولاحقا بدأ اناس من ذوي التأثير لكن دون خلفيات دبلوماسية التنظيم والدخول في ميادين تقليدية من النشاط الديبلوماسي. اصبح الاطباء المتخصصون

(1) البيريسترويكا وتعني «إعادة الهيكلة» هي برنامج للإصلاحات الاقتصادية أطلقه رئيس للاتحاد السوفياتي، ميخائيل غورباتشوف وتشير إلى إعادة بناء اقتصاد الاتحاد السوفياتي.

(2) الغلاسنوست هي سياسة الدعاية القصوى والانفتاح والشفافية في انشطه جميع المؤسسات الحكومية في الاتحاد السوفياتي سابقا

في علم النفس والمعالجون النفسيون الاكثر تمثيلا من بين العاملين الجدد، الامر الذي يشير إلى اضفاء الطابع المؤسساتي للخطاب العلاجي في الولايات المتحدة. خلال بضعة عقود كان الخطاب النفسي قد انتشر إلى جميع مفاصل المجتمع ولم تعد السياسة ممكنة دون اخذه بنظر الاعتبار. [1] وفي أعقاب ترسخ الخطاب العلاجي لدى الرأي العام وتشعب واضح للنظام العالمي بداية من ثمانينات القرن العشرين بدأ اخصائيو العلاج بشكل مباشر ونشط الولوج إلى العوالم المهنية الراسخة للسياسة والدبلوماسية العالميتين. ونتيجة لذلك فإن تلك الاشكال غير الرسمية للدبلوماسية الآخذة بالازدياد أصبحت في جوهر اهتمام دراسات السلام.

كان الدبلوماسي جوزيف مونتفيل اول من طبق مصطلح دبلوماسية المسار الثاني[2] على النشاطات غير الرسمية التي تمارسها المؤسسات والشخصيات المؤثرة فيما يشير مصطلح دبلوماسية المسار الاول إلى الدبلوماسية الرسمية. كان مونتفيل ينتمي إلى مجموعة تهتم بالتحليل النفسي، حيث ان من بين اوائل ناشطيها كريستوفر ميتشيل[3] وهارولد ساوندرز[4] وفامك فولكان.[5] لقد تأثر هؤلاء في اعمالهم بهربرت كيلمان[6] النمساوي المولد وأستاذ علم الاخلاقيات الاجتماعية في جامعة هارفرد، وجون بورتون من جامعة جورج ماسون. اصبحت جامعة جورج ماسون الموقع التعليمي الرائد في تدريب دبلوماسية المسار الثاني. [7]

أدى جون بورتون[8]، وهو دبلوماسي استرالي وأكاديمي ذو خلفية ميثودية، دورا

(1) Illouz.(2009، ص 264)

(2) Montville and Davidson (1982، ص 145 ـ 157) ونوقش الموضوع بشكل كامل عند MacDonald and Bendahmane (1987).

(3) Mitchell.(1981)

(4) Saunders.(1991، ص 41)

(5) Volkan et al..(1991)

(6) ولد في فينا عام 1927. كان كيلمان Kelman مدير برنامج تحليل وحل النزاعات في مركز وذرهيد للشؤون الدولية التابع لجامعة هارفرد للفترة 1993 ـ 2003. ربما يعد عمله (2000، ص 273 ـ 288) نموذجا.

(7) Mitchell and Banks.(1996)

(8) ولد عام 1915 في ملبورن. يوجد تكريم واسع له في عمل رامسبوذام واخرون (2005، ص 43 ـ 47).

في الكثير من الاحداث العالمية الكبرى في عصره. منح بعد نظر بورتون وأفكاره وأساليبه غير التقليدية سمعة كبيرة، فضلا عن كونها مثيرة للجدل إلى حد واسع، في الاوساط الديبلوماسية. امضى النصف الثاني من ثمانينات القرن العشرين يدرس مادة الادب الانكليزي في جامعة جورج ماسون، وأحيانا كان يتلقى الثناء كونه مؤسس مدرسة مميزة في حل النزاعات لأن عمله كان رياديا يستند إلى نظرية نظم وعلم نفس يتمحور حول المتلقي والتسلسل الهرمي للحاجات لماسلو. [1] ويعود الفضل دون شك إلى بورتون ان تلك الافكار وجدت متلقين في الوسط الديبلوماسي. كانت فكرة بورتون الاولية ان النزاعات الدولية وثيقة الصلة بالنزاعات الداخلية للامم في حينها تمثل امرا جديدا في الديبلوماسية. [2]

كونه الزعيم الروحي الشهير للديبلوماسية الثانية استحق بورتون مكانته هذه بجدارة. ومع ذلك، فان فامك فولكان[3]، الذي نظم في ثمانينات القرن العشرين اوائل المؤتمرات حول الموضوع في جامعة فرجينيا، قد لاحظ ان نية بورتون كانت اعادة هيكلة مؤسسات العلاقات الدولية اكثر مما هي لتغيير نهج فكر وسلوك الديبلوماسيين أو تسوية الاحكام الجائرة للتوافق الذي تتسم به الطبقة الديبلوماسية المنغلقة من المهنيين. وفيما يتعلق باتباعه الجدد اعاد بورتون تقديم موقفه المثالي نوعا ما وفشل ان يرى أية فائدة من التحليل النفسي في الديبلوماسية والعلاقات الدولية. وفي الوقت الذي لا اتشارك مع فولكان في خيبة امله في هذا المضمار، فاني اقر حقا استنتاجه ان بورتون ليس رائدا لمنهج أو مدرسة للفكر. بدلا عن ذلك اني اميل إلى ان ادعوه قارئا بارعا للأفكار الكبيرة في حقبته، أسهم في حل النزاعات بدلا عن تهيئة الارضية لما فوق العقلانية وتحويل النزاع الاستنباطي. ومن وجهة نظري هذا الدور الرائد قد أداه المعاصر لبورتون آدم كورل. [4] انصب فكر كورل على مصادر مماثلة لمصادر باتيسون، وبرتلانفي ورابوبورت وروجرز وماسلو. لم يطور مفهوم ديبلوماسية المسار

(1) (1969)Burton.

(2) (1984)Burton.

(3) (2003، 217 - 216 ص)Volkan.

(4) (1995)Curle.

الثاني فحسب، بل ايضا مهد الطريق امام تحويل النزاع الاستنباطي لجون بول ليديراخ. تبنى ليديراخ بنفسه فكرة ديبلوماسية المسار الثاني في كتابه الرئيسي الاول:

> اؤمن ان طبيعة الصفات للنزاع المعاصر تفرض الحاجة إلى حزمة من المفاهيم والمناهج التي تتجاوز الديبلوماسية الحكومية التقليدية. يتطلب بناء السلام لنزاعات الوقت الحاضر التزاما طويل الامد لبناء بنى تحتية على كل مستويات المجتمع، بنى تحتية تعزز موارد المصالحة من داخل المجتمع وتعظم إلى اقصى حد المساهمة من خارجه. [1]

كان النموذج البنيوي لديبلوماسية المسار الثاني قد لقي استقبالا طيبا ووفر اساسا يمكن البناء عليه. اولا، تبع ذلك مفهوم ديبلوماسية المسار الثالث، الذي يشير إلى المستوى الشعبي في النظرية الناشئة لتحويل النزاعات الاستنباطي. [2] لقد طور السفير السابق جون ماكدونالد، وهو مدافع بارز في بادئ الامر عن ديبلوماسية المسار الثاني البنيوي، اهتماما متزايدا في الموضوع وفي النهاية اقر له كونه الحامل النموذجي لما صار يعرف «الديبلوماسية متعددة المسارات» وهي الصفة المميزة التي تمثل تخطيا للحدود بين ما بعد البنيوية وما فوق العقلانية في الديبلوماسية. [3]

وكان تحت تأثير ماكدونالد ان تبنى بحث السلام المنهجي الموضوع وطور نموذجا اكثر تفصيلا، هو نموذج الديبلوماسية ذات المسارات التسعة الذي يتماثل مع مبادئ بحث السلام عبر العقلاني والذي اثبت جدارته ايضا في هذا المضمار. وصار مصطلح «متعددة المسارات» يشير بشكل عام إلى هذا النموذج ذي المسارات التسعة كما نظر له معهد الديبلوماسية المتعددة المسارات [4] في جامعة كولورادو، بولدر. يشابه تصويرا بيانيا للنموذج المنهجي لماكدونالد دولابا طبيا شامانيا (انظر الشكل 3 ـ 1)، وهي حقيقة لن تفاجئ في هذه النقطة اولئك الضالعين في ما فوق العقلانية. [5] تعمل

---

(1) (1997، ص xvi 18و)Lederach. (1)

(2) انظر (2004، ص 42 ـ 66)Reimann من بين اخرين.

(3) لقد لفت الانتباه بشكل خاص تحول نهجه ما بين (1987)MacDonald and Bendahmane و (1996) Diamond and MacDonald.

(4) معهد الديبلوماسية متعددة المسارات (25 تشرين الثاني 2009).

(5) انظر الفصل ذي الصلة الاسبق في هذا الكتاب. لقد جرى اثبات الدولاب الطبي الشاماني واستخدمت بشكل واسع طرائق تحويل النزاع على مستوى المجتمع. وان استخدامها في الديبلوماسية متعددة المسارات للعمل المنهجي في الصراع لذا يعد مثالا واضحا وخيارا منطقيا.

الديبلوماسية متعددة المسارات مع شبكة من العلاقات المتبادلة بانسجام مع المنطق ذي التسلسل غير الهرمي للدولاب الطبي. تعكس المسارات المنظومة الاجتماعية في الولايات المتحدة وهي على الشكل الاتي:

- الحكومة
- العمل المهني في الصراع
- الاعمال
- المواطن الخاص
- البحث والتدريب والتعليم
- ممارسة الانشطة في مجال السلام
- الدين
- التمويل
- الاعلام والرأي العام

و إذ يحتل المكان الذي يستحوذ عليه السياسيون ذوو المكانة العليا، يشير العنصر التاسع باتجاه داخل دولاب شبه الطب، لذا يتضمن وجود عدد غير محدود من المستويات ذات الصلة الاضافيات: [1]

يضع النموذج متعدد المسارات الديبلوماسية مجددا في ايدي المجتمع دون استثناء أو ابطال للديبلوماسية التقليدية. وتحت تلك الظروف تصبح تلك الاسئلة حاسمة: من هم الفاعلون في النظام؟ كيف يفكرون؟ كيف يهيئون انفسهم من اجل عملهم؟ عادة يحوز الافراد المتدربون في جو من الروح الانسانية وعي ذات اكبر مما يلائم بروتوكولات ونظام الديبلوماسية التقليدية. يتناغم وصف عمل الديبلوماسية التقليدية مع الحاجات السلوكية لحفظ السلام المعياري وحل النزاع. سيكون الوعي الذي يتجاوز هذه الحدود اشكالي بشأن وجود الدولة، لانه بالضبط قد يختبره العاملون في هذا المضار على انه محرر.

(1) (25 تشرين الثاني MacDonald(2009.

ان النموذج ثنائي المسار الاصلي لكل من مونفيل وفولكان والاخرين يعد استمرارية امريكية للبنيوية مثل تلك التي قدمها بشكل رئيس بحث السلام الاوربي ليوهان غالتونغ.[1] وهو يضيف ما يبدو ظاهريا تخصصا جديدا للخبير النفسي السياسي في مساعدة الديبلوماسية الرسمية. كانت ديبلوماسية المسار الثاني في حينها ضرورية وتوسيعا نافعا للديبلوماسية ذات البعد الواحد. ومع ذلك، فإن فكرة ديبلوماسية المسار الثاني كان مشبعة منذ البداية بالمعتقد البنيوي لمختص محايد وموضوعي الذي، مثله مثل الطبيب أو المحلل، يكون قادرا على حل مشكلات ونزاعات الاخرين، وفي هكذا حالة لمجموعات كبيرة ونخبها السياسية والديبلوماسية. وفي الوقت الذي قد عمل بعض ممثلي هذا النهج قفزة مفاهيمية من حل النزاع إلى تحويل النزاع، بقي غالبيتهم متعلقين بالافتراضات والطرائق والمنهجيات المفروضة وجعلوها، مثلما كانت سابقا، سيغموند فرويديات العلاقات الدولية. كانت مطبوعاتهم وكراريسهم الكثيرة للعمل في مجال النزاعات تقرأ احيانا مثلما تقرأ كتب الطبخ، وتصف كيف يمكن لأي نزاع ان يكون صالحا *للأكل* بإضافة بعض *المطيبات*. ما كانت ورشهم لحل النزاعات تقام عادة على اساس نظري متماسك وكانوا غالبا ينتقلون إلى تمارين فيها أعراف ومعتقدات المشاركين وتوقعاتهم ـ دون قصد تجلب إلى العملية ـ كانت خاطئة في نتائجها وتقدم على انها افكار جرى الوصول اليها بأسلوب علمي.[2] تشير كوردولا ريمان في عملها الصاخب لكنه نقدا تفكيكيا بارعا لورشات العمل ولهذا المنهج، إلى الاحكام التقييمية الذاتية إلى حد بعيد التي تتستر بالأوصاف الموضوعية للعمليات التحويلية.[3]

يختلف ديبلوماسيو المسار الثاني عن الديبلوماسيين التقليديين في تعليمهم

(1) خلافا لكل من (2004، ص 57)Reimann و (2004، ص 4) Miallالذين يعدان غالتونغ يمثل الفكر ما بعد البنيوي، فاني افهم عمله على انه جزء من المدرسة المنظورية لصفة تحويل النزاع في البنيوية. وان اخذنا بنظر الاعتبار ان عمله استمر لفترة طويلة بشكل استثنائي، تسمح كتاباته وجهتي النظر كليهما. فضلا عن ذلك، وحيث انه ومنذ تسعينات القرن العشرين قد اخذت كتاباته منحى يركز على مواضيع ما بعد البنيوية، فان اسلوبه الشخصي في التواصل وطرائق تدريسه وعمله جعلاه ممثلا نمطيا للمنهج المنظوري والعمل البنيوي في مجال النزاع حسب مصطلحات ريمان. ويجادل لولار على طول خطوط مماثلة عند نقده غالتونغ. لولار (2008، ص 73 ـ 89)Lawler.

(2) مثال على ذلك (1981)Fisher and Ury و (2003، ص 222 ـ 256)Volkan.

(3) (2004، 59 - 57 ص)Reimann.

ومصدر دخلهم (من الدوائر الحكومية المختصة بالعلوم والبحوث وليس من الشؤون الخارجية)، وفي ادوات عملهم التي تختلف إلى حد ما. الا انه، ومن حيث امكاناتهم الاجتماعية، يتبوأ المستشارون النفسيون نفس المكانة ويحظون بالقدر نفسه من الاهتمام الذي يحظى به ديبلوماسيو المسار الاول الذين يرغبون بالإشراف عليهم. وفي روتينهم المهني، يعمل كلا الطرفين في نطاق منفصل إلى حد ما عن الحياة اليومية المعتادة، حيث يقيّمون حياة اطراف ثالثة ويقررون بشأنها وفقا للقوانين. لذا فإن المؤهلات النفسية لكلا المسارين لا تختلف عما تبدو عليه من النظرة الاولى.

تمثل الديبلوماسية متعددة المسارات فتحا جذريا في الدور الديبلوماسي وفي نطاق هذا النشاط. ينطبق هذا ابتداءً على القطاعات التسعة التي جرى وصفها سابقا. وأساسا، ومع ذلك، يشير الدولاب الطبي المفتوح إلى جميع قطاعات المجتمع، بما فيها الفن الذي قد أهمل في نموذج كولورادو. مع ان الديبلوماسية مفهومة الا انها تتطلب اكثر من شخصية جديدة أو توجه جديد. انها تتعامل مع طيف واسع من الناس الذين يرغبون في استثمار مواهبهم واهتماماتهم وتعليمهم استعدادهم للتعلم في تنوع لا حصر له افتراضيا من ظروف النزاعات. وهم ايضا، بطبيعة الحال، عليهم اتباع القواعد والعمل ضمن بنى وتنمية خبراتهم. وإن تطبيق اية قواعد وبنى ومتطلبات سيحدده السياق وليس ان تحدد سلفا أو يجري توقعها في طرق عامة. وبناءً على ذلك، فإن هكذا اسلوب لتحويل النزاع يكون استنباطيا على جميع المسارات بما فيها الاول.

لذا فإن أي تدريب معرفي للديبلوماسية متعددة المسارات يكون بالضرورة محدودا، وأن لا يكون ضروريا سوى بطريقة محدودة. ان المتطلب الضروري للعاملين في الديبلوماسية متعددة المسارات عبر العقلانية هو ان يكونوا واعين ذاتيا لقدراتهم الشخصية ومحدداتهم فضلا عن قدرتهم على التواصل والتعاطف والعمل ضمن فريق. وفي الوقت الذي تُعرف شخصية الفرد عندما يبدأ التدريب، يجب أولا استكشاف امكاناته الانسانية الاعمق. ان القاعدة الاساسية في هذا المنحى هو استكشاف وتوسيع حدود امكانية الشخص قبل ان يبدأ اي تحضير تقني أو قانوني أو توجه بروتوكولي أو منهجي أو للبنى التحتية للعمل في مجال النزاعات في سياق معينة.

وعند هذه النقطة تحديدا تلتقي فلسفة السلام ما وراء المنطقي مع الاطار الاخلاقي والرسمي للديبلوماسية متعددة المسارات وأسلوب تحويل النزاع الاستنباطي. ان مواضيع النقاشات عبر مختلف التخصصات والاساليب التي تبدو للوهلة الاولى غير ذات صلة ببعضها البعض، هي، عمليا، مظاهر تنمية التي سببت في العقدين الماضيين تحولا عاما في فهم النزاعات والعمل في مجال النزاعات ـ وهو فهم قد انقاد بعيدا عن مبدأ السببية باتجاه الفكر المنظم. والامر صحيح ايضا بشأن الديبلوماسية عبر العقلانية التي تغطي طيفا واسعا من النشاطات متعددة المسارات التي جرى تبنيها منذ مدة طويلة عمليا.

6 ـ 2 التحول عبر العقلاني في العمليات العسكرية للسلام

حتى وإن كانت الصورة النمطية المشوهة للجندي على انه ماكنة قتال عديمة الرحمة لا يمكن ازاحتها بسهولة عن مخيلات الاولاد اليافعين الذين يمارسون الالعاب الالكترونية ومن وجهات نظر وتواصل الكثير من ناشطي السلام البنيوي وحتى من تأثير خوف واختيارات صناع القرار السياسي، فان هذه الصورة النمطية لم يعد يوجد مكافئ لها على ارض الواقع. لقد عززت تقارير الاخبار السطحية والمنح الدراسية للمرفهين هذه الصورة النمطية وغذوا الوعي الجماعي بها.

ومن دون ان ارغب في الدفاع عن اخلاقيات المحارب القديم الذي تحدثت عنه في الجزء الاول من هذه الثلاثية عندما كنت اناقش *ايرين* ومفاهيم السلام الاخلاقي [1]، اود ان اتبع كارل ياسبرس [2] في اقرار الانجاز الثقافي للأخلاقيات التي قد واجهت الابعاد النفسية والعقلية والروحانية للعنف الجسدي. وحتى اكثر عنف رهيب في العالم لا يمكن وصفه بشكل حصري من حيث الكفاءة. واينما توجهنا فإننا سنجد محاولات تمثل العنف بغض النظر عن سخافتها.

ان التطبيق المقصود والمنظم للعنف ضد اناس غير معروفين، دون اي حافز شخصي أو عاطفي، هو تجربة صادمة لكل انسان. اظهرت دراسة اجراها جيش

(1) (2012)Dietrech.

(2) (1953)Jaspers.

الولايات المتحدة انه لم يطلق النار اثناء القتال في الحرب العالمية الثانية سوى ربع العدد الكلي للجنود. معظم الجنود اليافعين الذين جرت تهيئتهم بوقت قصير وسوء تحضير كانوا غير قادرين على التغلب على كبحهم المتأصل للقتل حتى عندما تكون حياتهم في خطر. ونتيجة لذلك فقد جرى تكثيف التدريب العسكري من اجل الحربين في كوريا وفيتنام. وكانت النتائج معروفة. [1] بالنسبة للجنود المحترفين، ولمعالجة حالات اكتئاب القتل، يتطلب التغلب المنظم على الرغبة في القتل أو الاذى ومعالجة حالات الخوف ذات الصلة وأخيرا حيازة الاستعداد البدني والتقني اللازم تحضيرا مطولا، مع ان وصف عملهم ليس محددا بمثل هذا الاعمال فقط. يتطلب الامر بالقتل أو التعرض إلى خطر القتل اساسا منطقيا سليما ما لم يكن الامر يعطى تحت الضغط الشديد.

وفي الطريق من فرايد الصغير إلى باكس الكبير[2] صار عدد كبير من الاشكال التي كانت سابقا شرعية للاستخدام الفردي للعنف محظورا حيث فرضت الدولة الحديثة سيطرتها على العنف. ومن الان فصاعدا فإن الجندي المثالي الذي نتحدث عنه في هذا الفصل هو ممثل للسلطة الحكومية، في افضل الحالات، موظف مدني مسيطر عليه بشكل ديمقراطي. يخضع الجنود، شأنهم شأن الديبلوماسيين، للتعليمات ولمدونة قواعد السلوك الصارمة، على الرغم من أن مهاراتهم المحددة وميدان عملهم الحساس يسمحان لهم بقدر عال من المسؤولية والفسحة الفرديتين. في الدولة القومية الحديثة فان المهمة الدستورية للجنود هي الدفاع عن الدولة. وبالتالي فان الحالة المثلى هي ان يعمل الجنود ضمن حدود دولتهم. ومع ذلك تكشف التجربة التاريخية ان ما تسمى «الحروب الدفاعية» احيانا ما تنفذ خارج حدود الدولة. فإن اخذنا بنظر الاعتبار ان الحروب بين الدول التي تنتظم تحت القانون الدولي لم تعد تحصل، فان معظم الجنود في القرن الحادي والعشرين يقاتلون المتمردين على الاراضي الوطنية أو ينخرطون في المهمات الدولية. وفيما يلي أود ان اناقش الحالات العملياتية التي تطبق في الحالة الاخيرة، التي هي دور الجيش في حفظ السلام الدولي وإدارة النزاعات

(1) (2009، ص 114)Barash and Webel.

(2) (2012، ص 96 - 108)Dietrech.

وتسوية النزاعات وإنفاذ السلام وبناء السلام الذي يتبع النزاعات العنيفة، والذي هو الموضوع المفضل لدى الكثير من الكتاب. (1) وجدت هذه المصطلحات التقنية اثناء ازمة السويس في عام 1956، بعد تعريف حفظ السلام الذي قدمه الامين العام للأمم المتحدة داغ همرشولد ورئيس الجمعية العامة للأمم المتحدة ليستر بيرسون. وفيما بعد تضمنت مبادئ حفظ السلام وجوب تطابق الآراء بين اطراف النزاع للبدء بإحدى مهام الامم المتحدة وتحديد الاستخدام الصحيح للقوة دفاعا عن النفس واختيار دول صغيرة محايدة لتوفير القوات وممارسة الحياد والاشراف على المهمات تحت اشراف الامين العام للأمم المتحدة. وفي هذا المعنى التقني، جرى تضمين العمليات العسكرية للأمم المتحدة في القانون الدولي، علما ان الوقائع السياسية للحرب الباردة كانت هي الاستثناء وليس القاعدة. (2) غير انه وبنهاية الحرب الباردة فقد تغير هذا الامر بشكل جذري. تعد خطة الامين العام للأمم المتحدة للسلام في عام 1992 (3) الوثيقة الاساسية لعمل السلام التابع للأمم المتحدة في العهد الجديد للعلاقات الدولية.

في مطلع تسعينات القرن العشرين وفي ضوء عدم وجود عدو في حينها جدد حلف شمال الاطلسي (الناتو) هدفه وجغرافيته. تأسس مفهومة الجديد على الصيغ الاربع الرئيسة:

* توسعة العضوية إلى اوروبا الوسطى والشرقية؛
* «اوربا» الحلفاء؛
* الاستعداد للاضطلاع بالتفويض الصادر عن الامم المتحدة ومنظمة الامن والتعاون الاوروبي؛
* الاستعداد للتدخل في الحالات الطارئة دون تفويض من الامم المتحدة.

في عام 1992 اعلن مجلس الناتو عن استعداده لمساندة عمليات السلام خارج

(1) من المثير للعجب انه ليس هناك سوى القليل من النقد لتعريف هذا المصطلح. يوفر كلا من (2005) Ramsbotham et al. و (2004، ص 2 ـ 20)Miall مقدمة وافية بهذا الشأن.

(2) (2004، ص 298)Hansen et al..

(3) بطرس غالي (1992، أ/ 47/ 277 ـ س/ 24111) (17 حزيران 1992).

اراضي اعضاء الحلف. وبهذا اجاز حلف الناتو ترخيص شن ما يسمى «ضربات خارج المنطقة». تحول هذا الفعل إلى دور جديد تماما للناتو، وهو دور كان مثيرا للجدل سياسيا وكانت له عواقب كبيرة. يمكن رؤية هذه العواقب بطرق مختلفة. احدى وجهات النظر هي ان الناتو قد اتاح للأمم المتحدة امكانية القيام بدور منفذ للمهام ذي قوة كبيرة، على الرغم من أن التاريخ، للأسف، قد بيّن ان حلف الناتو لم يكن بحاجة إلى الامم المتحدة لاستخدام قوته. والامر نفسه ينطبق على الاتحاد الاوروبي. نتيجة لتأثير هجمات الحادي عشر من ايلول، صادق المجلس الاوربي على وثيقة استراتيجية الامن الاوربي التي عنوانها «اوروبا آمنة في عالم افضل»، التي كتبها خافيير سولانا، الممثل الاعلى للشؤون الخارجية وسياسة الامن في الاتحاد الاوربي. [1] تدرج الوثيقة التهديدات الرئيسية الاتية:

* الارهاب؛
* انتشار اسلحة الدمار الشامل؛
* النزاعات الاقليمية؛
* الدول المفككة؛
* الجريمة المنظمة.

ومع ذلك، في نص الوثيقة ترجع النقاط جميعها إلى الارهاب، ولذا لا تمثل حالات منفردة. ووفقا للوثيقة، امن اوروبا مهدد من قبل الارهاب، والارهاب تعززه المشكلات المدرجة في الوثيقة. تضمنت الخطوات التي اتخذتها أو التي يجب ان تتخذها اوروبا لدرء مخاطر تلك التهديدات، اصدار مذكرات قبض اوروبية واجراءات ضد تمويل المجاميع الارهابية واتفاقية التعاون المشترك مع الولايات المتحدة في شؤون الجرائم وسياسة عدم الانتشار فضلا عن تقديم الدعم للدول الضعيفة والمعونة الانمائية من اجل تجنب النزاعات. في البند الثاني من الوثيقة الذي يغطي الاهداف الاستراتيجية تنص الوثيقة على: «بوجود التهديدات الجديدة يكون خط الدفاع الاول غالبا خارج

(1) (الاتحاد الاوربي (2003) (31 اذار 2010).

الحدود.»[(1)] وبعد تأخير وجيز تبنى الاتحاد الاوروبي قرار حلف الناتو بشكل كامل، ومنذ اوائل تسعينات القرن العشرين بشأن الضربات «خارج اراضي الاتحاد».

من منظور عسكري، ان اعطاء تفسير جديد لمعنى صناعة السلام، الموصوف في الفصل السابع من ميثاق الامم المتحدة، قد ولّد التغيير الاكثر جذرية للأولوية القصوى لحقبة ما بعد الاتحاد السوفيتي. في حين كانت المفاهيم السابقة لحفظ السلام وبناء سلام ما بعد النزاع تعززها العناصر المدنية بشكل مكثف وخفض الدور العسكري في الرقابة والامن والمهام اللوجستية، صار مجلس الامن الدولي مخولا للمباشرة في مهام حفظ السلام دون موافقة اطراف النزاع. لذا تحول حفظ السلام إلى انفاذ السلام من بواسطة قوات دولية، ولم يعد تكوينها مقتصرا على دول صغيرة ومحايدة. ومن الناحية العملية، يضع هذا التغيير الجنود في موقف مختلف جدا عن المهام التي جرى الاتفاق بشأنها مع اطراف النزاع.

وبعد ان توقفت الدول صاحبة حق النقض عن الوقوف بوجه بعضها البعض في مجلس الامن لأسباب أيديولوجية وتكتيكية، ارتفع عدد العمليات التي تنفذها الامم المتحدة من 5 في عام 1988 إلى 11 في عام 1992. وبين عام 1988 وعام 2013 صار المجموع الكلي للمهمات الفاعلة 48 مهمة. في عام 1988 كان عدد الجنود المتوفر لدى الامم المتحدة اقل من 10000 جندي، انخرط 120000 من قوات حفظ السلام في عام 2011 في ما مجموعه 16 من مهمات الامم المتحدة، ومع ان انتشار قوات الشرطة الدولية في مرحلة التجربة في ثمانينات القرن العشرين[(2)]، الا انها صارت ممارسة مقبولة على نطاق واسع. ارتفعت الميزانية الرسمية لمهام الامم المتحدة لحفظ السلام من 230 مليون دولار في عام 1988 إلى 7, 2 مليار دولار في السنة المالية 2010/ 2011.[(3)]

ربما يجادل البعض ان هذه الموارد غير كافية في وجه التحديات الدولية، ولذا اسهم

(1) الاتحاد الاوربي (، ص 112003) (31 اذار 2010).

(2) شارك فقط 35 عنصر شرطة في عام 1988 في مهام رسمية لصالح الامم المتحدة.

(3) (2010)Gowan.

ذلك في معدلات النجاح المتدنية نسبيا لعمليات الامم المتحدة. واحدى الاستجابات الاصلية لذلك هي في فرض ضريبة سلام، التي طالما طالبت بها حركات السلام والتي قد تبدو اليوم اكثر واقعية مما كان الامر عليه ايام الحرب الباردة. وبمجرد فرض ضريبة تعادل 1 في المئة من مبيعات السلام الموثقة رسميا للدول المصدرة الرئيسة ستكون كافية حقا للتمويل الكامل للتوسع الكبير في عمليات الامم المتحدة. [1] في الاوقات التي كانت تبدو فيها الضرائب المفروضة على التبغ والمشروبات الكحولية امرا طبيعيا، وعندما كانت الضرائب على المعاملات المالية محظورة، من الممكن ان تجري مناقشة مثل هذا المقترح بجدية.

بغض النظر عن هذه الاعتبارات، فان الارقام المشار اليها تشير إلى تحول جوهري في البيئة السياسية الدولية الذي له تداعيات على الفهم الذاتي للجنود في جميع البلدان. ومنذ عام 1988، اصبحت المهمات التي تتخذ تحت يافطة الامم المتحدة محلية بشكل عام، وفي بعض الحالات تشمل النزاعات عبر الحدود، الا انها ليست دولية، مثلما هو الحال بين دولتين. عندما تنفذ هذه المهمات ضد رغبة الاطراف المسلحة، تواجه قوات الامم المتحدة عداء المجموعات المتطرفة؛ والحكومات الفاسدة أو المنهارة؛ والميليشيات، الجماعات شبه العسكرية، وأمراء الحروب المحليون، وأولئك الذين ينصبون انفسهم ذاتيا من اصحاب القوة، وكذلك يواجه اولئك الجنود حالات قتال حقيقي والاخطار الناجمة على حياة كل جندي. وما يجعل الامر اسوأ هو ان هذه المهمة تحصل ازاء خلفية القانون الدولي ومدونات قواعد السلوك التي تشكل على السلوك القتالي للجنود. كانت النتائج العسكرية للمهمات الحالية للأمم المتحدة دليلا بالغ الخطورة على الفشل: فقد قتل اكثر من مئة من ذوي القبعات الزرق في الصومال في عام 1993، في حين ان انسحاب قوات الامم المتحدة من رواندا نتج عنه في عام 1994 ابادة جماعية، كما فشلت قوات الامم المتحدة في عام 1995 في وقف المجازر في سريبرينيتشا وغورادزة في البوسنة. وفي سيراليون وتيمور الشرقية فشلت آلية الدفاع الذاتي لمهمات الامم المتحدة إلى درجة ان عناصر من الامم قد خطفوا

(1) (Lederach. (ص 90، 1997) (1)

وقتلوا. [1] تبين كل من هذه الحالات للأسف كيف ان توفير «جميع الوسائل اللازمة» للعمليات، كما تنص اللغة الديبلوماسية في الفصل السابع، عمليات انفاذ السلام، لم يكن شيئا حقيقيا. في الحالات التي يقترف فيها السياسيون والديبلوماسيون أخطاءً فادحة تفشل مهمة عناصر الامم المتحدة حتى قبل ان يبدأوا مهامهم، الامر الذي يمكن ان يؤدي إلى اقسى العواقب، من بينها فقدان الحياة. [2]

وبعد إدراك متأخر، فإن حقيقة كون الامم المتحدة وموظفي بعثتها اثناء تسعينات القرن العشرين غارقين في التحديات الجديدة لم تكن بالشيء المستغرب. اخذت الامم المتحدة مسؤولية نوع من النزاعات ينتشر في مختلف ارجاء العالم كان يسمى «الحرب الجديدة»؛ وقامت بذلك على اساس وضعها التنظيمي اليائس الذي عفا عليه الزمن، مع وصف وظيفي مصمم لمجابهة انواع بالية من النزاعات. لذا لم تكن لدى موظفي بعثاتها الذي ارسلوا إلى الجبهات خبرة في هذا النوع الجديد من النزاعات ودون تدريب دقيق.

لقد جرى تدريب الجنود تقليديا لربح قتال ضد خصم معروف بوضوح ويتفقون على تسميتهم عدو الخصم. وإن اخذنا بنظر الاعتبار الصلة الوثيقة بين قوات الجيوش الحديثة ومفهوم الدولة القومية، يجد الجنود انفسهم بشكل عام مدافعين عن امتهم. وان تقوض هذا المفهوم الذاتي، مثلما هو الحال عندما احتل الاتحاد السوفيتي افغانستان أو عند حرب الولايات المتحدة في فيتنام، تلي ذلك تداعيات خطيرة فيما يتعلق بمعنويات القوات وقدراتها في المواجهة. وفي العصر الحديث، فان استخدام العنف الذي يحظى بشرعية اجتماعية وسيادة يتطلب هدفا مشتركا يمكن للجنود ان يؤمنوا به ويتشاركوا به مع رفاقهم. [3] غاية النصر هي في تدمير الاعداء، أو على الاقل شل قدراتهم إلى درجة تجعلهم فيها مجبرين على الاستسلام. ان الوسيلة المستخدمة لتحقيق هذه الغاية هي «مهارات عدم الاتصال» التي تتجنب بشكل مثالي السكان المدنيين، أو على الاقل تجنب الاتصال المباشر وباستمرار مع المدنيين.

(1) (Hansen et al.، ص 310، 2004) (1)

(2) (Wallensteen، ص 240 - 247، 2007)

(3) (Kaldor، ص 25 - 26، 1999) (3)

بدأ هذا المثل الاعلى يتحلل اثناء حروب العصابات في القرن العشرين، غير انه وفيما يتعلق بالعقيدة العسكرية للدول المتحالفة في نصف الكرة الارضية الشمالي اصبح الامر باليا بعد انهيار الاتحاد السوفيتي. وتحت تلك الظروف لم تؤد العمليات العسكرية إلى النصر ابدا لان النصر لم يكن الهدف. وبدلا عن ذلك، كان الهدف هو محاربة اسباب النزاع ـ وهو النزاع الذي من وجهة نظر الجنود والاخذ بالاعتبار طبيعة عمليات السلام ـ يجب ان لا يكون نزاعهم أو لبلدهم أو شعبهم. ان الغرض من هذه المهمات العسكرية هو وضع حد للعنف بين اطراف اضافية وهو الهدف الذي لا يمكن تحقيقه في النهاية الا عن طريق توافق سياسي. ولا حتى في انفاذ السلام، بالنقيض مما يفترض المصطلح، يكون هناك انفاذا للنصر، وهو الهدف التقليدي للعمليات العسكرية. يمثل فشل الولايات المتحدة و«حلفائها الراغبين» في العراق هذا الامر تماما، مع ان المهمة نفّذت خارج اطار الامم المتحدة وكانت مشبوهة باعتبارات كثيرة اخرى. وحيث انها عدّت حملة عسكرية غايتها النصر، ادى هذا المشروع إلى نجاح اولي سريع. الا ان القوات العسكرية قد فشلت بشكل مثير للشفقة في التأسيس لسلام كان يفترض ان يلي ادعاء جورج بوش الابن بانتهاء الحرب. لقد فشلت لانه لم يكن هناك سوى هدف للحرب اتخذ سياسيا لكن دون هدف لتحقيق السلام يثق به الجنود، وبالنتيجة لم تكن هناك فلسفة مهمة مماثلة أو منطق. ان انتهاكات خطيرة وذات قيم رمزية كبيرة مثل فظائع سجن ابو غريب يجب ان لا تحدث ـ ولا يمكن حصولها ـ عند قوات سلام تؤمن بنفسها انها قوات سلام.

تشترك قوات السلام في قتال عند الحالات الطارئة، الا انها لا تنتصر. تشابه مهمة سلام عسكرية ايكيدو العلاقات الدولية وليس بوجوستو، ولتكون المهمة ناجحة فانه يجب ان يكون هذا الفارق الجوهري في فلسفة المهمة مفهوما بوضوح من كل شخص مشارك فيها، من الاركان إلى اصغر جندي. الهدف هو تحويل الطاقة العدوانية في المنظومة العالمية وليس التدمير في ارض المعركة ولا النصر المظفر. في سياق حفظ السلام، يمكن لقوات السلام المساهمة في منع التصاعد الكبير للعنف، وفي بناء السلام يمكنها تحمل مسؤولية الامن والمتطلبات اللوجستية لإعادة البناء المدني لما بعد النزاع. ان قوات السلام لا تنقاد ابدا لمصالحها الخاصة؛ فهي دائما غير متحزبة.

لا يرى جنود الامم المتحدة ابدا انفسهم أعداءً، بل قوات سلام غير متحزبة ما يعني ان امضى اسلحتها هي ليست البندقية بل مهاراتهم في المفاوضات التي تطبق عند الحديث مع خصوم مسلحين عادة لا يشعرون انهم مقيدون بمبادئ اخلاقية ولا قانون وطني أو دولي. ومثلما هو الحال في العمل مع اطراف نزاع لا يمكن التنبؤ بهم، فإن مهارات التواصل هي ايضا ضرورية عند التحدث مع السكان المدنيين التي هي صعبة مع تفويض غير متحزب. بيد انه وعلى هذا الاساس فقط قد تُنظّم قوات السلام وتبرر وجودها لان مصلحة السكان المدنيين هي الهدف النهائي للعملية. يجب تجنب ما يسمى الاضرار الجانبية فحسب، لأنها لا تغتفر. يجب تنفيذ مثل هذا العمل تحت ظروف عملياتية غير معروفة إلى حد بعيد. وبذا فان القوات غالبا لا تتحدث اللغة المحلية؛ وان الحرمات الدينية والتفاصيل الثقافية والعادات المحلية تمثل تحديات اكبر، لان التعامل مع الاولويات الامنية والظروف المناخية والطوبوغرافية والامور اللوجستية قد تتطلب كامل الانتباه.

كانت مثل هذه القضايا موضع نقاش حاد عند نهاية الالفية، من قبل كل من القوات العسكرية والامم المتحدة، عندما جرى تقديم نتائج المهمات الرئيسة الاولى في تسعينات القرن العشرين. [1] ان التضمين البسيط نوعا ما للدروس التي استنبطت في حينها هو انه وفي ضوء التحديات الجديدة فان نبذة جديدة من متطلبات الجنود المحترفين والقوات العسكرية كان يجب ان تعرّف. وفي الوقت الذي لم تصبح فيه المهارات القتالية والتجهيزات العسكرية التقليدية قديمة، فان استخدامها في اطار المهمات العسكرية للأمم المتحدة يبنى على الاخلاقيات الدولية للسلام، وليس على احساس المهمة الوطنية مثلما كان سائدا اثناء القرن العشرين.

لذا فان متطلبات التدريب الاساس للقوات العاملة في عمليات السلام في القرن الحادي والعشرين تتجاوز مناقب البسالة والمهارات والقدرات. فهي تتضمن تدريب اللغات الاجنبية والفهم الاساسي للعمليات الاجتماعية النفسية لحالة العمليات و، قبل

(1) على سبيل المثال ما يسمى التقرير البراهميني: حفظ السلام للأمم المتحدة2000 29)| اذار 2010). نوقش من وجهة نظر اكاديمية في الطبعة الاولى عام 2002 (2007) Wallensteen.

هذا وذاك، وعيا لكيفية تأثير تصرف الفرد على السكان المحليين، الذين باسمهم في نهاية المطاف نفذت المهمة. في «الحروب الجديدة» يقتل تسع مدنيين في كل واجب قتالي، في حين كان المعدل نقيضا لذلك في الحروب التقليدية، لذا تأتي الاهمية البالغة في تطبيق مهارات القتال في عمليات السلام التي تنخرط في سياقات خارجية. ان الحساسية لتعدد الثقافات ومهارات التواصل ضرورية، خاصة في التواصل مع النساء: لذا فان التوازن الجنسي لعمليات السلام قد تغير ويجب ان يستمر في التغيير. ان مهارات القيادة، وهي ليست حصرا على فئة الضباط، هي ضرورية في حفظ السلام المؤسس ومهام بناء سلام ما بعد النزاع، مع الاخذ بالاعتبار ان وحدات صغيرة نوعا ما تحت قيادة جنود ذوي رتب متدنية ستكون في تماس مباشر مع السكان، لذا فإن أساليب تواصلهم سيكون لها تأثير هام جدا على تقدم واستمرار العملية. وبأسلوب طاوي في التحدث فان افضل العاملين العسكريين في مجال السلام هم اولئك الذين لا يقاتلون ابدا لان لديهم كل مهارات المواجهة المطلوبة. لا يعني هذا ان العمليات العسكرية للسلام قد اصبحت رحلات ميدانية اثنية، بل انها ايضا عمليات قتالية في اراضي عدو مزعوم. في حين كانت قوات الدفاع الوطني التقليدية سابقا موضوع قلق حركات السلام الحديثة، فان جنود عبر المنطقية اليوم يؤدون دورا رئيسا في العمل في ميدان النزاع تحت ظروف صعبة وعنف عمليا. [1] لا يمكن المبالغة في توكيد اهمية هذا التحول في المنطق التشغيلي للجنود ووصف عملهم.

فضلا عن ذلك، فقد اظهرت العمليات الحديثة ان المتطلبات الجديدة للقوات متعددة الاطراف ومتعددة الابعاد ومتعددة الجنسيات ومتعددة الثقافات تحمل امكانات هامة. فاللغات والاسلحة والرطانة واخلاقيات المهنة قد تختلف بشكل كبير بين القوات المختلفة وقد تشكل تحديا هائلا في ما يتعلق بالتنسيق. ان الانتكاسات الكبرى التي تحدث للمهمات ربما يكون مصدرها هذه المشكلة اكثر مما هو في الظرف المحلي الحقيقي. تتطلب العمليات الدولية عمل الفريق في حين ان الطاعة العمياء ربما كانت في غاية الاهمية في ازمنة سابقة. وهي ايضا تتطلب فهما اساسيا

(1) في التوافق، (200، ص 188)Ury.

لعمليات المجموعة للعمليات طويلة الامد التي تتطلب الارتباط مع الاخرين ومع غير المعروفين بين اقرانهم في الرتب.

التحدي الرئيس الثالث الذي يواجه الجنود المنخرطين في مهمات السلام هو الازدياد الهائل في وجود الموظفين المدنيين العاملين في مهام الامم المتحدة لبناء السلام منذ تسعينات القرن العشرين والتقليص الناجم عن ذلك في الجهود العسكرية للمهام المحددة بشكل واضح. [1] ان قادة الشرطة المدنيين وبناة المؤسسات الحكومية والعاملين في المنظمات الانسانية غير الحكومية يتشاركون جميعا مكانا في مهمة سلام مع القوات المسلحة. يتعامل ضباط الاتصال المدربون جيدا بالتواصل مع الموظفين المدنيين. لقد اصبح التعاون بين العسكريين والمدنيين المسمى (CIMIC) نقطة مرجعية مهمة في اللغة التقنية للمهام الدولية وهناك عدة تأويلات للمصطلح. يشير مصطلح ((CIMIC في متغيره الاوروبي إلى التعاون في عمليات السلام بين الجيش والمؤسسات المدنية المعرّفة في بنى المهمات لغرض تحقيق نتائج افضل واقوى مستوى ممكن من الامن. وفي اساس التأويل الامريكي، الذي هو ايضا الان سائد في كل مكان، يشير إلى استغلال المؤسسات المدنية من اجل اهداف عسكرية. وهذا المتغير الثاني غالبا ما قوبل بتحفظات مشروعة من العاملين المدنيين. وان اخذنا بنظر الاعتبار الفرق بين هذين التأويلين فان اهمية مصطلح ((CIMIC يجب ان يجري ايضاحها بمصطلحات قاطعة عند التخطيط لأية عملية. [2]

في كل حالة ميدانية، يوفر التعاون المدني ـ العسكري الفرصة لتحقيق نتائج افضل وهو ايضا يتضمن مخاطرات جديرة بالاعتبار. يتضمن الميدان الواسع والمتنوع لمفهوم ((CIMIC مجالات متنوعة يجب من خلالها ان يتفاعل الناس والمنظمات بلغات وثقافات واساليب عمل مختلفة. البعض من بين هؤلاء ـ مثل منظمة الصليب الاحمر ومنظمة الهلال الاحمر واطباء بلا حدود ومؤسسة كاريتاس ومؤسسة اوكسفام ومؤسسة انقذوا الطفولة وغيرها ـ قد طوروا روتينا فاعلا يعتمد على التواصل الفعال

(1) (2004، 299 ص)Hansen et al.. (1)

(2) في عام 2009 اطلق الاتحاد السويسري ما يسمي منهج (التاءات الثلاثة ـ المترجم بتصرف) 3c)) (تماسك، تعاون، تكامل).

وبنى المنظمات غير العسكرية، فيما ليس لمجموعات اخرى اي بنى هرمية اطلاقا. وكلاهما لا يتقيد بالنظم الدولية، بعضها بسبب انهم منقادون لمثالية عمياء ويفشلون في رؤية الحاجة إلى هكذا بنية، فيما البعض الاخر يرفض القوانين لأسباب فكرية.[1] وفي الحالة الثانية تكون مثل هذه المجموعات مناوئة صريحة للجيش. وفي كلتا الحالتين، تنحو مجموعات من هذا النوع إلى الاعتماد على التخويل الذاتي: يأتون دون ان يخبروا أيا كان. وبالنتيجة يصبحون واقعا قانونيا وديبلوماسيا واجتماعيا وماليا في البعثة وربما يصبحون من مسؤولية الامن العسكري عندما يجدون انفسهم غارقين في المشكلات البسيطة أو الميدانية. ثم ان هذا ايضا يقع على عاتق ضباط الاتصال، من بين اخرين، من اجل جعل اجراء الاتصال مع السكان المدنيين ممكنا.

هذه القائمة الموجزة للتحديات الجديدة تماما والتأويلات الجديدة لفضائل البسالة التقليدية، باختصار، توضح بجلاء ان الشخصية الان المناسبة لعمليات السلام هي مختلفة بشكل كبير عن المدافعين عن الامة سابقا. ومنذ انتهاء الالفية، ظهرت الكثير من المقالات تطالب بتحضير افضل قبل التوظيف للجنود المنخرطين في عمليات سلام معقدة، وهذا الامر يحتم البحث عن مثل جديد للجندي.[2]

اسمي المثل الجديد للجندي «عبر العقلاني»، اولا لانهم يتعرضون إلى وضع متناقض في المواجهة العسكرية حيث يخاطرون بأرواحهم دون تفويض بالنصر. وثانيا لان عليهم باستمرار ان يكونوا مدركين لحريتهم ومسؤوليتهم عن تنفيذ الاوامر، كما هو في صميم فكر مارتن بوبر.[3] كان هذا العامل غير معروف عند المدافعين عن الامة في العصر الحديث، الذين تصرفوا على انهم سلطة عليا أو سببا أو حقيقة بأسلوب سببي. ثالثا هذا النوع الجديد من الجنود سيعمل وفقا لفكرة عائلة من الامم مثلما صاغتها الامم المتحدة، التي فيها كل البشرية مترابطة بأسلوب منهجي، وانهم يخدمون، بدقة، اقرانهم البشر الذين يعيشون في بلدانهم تحت وطأة السلاح. لذا يجب ان يكونوا متعاطفين وقادرين على التواصل مع اولئك الذين هم لا يعرفون عنهم الا

(1) (1) Ramsbotham et al..(ص 224 ،2005)

(2) احد الامثلة هي المساهمة الممتازة (2004، ص 315)Hansen et al..

(3) شرح باسهاب موجود في مقدمة هذا الجزء.

القليل. عليهم ان يكونوا مدركين لحلقات التغذية المرتدة التي خلقها وجودهم، ولذا عليهم ان يتبنوا اسلوبا انتقائيا للتواصل حقيقيا ومتطابقا باستمرار. فضلا عن ذلك، ان كان هذا الخط من الفكر ان افضى الامر به إلى خلاصة متطرفة، فبإمكان المرء القول ان الجيش عبر العقلاني يخدم اولئك الذين يقاتلون ضدهم بالسلاح. ربما يكون مثالا متطرفا لذلك مرة اخرى هو حالة الاطفال الجنود. وهم يمثلون احد اكثر التهديدات صعوبة وخطورة على اي عملية دولية عندما تكون بين اولئك الذين هم بأمسّ الحاجة المساعدة وهم بحاجة طارئة إلى المعونة الانسانية والنفسية. بالمحصلة على المهمات ان تجلب السلام لأولئك الناس فحسب.

وبالنظر إلى هذا الرأي، تكتسب عمليات السلام صفة اخلاقية عليا وتبدأ بالظهور مثل اجراء روحي، بل ربما حتى، ديني. ومهما تكن الحالة فإنها تتخطى العقلانيتين الحديثة وما بعد الحديثة. يمكن ان يقال ان الناس الذين ينضمون إلى تلك المهمات عن قناعة لهم وجهة نظر عبر عقلانية لانهم يخاطرون بحياتهم من اجل شيء يعتبرونه ذا معنى. ان انخرطت الامم في عمليات حفظ السلام وانفاذ السلام وبناء السلام وفقا للوائحها بدلا عن تعزيز تأجير المبشرين والمرتزقة وغير الاسوياء، عندها سيكون العاملون في البعثات عبر العقلانية هم عناصر القوات المرتدية زي الامم المتحدة في القرن الحادي والعشرين. وبسبب نقص استراتيجيات التوظيف والتدريب فان هناك نقصا كبيرا في مثل اولئك العاملون.

تنحو المؤسسات العسكرية إلى التحرك ببطء. ان عملية الوصول إلى خلاصة استراتيجية ان مثل اولئك العاملين بحاجة إلى تدريب قد تستغرق العديد من السنين. احيانا ان تقاعد الضباط ذوي الخدمة الطويلة الذين يترددون في ترك المفاهيم والمواقف المكتسبة يجب ان يحصل قبل ان يحل محلهم عناصر اكثر انفتاحا للإصلاحات. ومالم تجرِ مهمة ما بالقرب منهم، كما حصل في اوروبا اثناء حروب البلقان، فليس هناك من ارادة الا القليل للاستثمار في هكذا اعادة توجيه ان اخذ نقص الضغط الشعبي بنظر الاعتبار. وايضا، في الدول الغنية لا يحصل الفوز في الانتخابات قبل نشر تحضيرات عمليات سلام معقدة. علاوة على ذلك، يبدو ان هناك فهما قليلا لفوائد هذا الحقل الناشئ للتوظيف ذي المعنى في بلدان اعتبرت سابقا صغيرة

ومحايدة. فعلى سبيل المثال، انه يخلق سمعة دولية طيبة للبلد المرسل، وبذا يحقق امنا اضافيا وبكلفة اقل نسبيا. ازاء خلفية النقاش المذعور إلى حد ما حول الامن، تفقد احيانا مثل تلك الفرص.

عند السؤال عن ماهية النبذة الشخصية المطلوبة لهذه القوات العسكرية الجديدة، تكون المعايير مشابهة إلى حد صارخ لأولئك الذين حددتهم كونهم العاملين المدنيين في مجال السلام في الجزء الاول من هذا الكتاب. يفترض هذا انه تقريبا اي من الطرائق التي قدمت هنا قد تكون ذات صلة بالتدريب المكثف لجنود عبر العقلانية في القرن الحادي والعشرين. تهتم الجيوش حول العالم بأحدث الاساليب والآراء السيكولوجية. النقطة المهمة هنا هي ليست كيف ان علم النفس يمكن ان يستخدم كسلاح في الحروب التي تهدف إلى النصر، بل انها وسيلة تعزيز وتوضيح الوعي الذاتي للأشخاص العاملين حول السلام. لم يعد هذا مكانا لتنفيذ الاوامر بطاعة عمياء. انه مكان لعناصر عبر عقلانية متمكنة راغبة في ان تجوب اراضي خطيرة في النزاعات المسلحة الدولية بطريقة تساهم بفاعلية في تحول النزاع الاستنباطي على كل المستويات. يتطلب مثل هذا الفعل تدريبا مدروسا وتحضيرا لكل مهمة معينة وعاملين مسؤولين متخصصين لديهم وعي واضح لأنفسهم.

لا يفترض هذا بأي حال ان البنى العسكرية الفعالة يجب ان تذوب لصالح حب الذات النرجسي. بل على النقيض من ذلك، فان أية عملية دولية هي ليست علاجا؛ انها تتطلب عناصر ذوي وعي ذات راسخ. تتطلب العمليات العسكرية من نوع عبر العقلاني ايضا بنى تنفيذية وموافقة اساسية من المراجع وأسلوب تواصل مدون. يعد التواصل اللا عنفي وسيلة قيمة في التواصل مع السكان المدنيين، لكن ليس من اجل تبادل المعلومات الداخلية أو تبادل الاوامر. ان اراد الجندي ان يخدم بطريقة مجدية في عملية عبر عقلانية لا يمكن ان يبنى اتصاله على قوة معيارية للسلطة، انما على اساس صنع قرار هادف بتوافق الآراء. كما قلت سابقا، يتطلب توافق الآراء هذا ان يكون لدى متلقي الاوامر، بشكل خاص، وعي ذاتي واستعداد لتحمل كامل المسؤولية لأفعالهم وبضمنها قرارهم المتكرر، ومع ذلك الحر، لاتباع الانظمة والتعليمات والاوامر. يمكّن مثل هذا الموقف عامل البعثة ان يمارس العمل بروح الفريق والتواصل بالمعنى عبر العقلاني ـ اولا ضمن

البنى العسكرية، ومن ثم ايضا مع عناصر البعثة المدنيين والسكان المحليين. نحن نسأل عن التحول المطلق عند تصور مثل هذا التغيير في بيئة اجتماعية لها تاريخ طويل في استلزام تكيّف شخصية فردية وكسر مقاومة التعديل وتطلب اطاعة غير مشروطة. قد يحتاج الامر إلى عدة اجيال قبل ان يصبح حقيقة لا جدال فيها.

6 ـ 3 التحوّل عبر العقلاني في سياسات التنمية

«التنمية» هي من بين اكثر المفردات الفضفاضة[1] التي افرزها الخطاب السياسي للحداثة. واذ انه متجذر في فكرة علمانية مسيحية للخلاص جنبا إلى جنب مع التجربة التاريخية للإمبريالية، فان الفكر التنموي قد توسع في اواسط القرن العشرين من خلال نموذج شبه علمي ذي مراحل في النظرية الاجتماعية. [2] وبعد ذلك جرى تبني المصطلح في اللغة السياسية. ظهر معنى المصطلح في اللغة الحالية بعد الحرب العالمية الثانية. كانت الرغبة في «تعزيز التقدم الاجتماعي والوصول إلى معايير افضل للحياة ضمن حرية اكبر» اول ما جرى تعزيزه في ديباجة ميثاق الامم المتحدة في عام 1945. [3]

بدأ التنفيذ السياسي للفكر التنموي مع «برنامج النقطة الرابعة» لرئيس الولايات المتحدة ترومان في خطابه الافتتاحي لفترته الثانية في المنصب في كانون الثاني من عام 1949. تلا هذا اعلان الامم المتحدة «عقود من التنمية» التي بدأت في عام 1960. ومنذ ذلك الحين هيمنت على النقاشات النظريات المثالية للحداثة ونظريات الاستقلالية البنيوية الاساسية، وكلا النوعين من النظريات كانتا تهدفان إلى حداثة سريعة وفاعلة لتلك الدول التي جرى تعريفها على انها متخلفة. حلل المدافعون عن كلا النوعين من النظريات، وهم في خضم منافسة شرسة، اسباب التخلف ووضعوا توصيات وسياسات هدفت إلى التغلب على هذه الحالة غير المرغوب فيها. [4] اذا،

(1) استخدم Pörksen(1992) هذا المصطلح الذي يشير إلى «المفردات الشكلية» التي يدعي الكثيرون فهمها لذا يتبناها المجتمع بأكمله دون ان يكون لها معنى حقيقي. يسمح غموضها بالاستخدام الشامل والمتلاعب به. وبنفس المعنى يستخدم Esteva(1995) (المفردة الاميبية».

(2) وضح ذلك Rostow(1960).

(3) الامم المتحدة (10 ايار 2010).

(4) ناقشت هذه النقطة باسهاب في الجزء الاول من هذه الثلاثية ولذا لن اناقشها هنا اكثر. (2012، ص 185 ـ 197)Dietrech.

لم يختلف كلا الفكرين فيما خص اهدافهما، انما في تحليلهما وفي تقييمهما للوضع الراهن. آمن المدافعون عن الحداثة ان «المراكز الخيرة» الناجحة اقتصاديا يجب ان توسع مساعدتها للدول المتخلفة، التي هي «اطراف سيئة»، في حين ظن ابطال النظرية الاستقلالية ان الاطراف «الخيرة»، التي بالتالي هي فقيرة، قد استغلتها «مراكز الشر» وإن الحل كان ان يحرروا انفسهم من هذه العلاقة. [1]

كانت كلتا المدرستين للفكر تهدفان إلى خلق جنة مادية عالمية على الارض. وهما اذ تفترضان مسارا خطيا للزمن الاجتماعي اعتمدتا على فكرة ان المجتمعات والدول التي كانت قد شهدت تطورا اقل، وبذا وصفت «متخلفة» تحتاج إلى المساعدة من اجل الالتحاق الاصلاح. لذا صارت «المعونة الانمائية» مفهوما رئيسا ذا معنى مزدوج. كانت الغاية من المعونة الانمائية، وهي تعكس حماسة التبشير الاخلاقي، هي لجعل الدول المتخلفة التي لم تصبح بعد ما كان يهدف لها ان تكون، تبدو اكثر مثل المراكز المتطورة. فضلا عن ذلك، ركز الفهم المعاصر للتنمية على المصلحة الذاتية لقوى ما بعد الاستعمار في المعونة الانمائية، مفترضة ان النظام الاقتصادي العالمي النامي هو الوعد بالإصلاح. [2] لذا اصبح المصطلحان «التنمية» و«المعونة» مثل توأمين سياميين. كانت هناك بعد ذلك محاولة الفصل بينهما باستبدال المعونة بالمفردة الغطاء «التعاون» مع ان ذلك لم يكن موضع ثقة ابدا.

بعيدا عن التنافس الفكري والاحباط العملي، وبغض النظر عن البديل. ظلت فكرة الجنة على الارض في جوهر نظرية المعرفة الميكانيكية للتنمية والمعونة. ان الافتراضات بشأن احتمالية حداثة عالمية للمجتمعات، ناشئة اثناء الازدهار الاقتصادي ما بعد الحرب، قد تلقت نقدا بعد النتائج المخيبة للآمال للعقود الاولى العديدة. كان النقاش الذي بدأ في سبعينات القرن العشرين قد اثرته الآراء والافكار بشأن العلاقات المتبادلة المعقدة في النظام العالمي. [3] كانت النقاشات بشأن المعونة

(1) يمثلها الاوردة المفتوحة الشهيرة عن امريكا اللاتينية لإدواردو غاليانو (1997) Eduardo Galeano Galeano.

(2) ناقشت هذا الموضوع باسهاب في (1998)Dietrech.

(3) كانت اهم مساهمة هي مساهمة (1989)Wallerstein.

الانمائية تسترشد بشكل متزايد بالفكر المنهجي واعتبار العامل البشري والطبيعة والبيئة واخيرا الجانب الجنساني. يمكن للمرء ان يتوقع ان هذا المنحى ما عاد يتبع الافتراضات الميكانيكية للحداثة. مع ذلك، كان الحال هو العكس. بلغت سياسات التحديث والتنمية التوجيهية ذروتها في هذه الفترة تماما. انتشرت هذه السياسات حول العالم كنوع من الميكانيكا العالمية في هيجان مروع على ما يبدو، مع اطراف نزاع مفترضين يتجاوزون اداء بعضهم البعض في تجارب اختزالية، وهم يجرّون مجتمعا تلو الاخر إلى البؤس. ربما يعد الاستخدام الواسع لمصطلحات «المرتزقة والمبشرين وغير الاسوياء» لممثلي هذا الموقف الحداثوي كاريكاتوريا اكثر مما هو توصيفا، بيد انه يصف باقتدار البديل ما بعد الاستعمار «عبء الرجل الابيض».

تمثل اهداف الامم المتحدة الانمائية للألفية مثلما وصفها ما يسمى اعلان الالفية الذي تبنته 189 من الدول الاعضاء يوم 18 ايلول عام 2000 كتيبا وصفيا للأهداف الاساسية والملزمة لجميع الدول الاعضاء في الامم المتحدة. [1] اعيد التأكيد على ان القضاء على الفقر وحفظ السلام وحماية البيئة هي اكثر الاهداف اهمية لدى المجتمع الدولي. وعلى الرغم من ذلك، كان التركيز الاساسي هو على القضاء على الفقر المدقع. حسب بنود الاعلان، لم يعد الفقر يفهم على انه نقص في الدخل، بل انه غياب شامل للفرص. كانت هذه النسخة الجديدة من الفلسفة التي كانت قد فشلت فشلا ذريعا ودُحضت، شبح هذا المعتقد، قد انتقلت إلى الالفية الجديدة. ووفقا لليونيسيف [2] حتى في الجزء الصناعي من العالم فان واحد من بين كل ستة اطفال يعيشون في الفقر، وهو اكثر مما كان عبر التاريخ. لذا يبدو ان نداء الامين العام للأمم المتحدة بان كي مون في عام 2010 «الحفاظ على الوعد» يتأرجح بين الانكار والاستخفاف: «علينا ان لا نخيب امل المليارات من الذين ينظرون إلى المجتمع الدولي من اجل تنفيذ وعد اعلان الالفية نحو عالم افضل.... [3]

لقد وصف البحث الانمائي في العقود الحالية وانتج تناقضات لا حصر لها، غير ان

(1) الامم المتحدة (2010) (10 ايار 2010).

(2) اليونيسيف (2005) (10 ايار 2010).

(3) الامم المتحدة (2010) (10 ايار 2010).

الرسالة الخفية لمفهوم التنمية قد ظلت كما هي: وهي افتراض ان المجتمعات، هي مثل النباتات، تتقدم من حالة شتلة لا قيمة لها إلى نوع ما إلى حالة التزهير والجني. على الرغم من أن العلوم الاجتماعية والانسانية لم تأت لغاية الان بدليل على هذا الافتراض القطعي، الا انها قد خدمت لنصف قرن على انها النموذج الاكثر قبولا عند صيغ الخطاب الانمائي الماركسي والليبرالي وحتى المسيحي. لذا ركز الفكر على مسألة كيف ان شتلات مجتمع صغيرة يجب ان تروى وتسمّد وتجهز بالضوء من اجل الحصول على افضل محصول. ولغاية اواخر ثمانينات القرن العشرين، كانت الشكوك حول فرضية ان المجتمعات تتطور في اسلوب سببي تعد غير علمية أو انها بدعة غير صحيحة سياسيا. كانت الخلفية التاريخية والفكرية وشبه الدينية لمثل هذا الفكر تستند إلى مفاهيم خطية وتشاركت بها مدارس الفكر المذكورة آنفا، بغض النظر عن اية تناحرات قد كانت بينها.

كان ينظر إلى ثمانينات القرن العشرين على انه عقد ضائع من اجل التنمية. ومع ذلك، كان ايضا الفترة التي ظهرت فيها الشكوك الجذرية بشأن الفهم الخطي للزمن، وهي حالة تكمن وراء الفكر الانمائي الانتقالي. اخيرا حصلت على جماهيرية عالمية الاحتجاجات ضد الطريق احادي الجانب للتنمية اعرب عنها اولئك الذين صمم لهم ان يكونوا متخلفين، اولئك الذين لم يصبحوا بعد ما يجب ان يكونوا. وبحلول تسعينات القرن العشرين كان تفكيك ما بعد الحداثوية لأسطورة التنمية جاريا، والنتيجة انه عمليا لم يصمد الا عدد قليل من المؤسسات الانمائية محرومة من مضمون عملها أو تخدم وظائف اخرى عند حلول الالفية الجديدة، الكثير منها كان مثل اصداف فارغة تعيد إلى الاذهان عصر التنمية.

في الحقيقة لم تمض سوى سبعة اعوام بين السخط الذي سببه النداء العالمي لغوستافو استيفا لإيقاف التنمية والمعونة [1] الذي نشر لأول مرة في عام 1985 ووثيقة اولريش منزل[2] حول «خيبة الامل»[3] بشأن الفكرة التي كانت طاغية في وقتها لأسطورة

(1) Esteva (1995، ص 65 ـ 111) ظهرت النسخة الاسبانية الاصلية للمقالة التي دعا فيها استافا لإيقاف التنمية والمعونة لأول مرة في عام 1985.

(2) منزل(1992) Menzel.

(3) استخدم مفردة خيبة الامل على انها مصطلح فلسفي ما بعد حداثوي يغطي معنيين متميزين: الاول

التنمية التي صدرت في عام 1992 في الذكرة السنوية لاكتشافات كرستوفر كولومبوس في عام 1492 [1] وهو العام الذي عقد فيه مؤتمر ريو. وفي نفس الفترة ازالت مقتطفات نشرها فولفغانغ زاكس[2] وترجمت إلى عدة لغات اية اوهام بريئة متبقية بشأن التنمية. كشف زاكس التنمية على انها خيال مثالي قاد العمل مع مشكلة قائمة في التداعيات الاجتماعية القوية لهذا الخيال وليس في اي تنفيذ غير سليم للآليات الانسانية. وبالنتيجة قد يتوقع المرء ان الحقل العلمي الاجتماعي في تسعينات القرن العشرين سيضع حدا للطلب من المؤسسات السياسية ان يستمر خيال التنمية فاعلا. ومع ذلك فقد فشلت التيارات السائدة للبحث في مجال التنمية في تفكيك هذه الخرافة ـ مع بدعها المتكررة وأسلوبها الفكري والحقائق المفترضة ـ التي استمرت لمدة تزيد عن مئتي عام بعد كل من آدم سميث وايمانويل كانت، واكثر من مئة وعشرين سنة بعد كل من ليست وداروين وماركس، وهي تقود نظريتهم المعرفية. ومن اجل تجنب مثل هذا الفشل، كان يتطلب من المدافعين الاكاديميين عن التنمية ان يتخلوا عن معتقداتهم الاساسية. لذا ارسي اساسهم الفكري على الاخطاء السياسية لأهداف الامم المتحدة الانمائية للألفية.

ومع ذلك، ظهرت مقاومة فكرية حول العالم ضد هكذا نتائج احادية الجانب للفكر على هوامش فلسفة ما بعد الحداثة ونظرية ما بعد الاستعمار. وفي سنوات قليلة فان النظريات المضادة للتنمية التي مثلها زاكس وزملائه في التأليف انزوت امام الفكر ما بعد التنمية الذي مثله الاستاذ الايراني مجيد رهنما[3]، الذي نشر عملا على نفس منوال زاكس قبله. ومنذ تلك النقطة وما بعدها لم تترك الا مسافة قصيرة إلى المرحلة عبر العقلانية.

ان كان الفكر الانمائي في القرن العشرين وعواقبه بعيدة المنال تسمح بأيّ نقاش محتمل ومسؤول عندها ربما لن يعود الاهتمام المعرفي للعلوم الاجتماعية موجها

هو المعنى الشائع الذي يشير إلى حالة عاطفية لفرد أو لمجموعة افراد؛ وثانيا عملية اعادة تكيف فكري في اعقاب نهاية وهم بشأن مسألة معينة.

(1) ليس من قبيل المصادفة ان مؤتمر ريو البيئي كان هائلا وغير حاسم عقد في عام 1992 عندما احتفل العالم الغربي فيما سمي من وجهة نظرهم باكتشاف امريكا.

(2) (1992)Sachs.

(3) (1997)Rahnema and Bawtree.

نحو الجدوى أو الاساليب؛ بل يجب ان يكون التركيز على اهداف التنمية الاجتماعية والسياسية والاقتصادية. ان الافتراضات بشأن المجتمع التي تعدّ الناس كائنات اجتماعية والتي قد هدت نظريات التنمية يجب ان تكشف بانتظام لان من خلالها فان المدينة الفاضلة للتنمية التي بدأت في القرن التاسع عشر يمكن مناقشتها في المقام الاول وتصبح جزءا من السياسة. وفي خطوة ثانية يمكن لهذا العمل بعدها ان يركز على الجمود الاساس للمعتقدات التي حافظت على القوة في المجتمع والدور الارشادي في السياسة، وهذا يتجلى، على سبيل المثال، في اهداف التنمية للألفية. الخطة الاولى هي ما بعد الحداثة والثانية هي عبر العقلانية.

اني متردد إلى حد ما، دون مزيد من الايضاح، في ان ائتمن حلقة الكتاب حول ايفان ايليتش[1] وفولفغانغ زاكس وغوستافو استيفا وفاندانا شيفا شيفا ومجيد بهمنا وارتورو اسكوبار وماريان غرونماير واشيس ناندي وكلود الفاريز[2] الذين يؤيدون تفكيك العملية التنموية. لقد رفض هؤلاء الكتاب بشكل مستمر عنوان «ما بعد الحداثة» هم وعدد من الكتاب الاوائل الذين كانوا دعاة فكر مماثل، من امثال بريجيت ايرلر[3] وغراهام هانكوك[4] وغيلبر ريست[5] واكسل كابو[6] وآل ايمفيلد [7]. تختلف الامور مع نظرية ما بعد الاستعمار التي ترجع إلى ستيوارت هول[8] أو *استشراق* ادوارد سعيد[9] أو الدراسات الابتدائية لغاياتري شاكرافورتي سبيفاك[10]، الذين ينتمون كلهم إلى فكر ما بعد الحداثة حيث كان التيار السائد في زمنهم. في افريقيا، تبنت مجموعة

(1) من بين مساهماته الرئيسية الكثيرة في هذا الصدد هو البحث قدمه في اليابان والذي عنوانه «فك الارتباط بين السلام والتنمية» (Illich(1980.

(2) (1992)Sachs.

(3) (1985)Erler.

(4) (1989)Hancock.

(5) (1989)Rist and Sabelli.

(6) (1991)Kabou.

(7) (1985)Imfeld.

(8) (2002، 275 - 246 ص)Hall.

(9) (1978)Said.

(10) (1988)Spivak و (1993) Spivak وسبيفاك وباتلر (2007) Spivak and Butler.

من الاقتصاديين الشبان يقودهم الكيني جيمس شيكواتي[1] والشبكة الاقتصادية الاقليمية[2] في نيروبي منهجا ينتقد التنمية جذريا. في عام 2009 اطلقت الاقتصادية الزامبية دامبيسا مويو[3]، وهي موظفة سابقة في البنك الدولي، نداءً متجددا لإيقاف التنمية. وكان عذرها مشابه تماما لعذر غوستافو استيفا، الذي سبقها بربع قرن. في الجدل العلني، تسبب هؤلاء النقاد الشبان هيجانا مشابها وتلقوا حججا مضادة مشابهة لتلك التي تلقاها الجيل السابق، ما يفترض ان مجتمع التنمية لديه ذاكرة قصيرة نوعا ما. ومع ذلك، كان عمل هؤلاء النقاد، جنبا إلى جنب مع عمل اخرين، قد ضمن ان القاعدة الالية الحديثة للمعونة الانمائية، التي تفهم على انها وعد اجتماعي سياسي قد فقدت جاذبيتها المغرية في البحث. اني اعد برفع الحجاب الآلي صحوة ما بعد الحداثوية بمعنى دريدا. [4]

على اي حال، ارتقى عمل المذكورين اعلاه إلى وداع لعقيدة التنمية، اذ ثبت نقدهم مع حالات موثقة بشكل جيد من مجتمعات ذات صلة بالأمر. الكثير من اولئك العلماء اخذوا نقدهم من (ما يدعى) مهمشي الهند والصين والمكسيك وكولومبيا وايران والكاريبي وكينيا وزامبيا والكاميرون وماليزيا إلى المؤسسات الاكاديمية في المركز وهم يتصرفون بطريقة جوهرها ما بعد البنيوية. في المراكز تلقى العمل الاهتمام والمساعدة من المهمشين الداخليين، مثل الحركات النسوية والمجال الفني ومن المفكرين والمهاجرين، الذين كان البعض منهم متحمسين وراسخين كفاية لتقديم نقدهم إلى صميم النقاش العام. [5] بات الامر يزداد وضوحا ويدل على ان التنمية لم تعد الامل الذي يتشارك به الناس والمجتمعات، بل كان خرافة كانت قد نشأت عن نوع معين من الفكر في المراكز الصناعية ـ خرافة لها رائحة سيئة في المناطق المهمشة. [6]

(1) مولود في عام 1970، Shikwati(2006).
(2) الشبكة الاقتصادية الاقليمية (19 ايار 2010).

(3) (2009)Moyo.

(4) (1984)Derrida.

(5) بشأن الصيغ الاشكالية لهذه العملية، انظر نقاش مورتون Morton حول جوليا كرستيفا Julia Kristeva. (2003)، ص 71 ـ 90)Morton.

(6) (ص 31، 1995) Esteva.

كانت المقاومة ضد هذه الافكار التي ابدتها منظمات الاغاثة والمؤسسات المشابهة قوية حيث تستبعد شرعية هدفهم الاجتماعية والسياسية، الذي كان سابقا مشروعا اقرت هيمنته. وانتج هذا حالة متناقضة لاحقة: اصرت المؤسسات الحكومية وشبه الحكومية وغير الحكومية على سياسات تنمية توجيهية ما عاد لها اساس علمي. لقد استمروا بسياسات ليس لها هدف مبرر وتصرفوا تماشيا مع مبادئ تلقت نقدا جادا من كل من المناطق المعنية والاوساط البحثية. لذا تصرفوا ضد معرفتهم الافضل عندما، اتبعوا تقرير برونتلاند[1] لعام 1987 ومؤتمر ريو [2]لعام 1992، حاولوا تحقيق المستحيل للارتقاء بالاستدامة إلى مبدأ ارشادي في الوقت الذي يتابعون سياسات النمو الليبرالية الجديدة وبرامج التكيف البنيوي.

تبدو المؤتمرات الكبيرة التي لا حصر لها حول البيئة والسلام وحقوق الانسان والقضايا الاجتماعية والمرأة اليوم عمليات محاكاة للأهداف السياسية التي لم تكن النخب في المراكز اصلا تريد تحقيقها. لذا خلقت حالة ما بعد الخرافة التي ارتقت إلى حالة ما عاد فيها الناس في المؤسسات السياسية يؤمنون ببرامج تعلن انقاذ العالم. ربما يكون المتشائمون الابولونيون يصحون بشأن الحقائق التنموية للفترة الميكانيكية الحديثة، الا انهم بقوا مرتبطين رسميا بهذا المبدأ في جنة على الارض، التي كانت ستصل إلى نهاية تاريخ من النمو والتقدم والحضارة. لم يكونوا يخافون من شيء اكثر من قصة تاريخ الانسان التي لم تسفر عن جنة على الارض.

بدلا من دراسة عواقب ديناميكية التقدم والتنمية المستمرة والمتسارعة، سمحت حالة ما بعد الخرافة للمؤسسات الحكومية وغير الحكومية حول العالم الوصول إلى حياة الناس اليومية، في مطابخهم وحماماتهم وغرف معيشتهم وغرف نومهم. توسَّع الوصول وتعمَّق وازدادت سرعة التفاعل الاجتماعي وتحسن وضع الهياكل التنظيمية. كان يفترض ان يحدث كل شيء بصورة اسرع وافضل، وكان كل شيء مسموحا عدا

(1) اللجنة الدولية للبيئة والتنمية (1987).

(2) يعد تأسيس مؤتمر الامم المتحدة حول البيئة والتنمية انجازا على طريق تكامل السياسات البيئية والتنموية. تلته مؤتمرات من ضمنها مؤتمر ريو5+ لعام 1997 في نيويورك والقمة العالمية للتنمية المستدامة في جوهانسبرغ لعام 2002.

التفكير بالنتيجة النهائية لهذا النشاط عالي السرعة. هذه اللاعقلانية لصناعة التنمية العالمية طابقت رأي مجتمعات ما بعد الحداثة التي قد كانت عرضتها فلسفة ما بعد الحداثة بكل قسوة من المؤلفين المشار اليهم انفا.

مهدت نظرية ما بعد الحداثة، بدعوتها للتعددية، لئلا تفهم انها عشوائية، الطريق للاتصال المحترم عبر سياقات ثقافية مختلفة. ومع ذلك، فهي تبقى، إلى جانب منظورات محكمة، محاولة نظرية، كما لاحظ جان فرانسوا ليوتار بجدارة. [1] يمثل البعد والقرب ديناميكية طبيعية اذ يُفهم على انه تذبذب ذو منطقية متعددة الابعاد[2] بين البيئات الاجتماعية النابضة،. ان عدم الفهم هو اساسي مثلما هو الفهم للتواصل الفعال ومثلما ان الاصوات الموسيقية لا يمكن تصورها بدون فترات توقف وهي مثلما لا يوجد ضياء دون ظلام. الصمت والظلام ليسا كيانين مستقلين؛ انهما اللا وجود للصوت والضوء الذي يجعل وجودهما ملموسا.

قد يكون من المثير للعجب ان تكون المعونة التنموية التقليدية قد نجحت بالبقاء في الالفية الجديدة بالرغم من هاجس الليبرالية الحديثة مع رفع الضوابط التنظيمية، ان لم تكن من صفات حالة ما بعد حداثوية فاعلة تشكل افكارا (لم يعد احد يؤمن بها) على شكل مؤسسات مغلقة تنخرط في فعل هوسي. يقود هذا إلى سؤال ثان: من اين يأتي الجمود المؤسسي الذي يقود من هكذا فعل ضد معرفة افضل؟ ان محاولة ايجاد اجابة لهذا السؤال هي مكافئة لاستئناف النقد. لدى المؤسسات ميل إلى جعل دور الشكل اهم من دور المحتوى، بالنتيجة ستستبدل المحتوى المفقود بمحتوى خاص بها، أو ببساطة ستعمل على تغليف الفراغ. في سياسات التنمية يعبر عن المؤشرات التي تصف هذه العملية بشعارات «مشروع» و«نتائج» وتقييم». هي تكشف تأثيرات كارثية تظهر بأشكال متنوعة من المبادرات الاجتماعية، تصل من المعونة التنموية التقليدية إلى العمليات الانسانية والسلام الحالي والعمل في مجال النزاعات.

بعد نصف قرن من التنمية والمعونة من الصعب تجاهل ان هذه، كونها مفاهيم

(1) (1988)Lyotard.

(2) يعد مصطلح «المنطق المتعدد الابعاد»Polylog مصطلحا رئيسيا عند (2004)Wimmer.

ومشاريع، ليست سوى توقعات تنتقل إلى الناس في ارجاء العالم. لقد اصبحت المشاريع الاطار التنظيمي الاكثر شيوعا لتمويل وتنفيذ وتقييم المبادرات. ان نتائج التقييم، التي يحددها المتخصصون الغربيون وفقا لمعايير غربية، عادة ما يكون لها تأثير كبير على احتمالية تمويل مشاريع اضافية. في زمن ما بعد الخرافة يعتمد العديد من المؤسسات على تمويل المشاريع من اجل البقاء، ولذا اصبحت المشاريع عصب الحياة لعدد كبير من المؤسسات. ومهما يكون السبب المعلن لدى المنظمات الانسانية، ما لم تكن له ميزة كونها من بين اولئك التي تمولها منظمات منفذة، مثل كنيسة أو اتحاد تجاري، يعتمد كسب عيشها بشكل تام على المشاريع. لذا لم تعد المشاريع تنفذ اساسا من اجل خدمة حاجات ما يزعم انها الجهات المستفيدة، بل لضمان بقاء تلك المنظمات. وبالمحصلة، يجب الوصول إلى اهداف معينة توافقا مع معايير التقييم ضمن فترة زمنية قصيرة، حتى تستمر بالدوران العجلة التكنوقراطية للتوقع والمشاريع والتمويل والتقييم. تموت معظم المشاريع بمرور الوقت على مكاتب صناع القرار. واليوم في كل مكان ضمن الاطراف تطرح جثث تلك المشاريع روائحها العفنة.

ينتقد جون بول ليديراخ[1] التوجه المفروض الذي يتمحور حول المشاريع في التنمية والسلام والعمل في مجال النزاعات لأنه يفشل في احقاق العدل للعلاقات بين الاشخاص في ظروف النزاعات أو إلى الاشكال الاستنباطية للتعلم التلقائي الذي يشكل نظرية مبنية على تجربة حقيقية تولدت من العمليات.

> لقد اصبحت اؤمن ان المأساتين الاكبر اللتين اثرتا بشكل كبير على بناء السلام في بيئات النزاعات طويلة الامد تنبعان من نقص الانضباط تجاه التهدئة لأولئك الذين يأتون من الخارج بنوايا طيبة. تلكما هما: (1) عدم القدرة على تمييز ورؤية ما يوجد في مكان من المحتمل ان أو سبق فيه بناء شبكة البنى التحتية لتغيير بنّاء؛ و (2) حث الخطى نحو العمل على توفير إجابات قصيرة الامد للمشكلات المحددة سلفا في ضوء الحاجة. في كلتا الحالتين يجري تجاهل شبكة التغيير ـ الناس والعمليات والفضاءات العلائقية ـ واهمالها والتقليل من شأنها، أو الاسوأ، استبدالها أو تدميرها.[2]

(1) نوقش هذا الموضوع باستفاضة للمرة الاولى عند (1997، ص 129 ـ 148)Lederach.

(2) (2005، 106 - 105 ص)Lederach. (2)

يعيق التوجه الصارم نحو المشاريع والنتائج والتقييم عملا استنباطيا في الوقت الذي يستفيد التصحيح التكنوقراطي. لقد حثّ ليديراخ المنظمات على اقناع المؤسسات صاحبة التمويل بضرورة تغيير الاساليب. ولهذه الغاية فانه يفضل خلق برامج صغيرة مرنة[1]، الأمر الذي يجلب إلى الذاكرة مَثل الارجوحة الشبكية للعلاقات[2] ومفهوم دولوز وغوتاري للجذمور. [3] افهم فضلا عن ذلك فاني افهم وجهة نظر ليديراخ على انها عامية، لذا اضعه تماما في تقليد الفكر النقدي لإيفان ايليتش بشأن التنمية[4]، الذي منذ ثمانينات القرن العشرين قد اوجد حركة كبيرة في النقاش. واليوم اعدّ فكر ايليتش على انه عبر عقلاني لأنه، بالإدراك المتأخر، من البين انه دفع بتحول في جدالات سياسة التنمية، وهو تحوّل له صلة بالتغييرات التي ذكرتها في فصول سابقة.

اما من حيث التحوّل عبر العقلاني فان الفكرة الغائية للتنمية والمعونة التي تطورت في فترة الحداثة هي عديمة الفائدة. مع ذلك، لا ينكر الفكر عبر العقلاني ان الكثير من الناس على هذا الكوكب يعانون من قصور في منظور بشأن حياتهم، ان اخذنا بنظر الاعتبار التجربة العنيفة للفقر المدقع، كما لا يتنصل الفكر عبر العقلاني من المسؤولية. وفي ضوء مثل هذا العوز المدقع، قد يبدو جدلا عبر عقلانيا بشأن دلالة الفقر ساخرا. مع ذلك ان مثل هذا الجدل ضروريا اذ ان خلاف ذلك فان هناك خطرا من ان القرن الحادي والعشرين سيرث الاطياف والتوقعات من وعود الماضي وستكيف المفردات، وهو خطر قد يصبح تحذيرا امام اهداف التنمية في الالفية الجديدة.

تواجه الاوساط الانمائية صعوبات الاتصال: كيف يمكن لأنماط وآراء الفكر التنموي الحديث الراسخ اخلاقيا ان ينحرف هو وقيمه، وكيف يمكن ابلاغ مثل تلك النتائج المتأتية في حالات غير حديثة باحترام؟ ليس هذا المشروع موغل في القدم، حتى وإن كان الحلم الحديث للتنمية قد تحول إلى صدمة ما بعد حداثوية، لأن مبدأ التنمية لا زال يمثل فكر الآلاف من صانعي القرار في المؤسسات والمنظمات.

---

(1) (2005، 125 - 124 ص)Lederach.

(2) (1995، 44 - 9 ص)Esteva.

(3) (1987، 25 - 3 ص)Deleuze and Guattari.

(4) (2006، 25 - 15 ص)Illich.

لا تتغلب عبر العقلانية، بحكم تعريفها، على المشكلات بالمعنى الجدلي؛ بل تحرفها. اي ان تذكر وتقر بفكر ممثلي التنمية التقليدية في الوقت الذي تحيّد وتحول عواقب افعالهم. يتوجه التحوّل عبر العقلاني إلى هذه الجهات من اجل ان توقظ فيها فضولا بشأن الخيارات الجديدة التي تظهر نتيجة الاتصال مع اناس من توجهات مختلفة. وكي يكون هذا ممكنا، يجب ان تتطور المناجاة الحديثة للتنمية إلى تحاور ما بعد حداثوي. فضلا عن ذلك، يحتاج المانحون المزعومون إلى ان تكون لديهم قدرة عبر عقلانية واستعدادا لتلقي المعلومات. لذا يمكن اعادة صياغة السؤال اعلاه مثلما يأتي: كيف يمكن للتناقض المنهجي الاساسي بين منطق التنمية والمنطق النفسي للسلام الانساني والعاملين في مجال النزاعات ان يجري تحريفه؟

علاوة على ذلك، كيف يمكن لمجتمعات راسخة في الحداثة ان تجد منهجا استنباطيا لأوساط غير حداثوية؟ لا يختلف هذا السؤال من حيث المبدأ عن تلك الاسئلة التي تُسأل في الاوساط الديبلوماسية والعسكرية؛ مع انه، ومن اجل التخلي عن الوعود المؤمنة بالآخرة للتنمية فضلا عن الصيغ بين الثقافات فيجب ان تؤخذ بالحسبان الطبقات الاجتماعية المتنوعة.

كلما يركز العاملون في مجال السلام على القضايا الاجتماعية والفقر، يكون نهجا متبادلا يتسم بالاحترام بين العاملين لا يمكن الاستغناء عنه حيث انه في صلب نشاطات تحويل النزاع الاستنباطي. يتطلب هذا الامر مهارات تواصل تتضمن منظرا جديرا بالاحترام لأولئك الذين يصنفون فقراءاً. مع اني اتفق مع جان فرانسوا ليوتار[1] ان الترجمة الحرفية للرموز بين اوساط اجتماعية وبيئات مختلفة، وما يسميه «الاطر» هي صعبة بشكل مفرط أو مستحيلة، سأعرف هدف العمل الاستنباطي في محاولة لتقليل هذه الضبابية عبر العقلانية بالقدر المستطاع.

من وجهة نظري، فقد اثبت نموذج شولتس فون ثون لعلم نفس الاتصال نجاحه في هذا الخصوص.[2] فهو يحلل عبر اربع مستويات كل رسالة يبعثها مرسل إلى

---

(1) (1988، ص 14)Lyotard. (1)

(2) انظر الفصل 4 الفقرة 4. 3

مستقبل: الكشف الذاتي والعلاقة والحقائق والمطالبة. مع ان هذا النموذج لم يكن مصمما لسياقات التنمية، فانه يناسب العمل الاستنباطي التطبيقي. وفقا لشولتس فون ثون تظهر الجوانب الاربعة في نفس الوقت في كل عمل تواصلي، الا ان من الممكن تأويلها على انها تسلسل في مواجهة بين اطراف لا تعرف بعضها البعض.

وبناءً على ذلك، ستبدأ مواجهة الكشف الذاتي لدى الافراد. ان كانت هناك مؤسسات بكاملها منخرطة وليس الافراد، مثلما هي الحالة في اوساط التنمية، يكون الكشف احيانا تقديما للذات والذي يتحول إلى اماطة تطوعية للثام ما ان يتقدم المشروع. يعد التوافق والصراحة فيما يخص دوافع ونوايا المرء ضروريان في هذه المرحلة ويجب الحفاظ عليهما طوال العملية. بيد أنه وإن اخذنا بالاعتبار تضارب المصالح والدوافع بين المؤسسات والاتفاقيات الكلامية المناظرة، فان هذا ليس هو ما عليه الحال احيانا. تلعب اللغة هنا دورها حيث تتركز على المشاريع والنتائج والتقييمات والاساليب الالزامية. يمكن ان يظهر التوتر بين بعثة المؤسسة واهتمامات الافراد، يجري احيانا تقديمها إلى الشركاء المحليين بقناع من الغطرسة. مثل ذلك الكشف، فيما ان كان متسقا أم لا ويخفى بقناع، يؤدي إلى سوء فهم في تلك المرحلة المبكرة من المواجهة، بل حتى إلى غياب التفاهم. اولئك الذين لا يعرفون إلى من يتحدثون سيجدون صعوبة في فهم ما يقال لهم أو ما هو المقصود.

يواجه التحدي الثاني العاملين في جانب العلاقة. ففي سياق سياسات التنمية، يصبح الخطاب الخالي من الهيمنة امرا نظريا بحتا. فاحد العاملين يمتلك المال، وهو مرتبط بالمركز، ولديه امكانية التدخل في مجال عمل الآخر، في حين ان الامر لا يمكن ان يكون معكوسا. ان امتلك قدرة تشخيصية فضلا عن القوة السياسية والادارية والاقتصادية ـ التي تكون ملزمة طالما انها مسؤولة من الادارة في المركز ـ عندها فان اختلال التوازن في العلاقة يتطور بشكل تام. يحصل الاتصال عندها على مستوى فاعل ـ مفعول ويمثل هامشا في الهرمية المؤسساتية الذي يدركه المانحون المزعومون الذين يزن ثقلهم الامري الداخلي فوق العلاقة مع الاخر الذي يفترض ان يصبح ناميا.

وإذ ان في سياقات التنمية تجعل الامور الاساسية التي تظهر على جانبي الكشف

الذاتي والعلاقة معظم المشاريع مستحيلة، غالبا ما يحصل اهمال لتلكما الجانبين أو حجبهما أو تحويلهما إلى جانب الحقيقة. عادة ما يمكن حصر الامور الحقيقية إلى ميدان صغير من علاقات متبادلة تبدو ظاهرية وسببية، تنطوي على منطق مغلق لبيئة مشروع انساني يمكن مناقشته بسهولة دون مخاطبة جانبي كشق الذات والعلاقة. ومع ذلك، حيثما يكون هناك جوع يحتاج الناس إلى طعام، وحيث يتعرضون إلى البرد يحتاجون الملبس والمسكن، وحيثما يعانون ويموتون فهناك مستشفيات، وحيث يوجد جهل يحتاجون إلى مدارس، وحيث يسرق البعض أو حتى يقتل فهناك حاجة إلى السجون، وحيث هم بحاجة إلى الحركة فهناك حاجة بنى تحتية لوسائط النقل، وهكذا دواليك.

ولأن ذلك يبدو جليا، يثبط جانب الحقيقة جانب المطالبة. دعونا ننتج الغذاء والملبس والعلاج الطبي؛ دعونا نشيّد المساكن والمستشفيات والمدارس والسجون والطرق وخطوط نقل المياه...! ولأن العوز جلي ومطالبة اولئك الذين يعانون العوز تبقى غير مسموعة، تتأرجح المطالبة على جانب العلاقة بحرية وتتحول إلى مراجعة ذاتية ومواقف وافعال الزامية: نحن نوفر الطعام والملبس والعلاج الطبي؛ نحن نشيّد المساكن والمستشفيات والمدارس والسجون والطرق وخطوط المياه.... ونفعلها بالأسلوب المطلوب، أو بالأحرى، ما نظنه صحيحا طبقا لقواعدنا ومعاييرنا. يعني هذا، اننا نفعل ذلك بطريقة الزامية وفاعلة. هذه هي النقطة التي عندها ينتج اتصال غير متناغم عند كشف الطرف المانح. جرى تجنب جانبي كشف الذات والعلاقة من اجل ضمان ان لا تظهر شكوك بشأن الحالة الطارئة للعمل. وبهذه الطريقة تفشل المشاريع ذات التصميم الالزامي.

ومع ذلك، ان اخذنا بالحسبان ان السياسة الحديثة للتنمية هي المولود غير الشرعي للإمبريالية، فهي لا تحدث مطلقا في فضاء لا علائقي، بالرغم من الصمت المحيط بها. [1] عادة ما اذعن اولئك الذين في عوز إلى القوة التشخيصية لما يسمى بالمانحين. وحتى يومنا هذا ليس من غير المعتاد ان يقنعوا انفسهم بالرضا الفوري والظاهري

(1) من اجل نقاش كامل للموضوع، يرجى الرجوع إلى (1998)Dietrech.

بالحاجات المادية، كما انه من غير المعتاد ايضا ان يضحوا بتطلعاتهم السياسية والاجتماعية في العملية وهم يعلنون انفسهم فقراء يتضورون جوعا وبحاجة إلى مساعدة وأميين وعاطلين ومتخلفين. لذا فهم يعكسون اسلوب الاتصال غير المتوافق لنظرائهم ويبررونه ويتغاضون عن امكانية البدء بتحول يتوافق مع افكارهم هم.

يركز العمل الاستنباطي على جانبي كشف الذات والعلاقة ويترك جانبي الحقيقة والمطالبة إلى الديناميكيات المتأصلة. وفي فعل من هذا النوع، يخلق العمل عمليات مفتوحة النهاية ويذيب ادوارا ثابتة. وبدورها تسمح عبر العقلانية الفكر الذي يتجاوز حدود العقل الحديث ويوسع الطيف المرئي للخيارات في سياقات عامية.

في المصطلحات عبر العقلانية، فان نقيض الحرب ليس هو السلام، بل اللا حرب، اي غياب العنف الجسدي المنظم الذي لا يرتقي بحد ذاته إلى السلام، حتى عند البنيوية. وبالنقيض من ذلك، ليس من الضرورة خوض حرب حتى ان لم تكن هناك حالة سلام. والامر صحيح فيما يخص الفقر، ففي المعنى عبر العقلاني الرفاهية المادية هي ليست النقيض للفقر. يصبح الفقر ملموسا عند مقارنته مع اللا فقر كما يظهر في عدد الخيارات المتوفرة وامكانية التحول على المستويات المختلفة للوجود. وفقا للمصفوفة عبر العقلانية التي ذكرت في مقدمة هذا الفصل، التي نقلتها عن الجزء الاول من هذه الثلاثية، يحدث هذا على اربع ارباع الدائرة ـ الشخصي والعلائقي والاجتماعي والثقافي ـ وفي اربعة مستويات هي التناغم والامن والعدالة والحقيقة. لذا ربما يكون الغني احيانا فقيرا جدا، وهذا ليس تناقضا، حتى من وجهة نظر اخلاقية، في الوقت الذي لا تبدو فيه حقيقة تسمية الفقير غنيا ساخرة لأولئك الذين لا يثمنون التحولات عبر العقلانية. تلك هي الحالة عادة مع دعاة الفكر المثالي، التي تسبب مشكلات في الاتصال ضمن استراتيجيات التنمية الحديثة.

هنا ايضا يعد عدم الفهم ضروريا من اجل ان يكون هناك فهم بين المرسل والمستقبل. ومن حيث الاتصال بين الثقافات حيث تكون فترات التوقف الطويلة شائعة، يعد هذا خبر طيب طالما يسمح الفاعل الذي يجري فهمه بنفسه أو بنفسها بمثل هذا المنظور. ان معضلة وجهات النظر المغلقة للعالم والسلام التي تبنى اخلاقيا هي

انها على الاغلب تسمح بمثل هذا المنظور. لذا يبدو ان العاملين الذين تطبعوا اجتماعيا على مثل هكذا وجهات نظر يبقون وحيدين مع رؤى للفقر تظهر في افق فكرهم. فهم يجهدون انفسهم في جانب الحقيقة ويكابدون الاحباط وخيبات امل الوعي الذاتي في العلاقات، ويشعرون انهم يساء فهمهم أو يحسون كأنهم فشلوا وعندها يلجأون إلى السخرية أو الانسحاب. من جانب آخر لا تتطلب عبر العقلانية من هؤلاء العاملين ان يوافقوا على نظرة عالم مختلف لأنها لا تتطلب ابدا اي شيء؛ انها تدعو الناس لاكتشاف خيارات جديدة.

في التحوّل عبر العقلاني فان العلوم الاجتماعية وسياسة التنمية، كونها احد حقولها التطبيقية، مدعوون لتحويل انماطهم بطريقة لا يدور فيها العاملون الذين يتبعونها على حدود الفلسفة الوضعية بسبب القيود المكتسبة للنظام. وهذا اكثر من موضوع فلسفي. تتضمن التحوّل عبر العقلاني للتنمية التحول من ممارسة الزامية إلى ممارسة استنباطية فضلا عن اتصال توافقي بين الشركاء وانفتاح على جانب الحقيقة؛ انها تخص التجربة الانسانية وهي تصور لها.

لم يكن هذا التحول الناشئ عن البحث عبر الثقافات والعالمي في مجال الفقر مصادفة. لا تتصور هذه الحقول انفسها على انها مشاركة في جدل «التنمية»، لان في البحث في مجال الفقر يعد الاتصال مع اوساط اجنبية هو مطلوب وفي نفس الوقت مشكلة. فالوجود البيّن للآخر على انه مختلف عن ذات الفرد يطرح السؤال عن ماهية طبيعة ووظيفة الذات هذا وكيف نتصوره. قد يبدو الاخر فقيرا من وجهة نظر المر، ومع ذلك قد يعده الاخر من جانبه انه هو الفقير. قد يضر هذا غرور المرء، بيد انه يفتح مجالا واسعا للاتصال من اجل تحول صحي وتوافقي للنزاعات.

ومنذ ان اعيد تعريف «الديبلوماسية الوقائية» في خطة السلام في عام 1992، فإن سياسات التنمية التقليدية من جانب، وحفظ السلام من الجانب الآخر قد اقتربا من بعض من حيث النظرية والتطبيق، [1] حيث اصبحت التنمية بشكل متزايد وظيفة لحفظ

(1) انظر الفصل 5 الفقرة 5. 1.

السلام. لقد عزز ما يسمى بالملحق لخطة السلام في عام 1995[1] هذا التوجه. في عام 1997 اطلقت منظمة التعاون الاقتصادي والمعونة الانمائية بيان سياسة تحت عنوان «النزاع والسلام والتنمية على اعتاب القرن الحادي والعشرين» يشير بشكل صريح إلى التنمية كونها وسيلة لبناء السلام في مناطق النزاعات، ما منح هذا التحول شخصية رسمية ونهائية. [2]

ربما يكون المتمسكون بالمثالية منتقدين مسار الاحداث هذا: فبالنسبة لهم كانت فكرة التنمية تعني اكثر، وكانت اهدافها اكثر طموحا. من جانب اخر، اصبح واضحا عند تطبيق العمل الميداني اثناء النزاعات ان تقليص النزاعات العنيفة إلى تضارب في المصالح المادية يرتقي إلى تبسيط غير شرعي ومنذر بالشؤم للحقائق المعقدة، وهو تبسيط ذو طبيعة مثالية. ان النقاش حول ما ان يجب ان تحرر التنمية نفسها من ترتبط بالأمن، أو ان تحدد طموحاتها وفقا لذلك هو ما يحصل بين الاصوليين المثاليين والبراغماتيين.

مع ذلك، وفي اعقاب التحوّل عبر العقلاني، يعد النقاش قديما، لان عبر العقلانية تجرد فكرة التنمية من وعدها الحديث في الخلاص. لذا، ليس للتنمية في الواقع مكان في السلام الاستنباطي والنزاع والفقر والعمل التضامني، وعلى الاقل ليس تحت هذا العنوان. [3] في مقدمة هذا الفصل شددت على مصطلح الوئام في الفهم عبر العقلاني للسلام، ووضعت الوئام عند الرباعي الشخصي/ العمدي لهرم ليديراخ، حيث يجري تعريف حدود الاتصال بين الهولونات الاصغر وتلك الاكبر. هذا حيث تدخل الصيغ الخارجية المادية والنبضات إلى ادراكنا الداخلي. ما ندركه من خلال الاحاسيس يتحول إلى احساس وما نعيه يتحول إلى حقيقة. [4] التنمية كما تصورها

(1) بطرس غالي (1995).

(2) النص الكامل لهذه الوثيقة غير المسبوقة، من ضمنها الفصول التي اضيفت في عام 2001، متوفرة على الموقع OECD ـ 19) DAC ايار 2010).

(3) يتوافق مع (2005، ص229)Ramsbotham et al..

(4) ملاحظة المترجم: يستخدم المؤلف الجذور اللفظية الاصلية المشتركة بين المفردة الالمانية vernehmen (يسمع، يصبح واعيا الى) وVernunft (العقل)، فضلا عن wahrnehmen (يدرك) وWahrheit (الحقيقة) ليس لاي زوج منها مرادف في الانكليزية

الفكر الحديث لا تتجاوز المستويين السياسي والاجتماعي. ربما تكون المستشفيات والمدارس والسجون مؤسسات ضرورية وفاعلة من وجهة النظر الانمائية، غير انها لا يجري انشاؤها من اجل رفاهية الناس الشخصية والعمدية، لان الوئام لا يعدّ معيارا تنفيذيا. مع ذلك، يحس معظمنا بصلة وثيقة وغرضية بين الوئام والسلام. ففي الفكر عبر العقلاني للسلام يقر بأهمية الوئام ويتضمنه في تعريفه؛ وهذا ما يميز مفهوم السلام عبر العقلاني عن كل ما غيره. يرى تحول النزاع الاستنباطي العمليات الاجتماعية ويعمل على وفق هذا المنظور من دون التقليل من اهمية الحقول الاخرى. لذا فان فكر التنمية الحديث معلق ومنحرف عند عبر العقلانية.

اني لا اجادل في صالح حل المؤسسات، ولا لوضع حد لكل المبادرات الالزامية، لان وجود الحاجات المادية الضاغط وضرورة الحصول عليها ليسا موضع جدل. لقد تركت الحداثة وما بعد الحداثة خلفهما ارض معركة تصرخ من اجل تغيير جذري. اني لا اصدق ان ما هو واجب عمله الان هو ما يشار اليه بدقة على انها «تنمية»، ولا اؤيد المحاولات السابقة لإيجاد صفات جذابة جديدة لتضاف إلى تلك القديمة من بين المفردات المرنة للحداثة. [1]

على الرغم من ان التحول عبر العقلاني لا يتطلب تدميرا ثوريا للمؤسسات الا انها تتطلب مراجعة شاملة للمبادئ التنفيذية والممارسات الالزامية والاليات التنظيمية الملزمة. يبدو ان عملية التغيير هذه تسير ببطء وتبدأ بالبراغماتية المثالية لخطة السلام في بادئ الامر. ان البروز الواضح للعديد من الاسماء المشار اليها في هذا الكتاب، من فرير إلى ليديراخ، هي دلالة على التغيير. وفي الوقت الذي تكون الاصوات عبر العقلانية لا يزال قصور المؤسسات يؤكد ان التحوّل يحدث في ما يبدو بمعدل بطئ بشكل لا يحتمل. هكذا مكان جيد لتذكر ان نفاذ الصبر متجذر في الفكر الخطي والافكار الحديثة للخلاص وظروف ما بعد الحداثة. لا تبشر عبر العقلانية بأي وعد للخلاص. فهي توسع طيف خيارات العمل وتوفر اطارا نظريا للأساليب الاستنباطية. ان مثل تلك الطرق متواضعة وغير مذهلة.

(1) ان نقدي الذي كان ذات مرة حماسيا إلى درجة ما موجود في (Dietrech(1993.

4.6 التحول عبر العقلاني في الاقتصاد السياسي

في الفقرات الثلاث السابقة صار واضحا كيف ان التحول عبر العقلاني تترسخ باضطراد في علاقات الترابط النمطية بين المكونات الديبلوماسية والعسكرية والانسانية للعمل في مجال السلام وفي وعي العاملين المعنيين. ويمكن توقع الامر ذاته في علم الاقتصاد، وهو العنصر الرابع قيد النظر. [1] يعمل العلم الاجتماعي الحديث على افتراض ان الظروف الاقتصادية الدقيقة هي من بين متطلبات تحويل النزاعات، فإما تفترض بمثالية ان الناس والمجتمعات سيكونون سلميين طالما جرى تلبية احتياجاتهم المادية، أو بواقعية ان تضارب المصالح المادية هي المصدر الطبيعي والدائم للنزاع والعنف. كلا المنهجين يريان ان جعل الكعكة كبيرة وتكفي الجميع، اي الارتقاء بالنمو الاقتصادي، هو متطلب اساسي لحل لا عنفي للنزاعات. ان هذا النمط موجود في جميع المدارس المختلفة للعلوم الاجتماعية مع بعض التعديلات.

مع ان علماء الاقتصاد المبكرين مثل كارل مينغر[2] ونيكولاي كوندراتييف[3] احسوا ان موضوع بحثهم كان نظاما مبنيا على الدوائر الاقتصادية، الا ان الكثير من الخبراء وجدوا ان من الصعوبة التوصل إلى استنتاجات معرفية من هذا المنظور، اي وجهة النظر التي تقول انه ليس هناك اي نظام يمكن ان ينمو إلى ما لا نهاية. لم يكن معظم خبراء الاقتصاد في بدايات القرن العشرين مقتنعين بهكذا وجهة نظر، والتي كانت ايضا تبدو غير ذات صلة، اذ ان حدود النمو في الاقتصاد العالمي لم تكن في افضل الاحوال سوى تدرك أو تناقش نظريا.

إن تعزيز التكنولوجيا والنمو الاقتصادي غير المسبوق في اعقاب الحرب العالمية الثانية قد دفع الحدود الطبيعية إلى عالم يمكن تصوره، وحولتها إلى موضوع يمكن مناقشته بشكل جدي. بدأ الاقتصاديون باستحداث اساليب رياضية للتنبؤ بالمشكلات المستقبلية وتصميم حلول ممكنة. وفي وسط نشوة التقدم التكنولوجي والتوسع

---

(1) يشارك (2000، ص 92 ـ 110)Ury مثل هذا التوقع مع انه يصل إلى خلاصة الزامية للعمل في مجال النزاعات لا يمكن دعمها من وجهة نظر عبر عقلانية.

(2) 1840 - 1921 ;(1995، 25045 ص)Menger.

(3) 1892 - 1938 ;(1926، 609 - 573 ص)Kondratjew.

الاقتصادي فإن الكثير من التكاليف غير الاقتصادية للنمو قد تركت دون اعتبار. بدا كل شيء خاضعا للإحصاء والتنبؤ والحلول. برزت دراسات السلام، وهي شيء ما افسادا للمرح أو على الاقل صوتا تحذيريا، اثناء هذه الذروة من الهوس الحديث. في عام 1945، نشر كينيث بولدنغ [1] عملا استثنائيا بشأن علم اقتصاد السلام [2] قبل وقت طويل بشكل ملحوظ من ان تتوطد اقدام بحث السلام ـ الذي كان هو احد المؤسسين له. وفي تلك الفترة المبكرة من الزمن تمحور فكر بولدنغ حول الاسس النظرية للاقتصاد اللا تنموي. تعزز اهتمامه بالأمر حين التقى لودفيغ فون بيرتالانفي [3] الذي حفز فضوله حول نظرية المنظومات العامة. ادى هذا إلى تكوّن فكرة بولدنغ ان احتمالية نمو النظم، والنمو ضمن النظم، كانت محدودة، لذا من المرغوب فيه الاستهلاك باقل قدر ممكن. [4] علاوة على ذلك، كان يجب استخدام الموارد المتوفرة لتلبية الاحتياجات الانسانية وليس الحصول على ربح شخصي. لقد رفض التوسع الليبرالي (الجديد) لمبادئ السوق التنافسي خارج نطاق الاقتصاد وفي مجال الخيارات السياسية، وهو موقف يعدّ ممثلا لأساليب الامبريالية. اعتبر بولدنغ الاقتصاد مرتبطا بجميع الجوانب الاخرى للوجود الانساني، ولهذا السبب تماما فقد رغب ان يرى الفكر الاقتصادي والاعمال الاقتصادية محدودة في مجالاتها. وبالنتيجة، اظهر اهتماما مبكرا في الدين وعلم النفس والتعليم وعلم الاجتماع وعلم الاحياء، واهتمامه بالفرع الاخير هو ما ميزه على انه احد رواد الحركة البيئية.

كان هناك صوت آخر يجادل على نفس تلك الخطوط هو تشارلس رايت ميلز، [5] الذي انتقد منذ عام 1959 الضبابية الفكرية والمبطنة حول العلوم الاجتماعية الكمية. لقد قدم، اثناء فترة ذروة البنيوية، اطروحته البسيطة ان في جميع المجتمعات يوجد ارتباط لا ينفصم بين التاريخ البنيوي والسير الذاتية للأفراد. وإذ نادى «بالخيال السوسيولوجي» فقد ناشد علماء الاجتماع ان يتذكروا البعد الانساني والعمل ضمن سياقات حياة واقعية

---

(1) 1910 - 1993.

(2) (1945)Boulding.

(3) (1952)von Bertalanffy.

(4) قدم (1957)Kohr حجة متزامنة ومشابهة.

(5) (1959)Mills.

محددة وأن يتساءلوا من نحن بدلا عن ما ذا يجب ان نعمل كي لا نغفل عن المصلحة الجوهرية وراء علم الاجتماع: التي هي رفاهية الناس. وبعد نصف قرن، كان هذا المنظور اصبح اساسيا عند «الخيال الاخلاقي»[1] لدى جون بول ليديراخ.

وفيما يتعلق ببحث السلام عبر العقلاني، استمد من عملي بولدنغ وميلز فكرة ان السياسات الاقتصادية هي مكون لا غنى عنه في تحويل النزاعات، غير انها ليست شرطا مسبقا. سيكون هذا الاعتبار موضوعا رئيسا في النقاش التالي، مع مسألة النمو الاقتصادي الذي يمثل موضوعا منفصلا.

في سبعينات القرن العشرين اشارت نظرية النظام العالمي لإيمانويل والرشتاين[2] إلى الرأسمالية على انها نظام عالمي منفرد ومتوسع [3] لذا فإنها تمثل وجها اخر لنظرية النظم في نقاش العلوم الاجتماعية. ومع ذلك، كانت السمات الثورية لعمله اساسا معنية بتاريخ الاقتصاد العالمي. وفيما يتعلق بالتطبيق السياسي والقدرة التشخيصية لم تكن نظرية النظم العالمية سوى ضحية إلى ما بعد الماركسية الخاصة بها بقدر النماذج الاخرى للاقتصاد السياسي الحديث، وهي النماذج التي لم تتمكن نظرية النظم العالمية ان تتفوق على هيمنتها ابدا.

حاولت الحركة البيئية، التي ظهرت في سبعينات القرن العشرين، انتهاج نظرية نظم اخرى على الامور الاقتصادية. تضمنت قائمة الممثلين البارزين لهذا الخط من الفكر العالم البريطاني جيمس لوفلوك[4] والفيلسوف النرويجي ارني نايس[5] والاقتصادي الالماني ـ البريطاني ارنست فريدريش شوماخر[6] كونهم تأثروا بغاندي، فقد ظنوا شأنهم شأن بولدنغ وبيتسون[7] قبلهم، ان الارض نظام مفرد[8] بل حتى كائنا حيا

(1) (2005، 24 - 23 ص)Lederach.

(2) ولد في عام 1930 في نيويورك.

(3) Wallerstein(1974) واعماله التالية تعد رائدة في هذا المضمار.

(4) ولد في عام 1919 في ليتشوورث في انكلترا؛ Loverlock(1979).

(5) 1912 - 20091986) :)Naess.

(6) 1911 - 19771974) :)Schumacher.

(7) (1972)Bateson.

(8) (1972)Meadows et al. (1992) Meadows et al. 2004)و). Meadows et al.

مفردا[1]، وأصروا على أن مواردها كانت حتما محدودة. ومن هذا المنظور ينظر إلى الاقتصاد على انه جزء من المحيط الحيوي والنظام العالمي للحياة؛ لذا فان الوظيفة التوجيهية للاقتصاد المفترضة في الحداثة قد وضعت قيد السؤال.

فيما يتصل بتخصصاتهم الاكاديمية، كان العلماء من امثال بيتسون وميلز وبولدنغ ووالرشتاين ونايس وميدوز وشوماخر ولوفلوك شخصيات بارزة. فقد كسبوا قدرا كبيرا من الاحترام من نظرائهم، وعلى الرغم من ذلك ولعدة عقود اخرى شرع العلم الاجتماعي الحديث في اتجاهه الرئيس بإقناع صناع السياسة ان النمو الاقتصادي يعادل رفاهية اكبر وسلام اكثر. [2] وفي المرحلة الاخيرة من المعجزة الاقتصادية الالمانية، كانت نظرية النظم وحدود النمو خاضعة لنقاش الاقلية الفكرية، في الوقت الذي شهدت الدولة القومية الحديثة ودولة الرعاية الاجتماعية والدولة الدستورية الوصول إلى ذروتها ثم لاحقا تراجعها. وإذ بدأ النور المنبثق من حملة المشعل الاوربي لدولة الرعاية الاجتماعية من امثال الالماني ويلي براندت والنمساوي برونو كرايسكي والسويدي اولوف بالمه، رفقة الامريكي جيمي كارتر (الذي لم يكن نوره لامعا للبدء معه)، كذلك بدأ الاعتقاد السائد بعمق بهذا النموذج من الدولة والاقتصاد السياسي بالتقلص.

كان تعسّر المكسيك في عام 1982 تذكيرا ان الدول القومية، خلافا للرأي الذي يتشارك به الكثيرون، يمكن ان تشهد انهيارا اقتصاديا وإن مثل هذا الانهيار كانت له عواقب جدية اثرت على الاقتصاد العالمي برمته، بما فيه المراكز. كان الخوف ـ وهو خوف نافذ كما تبين لاحقا ـ ان المكسيك قد تعلن سلسلة انهيارات للدول غير المحورية ولها انعكاسات تؤثر على قلب النظام العالمي، قد ادى إلى تطوير تدابير مشددة من اجل مثل تلك الدول. كانت تلك التدابير، بالتنسيق مع صندوق النقد الدولي، مدونة في التاريخ على انها «برامج تعديلات بنيوية». وبعبارات بسيطة، فهي بنيت على مبدأ ان على الدول غير المستقرة ان تقلص بشكل كبير جدا نفقاتها الوطنية في الوقت

---

(1) (1979)Lovelock.

(2) ومن بين الامثلة الكثيرة (1993، ص 549 ـ 589)Heinrichsmeyer et al..

الذي تفتح اقتصاداتها وتحررها، إن ارادت ان تحصل على الدعم الدولي في الاوقات الصعبة. اصبح الغاء التأميم وتحرير الاقتصاد بشكل كبير شعارين اصبحت من خلالهما دولة تلو الاخرى من دول الجنوب عرضة إلى نظام صارم ذي مبدأ اقتصادي احادي وسيطرة مؤسسة تدار عالميا. وفي هذه العملية، كانت مؤسسات الرعاية الاجتماعية الاساسية مثل المدارس والمستشفيات (احيانا عائدة إلى الحقبة الاستعمارية) تخضع للخصخصة، وتقلصت حقوق السياسة الوطنية والعوائق التجارية، في الوقت الذي بقي فرض قيود عالمية على رفع الضوابط تحت رقابة مؤسساتية. وكنتيجة لمثل هكذا تحرير فان عدد وزراء المالية في الدول الجنوبية ممن له السيطرة على موازنته قد هبط بسرعة. تحت جميع النوايا والاهداف صارت الحكومات بشكل كبير تحت رحمة مستشاري صندوق النقد الدولي.

كانت التاتشرية والمذهب الاقتصادي لريغان وهما يضعان بداية النهائية لدولة الرعاية الاجتماعية الحديثة في سبعينات القرن العشرين مكرستين لما تسمى بالسياسات الليبرالية الجديدة لتحرير الاقتصاد والغاء التأميم. لخص انتوني غيدنز[1] لاحقا اسس هذا التيار الليبرالي الجديد باستخدام المصطلحات الاتية: الحد الادنى من التدخل الحكومي والقومية والاستبداد الاخلاقي واصولية السوق والتحديث الخطي والتنظيم الذاتي لسوق العمل والفردية الاقتصادية والمجتمع المدني المستقل ونظام رعاية اجتماعية ضعيف وقبول عدم المساواة ووعي بيئي متدنٍ وواقعية جديدة في السياسات الدولية وتركيز ايديولوجي على نظام عالمي ثنائي القطب.

كانت السياسات بشأن الضرائب والخصخصة الجذرية للأصول الوطنية التي انتهجتها حكومتا تاتشر وريغان قد رافقتها استثمارات دافعها ايديولوجي في صناعة الاسلحة، وهو قطاع لا يدر منافع على الاقتصاد الوطني. خلق العجز المرتفع في الموازنات الناتج عندها تداعيات سلبية للقطاعين الاجتماعي والتعليمي. وفي السنوات التالية، قادت مثل هذه السياسات الحكومات حول العالم. وفي الوقت الذي كان لهذا عواقب كبيرة ففي المحصلة جلب الانتباه، ليس في بحث السلام، والمسائل

(1) (1998، ص 9) Giddens.

بشأن النفقات المنتجة اجتماعيا واقتصادية بل قبل كل شيء النفقات العامة ذات المردود. [1] ان البحث عن فوائد السلام الذي جرى توقعه بكثرة، على الرغم من إنه مفقود، في نهاية الحرب الباردة مهد الطريق لفهم عبر عقلاني لعلم الاقتصاد. بيد انه يحتاج الامر إلى وقت والعديد من الازمات الشديدة قبل سماع الرسالة من قبل قاعدة جماهيرية اكبر.

من وجهة الوقت الحاضر، فان ما تسمى مرحلة الليبرالية الجديدة لعلم اقتصاد ما بعد الحداثة وتضاربها الكئيب تبدو انعكاسا لفقدان القدرة على تحديد الاتجاه ضمن المراكز الاقتصادية التي اثّرت على مستقبل العالم. لم يعمل كل من مارغريت تاتشر ورونالد ريغان بنمط جديد: فهما كانا رمزين من رموز ظرف ما بعد الحداثة في فترتهما. اذ قادهما غضب مشوش ومربك فقد شنا حملة صليبية ضد كل ما هو مقدس لدولة الرعاية الاجتماعية الحديثة.

وفي الوقت الذي يرى فيه الكثيرون الصدع بين الاتجاهين الليبرالي والمحافظ اساسيا لدرجة ان تأثيرهما على الليبرالية الجديدة لا يمكن سوى ان يؤدي إلى اسوأ الكوارث الاقتصادية، لا يسعني سوى الشعور بجاذبية معينة في تناقض الليبرالية الجديدة. أليست الليبرالية الاقتصادية مدافعة عن اكبر قدر ممكن من الحرية في تدفق العوامل الاقتصادية؟ وحيث ان الامر صحيح كون التاتشرية والمذهب الاقتصادي لريغان قد شكلا بداية ازالة متعنتة لمعظم القيود لتبادل استثمار رأس المال العالمي والموارد الطبيعية، كان رهابهما القومي على الرغم من ذلك قد نزع الشرعية عن التدفق الحر للأيدي العاملة، اي العمال والناس. وفي الوقت الذي يكرران شعار ادنى تدخل حكومي وسوق عمل ذاتي التنظيم والفردية والمجتمع المدني المستقل ـ والقبول بجميع العواقب في اعقابها ـ تقاسمت نفس تلكما الحكومتان حدودهما ضد التنظيم الذاتي الحر لسوق العمل العالمي لانهما كانتا خائفتين من اثارة حركات الهجرة. واذ ان الظروف التي خلقتها سياسات الليبرالية الجديدة قد تركت الناس على الهامش دون الامن المعيشي ولأن المراكز تتطلب ايدي عاملة من اجل تسيير اقتصاداتها اكثر مما

(1) (2009، ص 231)Barash and Webel. (1)

قد يرغب سياسيوها، أعقب ذلك تدفق اعداد كبيرة من المهاجرين غير الشرعيين. وبالنتيجة صار مصطلحا «غير شرعي» و«هجرة» توأما سياميا في الخطاب السياسي للمنظومة العالمية في المراكز الاقتصادية.

لذا اصبحت الليبرالية الجديدة مثالا رئيسا للطبيعة المتناقضة لوضع ما بعد الحداثة: اذ انه في حين كان الاعتقاد الطاغي الكامن وراء صنع السياسة هو ان جميع الناس سيترفهون ان ازدهر الاقتصاد وإن ذلك يمكن الوصول اليه بإزالة التدخلات الاقتصادية للدولة الحديثة والغاء تأميم الاقتصادات الوطنية، كانت العمالة ـ وهي عنصر اقتصادي رئيس مثلما عرفتها النظرية الاقتصادية التقليدية ـ عرضة لسياسة وسيطرة سياسة مشددة. وفي النتيجة، بدلا من ان يزدهروا فان الكثير من الناس كانوا يعانون.

ان كان مقدرا لي ان استخدم تناقض ما بعد الحداثة كي اثبت الاهتمام القاطع والمنسق لعاملين معينين، عليّ ان افترض وجود مؤامرة ساخرة عند مافيا الليبرالية الجديدة تفرض سيطرتها على وسائل الاعلام المهيمنة والمؤسسات الاكاديمية، وهكذا تتحكم بشكل منظم بالرأي العام. مع ذلك فاني لا اؤمن بهكذا سيناريو؛ بل اني اجد التناقض تعبيرا عن التشاؤم الديونيسي الذي طغى على جيل قاد الخوف افعالهم. اني ارى التشاؤم الديونيسي حالة عاطفية وعقلية يبتعد فيها جيل عن الاساطير والحقائق المفترضة للجيل السابق دون ان تكون لديه اسطورة جديدة وموحدة ما يؤدي إلى خيبة امل في انقى صورها.

في ثمانينات القرن العشرين، وبخاصة بعد انهيار الاتحاد السوفييتي، صار هذا هو الاطار الطاغي للعقل في المراكز المهيمنة في النظام العالمي. وحيث بقيت الآمال بتوحد الانسانية تحت نموذج واحد عالمي للحقيقة والحكومة والمجتمع والاقتصاد غير متحققة، اختفى الاعتقاد بدولة رعاية اجتماعية ديمقراطية هو والمفهوم المعادي له الاشتراكية. تميزت خيبة الامل في ما بعد الحداثة بمواقف اثبت فيها التاريخ خطأ اهداف سياسية كبيرة. انتهى الصراع الكبير للأهداف المتعادية دون فائز. ادّعى فرانسيس فوكوياما [1]، وهو يحتفلبـ «نهاية التأريخ» في اعادة طرح فكرة هيغل التافهة،

(1) (1992)Fukuyama.

ان جميع النظم الشمولية محكوم عليها بالفشل لأنها لم تكن تتناسب مع المبادئ الاساسية لليبرالية. كان هذا وهما محزنا. فالهدف الموحد لليبرالية، الذي على ما يبدو مشتركا لكل الانسانية، كان مفقودا وعمّت خيبة الامل. حيث ليس هناك من هدف يفقد السباق اتجاهه والغرض من ورائه. يصبح الناس واعين لنسبية جميع الحقائق التي آمنوا بها في فترة الحداثة.

ونتيجة لذلك، فقدت تلك الحقائق قوتها للإقناع، التي ولدت الخوف من المجهول والقلق بشأن البقاء الفردي والجماعي. كان الشعور الطاغي هو ان العالم كان بحاجة إلى الانقاذ. في حماية البيئة، جرى التعبير عن هذا المزاج في تجديد متسرع للنقاش حول الاستدامة الذي، بعد مؤتمر ريو في عام 1992، يعيدنا إلى مثل بولدنغ في ستينات القرن العشرين بشأن الارض السفينة الفضائية. [1] وفي شؤون الاقتصاد الذي يفهم بشكل متزايد كونه اقتصاد عالم رأسمالي موحد ومترابط غير انه نظام فوضوي، اصبح التكيف البنيوي هو العبارة السحرية: انقذ الليبرالية بالسيطرة الاقتصادية على اولئك الذين يفشلون. لم يلق التناقض للاقتصادات الوطنية المتخبطة الخاضعة لرقابة مشددة الا القليل من الاهتمام، تحت مسميات التحرير والتجارة الحرة والازدهار مادام الدول المعنية هي التي صنفت اساسا على انها دول نامية، ومنذ تسعينات القرن العشرين اشير اليها على انها «الضعيفة» و«الفاشلة» و«المنهارة».

عارضت الولايات المتحدة، التي صاحبة النفوذ الاقوى بين الدول المرفهة في العصر الحديث، تأسيس منظمة التجارة العالمية، وهي المنظمة التي يمكن ان تتحكم بالنظام الاقتصادي العالمي. اثناء الحرب الباردة كانت منظمة التجارة العالمية قد فشلت في تحقيق غايتها، الامر المشابه لفشل مجلس الامن الدولي. مع ذلك فان منطق الدولة القومية القوية وذات السيادة لم يفسح المجال لهكذا مؤسسة؛ وبدلا عن ذلك جرى التوصل إلى اتفاقية فضفاضة دون اسنان: الاتفاقية العامة للتعرفة والتجارة (الغات). لم يكن الا في مزاج ما بعد الحداثة في تسعينات القرن العشرين ان تأسست منظمة التجارة العالمية، وهي المؤسسة التي قوبلت بتناقض تنظيم عالم ذي اقتصادات وطنية متحررة.

(1) (1966، 14 - 3 ص)Boulding. (1)

وفي نفس الفترة اكتشف البنك الدولي، وهو المثال المناسب لمعهد بريتون وودز الاقتصادي، بناء السلام إلى حد كبير. في عام 1997 شكل وحدة منع النزاعات واعادة البناء ومنحها صندوق ما بعد النزاعات السخي. واذ انه يعمل تحت ادراك ان معظم نزاعات ما بعد الحداثة يمكن ان تندلع مجددا في غضون خمس سنوات من انتهائها المؤقت، مع ضمان ان على الاقل جيل اخر اضافي سيكون منشغلا بالتعامل مع عواقب مثل تلك النزاعات، بدأ البنك الدولي يستثمر اموالا طائلة في بناء السلام. [1] قاد هذا النهج الاعتقاد المثالي ان النزاعات يمكن حلها عبر الاستثمار المالي وتلبية الحاجات المادية.

وبحلول الالفية الجديدة كانت ايديولوجيا التكيف الهيكلي وتحرير الاقتصاد قد انتشرت من الهوامش إلى مراكز النظام العالمي. وبرغم خصخصة الاصول الوطنية فان الكثير من البلدان الصناعية عالية التقدم قد رزحت تحت ديون كبيرة. وبالتالي، فإنها ايضا طبقت برامج تقشف صارمة اختلفت بالتسمية فحسب عن برامج التكيف الهيكلي في الدول الهامشية. بدأ هذا بانفجار ما يسمى فقاعة التكنولوجيا العالية بعد وقت قصير من بداية الالفية الجديدة واستمر مع الازمة العقارية في الولايات المتحدة في عام 2008 التي تطورت إلى ازمة مالية ومصرفية عالمية وأدت إلى ازمة دين في العديد من المراكز الصناعية.

قد يعترض البعض بالادعاء ان الافلاس الفعلي لولايات مثل كاليفورنيا ودول مثل فنلندا واليونان والبرتغال وايطاليا واسبانيا وايرلندا في عام 2010 و2011 لا يمكن مقارنته بانهيار الاقتصادات الوطنية الهامشية بسبب الناتج الاقتصادي الاقوى لها. وانا اشارك هذا الاعتراض. ومع ذلك، أليس ايضا صحيحا ان تلك الاضطرابات العميقة في المركز تنتج عواقب اكثر قسوة يمكن الشعور بها في كل مكان في النظام العالمي؟ أ ليست هي مؤشر على نقطة تشعب في النظام، [2] لعتبة تؤدي إلى نوع جديد من النشاط ذلك الذي لا يسمح باستمرار الانماط السابقة؟ واليوم حتى مدراء البنوك ورؤساء

(1) التقرير السنوي متوفر على الموقع: البنك الدولي/ صندوق ما بعد النزاعات (24 ايار 2010).
(2) نوقش الامر مفصلا في لاسلو (1991).

الدول يطالبون بتقديم ضريبة توبين[1] أو الضرائب على المعاملات المالية العالمية. يطالب وزراء المالية بمراقبة دولية على الموازنات الوطنية حتى في مركز النظام العالمي، وينادي السياسيون الشعبويون من اجل وضع نهاية للرأسمالية المفترسة. ومع ان هناك اتفاقية منذ امد بعيد لتنظيم الرأسمالية واسواق المال هي لن تكون منطقية الا اذا اشتملت على جميع المراكز الاقتصادية، الا ان هناك الان عددا من الحكومات التي ابتدأت بمثل هكذا مساع فردية وتمارس سيادتها التقليدية في جهود مشهودة في مجالات القانون الدولي والاوربي والاقتصادي.

هل ان مثل هكذا ردود فعل بسبب الذعر تكشف ان النخب السياسية قد فشلت في التعامل الدقيق مع هذه الامور؟ بدلا عن ذلك سأجادل اننا ننظر إلى تكشف نظام قوي في نقطة انفصال. على اية حال ما من احد قادر على مراقبة النظام دون التطورات قصيرة الاجل. يبدو ان هذه هي النقطة حيث يصل الارتباك في ما بعد الحداثة إلى ذروته.

ان كانت الازمة حقا تمثل نقطة انفصال وليس مجرد حالة ما بعد حداثوية لعاملين رئيسين في الاقتصاد، علينا عندها ان نسأل اي نموذج ادارة اقتصادية رأسمالية يبدأ بالفشل ـ لان علينا ان ننظر إلى النماذج وليس النشاط الاقتصادي ذاته. النموذج هو نوع من سلوك عميق التجذر في فهم الناس للعالم لم يسبق لهم ان شكّوا بصلاحيته. هذا قول سيكولوجي، بيد ان علم الاقتصاد مبني على علم النفس ما دام ليس هناك من قيمة موضوعية في الاقتصاد، بل فقط قيمة يسندها الشعب. [2] ان كانت نية الاقتصاديين هي لتلبية الحاجات فحسب فلن تلعب دورا رئيسا في عالم ما بعد الصناعي. ومع ذلك فان الامر يتعلق بتلبية الطلب، وإن الطلب هو ما خلقته الحداثة بانتظام من خلال العرض.

---

(1) في عام 1972 اقترح الاقتصادي الامريكي والفائز لاحقا بجائزة نوبل جيمس (1918 ـ 2002) ضريبة على المعاملات المالية الدولية من اجل كبح التوقع قصير الاجل للتبادل. كانت نيته لربط معدلات التبادل بشكل وثيق بتطورات بعيدة الاجل في الاقتصاد وفصلها عن توقعات المضاربة قصيرة الاجل. في تسعينات القرن العشرين كان اقتراحه قد تناوله نقاد الجناح اليساري حول العولمة، الا انه قد رفضه الاقتصاديون الذين ظنوه ايديولوجيا وعدائيا ضد اقتصاد السوق. يبدو الامر مفاجئا إلى حد ما، لذلك، ان فكرة توبين قدمها رجال السياسة والبنوك اثناء الازمة المالية في عام 2008.

(2) (1995، 20 ص)Leube.

سعى المجهزون لتوسيع الاسواق من اجل زيادة العائدات لأعمالهم. وبمنافسة بعضهم البعض في العملية فقد خلقوا منافسة ونموا، والذي وفقا للمنطق الرأسمالي يزيد من ازدهار الجميع.

قبل عدة عقود اشار ايمانويل والرشتاين، [1]بالاستناد إلى ماكس ويبر وكارل ماركس، ان هناك تناقضات كبيرة بين المنطق الرأسمالي كونه نظام والموقف السيكولوجي لممثلي الرأسمالية الافراد. وكما سبق الاشارة اليه يتطلب منطق الرأسمالية تدفقا حرا للإنتاج والايدي العاملة ورأس المال والبضائع. مع ذلك، وفيما يتعلق الامر بالمنطق السيكولوجي للرأسمالي الفرد، فقط تدفق محدود لهذه العوامل هو المرغوب. يرحب الرأسماليون الفرادى بالعقبات عندما يعززون موقفهم في السوق. وهي عقبات غير منطقية فيما يتعلق بالنظام غير انها منطقية ولا غنى عنها فيما يتعلق بمصالح مجموعات معينة، مثلما ان ازالة العقبات قد يكون لا غنى عنه ومنطقي من وجهة نظر مجموعات اخرى. ان منطق الرأسمالية وقانونها بشأن العرض والطلب مبني على افتراض سوق تنافسي بشكل تام. وعلى النقيض من ذلك فالمنطق السيكولوجي للرأسماليين الافراد يفضل اسواقا يمكن ان استثمارها والالتفاف عليها. وفي نهاية المطاف ستتحقق اعلى العوائد عبر الاحتكار. يكافئ منطق الرأسمالية التصرفات الفردية في حين يفضل الرأسماليون الافراد سلوك مستهلك موحد، بشرط ان وفورات الحجم ستثمر عن عوائد اعلى. لذا يهدف المنطق السيكولوجي إلى تقويض الخيارات المتوفرة للمستهلكين إن انتج ميزة تنافسية. ووفقا لمنطق الرأسمالية يجب اتخاذ قرارات على اسس اقتصادية وهذا سبب وضعها نفسها في معارضة للتدخلات السياسية. ومن جانب اخر، فالمنطق السيكولوجي للرأسمالية يفضل التدخلات السياسية طالما انها تسمح بالتحكم بالسوق. وبالنظر إلى منطق الرأسمالية فالهدف التنفيذي لجميع الافعال هو التراكم الدائم لأعلى ربح ممكن، في حين ان المنطق السيكولوجي للرأسماليين لا تبحث عن الربح، بل عائد الاستثمار الذي يعد مكافأة على الجهود المبذولة والمخاطر الناجمة. تمثل عوائد الاستثمار الية تجعل من الممكن زيادة الارباح تفوق تلك التي تتحقق في السوق التنافسي.

(1) (1990، 189 - 167 ص)Wallerstein. (1)

وباختصار تعد الرأسمالية نظاما توجد فيه تناقضات كبيرة بين المنطق الوظيفي والمنطق السيكولوجي الذاتي لعامليه الاساسيين. ولكون هؤلاء العاملين الرئيسيين لا يهدفون إلى المنافسة، بل إلى ضمان الاحتكار ولا يبحثون عن الربح، بل عوائد عن الاستثمار، من الممكن ان يكون توازن النظام يسيئه النجاح المفرط المتحقق لفرد أو مجموعة. ومن اجل ان يحصل ذلك ليس من الضروري وجود مؤامرة لان توازن النظام يبنى على فرضية ان كل حركة ناجحة لعامل يستجاب لها بصورة عدائية من المنافسين. ان توقفت الحيوية لفترة طويلة سينتج التناقض عدم توازن للنظام.

ان النظام موجه بطريقة تفترض استهلاكا متزايدا باستمرار للموارد. ان اخذنا بنظر الاعتبار الموارد الطبيعية المحدودة التوفر، فقد كانت هناك ازمات متكررة جميعها اديرت بشكل مؤقت باستخدام الموارد المتوفرة للنظام، من خلال ابتكار تكنولوجي أو من خلال اعادة توجيه السوق. مع ذلك، قاد عدم التوازن المزمن اذ تُرك دون حل إلى مشكلة متسللة ودائمة لتوزيع السلع الاساسية في كل ارجاء العالم. وفي المحصلة جرى استثناء اناس اكثر فاكثر من الاستهلاك بالرغم من زيادة الانتاج. وفقا لجميع المعايير المعنوية والاخلاقية للحداثة، وفيما يتعلق بالرأسمالية نفسها، فان هذا الامر غير عادل وغير عقلاني.

يثير هذا الامر الاسئلة السياسية الاتية: كيف تكون الرأسمالية التي تركز على النمو منطقية وعقلانية؟ فجميع النظم السياسية للحداثة كانت مبنية على النمو. هل يعني هذا ان الاقتصاد لا يحتاج سوى إلى تجربة نمو قوي من اجل التغلب على الازمة الحالي ويجعل مساعدة الضحايا ممكنة؟ ام هل ان الحداثة في مرحلة حيث استنفذت فخ نمو مفرط العنف؟ هل ان النمو متطلب لا غنى عنه في عمل السلام لان الاقتصاد عامل اجتماعي اساسي؟

ومن الطبيعي ان لا تكون مثل هذه الاسئلة موجهة إلى منطق النظام بل نحو ناشطيه، الافراد المتلقين الذين عليهم الاجابة عنها من بين منطقهم السيكولوجي. وكما اشرت سابقا، توجد اشياء ليس لها معنى بحد ذاتها، بل ان المعنى هو ما يعزى لها. يبزغ المعنى من الرؤية الداخلية، ليس المظهر الخارجي. في الاقتصاد الحقيقة تصنع

الاشياء التي نحن واعون لها، وليس العكس. ان معاني الاشياء ذات نحو ذاتي. [1] هل يكون الفاعلون الرئيسون في الاقتصاد العالمي وهم يواجهون الازمات التي تسببها حقائقهم وتكون محسوسة في ارجاء العالم قادرين على تحويل انماطهم وراغبين في ذلك، ام هل ان لا يزال هناك الكثير من المقاومة والقليل من المعاناة؟ ومن بين احد مبادئ علم النفس الانساني يكون الموت اسهل من التحول الذاتي. نحن راغبون اكثر في تقبل ثمن الجنون من ان ننأى بأنفسنا عن الروابط الروحانية التي تخلط مشاعرنا بعمق. [2] في حالات الازمات ينحو الناس إلى التصرف وفقا لأنماط ذات استيعاب طويل الامد. تعني المقاومة تفضيل الالم المعروف على المخاطرة غير المعروفة العواقب للتغيير. هذه هي سيكولوجيا الاشخاص والافراد الرأسماليين. والسؤال الان هو فيما أن يتمسك الفاعلون الاقتصاديون بأنماطهم القديمة للعقلانية الميكانيكية، ام فيما ان يكونوا مستعدين لتجاوزها وأن يسمحوا بنظام جديد ومعنى عبر عقلاني وحيوية وتوازن.

ان كان التحويل يعني ان كل من تأثر في نزاع له حرية الاختيار من بين ثلاثة خيارات أو اكثر فعندها يمكن للتفسير عبر العقلاني للاقتصاد ايضا ان يدمج حجة بولدنغ بشأن اقتصاد لا يركز على النمو. وما يزيد الطين بلة بعد الازمة هو، مع ذلك، ليس ازمة البنوك والتمويل والاقتصادات الوطنية فحسب، بل ايضا ازمة المناخ والغابات والمحيطات، وان كلا المنطقتين ذات صلة بالمفهوم القديم للنمو غير المحدود. بالنظر إلى الازمات الحالية، فليس من غير العقلاني تجاوز حدود العقلانية الميكانيكية لعلم الاقتصاد الحديث عند البحث توجه جديد لعمل السلام وفي العملية لطرح تساؤل بشأن اولوية الاقتصاد على السياسة، لذا ان يعدّ الاقتصاد شرطا وليس متطلبا مسبقا في عمل السلام وهنا التساؤل بشأن الاصرار على النمو.

يشير جون بول ليديراخ، الذي مثل من فترة طويلة هذا النوع من الفكر شأنه شأن العلماء الذين ذكروا سابقا، إلى التوجه هذا كونه «خيالا اخلاقيا». [3] وحيث ان التجارب

(1) (1991، 128 - 124 ص)Satir.

(2) (2002، 88 ص)Ruppert.

(3) (2005، ص vii - xi)Lederach.

الحديثة في الدبلوماسية وعمليات السلام الدولية والمعونة الانسانية قد بيّنت، يبدو مثل هكذا خيال يبدو صالحا. اني اشير إلى الفكرة نفسها على انها عبر عقلاني. ومع ذلك، فاني اختلف عن ليديراخ في نقطة واحدة اساسية: في تقييمي للعدالة وتأويلها. يستخدم ليديراخ في عمله السابق التعبير الجديد «السلام العادل» الذي يعرفه على النحو الاتي:

> توجه نحو تحويل النزاعات يتميز بنهج يقلل العنف والدوائر التدميرية للتفاعل الاجتماعي وفي الوقت نفسه يزيد العدالة في اي علاقة انسانية[1].

يتوافق هذا المنظور مع خلفية ليديراخ المينوناتية ولذا فهو مفهوم. على اية حال، ليديراخ هو مؤسس مشارك في مركز العدالة وبناء السلام في الجامعة المينوناتية الشرقية في فيرجينيا. علاوة على ذلك، يبدو ان تعريفه يتوافق مع الاتفاق العام لأنه ليس بمصطلح خاص بالطائفة المينوناتية. انه يعكس اقتناعا اخلاقيا موجود في المسيحية كما في اليهودية والاسلام والماركسية. وفي هذه النقطة يبدأ اهتمامي. في الجزء الاول من هذه الثلاثية[2] ناقشت تعريف العدالة لنبي الله إشعياء في العهد القديم واستنتجت ان السلام الناجم عن العدالة الذي اعلنه الله الخالق الاوحد على الارجح يحدد خيال المؤمنين اكثر مما يوسعه. وفي هذا الصدد لا يدرك السلام في الحاضر بل يؤجل إلى مستقبل افضل، تاركا الحاضر مكانا للبؤس. وما ان يرتبط الفهم الخطي للوقت الاجتماعي المتأصل في هذا الفهم مع الصيغة المادية للعدالة ترسو الارضية لأيديولوجيا تتسم بالرغبة في الانتقام من اجل المظالم ـ محتمل ان تكون اسطورية ـ في الماضي وبالحسد في الحاضر والتوق للعدالة في المستقبل. اشرت في الجزء الاول إلى الصلات بين الانتقام والماضي وبين الحسد والحاضر وبين الطمع والمستقبل، ليس كونها اخلاقيات اشكالية فحسب، بل ايضا تبريرا للعنف والحرب يتسبب به الخوف والاستبعاد.

بالنسبة لشخص مثلي، نشأ في بيئة اجتماعية حيث الثقافة الحياتية في اوروبا

---

(1) (2005، ص 182)Lederach؛ نوقش الموضوع بشكل مسهب في (2007 أ) 8) Lederach كانون الاول 2010) حيث جرى تعريفه باختلاف طفيف.

(2) (2012، 76 - 72 ص)Dietrech.

الوسطى، حمل مفهوم إشعياء بوضوح مخططا لأخلاقيات السلام وصل الي من خلال المسيحية في القرن العشرين الذي ترجم إلى سرد ماركسي وكان حاضرا في الجامعات. تأتي المسيحية والماركسية سوية في لاهوت التحرر. (1) وبعد ذلك وجدت ان الاسلام ايضا يتبع هذا النهج. ومن خلال النقاش مع علماء دين شيعة عرفت من وجهة نظرهم ان السلام ليس اولوية ان لم يكن مبني على العدالة. ووفقا لذلك يمكن تصور الحرب محاولة للعودة إلى العدالة. ولقد جرى ابلاغي ان دستور ايران يبنى على مبدأ السلام المبني على العدالة. (2)

يثير هذا، من وجهة نظري، مسألتين: الاساس الثقافي العميق للسلام الناجم عن العدالة الذي ظهر في حوض البحر الابيض قديما قاد إلى مبدأ الحرب العادلة، وهو المبدأ الذي نال شعبية واسعة ودام طويلا دون تغيير لآلاف السنين من إشعياء إلى سيسيرو والقديس اوغسطين وتوما الاكويني جورج بوش الاب ومحمد احمدي نجاد. وفي هذا الصدد ارتقت العدالة إلى عامل محدد رئيس عرضة له بالضرورة كلا من السلام والحرب. بيد ان العدالة لا يمكن قياسها بحيادية. انها ليست شرطا بديهيا. بل انها مثال نموذجي يوضح كيف يعزو العاملون معنى يحدد داخليا إلى سياقات وحالات معينة. في هذه الحالة تحدد حقيقة المرء ما يتصور. ان كان للعاملين غير المدركين لهذه العملية يحملون وجهة نظر عالمية حيث تبدو افكارا طبيعية وبديهية عن الانتقام للماضي والحسد للحاضر والطمع للمستقبل عندها ستتطور خلطة متفجرة. في البوذية يشار إلى طريقة التفكير الثلاثية هذه بشكل مقنع كونها ثلاثة سموم روحانية. بالنسبة لي فهي تبدو انها تحوي كل مكونات العنف والحرب.

وفيما يتعلق بالعلوم الاجتماعية الميكانيكية للحداثة، وبخصوص معتقدها ان العلاقات الاجتماعية والدولية يمكن تحليلها بموضوعية، فقد تكون العدالة مثالية تضمن حسن سير مجتمع ما يجرى تصوره على انه ماكنة. مع ذلك لا يمكن للاعتقاد بهذه المثالية ان توازن عقلانيا لأنه إن اخذنا بنظر الاعتبار المنطق السيكولوجي للعاملين فان معنى العدالة دائما غير موضوعي ويبنى على مصالح الافراد أو المجموعات

---

(1) (2012، 197 - 193 ص)Dietrech.

(2) النقاش الكامل لهذا الموضوع المثير للجدل موجود في (2011)Dietrech.

وتأثيراتهم. وفقا لفرجينيا ساتير ان تتوقع العدالة هي كأنك تتوقع ان يتغير الجميع غيرك في حين وجهة نظر المرء وعالمه الداخلي يبقيان على حالهما. لذا على الناس اولا ان ينأوا بأنفسهم عن افكارهم بشأن العدالة من اجل السماح بتحويل النزاعات. [1]

وفي المقابل فالناس الذين يحافظون على افكارهم التي تختلف عن الفكر المهيمن على المجموعة والذين عادة يشعرون بالإقصاء ينحون إلى التطرف في فكرهم. اذ يشعرون انهم عوملوا بظلم فانهم ينمون كراهية للأغلبية التي اقصتهم. هم ايضا يسعون إلى العدالة. وإذ يركزون على اهوائهم فانهم ينمّون افكارا عن نظام عالمي اكثر عدلا. تصبح عندها وجهات نظرهم وافعالهم بشكل متزايد مشابهة بتلك التي يحملها اولئك الذين ينتقدونهم. من الناحية السياسية فان الناس الذين يشعرون بالإقصاء وتخذلهم مجموعتهم غالبا يتبنون مواقف معارضة بتطرف. تتشكل ائتلافات من المحرومين التي غالبا ما تلجأ إلى اية وسيلة في نضالهم من اجل العدالة. وإذ انهم معزولون عن المدونة الاخلاقية لمجموعاتهم ودون احد منهم يمكنهم ان يصلوا حتى إلى تبرير قتل غير المقاتلين أو يلجأون إلى الارهاب، مثلما حصل مع العديد من المجموعات الثورية. في الارهاب، فان غضب الناس العادلين ضد كل من هو غيرهم يتحول إلى شغب. ودون الاخذ بالحسبان حياة الافراد، يمكن لأي كان ان يصبح هدفا محتملا للعقاب لما يجري تصوره فرديا أو جمعيا كونه ظلما. فالثوار الذين يسيطرون على الحكم عادة يعملون بنفس اساليب اولئك الذين كانوا يقاتلونهم. عندها يترجم الرعب المستخدم في قتال الثوار من اجل العدالة إلى نظام جديد للإقصاء والاضطهاد والظلم ما يؤكد ان دوامة العنف سيكون لها عودة اخرى. في الوقت الذي يعزز السعي لتحقيق العدالة حيوية نظام ما فان حركة المعارضة الطبيعية للممثلين تتطلب توازنا فعالا. تعدّ العدالة كونها من مبادئ النظام «كابوسا شموليا». [2]

فضلا عن ذلك، مجرد فكرة العدالة تبني تقدما خطيا وسببيا للماضي والحاضر والمستقبل. ليست العدالة مفهوما هادفا دون عدالة، على العكس، لهذا لا يمكن مناقشة العدالة بحد ذاتها. لذا فان اية محادثة حول العدالة سوف تستفيد من مظالم

---

(1) (1991، 171 ص)Satir.

(2) (2002، 108 ص)Ruppert.

الماضي التي تجعل الحاضر اسوأ مما يمكن ان يكون، من هنا تأتي المهمة، أو ربما حتى الواجب الديني أو الايديولوجي من اجل لتصحيح هذا العوز كي نضمن افضل مستقبل ممكن. وبمعنى اخر، تتلاعب العدالة بحاضر دمره الماضي من اجل اهداف مستقبلية. يناقض هذا كل ما جادلت بشأنه في هذا الكتاب بخصوص اهمية الحاضر كونه الحقيقة الوحيدة المتوفرة. عندما يجري النظر إلى العدالة على انها شيء يجب التطلع اليه وخلقه، عندما ستبعدنا عن ما نحن عليه وتنطلق بنا إلى ما علينا القيام به. يناقض هذا الفهم للعدالة فهم ليديراخ للسلام ايضا. فهو يعد الفهم الخطي للزمن على انه اشكالي فيما يتعلق بمنهجه الشديد العقلانية في العمل في مجال النزاعات، الذي وفقا اليه اساس التحول يكمن في العلاقات بين الاطراف المعنية ويجب تقييمها ضمن معايير سيكولوجية وروحية واجتماعية واقتصادية وسياسية وعسكرية. وكما يفترض ليديراخ، فالمفهوم الخطي للزمن في الحداثة يجب اعادة النظر فيه من منظور علائقي، ثم سأجادل بان موضوع السلام السببي يصبح غير ذي صلة. [1]

لقد ارتكبت اسوأ الجرائم على مر القرون باسم العدالة. اني ارى العدالة عنصرا بناءً في الثقافة العميقة التي تميز الممارسات الاقتصادية الاوربية والغربية والحديثة والفكر التنافسي المتأصل. ترتقي الممارسات تلك إلى طريقة ديناميكية الا انها عنيفة لتنظيم المجتمع والعالم. مع ذلك قد نسمح لأنفسنا ان نتجاوز عقلانية هذه الممارسات. اي ان نضع ما نحوزه وتعلمناه وطورناه من خلال هذه الممارسات في خدمة السياق الذي جرى التعريف به حديثا. اني لا اجادل في ان علينا ان نفعل ذلك؛ بل يبدو انه فعلا يحصل. ان المعاناة التي تسببت بها ازمة الرأسمالية في ما بعد الحداثة من المستحيل تجاهلها ويبدو بديهيا بالنسبة لي اننا نتجاوز فعلا الحدود بين العقلانية الرأسمالية وعبر العقلانية التي هي قادرة على حرف الثقافة العميقة للمفهوم الاخلاقي والحديث للعدالة.

وبشأن التحوّل عبر العقلانية يجري تناول العدالة شأنا من شؤون الاقناع الذاتي والمجتمعي، اكثر مما هي التلبية الميكانيكية للطلب. على النمو على انه عملية،

(1) نوقش مبكرا عند ليديراخ في (1997، ص 4 ـ 75) Lederachو مرة اخرى في (2005، ص 24)Lederach.

وليس في مصطلحات غائية غرضا بحد ذاته. ينصب التركيز على ما نحن عليه فعلا وما نحتاجه الان وليس على ما يجب علينا عمله من اجل الارتقاء إلى مستوى تعريف مثالية مستقبلية. ان كانت ليديراخ قد جادل ذات مرة قائلا «ان لم نكن نعلم إلى اين نحن ذاهبون فمن الصعب الوصول إلى هناك» [1] فلم يكن بعد قد انجز التحوّل عبر العقلاني بوضوح في عمله الاخير. على النقيض من ذلك، فاني ادّعي اننا دائما مستعدون هنا، وإن اي نوايا بشأن المستقبل ستبعدنا عن علاقاتنا السلمية مع الحاضر. وبطبيعة الحال فان لأي فرد في اي علاقة توجه أو فكرة بشأن خطوته أو خطوتها اللاحقة، بيد ان يكون واعيا للطبيعة النظامية للواقع يعني ان مثل هكذا توجه ضروري لن يجلب وقائع مستقبلية بأسلوب سببي. لذا يشير التحوّل عبر العقلاني إلى الممارسات الاقتصادية التي من حيث المبدأ لا توجه نحو النمو أو التجهيز أو العدالة، مع ان النمو مسموح به ان كان نافعا في السياق؛ الابتكارات مسموح بها ان كانت نافعة في السياق؛ والعدالة يجري تداولها كونها قضية في التوازن المنظوماتي. انا لست اجادل في صالح ترك هكذا اسس في الاقتصاد السياسي، ولا ازالتها، ناهيك عن تجريمها؛ بل اني اؤيد تحريف الحيلة المعرفية ذات الصلة.

ان الازمة المالية والاقتصادية التي تسببت منذ عام 2010 في ازمة موازنة في العديد من المراكز الصناعية قد نقلت افكارا وجيهة الا انها كانت سابقا محظورة (مثل فرض ضريبة على المعاملات المالية) إلى جوهر النقاش السياسي، ما اعطى التحول عبر العقلاني قوة كبيرة في الشؤون الاقتصادية. سترى هيئة عامة متخصصة في الحداثة الامر غير سار، غير ان عدم السرور هذا يبدو تافها بالمقارنة مع البدائل التي تواجه النظام التي وصلت إلى نقطة الافتراق. يبدو ان منهج ليديراخ نحو تحويل النزاع الاستنباطي المبني على الشروط الاقتصادية ـ السيكولوجية لعمل السلام ويبدو ان نجاحه يثبتان ان التحول عبر العقلاني قد بدأ نافذ المفعول في الاقتصاد السياسي.

(1) (1997، ص 77)Lederach.

الفصل السابع

في الانعطافة عبر العقلانية لبحث السلام: الموضوعات، والمستويات، وطبقات تحويل السلام الاستنباطي

يختص بحث السلام عبر العقلاني بتوازن منهجي للوئام والعدالة والامن والحقيقة. في جوهر نظرية المعرفة يكمن السؤال الاتي: ما المعنى المحدد لهذه المصطلحات في حالة معينة؟ تعمل دراسات السلام عبر العقلاني على كل الجوانب الاربعة لهرم ليديراخ بأسلوب وصفي وليس توجيهي. لذا فإن الموضوع المعرفي لدراسات السلام عبر العقلاني هو التفحص المنهجي للعلاقات المتبادلة بين السلوك الفردي والسلوك المجتمعي في الميادين الافقية الاربعة (الوئام والعدالة والامن والحقيقة) وعلى كل المستويات العمودية من القاعدة الشعبية إلى الوسط وثم المستويات الاقليمية للإدارة والتنظيم إلى الممثلين الاعلى مكانة للدولة والمجتمع.

لا تسوّغ دراسات السلام عبر العقلاني عمليات الحل السببي ولا القواعد السلوكية التي تميّزها ولا تتبنى استنتاجات توجيهية. وهي لا تعزو سوى تأثير شافي محدود للتدخلات الخارجية سواء كانت مالية أو مادية أو شخصية. لذا، يعمل تحويل النزاع الاستنباطي مع الوقائع الآنيّة وعلاقاتها المنهجية المتبادلة. وهذا هو المعنى الجوهري للمصطلح «الاستنباطي». ان المصدر الاكثر اهمية لعمل السلام المستدام هو شبكة العلاقات للناس ذوي الصلة الذين يعمل معظمهم على مستوى القاعدة الشعبية وبعضهم في المستويات الوسطى والبعض القليل جدا في المستويات الاعلى[1]. وفي

(1) Lederach.(ليديراخ (1997, ص 94

النتيجة، توجد الاحتمالية الاولية ـ على الرغم من انها ليست الوحيدة ـ لعمل النزاع المنهجي والاستنباطي على مستوى القاعدة الشعبية. ان تحويل النزاع الاستنباطي دائما علائقي ومتعدد الابعاد وموجّه نحو العملية، لذلك ليس هناك هدف موضوعي معروف. يثير كل فعل حركي، سواء علاجي أو غير علاجي، تغذية مرتدة منهجية ولذا تخلق تحديات جديدة. وفي نهاية المطاف لا يمكن حل مشكلة ما الا من وجهة النظر الذاتية لذوي الصلة اولئك، في الوقت الذي ستستمر في تأثيرها ولا يمكن حرفها الا عبر عدة اجيال.

ومثلما ذُكر سابقا، افهم هرم ليديراخ ليس في ثلاثة ابعاد واسلوب رباعي فحسب، بل كنوع من دمى ماتريوشكا. من هذا المنظور، ليس فقط المستويات العمودية من القاعدة الشعبية إلى القيادة العليا والميادين المواضيعية الاربعة (الوئام الشخصي والامن العلائقي والعدالة البنيوية والحقيقة الثقافية) التي هي محبوكة في حلقة صراع. فضلا عن ذلك، فان وسع وعمق مركز منظومة الصراع يجب ان يؤخذا بنطر الاعتبار. يتطلب هذا التوكيد عرضا مفصلا.

من حيث يوضع بحث السلام والصراع ضمن ميدان العلوم الاجتماعية فانه يركز على العمليات ما بين الاشخاص وما بين المجتمعات وبشكل اساسي لما يسميه ليديراخ «الحلقات». واذ يعبر عنه بمصطلحات بحث السلام عبر العقلاني فان المنهج يختص بأساليب المواجهة والتواصل وبسلوكيات حدود الاتصال في العمل. ان كانت ومتى كانت هذه غير اعتيادية، عندها يشار إلى تلك الحلقات بتسمية «نزاعات» وهي التسمية المستخدمة في اللغة الشائعة. في معظم الحالات تجري دراسة المستويين المادي والشخصي الذين هما في الشكل الاصلي لهرم ليديراخ يمثلان السطح الظاهر لحلقة، وهو المظهر الخارجي للناس حيث يحدث انكار للشخصيات. وفي الوقت الذي لا تَعدّ الاشكال الاكثر تطرّفا للدراسات العلمية الوضعية للحداثة هذا المجال الوحيد الموجود، فإنها هدفت إلى انه الوحيد الذي يمكن مناقشته من الناحية العلمية. وجهة النظر الضيقة هذه قد توسعت من طرف البنيوية وما بعد البنيوية، التي فيها كل الطبقات لحالات الأنا كانت تُعدّ ذات صلة علمية. وما تلا ذلك فان الامور داخل الشخصية من حيث النشاط الجنسي والانتماء الطائفي والارتباط العاطفي والوعي

العقلي اصبحت موضوعات في بحث السلام وعمل النزاعات مثلما فعلت المجالات بين الاشخاص من العائلة والمجتمعات المحلية والمجتمع بشكل عام.

فضلا عن ذلك، يتبع المنهج عبر العقلاني سري اوروبيندو وجدّو كريشنامورتي في توكيد ان السلوك العملي الظاهر في حلقة ما من طرف الشخصيات كونها كائنات اجتماعية تحددها الدوافع الداخلية المتجذرة تحت طبقات الأنا عندهم علاوة على العوامل الخارجية للأبعاد فوق المجتمعية اعلاه. (1) تكشف رقصات الأنا للشخصية ـ الحلقات ـ حقيقة اعمق واكبر متاحة امام الحواس وتنبع من مركز الحلقات.

اختصت الدراسات العلمية بهذه العملية لعدة قرون ما نتج عنها مقترحات ومحاولات توضيح كانت بعدد هائل وبنفس القدر غير كافية. لا يمكنني ان اضيف إلى الدراسات العلمية الا عن طريق توفير منهج ينتج عن الاهتمام المعرفي بهذا الكتاب. في اكثر نوع راديكالي له، يضم هذا الفكر كل الطبقات التي يمكن تصورها من الذري إلى العالمي. (2) بيد انني لا ارغب بالمغامرة في مثل هذا العمق الفلسفي في هذه المرحلة. فيما يخص السلام وبحث النزاع كونه علما اجتماعيا فانه يكفي التحدي لاعتبار الطبقات التي تتسرب بشكل لا يدع مجالا للشك فيه من خلال قناع الشخصيات وهذا يساهم دون ادنى شك بوجود حلقة.

من اجل تسمية الطبقات تحت السطح المادي والشخصي، اشير هنا، مثلما فعلت في الجزء الاول من هذه الثلاثية، وكما فعل ابراهام ماسلو في هرمه للحاجات، (3) إلى فلسفة الشاكرا لليوغا. (4) ان صيغ الأنا الاكثر صلة والاوسع مقبولية هي تلك

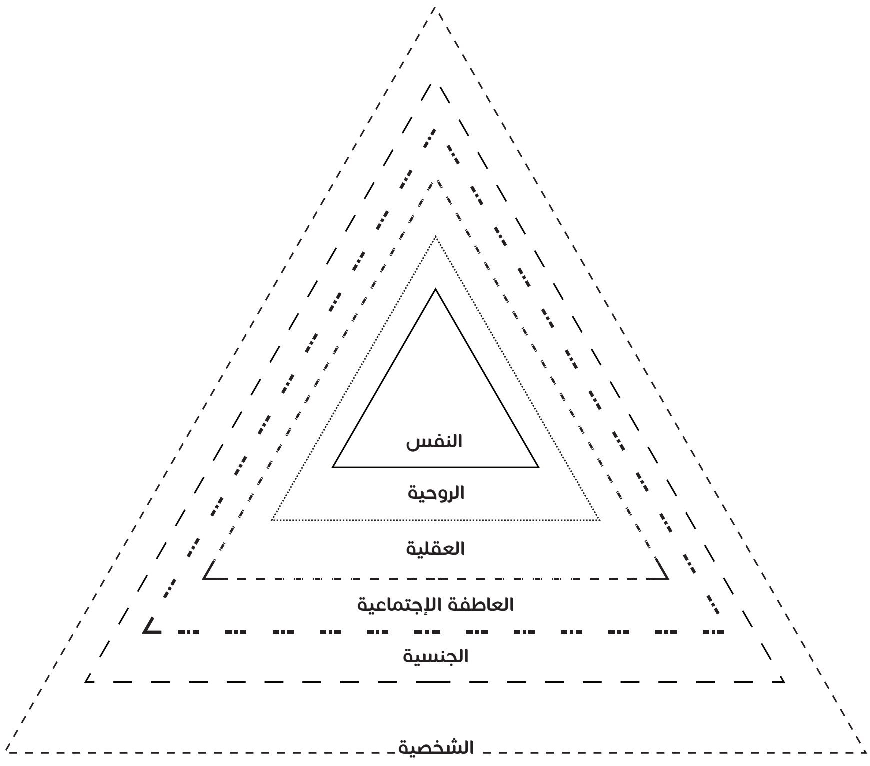
(1) لشرح اوضح لهذه النقطة الرجاء الرجوع الى كومار (Kumar(2011, ص 496ـ510).

(2) اغطي هذه النقطة بإسهاب في ديتريخ (Dietrich(2012, ص 210ـ269) بالاشارة الى ويلبر و لازلو Welber and Laszlo.

(3) ديتريخ (Dierich(2012, ص 247).

(4) من بين العديد من المصادر انظراً على سبيل المثلاً شارامون و باغنسكي (Sharamon and(2009 Baginski. اوجه نفسي الى التعليم الكلاسيكي و خطواته السبعة التي تتبعها الكثير من المدارس المختلفة و في طيف واسع من السياقات. و سيكون هناك نوع اخر مماثل في الشيوع هو النموذج الصوفي ذو الخطوات التسعة و النموذج الاكثر تنوعا من منظومات الطاوية. و كل منها يمكن ان مفيداً بيد اني في هذه المرحلة سأضيف الى صعوبة النموذج دون المساس بمبدأها الاساس. لذا احدد نفسي بالمنهج الاكثر سهولة.

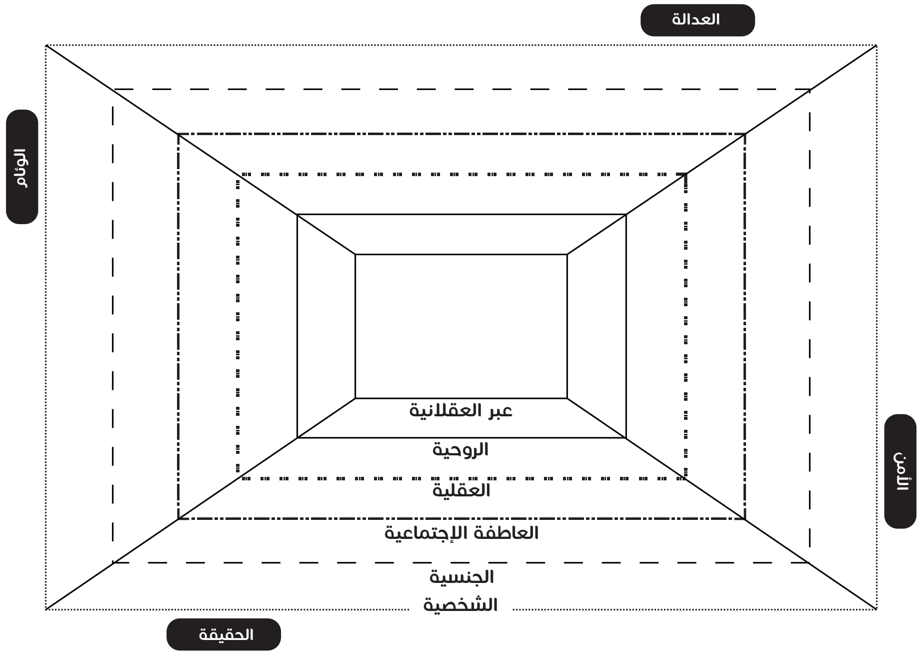
التي لها اكبر تأثير على سلوك النزاع لدى الانسان. ووفقا لذلك، هناك طبقة جنسية وعاطفية اجتماعية وذهنية وروحية تحت السطح المادي الشخصي (الذي يختص بحفظ التوازن البدني). بالنسبة لممارس اليوغا فان الحرية لا تتكشف الا خارج هذه الطبقات. يفتح هذا فصلا هو الاكثر فضولا لبحث السلام عبر العقلاني، على الرغم من ان في فهمي الحالي ايضا يبرز حد تحويل النزاع الاستنباطي العملي. سأحاول ان اعبر عن هذا النموذج من الطبقات بإضافة مقطع عرضي خلفي إلى هرم ليديراخ. وعمل هذا، لن اعرّف الفئات التجريبية، انما سأقترح اداة بصرية للتحليل والشرح.



الشكل 7. 1 طبقات الشخصية الداخلية لهرم ليديراخ؛ منظور خلفي

وعند مبدأ دمية ماتريوشكا، الطبقات الداخلية للهرم تحوي حقولا افقية وابعادا عمودية للسطح المادي ـ الشخصي. ترتبط طبقات ماتريوشكا مع بعضها البعض وتتفاعل فيما بينها، ويجب ان لا يجري الظن بها على انها ليست سوى مكدّسة على

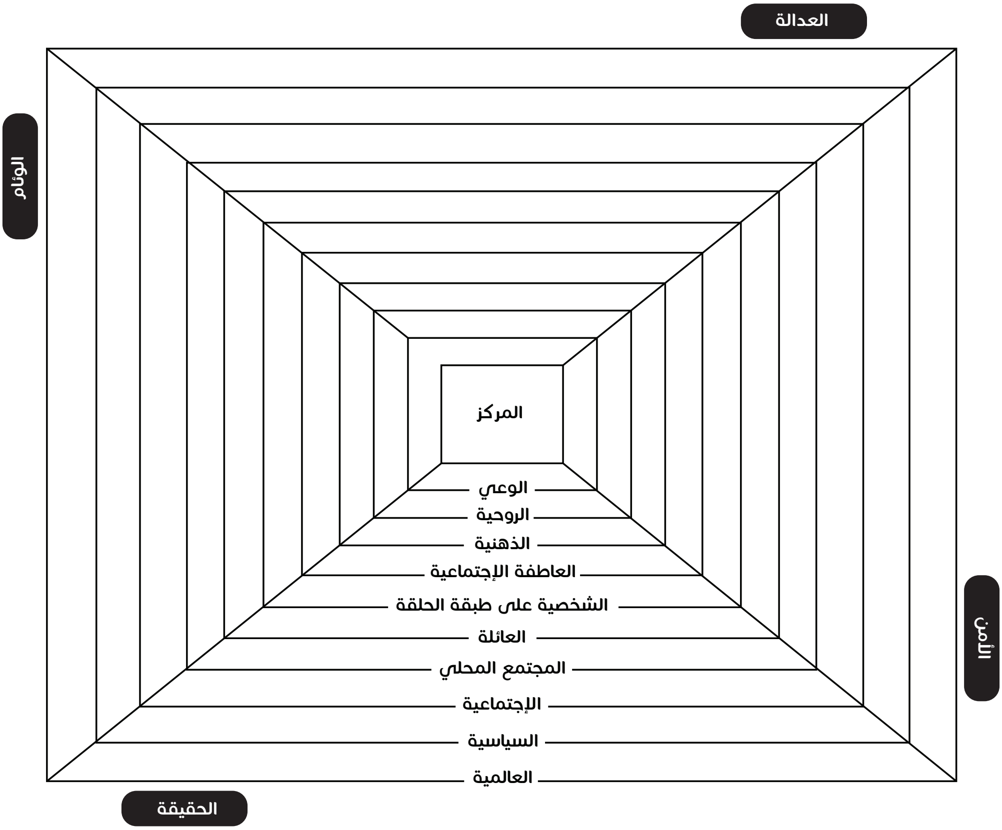
قمة بعضها البعض فيما تبقى منفصلة. في الاسفل اضع منظورا علويا للطبقات التي يحتويها المقطع العرضي



الشكل 7. 2 طبقات هرم ليديراخ للشخصية الداخلية بعين الطائر

الطبقات الموجودة خارج السطح المادي والشخصي للشخصية يمكن تسميتها العائلة والمجتمع المحلي والمجتمع والسياسة والطبقات العالمية ـ باستخدام مصطلحات تطبق في علم النفس المنهجي والعابر للشخصية[1]. يجب افتراض وجود طبقة عالمية وقد تكون موضوعا معرفيا لنظرية السلام عبر العقلاني. بيد ان اي شيء يكمن خارج البعد العالمي أو خارج البعد الروحي في الداخل يبدو نوعا من المضاربة تطبيقه في عمل النزاع في هذا الوقت. لذا سأضيف إلى المخطط اعلاه فقط تلك الطبقات التي تقع خارج السطح، أو قناع، الشخصية. يتطابق هذا المنهج التداولي مع مبدأ التنترا «حيث اعلى، لذا تحت؛ حيث ما بين، لذا بدون.» لذا وصلت إلى المخطط الاتي:

(1) روبيرت (2002, ص 49)Ruppert يختلف منهجا عاما مشابها بالتفاصيل يطبقه وندن (1995, ص 5ـ15)Wenden.



الشكل 7. 3 الطبقات داخل الشخصية وبين الاشخاص لهرم ليديراخ بعين الطائر

الموضوع الادراكي هو دائما جزء من ما يمكن تصوره. فالشخصية، وهي صيغة تكاملية للكل هذا، لا يمكن ابدا ان تدرك نفسها بشكل تام، بغض النظر فيما ان كانت طرفا في نزاع أو منسقا أو مراقبا علميا. فالشخصية هي مجرد حدود اتصال مرنة ونشطة بين الطبقات الداخلية والخارجية، التي تسهم كل منها في تكوين الشخصية. يرجع هذا إلى المبدأ التحاوري لمارتن بوبر حيث جرت مناقشته سابقا. في الاتصال بين الشخصيات ضمن نظام ما، فهو يميّز بين توجيه وموقف يبحث عن الامن وموقف يبحث عن التجاوز والنمو. يهدف مبدأ بوبر التحاوري إلى تكافؤ وتوازن بين ما يسميه «توجّه» و«ادراك».

في المخطط يعَبّر عن طبيعة الشخصية في الرباعي الحيوي للسلام عبر الوئام، الذي اشرت اليه على انه البوابة خلف الشخصية، والذي هو، وفقا للمبدأ الشامل، منظومة بحد ذاتها. تقود الرغبة في السلام عبر الوئام من الطبقة الخارجية إلى الطبقة

التالية الاكثر عمقا. لذا تؤثر الطبقات الداخلية على الطبقات الخارجية وبالعكس. وبعبارات فاعلة، يبدو هذا ككمية اكبر أو اقل من الوئام. لا ينطبق هذا على الطبقات الموجودة ضمن المساحات عبر العقلانية للانا والمجتمع فحسب. وبمعنى منهجي مشدد ما من حلقة هي نزاع بين الاشخاص وبين المجتمعات ابدا، بل هي دائما عابرة للشخصيات ـ اضطراب التوازن ضمن منظومة واحدة. ومن حيث القاعدة، ووفقا إلى «فكر القدرة على التحمل»[1] ستعالج المنظومة نفسها، اي تخلق تشعب، تعيد تكوين نفسها كمنظومة جديدة في اعقاب منطق مختلف.

يحصل اعلاه كنتيجة علاقة الميادين الموضوعاتية للوئام الشخصي والامن العلائقي والعدالة البنيوية والحقيقة الثقافية بالطبقات الشخصية والعابرة للشخصية للمنظومات في كل حلقة من حلقات نزاع. يبقى السؤال فيما ان كانت مستويات الطبقات الاجتماعية، كما قدمها ليديراخ في الهرم الاصلي للعمل في ميدان النزاع، يمكن تطبيقها بشكل تام لهذا النموذج. طالما يخص الامر الميدان العابر للشخصية، كما تبدو واضحة، مثلما يبدأ نموذج ليديراخ من السطح العرضي للنزاعات بين الشخصيات ويدخل من هناك الميدانين الاجتماعي والسياسي. يبين اهتمام ليديراخ بالمستوى الشعبي اهتمامه بتجربة النزاع من جانب كل فرد.

ومن وجهة نظري ربما تتحدد مستوياته على النطاق الشخصي. [2]. مثلما حاولت ان ابيّن بالتفصيل في هذا الكتاب، افتراضيا تصف كل مدارس علم النفس الانساني الطبقات الشخصية التي تماثل إلى حد كبير الطبقات الاجتماعية. اذكّر القرّاء بأمثلة من قبيل الزعماء والمستضعفين لبيرلز وكون؛[3] «الطفل الداخلي» لكابال[4] ورانك وغروف[5] واساليب التواصل لساتير[6] وروزنبيرغ[7]؛ و«الشرطة

(1) الميدوم (2008، ص 5 ـ 13)Almedom.
(2) هذا سبب كون فئات الهرم الاصلي لليديراخ يشار اليها في الرسم البياني المقطع العرضي في هذا الفصل.
(3) كوهن (2004، ص 72 ـ 73)Cohn.
(4) كابال (2006، 53 ـ 75)Kabbal.
(5) غروف (1988، ص 169 ـ 170)Grof.
(6) ساتير (1991، ص 31 ـ 84)Satir.
(7) روزنبيرغ واخرون (1996، ص 219 ـ 251)Rosenberg et al..

على البال» و«قوس قزح الرغبات» عند بول[1]. ربما تكون صورة «الفريق الداخلي» عند شولتز فون ثون هي الاكثر بيانية بين هذه البيانات. [2] تقترح الفوضى في الاصوات الداخلية في حالات النزاعات، مثلما وصفها شولتز فون ثون، ان هناك مستويات شعبية داخلية أو مستضعفين غالبا غير مسموعة وإن هناك نمطا عاملا من طبقة متوسطة يدير الشخصية في المياه الاهدأ وعندما يكون هناك نظام في الداخل يمثل عدد قليل من الزعماء الانا خارجيا ويهتمون بالتواصل بين الشخصيات نيابة عنها. كما اوضح كل من بيرلز وساتير وكون وبول، يصبح التواصل غير متوافق ما ان يرفض الزعيم الممثل المستضعفين الداخليين ومستويات القاعدة الشعبية. في هذه الحالة يصبح سلوك الشخصية التواصلي متناقضا أو غير واضح أو مدمِّر، وعلى الارجح تبرز التنازعات على حدود الاتصال عند العمل. وفي هذه الحالة، يمكن تطبيق الطرق الاستنباطية مثلما وصف ليديراخ على النطاقين الشخصي وما بين الشخصيات، لتصير دائرة كاملة مع الاهتمامات الاصلية لعلم النفس الانساني.

قد يعترض البعض ويفترض ان نموذج الهرم، في مستوياته العمودية ومواضيعه الافقية وطبقاته الشخصية وبين الاشخاص، جميعها ترتبط بالرغبة من اجل الوئام، معقد جدا ولا يمكن تطبيقه عمليا. قد يكون هكذا اعتراض مبررا خصوصا فيما يتعلق بتأكيدي، عندما يعدّ في سياق ظرفي وعلائقي، ان تلك ليست فئات مميزة بوضوح، بل انها ادوات مثالية ومتداخلة فيما بينها يصعب فهم معانيها. اني اتفق مع هكذا اعتراض طالما ان مفردة «عمليا» تشير إلى هندسة ميكانيكية وسببية لنزاعات يُقصد من ورائها انتاج حلول الزامية وسريعة ونهائية. ومع ذلك، فمن هكذا قصد برزت اختزالية الحداثة منذ عدة قرون ـ وهي اختزالية لا زالت تقود المدارس المثالية والواقعية في العلاقات الدولية اليوم. وضمن حدودها، تعد هذه الاختزالية عقلانية لأن فيها، بشرط ثبات العوامل الاخرى، ان الفعل (س) سيؤدي إلى النتيجة (ص) هو ايضا صحيح في العلوم الاجتماعية. وعلى الرغم من ذلك، واذ ان المنظومات الاجتماعية هي ديناميكية حتما وـ فيما احببناها ام لا ـ معقدة، هذه العقلانية محدودة النطاق جدا.

(1) بوال (1995)Boal.

(2) انظر الباب 43

وبالنتيجة، فان العمل في مجال النزاع الذي يركز على مركز السياق بكامله وليس على سطح الحلقة، يجب ان لا يحدد نفسه إلى العقلانية الاختزالية. لا يمكن وصف صعوبة العلاقات الاجتماعية المتبادلة هذه الا بمصطلحات عبر عقلانية. عمليا، يؤدي هذا إلى العمل الاستنباطي، وفقا لليديراخ، إلى توجه على طول سياقات محددة وديناميكياتها وقوة علاج الذات، لكن ليس إلى اختزالية توجيهية تستدعي مبادئ عامة واسعة من الآراء النافذة حول سير عمل معين.

يضع هذا اهمية كبيرة على وعي الممثلين لأنفسهم ولمنظومتهم ـ في دراسات السلام عبر العقلانية وعمل النزاع الاستنباطي وفنون التعليم لقدرة الاستيعاب الاكاديمية والتدريب على العلاقات الذي توفره جامعة انسبروك. [1] في الوقت الذي ليس سوى عدد قليل من هكذا برامج موجود في دراسات السلام والنزاع، هناك طلب هائل واستجابة ايجابية من الطلبة، ما يشير إلى جيل ناشئ يريد العمل بطرق استنباطية وقادر على فعل ذلك. اني افسّر هذا التطور على انه من تداعيات التحديات العملية للعمل المذكور في الفصل السابق، وعاقبة للموضوع التعليمي في مجال تحدث فيه إنعطافة عبر عقلانية.

يعد تحويل النزاع الاستنباطي متعدد الابعاد. يجب ان لا يجري تقليص العبارة إلى مدلول فارغ في العمل اليومي لبيروقراطية الامم المتحدة. في هذا الفصل، حاولت تقديم تحويل النزاع الاستنباطي بشكل بصري من اجل ايضاح عدد الموضوعات والمستويات والطبقات لكل نزاع خارج حلقته البيّنة، ولأي مدى يؤثر كل منها على سلوك الأنا التي يلفها الجلد لكل ممثل. بغض النظر عن اي مستوى أو طبقة أو موضوعة في سياق مختل يحدث العمل فيه، يؤثر كل تصرف منفرد على المنظومة بكاملها، من الشخصي الداخلي إلى الاجتماعي الداخلي.

في مجال التطبيق العملي لعمل النزاع الاستنباطي، يختص التساؤل الاول حول التركيز ـ اية موضوعة أو ممثل أو مجموعة ممثلين تعطى الاولوية. اينما يتدخل عاملو النزاع الاستنباطي، يصبحون وكلاء التغيير ضمن المنظومة، مع العاقبة التي لا بد منها

(1) ليديراخ (1997، ص 108) Lederach.

في انهم هم ايضا يتغيرون. ينطبق هذا على الموضوعات والمستويات والطبقات. اثناء التحضير لمهمة مهنية، فان إجراءً معينا من التخطيط ممكن بخصوص تحديد النقطة في المنظومة حيث تبدأ المواجهة، ومكان وكيفية البدء بالعملية. ان جرى هذا الامر بنجاح سيكون عمل السلام الاستنباطي في موقف جيد نسبيا للمحافظة على التوازن ـ من اجلها ومن اجل اوضاع النزاع ـ بين موقفين: موقف هدفه تحقيق الامن وموقف هدفه عدواني. مثل هكذا توازن هو جوهر عمل النزاع الاستنباطي حيث يسمح بتبادل طاقة الحياة في جميع الاتجاهات. يزيل التوازن العقبات امام طاقة الحياة على حدود الاتصال. هي المحاولة الواعية لخلق هكذا توازن استنادا إلى الاساليب التي جرت حيازتها سابقا التي تجعل العاملين في مجال العمل الاستنباطي للنزاع مختلفين عن اطراف النزاع للمنظومة المختلة.

حتى وإن كانت صعوبة اوضاع النزاع تجعل من المستحيل توقع الاتجاه الدقيق الذي ستجري فيه العملية، وليس من وجهة نظر كاملة يمكن تبنيها، سيبدأ عمل النزاع الاستنباطي، الذي جرى التحضير والتخطيط له بشكل مناسب، في نقطة مختارة بعناية. ان هذا الخيار هو ما يحدد دور العاملين في مجال العمل الاستنباطي للنزاع عندما يدخلون المنظومة، القناع المحدد الذي يرتديه العاملون. ان قناع العاملين أو الشخصية من المؤكد ان يكون مختلفا، اخذين بالاعتبار الدخول في الطبقة الطائفية، من خلال موضوعة الوئام على مستوى الطبقة الشعبية، ومن الدخول في الطبقة الاجتماعية، على مستوى القائد، ومن خلال موضوعة الامن، ويختلف مجددا عن المستوى الروحي، في الطبقة الوسطى، من خلال موضوعة الحقيقة. ان العاملين في مجال النزاع الاستنباطي من ذوي المؤهلات المهنية العالية نظريا هم مسلحون لمواجهات على اي من تلك المستويات أو الطبقات وهم قادرون على التواصل التعاطفي في اية موضوعة. ومع ذلك، عمليا، يجب الاخذ بالاعتبار شخصيات وامزجة العاملين اثناء عملية التحضير. وحتى على المستوى العالي من المهنية لا يمكن لاحد ان يؤدي كل الادوار بإنجازات وتفانٍ مكافئين. وعلى الرغم من ذلك، وحيث ان التوازن هو عامل اساسي، يجب ان يحوز عامل النزاع الملهِم التجربة مع الاخذ بالاعتبار كل الصفات.

لذا فان العاملين في النزاع الاستنباطي هم ليسوا متخصصين بالعدالة أو الامن

أو الحقيقة أو الوئام؛ اذ انهم اصحاب خبرات عامة يعيرون اهتماماتهم لكل تلك المواضيع وهم يفهمون العلاقات المتبادلة بينها. كما ان عليهم ان يكونوا قادرين على التواصل مع الزعماء والمشاركين من الطبقات الشعبية ومستويات الطبقة الوسطى على حد سواء. فالفخر المهني والملف التعريفي الاجتماعي الصريح سيكونان عائقين حيث انهما يحولان دون ان يكون العامل مرنا. يجب ان يكون المنخرطون في عمل النزاع الاستنباطي دائما قادرين على الفهم والتعاطف مع اعمال تلك البيئات الاجتماعية التي لا تشكل جزءً من بيئة العمل المفضلة لديهم. هذا متطلب هام جدا، اخذين بالاعتبار ترابط كل المستويات، حتى وإن كانوا في سياقات عنيفة قد يبدو صعبا جدا تعزيز التعاطف مع مرتكبي الجرائم وصناع القرار. اخيرا، عمل النزاع الاستنباطي قد يبدأ على اي من المستويات المذكورة انفا، من الشخصي إلى الروحي إلى ما بين الاشخاص والسياسي، وبجميع الموضوعات. هنا، مرة اخرى، لا يمكن توقع ان يكون المهنيون في عمل النزاعات متخصصين في اي خليط محتمل. ومع ذلك، يجب ان يتوقع منهم ان تكون عندهم معلومات عن العلاقات المتبادلة بين الطبقات والمناطق وحول الطرق التي يعملون بها. دائما يتطلب مبدأ التوازن الفعل الظرفي والواعي ضمن سياقات محددة.

لتوكيد صيغة التوازن، اوظف مخططي كخطة ارضية مجازية مستقاة من هرم ليديراخ. ان كان احد الاطراف مثقلا سينهار البناء. وكذلك ان كانت صيغة ما قد زاد التركيز عليها عن حده في عمل النزاع، مثلا الامن، عندها سيقوّض الوئام وستتزعزع الحقيقة والعدالة. اذ انها قابلة للتطبيق على جميع التركيبات، تنهار المنظومة حالما تصل إلى الانشطار. وعلى نفس المنوال، تنهار البناية عندما يكون السقف ثقيلا جدا لا تتحمله الاساسات، في حين ان العمل على الاساسات فقط يعني لن يكون هناك سقف. اذ يطبق على العمل في النزاعات، يؤكد هذا المثال ان كل العلاقات الفردية والاجتماعية في منظومة النزاع يجب ان تؤخذ في الاعتبار وجميع مستويات الهرم كما وصفها ليديراخ. بعد كل ذلك، حتى اكثر الزخارف دقة لن تنجو ان كانت الجدران خلفها غير مستقرة ولا تقف على اساس صلب. لذا فان جميع الطبقات التي ذكرت سابقا هي ذات صلة. عند العمل على واحد منها يجب ان لا نغفل عن الاخرين، لان

عدم التوازن بين المستويات يمكن ان يطيح بالمنظومة كلها. من اجل الاستشهاد بأحد الامثلة المتطرفة، شخص ما يعمل بشكل حصري على المستوى الروحي قد يفوته المستويان الاجتماعي والفكري.

حيث ان مثل هكذا ترابط هائل قد يبدو غامرا، سأحاول تعريف الفئات الثانوية لعمل النزاع الاستنباطي المبني على الطبقات المعنية للمدخل. اود التركيز على ان في هكذا عمل فاني لا انفي الطبيعة الشمولية لهذا المنهج. ليست الفئات طريقة للدفاع عن الخبرة من اي نوع. الغرض منها هو السماح للتوجه ضمن سياق وتعريف مستوى الدخول وفحص موقف الفرد ما ان تسير العملية إلى الامام.

1.7 الحلقة: رقص الشخصيات

يمثل رقص الشخصيات السطح الحلقي للنزاع وطبقته الاكثر بروزا. قد تضع حدا لأي من المجالات المواضيعية للعدالة والامن والحقيقة والوئام. وفقا لذلك يمثل العاملون في مجال السلام الفئة الاكثر عمومية من الممثلين وقد يكون لها تنوع واسع من الوظائف، من خبراء البنك الدولي إلى جنود الامم المتحدة ومن علماء الاجتماع إلى مستشاري الاتصالات. وهم جميعا «عاملو سلام» في المعنى الاوسع للمصطلح. التصميم المهني لوحده لا يسمح بالتمييز بين العاملين في السلام الاستنباطي وأولئك ذوي التوجه الالزامي أو الحديث. بحكم الضرورة، يعمل جميعهم على السطح السلوكي لحلقة ما حيث ان هذا التمييز غير ذي اهمية.

ان مستوى الحلقة هو ايضا مستوى عمل السلام حيث التنازلات والاتفاقات عبر المهنية وعبر المفاهيمية هي التي على الاغلب تتحقق حيث ان الغاية هي تعريف الاهداف المادية المتبادلة. سيحتفظ عاملو السلام الاستنباطي بملف شخصي منخفض في هذا المستوى. سيدعمون توازنا لميادين الموضوع ويأخذون بالاعتبار كل المستويات الاجتماعية. سيعدّون معلوماتهم عن الطبقات الشاملة دون ترجمتها، مع ذلك، إلى حجة قوية ما لم تكن هناك ضرورة. وعلى الارجح سيردع مثل هكذا عمل نظراءهم ذوي التوجهات السلوكية والايجابية، وتقويض فرص التضافر التكتيكي في عمل النزاع. دائما يلعب التعاطف والاستعداد دورا مهما، لكن لا يجب ان يخلط

بينهما وبين الاتفاق المزور عندما لا يكون هناك منهما. بل، ان ذلك يعني تطبيق اصالة انتقائية وتكيف ظرفي من اجل استخدام مرن لأكبر عدد ممكن من الخيارات المتاحة.

عند اتصالهم بأطراف الصراع على سطح الحلقة، يبقي العاملون في مجال السلام الاستنباطي نوع المسافة المشار اليها «كليشيه» و«دور» في العلاج الغشتالتي. من منظور الممثلين الحديثين سيجري تأويل هذا على انه مهني وموضوعي. ومع ذلك يعي العاملون في مجال السلام الاستنباطي الاعماق والامتدادات التي تكمن خلف هذا التأويل. ان الحلقة، وهي المواجهة المباشرة بين أطراف النزاعات، هي عالم الكلمة والصوت. العاملون في مجال السلام الاستنباطي لن يحاولوا ان يعيروا اصواتهم لأطراف النزاعات؛ بل انهم يحاولون خلق فضاء من الرنين قد تسمع فيه اصوات اطراف النزاعات. وهم يعلمون ان من سطح الحلقة تصل كلمات وترددات اصوات اطراف النزاعات إلى الطبقات الداخلية للنفس والطبقات الخارجية للسياق الاجتماعي. [1] يشجع عمل السلام هذه العملية.

يفهم العاملون في مجال السلام الاستنباطي ان الاتصالات لا يمكن الا ان توازن بصورة وقتية كونها كليشيه وادوار. في الحقيقة يلعب الزمن دورا حاسما في المواجهات على حدود الاتصال. كونها مقصورة على نفسها، لا تكون مفاهيم بيرلز عن «الكليشيه» و«الدور» ذات معنى الا في السياق النادر الذي يكون فيه التوازن الصافي أو النجاة على المحك. لذا فان الامر ليس بمستغرب ان العاملين في السلام الذين يعملون بشكل حصري في مثل هكذا سياقات، مثل التخفيف من الازمات، تنضب طاقاتهم بسرعة وهم عرضة للإرهاق. وإذ ان العمل الاستنباطي مفيد في مثل هكذا مهمات لا يقاوم الناس ذوو التدريب المذكور في مثل هذه المواقف لفترة طويلة. هم يحتاجون إلى عمق انساني اكبر.

في مواجهات تحصل خارج اطار الحلقة، احصائيا يصبح التشبث بالدور المهني بشكل متزايد مسألة اصالة و، لذا، تصبح انسدادا على حدود الاتصال. يعرقل الركود

---

(1) هذا الموضوع نوقش في ليديراخ وليديراخ (2010، ص 208 ـ 224)Lederach and Lederach تحت العنوان «الشفاء الاجتماعي».

المستمر عبور الاتصال ومن ثم ادراك عملية السلام، التي ستتطلب، من منظور عبر عقلاني، تدفق طاقة الحياة. يصبح العاملون المهنيون والثابتون في مجال السلام في العصر الحديث انفسهم عقبات امام السلام، كما يمكن احيانا ملاحظتهم على ارض الميدان. هنا يكون الفارق بين «ميكانيكيات النزاع» وواضعي حلول النزاع ما بعد الحداثة الالزامية والعاملين في مجال السلام الاستنباطي عبر العقلاني واضح المعالم جدا. في الوقت الذي قد يكون الفارق اساسا احد المواقف التي بها تنفّذ الوظائف الموحدة، سيصبح الامر اكثر وضوحا في السلوك ما ان تتقدم المهمة وتصبح المواجهات اكثر كثافة. يخاطر العاملون الاستنباطيون في اتصالهم مع اطراف النزاعات ويبحثون عن ويعانون مما يشير اليه فريتز بيرلز «الطريق المسدود». [1] اي انه وفقا إلى تحويل النزاع الاستنباطي هم يفهمون انفسهم كونهم يشكلون مكونات تحويلية للمنظومة المختلة. هم يعلمون ان عمل النزاع يعني تأدية دور (*teilhaben*) وأن الحلقة ما هي الا سطح عملية متعددة الطبقات. تأدية الدور هو، من جانب اخر، الشيء الذي يجري تجنبه بصرامة من طرف ميكانيكيا النزاع الحديثة والخبراء التوجيهيين، الذين يحافظون على المسافة المهنية على سطح الحلقة.

تنبثق المسألة ايضا في ثقافة السلام والتعليم الاكاديمي. فمن منظور استنباطي، المناهج الدراسية والمعايير الاكاديمية هي الحلقة التي تحتها توجد طبقات اكثر عمقا من حدود الاتصال بين المدرسين والطلبة، وهم يجب ان يُعتبروا تعليميا وعمليا في برنامج عبر عقلاني. وخلافا لأساتذة الجامعة التقليديين، يجب ان يكون اولئك العاملون في هكذا برنامج مستعدين لان ينفتحوا خارج الكليشيهات والادوار، التي تتطلب تصرفا تربويا واسلوب تدريس فريد، يتأهل المتخرجون منه ليصبحوا مدرّسين في هكذا تخصص في المقام الاول.

7. 2 الشفاء الاستنباطي: النشاط الجنسي والعائلة

في كلا المعنيين البيولوجي والاجتماعي، وفي اي مجال يعملون، فالشفاء هو المهمة الاكثر مادية للعاملين الشامانيين في مجال السلام. في السرد الحديث تحولت

(1) بيرلز (1992، ص 48)Perls. من اجل نقاش واف الرجاء العودة إلى الفصل 2. 1.

هذه المهمة إلى وضعية من طرف الطب والرعاية الصحية قبل التحليل النفسي والبنيوية ما ان فتحتها مجددا إلى البعد ما قبل الحديث. يبدأ الشفاء على حلقة النزاع، بيد انه يتضمن البعد الجنسي على المستوى الشخصي والبعد العائلي على المستوى بين الاشخاص. [1] ان التوازن والنشاط الجنسي والانجاب مفردات مرتبطة ببعض لدرجة ان البعض يعدها شيئا واحدا. [2] فالنشاط الجنسي، وهو طاقة الحياة، يقع قريبا جدا تحت جلد الانا اذ انه احيانا يُنظر اليه احد صيغ رقص الشخصيات. اني اظن ان النشاط الجنسي مذهل تماما بسبب قابليته على الاشعاع عبر القناع، وليس كونه جزءً من القناع. وهو يؤثر بوضوح على كل حلقة في الوقت الذي يبقى بعيد المنال وغير قابل للحل وجامحا. تجرد مثل تلك المحاولات العقيمة للسيطرة عليه طبيعته للشفاء والعمق وتقلل من قيمته إلى سلعة استهلاكية. في فلسفة اليوغا، المولادارا والسفاديستانا، وهما الشاكرا الاولى والثانية، هما الاكثر قربا من بين الانواع الاخرى، الا انهما غير متطابقين. وهناك سبب لذلك. لكل شخصية كاريزما جنسية، الا ان الشخصية هي ليست نفسها الكاريزما، وتقليل رقصة الحياة إلى وجهة نظر سطحية تنتج تشويها هائلا.

انها ليست سوى خطوة واحدة عن تحريف الحلقة الشخصية السلوكية لتضم النشاط الجنسي على انه طبقتها الاولى في عمل السلام، الا انها خطوة مع ذلك، هي خطوة تم التعبير عنها في تاريخ العلم بواسطة التطور الاستثنائي للتحليل النفسي. نفس الامر ينطبق على العائلة. مع ان الشخصيات تعود إلى العائلة بطريقة أو اخرى، وإن قراراتها خاضعة للتأثر، فان هذا لا يعني انها هي العائلة. في مواجهة ما تعريف الشخصيات بجنسها أو بالعائلة سيؤدي إلى نوع من التشويه يكون احيانا في جذر حلقات النزاع.

يؤدي النشاط الجنسي دورا ثلاثيا في هذا السياق. اولا، هناك النشاط الجنسي للمعالجين. مع ان لا احد يشك في ان العاملين في السلام هم كائنات جنسية، ايضا، تصر

(1) كنت قد انهيت هذا الفصل عندما، قبل مدة قصيرة من موعد التحرير، كانت لدي الفرصة لقراءة ليديراخ وليديراخ (Lederach and Lederach(2010. كنت قد ذهلني صدى تفكيرنا، بضمنه استخدام مفردة «شفاء».

(2) على سبيل المثال يضعها ابراهام ماسلو جميعا في مركز هرم الحاجات، في حين جيرو كابال يميز بين النجاة كونه اول برنامج والنشاط الجنسي كونه الثاني.

العقائد الاخلاقية وعمل السلام الحديث كبت واستثناء هذه الصفة في المواجهات بين الخبراء وأطراف النزاع. يقر تحويل الصراع الالزامي بالصيغة الجنسية، الا انه يخاطبها مثلما فعل فرويد مع نشاطه الجنسي. اي، حسب التعريف، كونه محلل شفائي وخبير نزاعات يرتقي عامل السلام إلى موقع اعلى وبمسافة ومحايد، في اعقاب مجموعة من الضوابط وقواعد السلوك لمنع الارتباط الجنسي مع اطراف النزاعات. قد يكون خلاف فرويد مع البعض من طلبته الذي تساءلوا عن الشرعية المنهجية لهذه القواعد رمزيا عن الالم من ان هذا التغيير تسبب في الفكر الحديث.

في تحويل النزاع الاستنباطي، من المفهوم ان دخول العاملين الاجتماعيين إلى منظومة مفككة يتضمن كل المستويات لشخصياتهم وبضمنها النشاط الجنسي. تؤثر كل طبقة من الشخصية، ومن ضمنها النشاط الجنسي، على المنظومة وعملياتها. وإذ ان الصيغة الجنسية، مثل كل الاخريات، يجري التواصل فيها من خلال دوائر التغذية الراجعة فان المعالجين الاستنباطيين لا هم ينأون بأنفسهم ولا محايدين؛ هم قابلون للاختراق، الامر الذي يعدّ مقبولا ما ان يحققوا وجهة نظر متوازنة عن نشاطهم الجنسي. النشاط الجنسي للعاملين الاستنباطيين لا يجري رفضه ولا يجري التصرف فيه دون رحمة؛ يجري التواصل معه بالتعاطف والاصالة الانتقائية ويبلغ من حيث السياق. يكشف المعالجون الاستنباطيون انفسهم ككائنات ذات نشاط جنسي الامر الذي يسمح لهم بجعل هذه الصفة من شخصيتهم كمساعد للشفاء طالما عمل ذلك يكون ذا مغزى.

في التطبيق عبر العقلاني، يحدث هذا غالبا جدا اكثر مما يرغب منظرو الحداثة لان، ثانيا، اطراف النزاعات هم ايضا كائنات ذوي نشاطات جنسية، مهما كان مستواهم الاجتماعي أو توجههم الفكري. من اجل ان تتدفق دائرة التواصل بين اطراف النزاعات والمعالجين بشكل متناغم لا بد ان يكون هناك توافق في هذه الطبقات. عمليا، يمثل هذا احيانا مشكلة، حيث ان العوائق الجنسية لرباعي الوحي الذاتي لأطراف النزاع تكون احيانا ذريعة لمواجهات موضوعاتية في الحلقة. جلب الانتباه إلى هذا يمثل تعهدا دقيقا. لذا، من الضروري جدا ان يكون لدى المعالجين ضمير ووعي مريح لنشاطهم الجنسي. فان ارتبطوا على هذا المستوى سيشهد عملهم اعاقة على كل

المستويات الاخرى ايضا. على مستوى اللاعبين الكبار، فشخصيات، مثل بيل كلنتون وسيلفيو بيرلسكوني ونيكولا ساركوزي قد وفروا للجمهور العالمي امثلة صارخة. بيد ان ذلك ينطبق بنفس المستوى على الطبقة الشعبية. مرارا وتكرارا واجهت افراد بعثات ذوي توجهات اخلاقية أو حديثة ممن عبروا عن سخطهم من اناس يعبرون عن رغبتهم الجنسية ويعيشونها على الرغم من انهم ليس لديهم سوى ما يكفي للعيش. ومع ذلك بالنسبة للمعالجين اصحاب التوجهات الاستنباطية مثل تلك المعلومات ليست مشينة أو مفاجئة. ان تواصل طاقة الحياة هي كل ما يعالج ويرضي في الظروف الخطيرة.

ثالثا، يؤدي النشاط الجنسي دورا مهما في التواصل بين افراد البعثة في الميدان. تنحو المنظمات الحديثة باتجاه تنظيمه بتحديد مدونات قواعد السلوك. تفشل هذه الجهود باستمرار، حيث ان توتر العمل الميداني ممزوجا بظروف العيش في وحدة يشجعان العاملين في المهمة للارتباط. يصبح عندها النشاط الجنسي تأكيدا هاما على طاقة الحياة السليمة، وبذا اكثر قوة مما تنص عليها المعايير المؤسساتية. تفشل المهمات باستمرار بسبب ـ عادة غير معلنة ـ التناقض الجنسي الذي يؤدي تواصل مشوه على المستويات الاخرى. لذا تضع النظرية الاستنباطية معايير بمنهج واع للنشاط الجنسي للفرد، كما يمارس قبل المهمة وبمرونة مؤكدة في استجابة إلى الظروف المحددة.

ان الطبقة بين الشخصيات للعائلة بنفس قرب الشخصية من طبقة النشاط الجنسي. ترتبط هاتان الطبقتان بصفة الخصوبة، مع انها ليست دائمية وحصرية. افهم مصطلح «العائلة» بطريقة بناءة، كونها منظومة الناس الذين يعتنون بالفرد ويكونونه، وليس بطريقة اصولية. ستؤدي العلاقات البيولوجية دورا بقدر ما هي تاريخ حياة الشخص، لكن في النظرية الاستنباطية العائلة هي بشكل اساسي منظومة غرضية يجري تعريفها عبر العلاقات المتبادلة المعاشة ونزاعاتها المتوارثة. [1]

يبدأ اي نقاش بشأن العائلة مع المعالجين انفسهم. يمثل التطبع والقيم واساليب

(1) هذا التساؤل يظهر إلى السطح فيما يتعلق بعمل التشكيلات. انا هنا ارفض اي نماذج اصولية تفسيرية مثل تلك التي هي معروفة جدا في المجتمع المحلي هذا. من وجهة نظري، التفسير الوظيفي بالاشتراك مع جوانب السيرة الذاتية هي كافية تماما كما هو الحال في الجدل بشأن الاجهاض.

التواصل الموروثة من العائلة الاطار الاساسي لشخصياتهم ويؤثر على عملهم التحويلي في كل لحظة. فمسألة ان كانوا راغبين في الموافقة أو يعدلون انماط الموضوعات هي مسألة قرار شخصي واع يجري تناولها عادة اثناء التمرين والتحضير للمهمة. يوفر العلاج الغشتالتي وعملية الايضاح طرائق مثبتة واساليب لهذه الغاية. وما ان يحصل هذا الوعي فان كل شيء قيل سابقا بخصوص النشاط الجنسي ايضا يطبق. من وجهة نظر استنباطية فان الكبت الاخلاقي والحديث ورفض صفة النشاط الجنسي في المواجهة بين الخبراء وأطراف النزاع، يحصل تحت اسم المهنية، يؤدي إلى نتائج عكسية. وبدلا عن ذلك، ايضا، فان صفة النشاط الجنسي هي مسألة اصالة انتقائية، من اجل ان تنبض حلقة التواصل بالحرية الممكنة من جانب المعالج.

كلما كانت الطبقات الاجتماعية لأطراف النزاع اكثر تدنيا وجب اعارة اهتمام اكبر إلى خلفياتهم العائلية من طرف اي من مدارس تحويل النزاع، في حين ان القرارات السياسية عالية المستوى نادرا ما تعزى إلى الخلفية العائلية لصناع القرار، على الاقل ليس على المستوى الرسمي. احيانا العاملون في السلام على المستوى الشعبي، خاصة اولئك اصحاب التوجهات السلوكية والاخلاقية والحديثة يُظهرون بعض الموانع في الآراء المعيارية عندما يتدخلون مع العوائل ويرعونهم. ان الرغبة في تصحيح بنى الاسرة الابوية أو الوسائط الاستبدادية في تربية الطفل عن طريق «الحضارة» ليست نادرة في هذا الفكر واحيانا تقود إلى عوائق دفاعية على حدود اتصال اطراف النزاع، وخاصة في السياقات بين الحضارات وتسبب فشل المهمة.

في العمل الاستنباطي دائما الصفات الاسرية لأطراف النزاع معترف بها كونها عنصرا مكونا في النزاع بغض النظر عن المواقع الاجتماعية لأطراف النزاع. يعني الاعتراف هنا اكثر مما يجري تصوره كونه ذا صلة، بل احترامه مكونات ووظائف مساعدة على الحياة في المنظومة المفككة الحالية. لذا، سيستمر المعالجون ذوو التوجهات الاستنباطية بالتعاطف حتى عندما لا تتلاءم الظروف مع قانون قيمهم. من خلال العمل البسيط لدخول المنظومة المفككة على هذا المستوى مع الاصالة الانتقائية، يغيرها المعالجون دون العودة إلى المحاضرات أو التحويل. في العملية يغيرون انفسهم دون ان يصبحوا خاضعين أو ملتزمين، لان المواجهة هي عملية

تواصلية فيها يكون المعالجون قابلين للاختراق على مستوى عوائلهم وقادرين على التأرجح بمرونة بين الحفاظ على الذات وتحويل الذات. يحتوي الفن الاستنباطي على ممارسة واعية ومرنة لهذه العملية. وحيث ان النشاط الجنسي والعائلة، وهما في المركز الثاني بعد التوازن المادي، هما المساحتان حيث يكون الناس غير حصينين، فهذا هو فن عالي المستوى.

يؤدي التطبع العائلي ايضا دورا في التواصل بين افراد البعثة. وحيث ان في الحالة الميدانية يجري تصورها كواقع وغيرها احيانا مشوشا، ستكون هذه الصفة اقل اهمية حيث يكون هناك تجانس ثقافي في المجموعة. ووفقا لملاحظتي، ينحو مثل تلك المجموعات لتطوير روايات مشتركة دون التفكير كثيرا بها. مع ذلك، ان كان هناك اعضاء في الفريق يتصرفون من منظومة قيم عائلية ثقافية عميقة مختلفة ـ بذا تربك السرد ـ قد تنتج توترات متناقضة و، في اكثر الحالات تطرفا، اختلالا في الفريق الميداني. لذا من الافضل الاخذ بالاعتبار هذه الصفة اثناء التحضير للمهمة وفي تشكيل الفريق. وهؤلاء غير الواعين للصفة العائلية، أو غير قادرين على التعامل معها بأصالة وشفافية، لا يتأهلون لدور معالج. هذا لا يعني ان الناس من ذوي الخلفيات العائلية الاشكالية مستثنين من هذا العمل. على النقيض من ذلك، فشخصية «المعالج الجريح» حاضرة في العلاج النفسي مثلما في الشامانية، وهي تعني ان الناس الذين يعانون من صدمة معينة، مثل عنف أو اعتداء جنسي في عائلتهم، يحوزون وعيا مضاعفا لمثل تلك المشكلات. ليس ان تاريخهم باتّ، بل هو الوعي، مع انهم قد حازوه، كذلك التعاطف والتواصل الاصيل في سياق معين.

7. 3 الثقة الاستنباطية: الانتماء والمجتمع المحلي

بموجب العنوان اعلاه، سأناقش العمل الاجتماعي ومع ان هناك عدد من التداخلات، لن اقوم بذلك بخصوص العمل الاجتماعي المهني المعروف بالدول الناطقة بالالمانية *sozialarbeit*، اي العمل الاجتماعي. الموضوع هنا هو العمل في النزاعات، من الحاجة الشخصية الداخلية للانتماء إلى مجتمع محلي ذي صلة الحاجات بين الشخصيات. يعرّف المصطلح الاخير بعلاقات محددة تتجاوز المنظومة الاصغر

للعائلة. اشير اليها هنا بالمجتمع المحلي، يحصر ميدانا من المستوى الشخصي إلى المستوى الاجتماعي العابر للشخصية، ويتضمن السطح الشخصي للحلقة فضلا عن طبقتي الشخصية الداخلية الجنسية والعائلية بين الشخصيات. في الحلقات، العقبات والسخط الذين يحدثان في هذه المساحة يظهران كمحرك اناني للقوة والاعتراف، أو خضوع واستثناء الاخرين ـ اي الهيمنة على الاخرين.

في الشخصية الداخلية، ينمو هذا الدافع من الشكوك طويلة الامد بخصوص التأكيد غير المشكوك فيه لانتماء الشخص، هو نتيجة العلاقات المبكرة عند الطفولة الفاشلة أو الصدمة اللاحقة. فالعاقبة هي انعدام الامن الاجتماعي والافتقار لقدرة الارتباط، وانعدام الامان الذي يظهر على سطح الحلقة كونه يمثل أنا قوية ورغبة في ممارسة القوة على الاخرين. تتأسس رغبة النفس للسيطرة على الاخرين على خوف الانسان من ان يسيطر عليه الاخرون أو يستثنونه، وهو عدم ثقة صارخ وعام يحشد العقل تجاه التعويض عن الشكوك حول قدرات مجتمع الشخص بممارسة القوة. الضعف الداخلي هنا هو في جذر سلوك عنيف كله اكثر اشكالية ان كان الضعف الرابط لا يحدث على مستوى الفرد، بل هو ناتج عن اسلوب معين من التواصل. قد تؤدي الحرب والكوارث والنزوح القسري والهجرة، وايضا التجارب المجتمعية الصادمة مع انها اقل شدة، مظاهر متكررة لهكذا ظواهر في الوسط بين الشخصيات في المجتمع المحلي. في مثل تلك الحالات، قد يتنافس العديد من الممثلين على فضاء صغير، كل منهم مدفوع للسيطرة والتقدير ناتج عن نفس المخاوف ونقاط الضعف، ما يفاقم احتمالية حدوث النزاع والعنف. تنحو مثل تلك المجتمعات المحلية إلى تبني المنافسة، على انها مبدأ التصرف وتشجع روايات عنف انتقامية. عتبة العنف الجسدي منخفضة والعنف البنيوي والثقافي كلي الوجود. الصلة بين الصيغ الداخلية والخارجية للسلام، كما ناقشتها في الجزء الاول من هذه الثلاثية، واضحة بشكل خاص في مثل هذه الحالات.

يتحرك العاملون الاجتماعيون الاستنباطيون والعاملون في السلام على هذا المستوى في بيئة معقدة. لان الطبقات الاجتماعية تضم اولئك الذين ذكروا سابقا، ستظهر موضوعات العنف الجنسي والعائلي احيانا في حلقة، فضلا عن صراعات

القوة المجتمعية. لذا فان الاغراء في مثل هذه البيئة، لخلق احتياجات مثالية حول كيف يجب ان تكون الاشياء، يحاول ان يصحح الحلقة بأسلوب سلوكي ومعياري، أو العمل في اسلوب تحليلي ومبتعد ومحايد وليس الانخراط في المنظومة، للتحرك إلى المركز وتحويله استنباطيا.

يتطلب اتساع مثل تلك التحديات مرة اخرى العاملين الاستنباطيين الاجتماعيين للبدء بأنفسهم عندما يتحضرون للعمل. قد يعطي ضعف الارتباط الشخصي، وهي ظاهرة متكررة، نداءً معينا للعمل مع الضعف الاجتماعي، حيث رغبة الهيمنة والسيطرة يمكن بسهولة ان يكون مخفيا خلف قناع المساعد. اولئك الذين يشعرون انهم منجذبون لهكذا نوع من العمل يجب ان يتفحصوا بعناية هذه الطبقة في انفسهم من اجل التعامل معه باحترافية، ليصبحوا سهلي الاختراق على هذه الطبقة، وبذا لتقليل فرص اي تشابك في العاب القوة والمعارك. ان تحويل ضعف لرابط شخصي إلى ثقة هو فعل عقلاني، مع ان هذا لا يعني انه سهل القيام به. من الان فصاعدا نفس الامر ينطبق على العمل الاستنباطي الاجتماعي كونه شفاءً استنباطيا.

يصبح العاملون الاجتماعيون في تحويل النزاع الاستنباطي دائما جزءً من المنظومة المفككة بكامل شخصياتهم. كل صفة من شخصياتهم، بما فيها الكفاءة الاجتماعية، لها تأثير على المنظومة وعملياتها. وحيث ان هذه الصفة، شانها شأن الصفات الاخرى، يجري تواصلها عبر حلقات التغذية المرتدة فان العاملين الاجتماعيين الاستنباطيين لا هم مبتعدين ولا محايدين، بل هم عرضة للاختراق، وهذا ممكن ما ان يصبحون مرتاحين مع هذه الموضوعة داخل انفسهم. في تحويل النزاع الاستنباطي لا تكون حاجة العاملين لان يكونوا مندمجين اجتماعيا، من اجل احترامهم والاعتراف بوجودهم، مرفوضة ولا ينغمسون بتهور. ظاهرة المعالج الجريح موجودة هنا ايضا. يجري تواصل الطبقية الاجتماعية الشخصية للعاملين الاجتماعيين في اصالة انتقائية وبطريقة التعاطف ويبقون منفتحين للتغذية المرتدة. ان العاملين الاستنباطيين الاجتماعيين هم كائنات مجتمعية وهم يعرضون هذه الصفة من شخصيتهم في مواقف معينة.

يحدث هذا ايضا في التطبيق عبر العقلاني اكثر مما يرغب المدافعون عن النظريات الحديثة لان اطراف النزاع هم ايضا كائنات مجتمعية مهما يكن مستواهم الاجتماعي أو توجهاتهم الفكرية. ومن اجل ان تستمر دائرة التواصل بين اطراف النزاع والعاملين الاجتماعيين بتناغم فان الحاجة للاتفاق على هذه الطبقة ضرورية. عمليا يمكن لهذا ان يصبح مشكلة لان ضعف الرابط الشخصي بين اطراف النزاع احيانا يؤثر على المواجهات الموضوعاتية في الحلقة. توجيه الاهتمام لهذه المسألة هو مسألة دقيقة، خاصة في السياقات عبر الثقافية. لذا فان من الضرورة القصوى ان يكون للعاملين في النزاعات وعي وموقف هادئ بشأن مخاوفهم ونقاط ضعفهم. وفي جميع الاحوال، عليهم توقع ضعف الرابط الشخصي المتجذر لان يكون السبب وراء الخلل الشخصي في المجتمعات المحلية وان يبقوا عرضة للاختراق لحلقات التغذية المرتدة التواصلية على هذه الطبقة.

اخيرا، تؤدي الكفاءة الاجتماعية دورا اساسيا في التواصل بين اعضاء البعثة في الميدان. هذا عادة ينافَش تحت عنوان «عمل الفريق» أو «مهارات القيادة». في الفكر الاستنباطي كلا المصطلحين يشيران إلى نفس النوعية. ان كان اعضاء الفريق عرضة للاختراق وهادئين في طبقتهم الاجتماعية ـ العاطفية، سيكشفون انفسهم في اصالة انتقائية. وفي النتيجة، سينخفض مستوى التوتر على مستوى العلاقات. ربما تكون مهام القيادة مقصورة على اسئلة الاهداف والتنسيق وتنسب إلى العاملين الانسب للمهمة. سيبقى اسلوب التواصل منسجما وتعاوني حتى عندما تتطلب البعثة تعليمات واضحة ولغة موجزة. عمليا يكون هذا احيانا تفكير مرغوب فيه، حيث ان الكثير من العاملين الاجتماعيين غير مهيئين لمواجهة التحديات الشخصية للعمل الاستنباطي. الرغبة للعمل في هذا الميدان احيانا تكون علامة على ضعف الرابط الشخصي. ان اخذ العاملون هذا الضعف غير المحوّل إلى الميدان فسيخلق دون شك معضلة في عمل الفريق وفي التواصل مع العملاء. فالعوائق على الطبقة الاجتماعية ـ العاطفية للعاملين الاجتماعيين قد تعيق عمل الفريق ولذا يجب تفحص هذا الامر مسبقا. اما بشأن عمل الفريق، فالأشخاص الذين يمتلكون مهارات قيادة عالية المستوى والصعوبات امام التنسيق يجب النظر اليهما بحذر شديد، حيث ان هذا الخليط تقريبا دائما مؤشر على

مسألة على النطاق الاجتماعي ـ العاطفي. في ميدان العمل الانساني الاوسع يحدث هذا غالبا ويبدو انه يوفر ايضاحا معقولا عن سبب ان الكثير من البعثات تفشل حتى قبل ان تبدأ.

7. 4 الوعي الاستنباطي: الترابط والمجتمع

ما يسمى «اناهاتا» في فلسفة اليوغا هو طبقة انتقالية في عمل النزاع الاستنباطي تظهر كوعي وتقع بين طبقتي اللا وعي والوعي الفائق. قد يبدو الامر للوهلة الاولى تناقضا ان هذه الصفة، التي تعزى مجازيا إلى القلب وليس الدماغ، يجب ان تتوافق مع الصفات الذهنية والاجتماعية على المستويين الشخصية الداخلية وما بين الشخصيات على التوالي. مع ذلك، وعند الفحص الدقيق فإنها حاسمة تماما. توفر الشخصية الذهنية إلى الافراد امكانية العقل والوعي. تضم الطبقتين الشخصية والذهنية فضلا عن الطبقتين بين الشخصيات والاجتماعية كل الطبقات التي ذكرت سابقا وتمكّن الاشخاص والمجتمعات، من خلال هذه الامكانية، لان يصبحوا واعين لتلك الطبقات المذكورة سابقا. النشاط الجنسي والانتماء والعائلة والمجتمع المحلي ليست فئات يمكن فهمها بديهيا. بل انها تحتاج إلى ان يُنظر اليها من منظور واع وتحتاج إلى ان تكون مُضمّنة في الحاضر. يجعل العقل والادراك والوعي ان من المحتمل معرفة وتقييم ومعالجة الصفات الجنسية والعائلية والاجتماعية والمجتمعية للحلقة. من خلال الطبقة العقلية تماما للشخصية يصبح ممكنا ما يستشهد به في كثير من الاحيان جلب مهارات القلب مثل الحب والشفقة والاخلاص إلى الحلقة. تسبب دقة القلب وتمثل حياة الشخصية. وتحوّل الحياة الصفات عبر العقلانية مثل الحب والشفقة والاخلاص بجلبها إلى الحلقة بطرق يمكن ان تمسك بها الحواس وتحولها إلى تجارب واعية. لذا، فان الوعي العقلي هو ما يوازن الطاقات الجنسية والعائلية والمجتمعية في حلقة. وبالعكس، فالاضطراب العقلي والعوارض تخلقان عدم توازن في طبقات اللا وعي. فقدان الوعي ليس عنفا بحد ذاته بل انه اعمى وأصم واخرق. يؤدي هذا إلى تحقيق ناقص لمهارات القلب ويمكن ان يسبب انواعا من اختلالات التوازن في حلقة ما.

تؤثر الطبقة العقلية ليس فقط صفات اللاوعي في حلقة ما. هي ايضا تؤثر على الذهن الفائق الوعي ولذا هو مجهز بطاقة التفكير النظرية. تعود هذه الطاقة شخصيا إلى طبقات خارج صفات الانا، خاصة في المحيط الروحي، الذي يُفهم ذهنيا ومنطقيا وعن وعي. شخصيا توفر الفكرة الذهنية المجردة للشخصية بمفاهيم تشير إلى سياق الحلقة، مثلا كي يمكن تجربتها، اي، مع فكرة الانتماء إلى كيانات منظمة متخيلة نسميها «مجتمعات» مع امكانية صياغة مبادئ اخلاقية وجمالية والتي يجب ان تقود تلك المجتمعات المتخيلة ولتصنف معايير موسعة للدمج والاقصاء.

وكما اشرنا، نقصان الطبقة العقلية يؤثر على التحقيق الشخصي لمهارات القلب. ومن منظور فوق الشخصية فهو يقلل القدرة على التجريد ويؤدي إلى مفاهيم ضيقة ومعزولة للمجتمع. مثل تلك العواقب قد تصبح قاسية جدا عندما يكون هناك اشخاص كثيرون ـ اي قطاعات كبيرة من الشعب قد تأثروا بالعوائق العقلية، مثل تلك التي تتسبب بها تجربة جماعية للعنف والتشدد والحكم العقائدي، أو اي خوف طويل الاجل من اجل البقاء أو تجربة صادمة. في مثل تلك الحالات مثل هكذا قصر نظر يبدو مؤكدا حتى خارج حدود المجتمعات المحلية المعينة وينعكس على الوعي الجماعي للمنظومات الفرعية. يجعل هذا العواقب لا يمكن مقاومتها تقريبا. يبدو مثالا على ذلك الجدل بشان الهجرة[1] الذي، ضد كل سبب ودليل، قد بقي صفة طاغية في الكثير من المجتمعات.

مع ذلك، أو تماما بسبب، ان الطبقة العقلية هي طبقة تكوين الوعي ومهارات القلب وهي الطبقة التي تشير إلى كل من اللا وعي والوعي الفائق، وهي ايضا طبقة الانا. بسبب ان القدرة على التجريد والوعي تقع في هذه الطبقة فهي ايضا طبقة خلق الذاكرة. لا يمكن سوى تخيل احداث الماضي لأنها ليست جزءا من الواقع الحالي. الانا مقيدة بذاكرة «من كنت أنا» لكن طالما لا زالت توجد «انا»، من الضروري يكون هناك «انت»، وبالنتيجة سيكون هناك الخوف المحدد الذي تغذيه الازدواجية ويختفي فقط

(1) ملاحظة المترجم من الالمانية: يستعمل المؤلف هنا المفردة الالمانية Auslanderdebatte اي جدل الغرباء التي تلمح إلى استخدام احيانا لاستخدام كراهية الاجانب Auslander

مع موت «انا». من خلال هذا الخوف، نحن ننشئ ثنائيات مثل المتطابق والمختلف والذكر والانثى والقوي والضعيف والتحكم والخضوع والانتماء الاستثناء والجميل والقبيح والحق والباطل. وبالنتيجة، ما لم يتوازن توجه الانا بكمية متطابقة من الوعي الاجتماعي، فان مهارات القلب مثل الحب والشفقة والاخلاص تنعكس إلى شغف وهوس بالقوة وطمع. السموم الثلاثة عند البوذية تنبع ايضا من هذا المصدر وهي التعلق والنفور والجهل.

مع ان، بدقة اكثر بسبب، الطبقة العقلية مجهزة بالقدرة على التجريد، يشكل وعيها فئات مزدوجة تقرض قوة الشغف إلى مفاهيمها ومهاراتها. مهارة القلب في الحب موجهة إلى اشخاص محددين، واستثناء الاخرين. هذا هو السبب في كون مفهوم الحب الرومانسي له مثل هذه القدرة المغرية: موضوعة التجريد ان كل الحب يزدهر بالوعي الفائق يمكن ان توجه إلى شخص واحد تنتج اقوى صيغة من تعلق الانا من طرف الحب الذاتي وهي تفعل هكذا بسبب الخاصية العقلية للشخصية. عندما تدّعي الحكمة الشائعة ان مثل هكذا حب هو حالة مرضية لا يمكن نكرانها من وجهة نظر استنباطية. على الاقل هكذا حب هو خلل مزمن في التوازن في المنطقة العقلية والذي بالضرورة سيظهر في الحلقة. ان ارسلت الاشارات بطريقة بين الاشخاص لا تؤدي إلى الاستجابة المرجوة، فالأزمة الشخصية الناتجة عن الطبقة العقلية تستثار، وهو رد فعل عاطفي ذو تأثير على كل الطبقات. مع ذلك، حتى عندما تُستلم الاشارات سيكون الحب الرومانسي منشغلا جدا لدرجة يجب فيها توقع خلل التوازن على كل الطبقات مصحوب بتأثيره على الحلقة. ينطبق هذا على جميع المستويات الاجتماعية، حتى مع المستوى السياسي مع تركيزه المزعوم على الامور الحقيقية.

وما ذكر اعلاه صحيح ايضا على الشفقة والاخلاص، الفئتين العقليتين اللتين دائما تعنيان مرفقتين للانا: انا احبك، لذا انت ستحبني. انا اتعاطف معك، لذا انت ستتعاطف معي. انا اخلص اليك، اذا انت ستخلص لي. وبشكل منحرف: ان لم تكن تحبني انا سأعاني (اموت). اريد ان اسيطر على مشاعرك (لأني سأموت بدون حبك). يجب ان احوز ما لا تعطيني (لأني بدونه سوف اموت).

عاملو الوعي الاستنباطي ـ عاملو السلام، الذين يعملون على هذه الطبقة ـ يبحرون عبر ارضيات من المستحيل رسم خارطتها من وجهة نظر ذاتية. وحيث ان الطبقات العقلية تضم الطبقات المذكورة سابقا من المتوقع انه فضلا عن المرفقات العقلية والانا ستحدث صراعات القوة الاجتماعية علاوة على التحولات الجنسية وتلك التي ترتبط بالعائلة. لذا، يجب ان لا يكون العاملون في النزاع الاستنباطي فقط عرضة للاختراق على طبقتي الجنسية ـ العائلة والاجتماعية ـ العاطفية، كما نوقشت اعلاه، بل انها يجب ان تختبر التوازن بين الوعي الذاتي والوعي الاجتماعي وان تكون قادرة على التجريد المتين. ان حجم وعمق الطبقات يعنيان في عمل السلام الاستنباطي ان حجم المنظومة يتسع ومعها تعمل تعقيدات السلام الاستنباطي. فهم هذا العمق والتعقيد يلقي الضوء على محددات التدخلات السلوكية في رقص الشخصيات ضمن حلقة ما. وبشكل مماثل، ستواجه العلوم الوضعية حدا نهائيا في هذه النقطة. لذا، فان عمل النزاع الاستنباطي يقع في المنطقة الرمادية بين العلوم (الاجتماعية) والفن. عمليا، عبور هكذا حدود يمكن تجربته كانتقال موجز وناعم طالما كان لدى العاملين وعيا. [1]

مرة اخرى، يبدأ عمل الوعي الاستنباطي مع العاملين في النزاع انفسهم. ولأن الطبقة العقلية تتضمن العقلانية والاخلاق والجمال والمعرفة الادراكية والتجريد والفكر التكتيكي والاستراتيجي، قد يتوقع المرء ان هذا سيكون اقل اشكالية لشخص ذي تنشئة اجتماعية عما لآخرين. مع ذلك فقد لاحظت العكس. فالاختلالات ونقاط الضعف على طبقة اللا وعي دائما تؤثر على الطبقة العقلية مما يحدث تشويهات كثيرة في الوعي الفردي والاجتماعي للشخص. على المستوى الفكري، مثل هكذا خلل في التوازن احيانا يكون شرعيا من خلال عقلنة الروايات، الذي بدوره يتصرف بناءً على الطبقات الاخرى. الاهمية المعطاة إلى العقلانية في الازمنة الحديثة وما بعد الحديثة من المحتمل ان تفاقم الانسدادات والتشابكات على طبقات اللا وعي اكثر مما تجعلها قابلة للاختراق. وفي مثل تلك الحالات فان نقص الوعي الفكري يؤثر على الامكانية

(1) ليديراخ (Lederach(2005.

الاستنباطية لتلك الطبقات. لذا، في التدريب على الوعي الاستنباطي، يجب ان يدخل العاملون المرتقبون مجددا ومجددا إلى تلك الاعماق من اللا وعي.

على الطبقة العقلية فان عقلنة الاختلالات الاجتماعية والجنسية يشوه مهارات القلب و، بالنتيجة، يصبح التعلق والشغف والبحث عن القوة والرغبة شائع بين العاملين المهنيين في مجال السلام، حيث الشفافية والحب والشفقة والاخلاص يجب ان تكون متوقعة. يؤدي هذا إلى بنى بعثة هرمية، مباحث المهمة المشرعنة اخلاقيا والروايات المنجزة ذاتيا في حلقات المنظومة المفككة التي يظهر فيها هكذا ممثلين. يبحث عمل السلام الاستنباطي عن حرف هذه الظاهرة بجلب العمق والعرض للطبقة الاجتماعية الفكرية إلى وعي العاملين في النزاع والطلب منهم فحص شفافيتهم في هذا الصدد بشكل متكرر وحاسم. يدرك المرء انه يحدد بأفكاره وعواطفه ويختبر الصراع المؤلم بين التمسك أو التخلي. حرف هذا المرفق إلى الافكار لا يعني ان العقل يجبر على الركون جانبا، بل انه واع وحاضر. وفي النتيجة، يمكن تماما للعقل مثلما هو دون ان يكون مشوشا بقصص من الماضي. اولئك الذين يرغبون في العمل في مثل هكذا عمق ووسع يجب ان يكونوا مهيئين بشكل مناسب على طبقة الوعي.

في تحويل النزاع الاستنباطي من المفهوم ان عاملي الوعي يصبحون دون شك جزءا من المنظومة المفككة بكامل شخصيتهم. فكل صفة من شخصياتهم تؤثر على المنظومة وعملياتها. فالمؤهلات الفكرية لشخصياتهم، مثل العقلانية والقدرة على التجرد، هي مرحب بها في العمل الاستنباطي مثلما هي المؤهلات على باقي الطبقات. فان جرى التعبير عنها من خلال مهارات القلب، مثل الحب والشفقة والاخلاص، عندها يمكننا افتراض ان هذه الطبقة قابلة للاختراق وقادرة على استلام التغذية المرتدة. في العمل الاستنباطي، فان منحى الشخصية باتجاه المرفقات لا يُرفض ولا ينغمس بتهور. يجرى التواصل مع الطبقة العقلية الشخصية للعامين في الوعي بأصالة انتقائية واسلوب تعاطف يبقى مستلما للتغذية المرتدة. العاملين في الوعي الاستنباطي هم كائنات اجتماعية وهم يوفرون هذه الصفة من شخصيتهم في حالات معينة.

في الممارسة عبر العقلانية، يحدث هذا احيانا اكثر مما قد يرغب انصار النظريات

الحديثة، مع متطلباتهم المتأصلة لديهم من الحيادية، لان اطراف الصراع، مهما كان مستواهم الاجتماعي وتوجههم الفكري، هم ليسوا كائنات مجتمعية فحسب بل ايضا اجتماعية. من اجل استمرار تدفق دائرة التواصل بين اطراف النزاع وعاملي الوعي يجب ان يكون هناك اتفاق على كل الطبقات، بضمنها العقلية. عمليا، هذه ممكن ان تكون مشكلة حيث ان من الشائع ان يكون هناك مرفقات شخصية خلف المواجهات الموضوعية لحلقة ينخرط فيها اطراف النزاع. فضلا عن ذلك، خلف المرفقات احيانا يكون هناك ضعف الرابط الشخصي. في تحويل النزاع من المهم توجيه الاهتمام إلى هذه الحالة الدقيقة، خاصة في سياقات متعددة الثقافات.

لذا فان من غاية الاهمية ان يخضع عاملو النزاع لثقافة واعية للقلب وان يتعلموا مواجهة مرفقاتهم على الطبقة العقلية ـ الاجتماعية بأسلوب اصالة انتقائية. بالتأكيد فان المرفقات الشخصية المتجذرة لأطراف النزاع تؤثر على الوظيفة الشخصية للمجتمعات واكثر على مستوى القائد مما على مستوى القاعدة الشعبية. قد تكون دوائر التغذية المرتدة مكثفة وقد تكون غير ملائمة من ناحية تواصلية، بل انها كلها اكثر قوة وهدامة. لذا، فالعمل على هذه الطبقة هو صعب مثلما انه مهم.

للطبقة العقلية ـ الاجتماعية تأثير حاسم على وظيفة الفريق الميداني. بقدر ما يكون تكوين الوعي الشخصي ظاهرا في مهارات القلب لأعضاء الفريق منفردين، اسلوب بنيوي للتواصل وبيئة عمل مقبولة ستظهر بصورة طبيعية تقريبا. في هذه الحالة فالمرفقات والصفات ذات الصلة بالانا للوعي الذاتي لن تكون مكبوتة بل يجري تواصلها بأصالة انتقائية. لذا، فالتواصل بين اعضاء الفريق يمكن ان يعمل كأرضية للأصالة في الصلة مع العملاء. مثل هذه الفرق عادة لها حجم ومهمة يمكن ادارتها ولذا فان الصفات الاجتماعية ـ العاطفية ستكون اكثر اهمية من الصفات العقلية ـ الاجتماعية. مع ذلك تؤدي الاخيرة دورا من خلال الافكار التجريدية المعنية وفي تخطيط اهداف البعثة أو الطرق وبذا يجب ان تكون مفهومة للجميع بشكل متساو. من المفيد اختبار هذا الفهم اثناء البعثة الحقيقية. ان كانت الموضوعات التي تعود إلى سطح الطبقة العقلية ـ الاجتماعية، تمثل معضلة غير متوقعة وجادة في عمل الفريق، من المرجح ان تكون هناك تشوهات على الطبقات الاعمق التي جرى تجريدها وعقلنتها.

في جميع الاحوال، تتطلب مثل تلك التحديات استجابة؛ ضمن فريق البعثة لن يكون هناك تجريد بل دائما خلل في الحاضر.

7. 5 المراقبة الاستنباطية: القيم الروحية والسياسة

بتعميق وتوسيع المنظور من خلال اعطاء الاهمية إلى الروحانية الشخصية والسياسة بين الشخصيات ومراقبتهما نصل إلى طبقات عبر عقلانية ستبقى غامضة دون شك امام حل النزاع وتحويل النزاع ذي الصلة. في الفكر الاستنباطي تشير هذه المصطلحات إلى مناطق خارج الانا لدى الشخصية والصفات الاجتماعية.

تقع الطبقة الشخصية الروحية للشخصية تحت الطبقات المادية والجنسية والمجتمعية والعقلية. تصبح ظاهرة عندما تكون صفات الانا في توازن وطبقات حدود الاتصال العاملة ناعمة وقابلة للاختراق. بعبارات شخصية، تقع الروحانية وراء الوعي وخطوط الدفاع عند الانا. في الروحانية، فان الفصل الذي يولده انعكاس الذات معلق. في الطبقة الروحية الشخصية هناك انا تحب أو تكره أو فخورة أو تشعر بالخجل من نفسها. هذه هي النقطة التي يحدث فيها موت الانا، يشير اليها بيرلز «الانفجار الداخلي»[1]. بعدها يكون الطريق إلى التجربة داخل الشخصية مفتوحا. لهذه الغاية اقتبست من الابانيشاد في الجزء الاول من هذه الثلاثية: «عتمان هو الذي حررته من الجهل والظلام والوهم.»[2]

يصف الظلام والوهم التشويهات لمهارات القلب التي اشرت اليها الشغف والهوس بالقوة والطمع على الطبقة العقلية. وهذه تمثل تراكم كل شيء متصور في الماضي، المخاوف والامنيات والآمال والاحكام والرغبات والافكار والعواطف التي وضعت نفسها في التصور الحالي، وحولت التصور الاصيل والواعي إلى مستحيل. [3]

ما ان يتم الوصول إلى الوضوح بشأن الشخصية المخادعة لهذه الامور المتراكمة،

(1) بيرلز (1992، ص 76)Perls.

(2) مقتبسة من ديتريخ (2012، ص 238)Dietrich.

(3) كابال (2008، ص 91 ـ 105)Kabbal.

تكون الشخصية قادرة على الاستماع إلى افكارها، تلك التي تتحدث عبر قناع. وتصبح الشخصية واعية للطبيعة الوهمية لتلك الملاحظات ولنفسها كونها رقيب عليها. لذا، تنشأ الطبقة الروحية من الظل تلقى بها الافكار والعواطف. يُطلق التصور للحاضر ويجري الوصول إلى اعلى حالة من عمل النزاع الاستنباطي ـ وجهة نظر «الرقيب الداخلي.» ينظر الرقيب الداخلي إلى طبقات الانا للشخصية مثلا هي في الحاضر في حالة حب دون احكام أو مقارنة أو ثواب أو عقاب. الرقيب الداخلي يعي وجوده بيد انه لا يعلّق ولا يتصرف. فهو ببساطة حاضر بأسلوب واع. فالمراقبون الذين يعلقون يشار اليهم «المراسلون». يعود المراسل إلى الطبقة العقلية، الطبقة التي فيها تصنع التعليقات والاحكام. يبقى المراقبون العاملون من الطبقة الروحية صامتين ويحبون دون شروط حيث ليس هناك ثنائيات في عبر العقلانية.

الطبقة السياسية (مجرد وعي لوجود الفرد والمجموعة في الزمن والفضاء دون اي حكم أو بنية أو منظومة قيم) هي المكافئ بين الشخصيات للروحانية داخل الشخصية. وهي الطبقة السياسية التي تقع خارج اهتمامات المرء الفردية والعائلية والمجتمع المحلي والاجتماعية. على هذه الطبقة يفقد السؤال عن انتماء الشخصية الحقيقية أو المتخيلة معناه. لذا فهي تقع خارج المنطقة التي يغطيها العلم السياسي المعاصر، الذي تركيزه الاساسي ينصب تماما في المصالح والبنى والنزاعات الموجودة في الكيانات الاجتماعية وليس في الطبقة بين الشخصيات. اولئك الذين يمارسون تحويل النزاع الاستنباطي يدركون البعد السياسي خارج امور المصالح أو الحكم أو المنظمة. الطبقة السياسية هي الرقيب بين الشخصيات أو الخارجي الذي، مثل مكافئه داخل الشخصية، يراقب رقص الشخصيات بأسلوب محبب، دون حكم ومقارنة وبدون افكار الثواب أو العقاب. يعي الرقيب وجوده الا انه لا يعلق ولا يتصرف، انه مجرد حاضر بوعي.

في الروحانية والطبقة السياسية، تتجاوز النظرية الاستنباطية التوجه الاجرائي لعمل النزاع. يستبدل الاجراء بالرقابة الصافية المحبة. يشير الحب هنا إلى تصرف غير مشروط تجاه العالم، ليس موقفا تجاه اشخاص معينين أو مجتمعات محلية أو حالات فكرية. تسمح الحرية عن الغرور الذي تغذيه الافكار للانا بالانحلال حيث انها تستقي وجودها من الذكريات فقط. تستخدم الهوية هنا للإشارة إلى المرء الذي هو في اللحظة

الحالية في توافق تام مع ما يتخيله وجوده السابق. وهو يتطلب كمية معينة من التحفظ والتماسك في الزمان والمكان. هذه هي الفردانية التي تُركت إلى الوراء في الروحانية والطبقة السياسية. عندها فقط تكون الرقابة المحبة وغير القاضية بالأحكام ممكنة. المراقبون الداخليون والخارجيون لا هم ممثلون ولا ادوات في صنع السلام. هم بذاتهم انواع من السلام متصورين بوعي مثلما في مثل بحيرة الجبل الذي استخدمته في مقدمة الجزء الاول من هذه الثلاثية. من هذا المنظور ظروف الحياة الخارجية لا يمكن تصورها بطرق ايجابية ولا سلبية، فهي مقبولة مثلما هي. تؤدي السعادة الثنائية، التي يحافظ عليها بالعوامل المادية، إلى سلام ليس له مثل هكذا اعتماد. من هكذا وجهة نظر، الخلافات والنزاعات من الصعب تخيلها، تتطلب تعريف المتخاصمين من خلال افكارهم. في غياب صفات الانا، فان ميكانيكيات اللا وعي لم تعد فاعلة. تذوب حدود اتصال الشخصية والعالم الذي يكمن خلفها ينفتح.

هل ان هذه طبقة، تقع وراء الانا والصفات الاجتماعية، مجرد فلسفية؟ هل انها ذات صلة بالسلام والعمل في النزاع؟ هل انها حقا موجودة؟ من وجهة نظري نعم انها موجودة. اولا وقبل كل شيء، انها ذات صلة بالعاملين في السلام. الوعي الفكري للروحانية والطبقة السياسية تقرض معنى عملها خارج الحلقة. حيث ان تحويل النزاع الاستنباطي لا ينتج حلولا شاملة، بل فقط تغيير، يحتاج العاملون المهنيون في النزاع لممارسة رقابة خالصة من اجل ان يبقوا واعين لأنفسهم والتأثيرات التي يولدونها. من حيث المبدأ، كل انسان له القدرة لاستكشاف وتجربة الروحانية والطبقة السياسية. يحقق عاملو السلام الاستنباطي هذه القدرة.

في الحداثة وما بعد الحداثة هذه القدرة قد اصبحت غير شائعة. في الوقت الذي كان التغلب على المعتقدات والمنظمات الدينية ذا ميزة، ضاعت الروحانية والطبقة السياسية في العملية، وهذا هو السبب في كون القليل نوعا ما من الناس يستفيدون منهما اليوم. يمكن للطريق تجاه هذه التوقعات ان يظهر فورا، الا انه ايضا يمكن البحث عنه بطريقة منهجية. العاملون في النزاع الاستنباطي مدركون لهذه الامكانية ويبذلون الجهد لإدراكها. في افضل الحالات فهم يتلقون الارشاد المناسب اثناء تدريبهم.

ليس بالضرورة المطلقة الوصول إلى وعي المراقب من اجل العمل الاستنباطي. فالتكنيكات الموصوفة في هذا الكتاب دون استثناء لها تأثير علاجي على طبقات الانا وفي العمل. مع ذاك، الناس الذين قد اصبحوا واعين إلى الطبقات الشخصية ـ الداخلية الروحية والسياسية ـ بين الاشخاص هم لا يعملون في النزاعات. فهم يراقبون بوعي لذا يتصرفون بأسلوب تحويلي. يكمن التحويل الاستنباطي في الرقابة نفسها وبوعي المراقبين للوجود.

فالرقابة بحد ذاتها مكافئة للتحويل، وينطبق هذا على جميع المستويات وكل المواضيع وكل طبقات الهرم؛ انها تطبق في كل مكان ودائما. الرقابة تحدد المراقَب. لهذا السبب تعد مراقبة الانتخابات وحقوق الانسان مفيدة، مع انهما يبقيان على طبقتي الانا والاجتماعية فقط. انها نوعية الحضور هو ما يصنع الفارق. اولئك الذين راقبوا الناس مع الدخول إلى الطبقتين الروحية والسياسية سيفهمون الفارق. ان هذه النوعية التي كانت تعزى إلى الشخصيات الاستثنائية مثل الدالاي لاما وثيت نات هانه وغاندي وسوامي فيدا بهاراتي وامريتاناندامايي ونيلسون مانديلا والأم تيريزا وموريهيه اويشيبا وجدو كريشنامورتي ومارتن لوثر كينغ واخرين. لست في موقع لتقييم من وصل إلى هذا المستوى أو إلى اي مدى. ولا الامر ضروري لذلك: النوعية بكل تأكيد يدركها كل شخص.

من الان فصاعدا اهمية هذه الطبقة في المواجهات مع الزبائن هي قضية صريحة. فان كان لعامل البعثة الطبقتين الروحية والسياسية، الطبقتين المتطابقتين عند اطراف النزاع ستخاطب بشكل مباشر مولدة تأثير على طبقتي الانا والاجتماعية. لهكذا ناس سلطة طبيعية لا تتطلب استخدام التعليمات أو النصيحة. وفقا لذلك، يبدأ التحويل في الطبقات العميقة القريبة من المركز وتلتمس طريقها باتجاه الحلقة، مولدة تغييرا اكبر من مجرد تحول الطاقة المتضاربة على السطح، اشرنا اليها سابقا بتبديل النزاع.

طبيعيا، شرف لي ان اعمل في فريق مع الناس الذين لهم هذه المؤهلات، والتالي عادة يظهر من تلقاء نفسه. من خلال وجودهم فانهم يؤثرون على المجموعة، يساعدون الاخرين ليصبحوا واعين لطبقاتهم في انفسهم. الوعي الروحي والسياسي

للمراقبة يتجاوز كل طبقتي الانا والاجتماعية لحلقة ما وتولّد تغييرا كبيرا. هذا اعلى شكل من الفن الاستنباطي وممارسة السلام. الروحانية والطبقة السياسية هي طبقات عبر ـ الانا وعبر العقلانية للوجود. وهما يمكنان طيفا واسعا من الفهم للسلام ولذا لهما تأثير تحويلي في عمل السلام. وهما بحد ذاتهما مسالمين ويقعان خلف حلقة النزاع. مع ذلك، هما ليسا مركز النزاع. ان اخذنا بنظر الاعتبار ان الناس يأتون من خلفيات تجربة تميزها عواطف وافكار، فهما يختبران الروحانية والطبقة السياسية كونهما انجاز استثنائي. احيانا تخلق هذه التجربة لوحدها ترددا عند العودة إلى اعماق الفكر اللا واعي الذي تقوده الانا. وهي قد تولد رغبة لتصبح ملحقة بالتجربة الروحية. وبشكل متناقض، من خلال مثل هكذا ملحق، يعبر عنه احيانا كفخر في انجازات المرء والغرور في تواصلهم يمكن ان تحدث انسدادات وصعوبات حتى على هذه الطبقة الاكثر خارجية على حدود الاتصال في العمل. التغذية المرتدة إلى طبقات الانا يمكن عندها ان تتحول إلى تجربة محتمل ان تكون عميقة للسلام في احساس ممل كونها مفقودة. وهكذا يأتي النوع المريب والمستوعب لذاته من المعلم غورو إلى الوجود ـ الذي يهمل قدرته أو يتلاعب بالأخرين أو يسبب الاذى للآخرين. مثل هذه الاحتمالية هي للتذكير ان الروحانية والطبقة السياسية قريبان من المركز وقد يشيران اليه، الا انهما ليسا متطابقين مع المركز.

6.7 الشهادة الاستنباطية: الوعي والعولمة

وفقا لتفسير كريشنامورتي[1] لفلسفة اليوغا القديمة، الفرق بين وعي الشهادة ووعي الرقابة هو ان الاول يعمل دون منظور. يذوب المنظور في الوعي الفوري الحاد، الوعي بدون الانا وبدون الاخر وبدون الاله. يشير بيرلز إلى المرور النهائي لحدود الاتصال مثل «انفجار» حيوي، فيما يصفه روث «سكون»[2] غير مستقر.

في وعي صامت دون شكل، لا يرى الشاهد العالم لأنه هو العالم. يعرف الشاهد العالم على انه احساس داخلي، ليس كشيء خارجي. بانحلال حدود الاتصال، تتدفق

(1) Perls(1973).

(2) روث (1997، ص 180) Roth.

طبقتي بين الشخصيات والشخصية الداخلية إلى بعضها البعض في اسلوب تناقضي. ليس هناك من حدود بين الشاهد والعالم. ليس هناك من فارق، لا يوجد خط فاصل بين وعي الشخصية الداخلية والوجود بين الشخصيات. الوعي والوسط الكوني لا نهائيان وليس لهما حدود وهما شيء واحد. لا يمكن رؤية الشاهد لأنه هو الرائي. يستمر انحلال حد الاتصال خارج طبقات الانا في عبر العقلانية. حيث هناك الانا ونحن قبلا، هناك الان سكون غير مستقر للوجود.

عند هذه النقطة، لم يعد عمل السلام الموجه نحو الممثل أو الموجه نحو الزبون ذا معنى، حيث تنحل كل حدود التماس في الوعي. عندما يكون المراقَب متطابقا مع المراقِب، وعندما تكون حدود الاتصال منحلة، لن يكون هناك من نزاع. وعي الشهادة العالمية يرفع عن الطبقات المتضاربة للانا ولقاتها التي لا توضع في الاستخدام في عمل النزاع التطبيقي، على الرغم من انها تتغلغل فيه. ان وعي الشهادة العالمية هي لحظة السلام، اللحظة التي تتغلل في كل شيء، من سطح الحلقة إلى الوعي الروحي والطبقة السياسية. لذا فهي تعطي المعنى إلى عمل السلام على كل طبقات الانا والاجتماعية (هناك فقط يكون المعنى فئة ذات صلة) في حين ايضا تمنحه اهمية اعمق تمتد خارج مثل ذلك المعنى. كونها نفسها هو ما يجعل من الممكن تجربة السلام، وبذا تستحق السعي اليها. الدماغ المادي للموضوع الثنائي يتحول إلى ما يمكن تصوره بالإحساس داخل الحقيقة التي لها معنى، غير ان افكار السلام وتصوراته ليستا محدودتين بهذه الطريقة. يستلم الدماغ النبض من طبقة غير مزدوجة لوعي المشاهدة العالمي، ويترجمها إلى وعي سلام عقلي وذاتي والى عمل سلام تطبيقي.

7.7 مركز الحلقة

بالاعتماد على الفلسفات القديمة، كتبت العديد من المؤلفات عن تعليق حدود الاتصال بين الفاعل والمفعول به، عن شمولية وعي الشهادة العالمي. مع ذلك، ربما كل كلمة قيلت كلمة واحدة كثيرة جدا، إن اخذنا بالاعتبار ان التعبير يتطلب موضوعا ادراكيا ولغة موضوعية ـ اي تماما ما ليس متوفرا. وهو الوعي. ليس هناك ما يضاف. خارج نطاق وعي الشهادة الكوني يختفي الموضوع مع كل حدوده وكذلك يفعل

الوجود. ما يشير اليه ليديراخ على انه مركز الحلقة هو لا شيء، وهو الفراغ الذي خلف الوجود. احيانا يشار اليه المجال الكوني، أو اللا شيء الذي يأتي منه كل شيء، الذي هو مصدر الوجود.

هذه الصفة الاساسية لفلسفة السلام هي ايضا الخلفية المعرفية لتحويل النزاع الاستنباطي وعمل السلام التطبيقي. مع ذلك، مع الاخذ بالاعتبار ان هذا هو كتاب حول المناهج، فهو ليس المكان المناسب للإسهاب في هذه الاعماق. باختصار هذا العرض لتأويلي لهرم ليديراخ وموضوعاته ومستوياته وطبقاته، واستنتاجي هو نفس ما طبقه ويليام يوري إلى ممارسة تحويل النزاع: إبدا قريبا من البيت![1]

بعبارة اخرى، يقترح يوري ان عمل السلام يجب ان يبدأ اقرب ما يمكن إلى «الوقائع التي يعيشها» العاملون في النزاعات، لئلا تحصل افتراضات مثالية عن العوالم البعيدة. انا اتفق معه واظن ان هذا المبدأ الارشادي يمكن ان يطبق ايضا على المنظومة التي قدمتها هنا. قد يكون عمل النزاع الاستنباطي متجذر في المركز، الا انه يظهر في رقص الشخصيات في الحلقة، وفي الادوار التي فيها يظهر عمل السلام في منظومات معينة. اعدّ محاولتي لخلق عرض منهجي للعمل الاستنباطي تنفع في انشاء اساسه المعرفي ومفيدة في توفير توجه لبرامج تدريبية وتشجيع الاشراف والتبادل المنهجي للخبرات. وعلى الرغم من ذلك، يمكن ايضا تطبيق دعوة يوري إلى عمل النزاع الاستنباطي. يشير عمل النزاع الاستنباطي إلى الطبقات الانانية الاجتماعية لوجودنا وعلى الاغلب تحدث هناك، التي هي سبب بقاء هذه الصفات تركيزا للتدريب.

استنتاجات الجزء الثاني من الثلاثية

في بداية هذا الكتاب بينت الاسئلة الاتية:

- كيف يمكن للأساسات الفلسفية للسلام عبر العقلاني ان يترجم إلى طرق للتصرف والتواصل والافعال التي هي اجرائية للسلام؟
- ما هو عمل النزاع الاستنباطي؟

(1) يوري (2000، ص 208).

- ما هو الاساس النوعي والهدف الشرعي لتحويل النزاع الاستنباطي؟
- ما معنى تحويل النزاع الاستنباطي في التعليم والتدريب لعمل السلام المعاصر؟
- على اي اساس تجرى التدخلات في الخلافات للأطراف الثالثة في تحويل النزاع الاستنباطي؟

خصصت الفصول الخمسة الاولى من هذا الكتاب في تقييم وممارسة طرائق تحويل النزاع الاستنباطي. فعلت هكذا بطريقة وصفية، استجابة إلى الاسئلة المعرفية من خلال الوصف. إعادة ذكرها هنا قد يكشف علاقات متبادلة مثيرة للاهتمام وتشابهات عبر حدود صارمة ثقافية. على سبيل المثال، قد يكون القليل من الناس مدركين للتشابهات بين الكابويرا والايكيدو والتنترا التيبتية. نفس الامر ينطبق على الدراما النفسية، مسرح المضطهدين، والبوتو ورقصة الايقاعات الخمسة وعملية الاصول. القواسم المشتركة بين عجلة الطب الشامانية والديبلوماسية متعددة المسارات قد تبدو ايضا ملفتة للنظر جدا. في الحقيقة، مراقبة انتقال الافكار والتطورات الموازية في التاريخ العالمي هي مسعى مثير في العلم والثقافة. استخدام مثل هذه الطرق في التعليم العالي هو رائع وقد يخدم كمساهمة مشجعة لتطوير طرائق التعليم الجديدة خارج دراسات السلام. في هذا الكتاب، شرحت وذكرت ما يبدو اكثر اهمية. ان اخذنا في الاعتبار طريقة كتابتي، استنتاج في المعنى التقليدي سيبدو خارج السياق.

الامر نفسه ينطبق على الفصل الذي ركزت فيه على الانعطافة عبر العقلانية في حقول مهنية متعددة عموما يرتبط بعمل النزاع، الا انه موجه نحو المثاليات الحديثة. ان كانت هناك الان إنعطافة عبر عقلانية في المنطق التنفيذي لهذه الحقول، وبسبب ان الظروف قد تغيرت بطريقة فيها تصورات وممارسات جديدة مطلوبة. مثل تلك الانعطافة ليست مفهوما جديدا أو عنوانا جديدا لطرائق قديمة، بل استجابة لظروف اجتماعية متغيرة.

لان الطرائق الاستنباطية بطبيعتها ليست توجيهية، ليس هناك من طريقة لتعريف ملفات الشخصية أو كتلوكات الطرائق أو مجموعة ادوات أو قائمة من القواعد الالزامية أو توصيفات الوظائف أو تعاريف الدور المعياري. ما يميز بداية عمل النزاع

الاستنباطي هو العلائقية. ضمن منظومة تتشكل العلاقات بحدود الاتصال في العمل وبالنتيجة يمكن ان تكون على عدة اشكال مختلفة. مع ذلك فالاحتمالات لا هي عشوائية ولا غير محدودة؛ هي محدودة بحسب قدرة ممثل معين. ومع ذلك، يمكن ان تكشف مثل هكذا قدرة عن نفسها بعدد كبير من الطرق التي تقاوم فيها السيطرة والقدرة الحسابية. وفقا إلى نظرية المنظومات العامة: التعقيد والتبادل الديناميكي والتفاعلات وتنظيم الذات هي خواص متأصلة للمنظومة ولذا يجب ان تظهر في عمل النزاع. وبالنتيجة، تحويل النزاع الاستنباطي لا يعمل تجاه الاهداف المحددة سلفا، بل تجلب العاملين إلى التبادلات والتفاعلات. تزداد الاحتمالات المتوفرة في العملية، بينما يبقى تنظيم الذات للمنظومة ثابتا.

مع ذلك، لا يتوقف العمل الاستنباطي عندما تنشئ المنظمات المرسلة اطارات مرجعية واضحة ومدونة قواعد سلوك. على النقيض من ذلك، يمكن لهذه ان تكون مفيدة ان اقروا بالطبيعة العلائقية للمهام القادمة وتجهيز العاملين بالبنى والتوجيهات والمساعدة، في الوقت الذي تسمح لهم بالحفاظ على التوازن والتصرف بمرونة وصدق اثناء المهمة. بمعنى ان كانت الاطارات المرجعية ومدونة قواعد السلوك ترافقان العاملين في النزاعات بدلا من ان توجههم. يمكن لعمل النزاع الاستنباطي ان يجرى بمرونة اعلى بكثير في اطار وضعي واضح البنية اكثر مما في سياقات تتصف بالمثالية والاصطلاحات المبهمة، كما يحصل احيانا في المنظمات غير الحكومية. البنية ليست معضلة امام العمل الاستنباطي؛ بل انها تقلل العمل البيروقراطي والتنظيمي امام العاملين في النزاعات وتسمح لهم بالتركيز الكامل على الصفات العلائقية للنزاع.

الهدف من الفصل الاول لهذا الكتاب كان الجمع بين المعلومة والطرق من التخصصات المتباينة، التي كل منها مصدر ذو صلة بدراسات السلام بشكل عام، ولتحويل النزاع الاستنباطي بشكل خاص. لذا، الموضوعات التي اعتمدت عليها هي بشكل عام معروفة ومطبوعة. كل ما فعلته هو تحصيلها وجمعها وتأويلها بطرق جديدة.

مع ذلك كان الهدف من الفصل الاخير مختلفا. صممت فيه توسيعا لنموذج هرم

ليديراخ بناءا على التجربة. كان غرضي هو ان اعطي هذا النموذج اساسا معرفيا، علاوة على اعطاء شكل بصري للموضوعات والمستويات والطبقات التي قد تكون ذات صلة لعمل السلام التطبيقي. في عمل ذلك اتّبعت مبدأ التنترا «كما على الداخل، كذلك على الخارج، مثلما اعلى، اذن اسفل» وصممت نموذج هرم ذي طبقات يهدف إلى العدالة لكل من الصفات الداخلية والخارجية الحاضرة في كل نزاع. الهدف من الهرم ليس اعطاء توجّه بل لتزويد اداة بصرية للممارسة الاستنباطية، وجذب الانتباه إلى مناطق يمكن تجاهلها بسهولة في الممارسة اليومية لعمل السلام المرتكز على الحلقة. سعيت إلى تكامل هذا النموذج ذي الطبقات مع الموضوعات الرئيسية للعدالة والامن والحقيقة والوئام وبجميع المستويات الاجتماعية، من الطبقة الشعبية مرورا بالطبقة الوسطى إلى المستوى الاعلى. قد يكون هذا انتج نموذجا معقدا نوعا ما. مع ذلك انا اثق بإمكانية تطبيقه لان عمليا اجزاء النموذج التي تطبق ستكون محدودة في سياقات معينة لحلقة ما. فضلا عن ذلك، البنية ذات الطبقات للهرم تسمح للعاملين ان يقرروا ما المسافة أو كم العمق الذي يريدون ان يذهبوا اليه. يشير النموذج إلى العالمية النظرية ولا نهاية المركز، حيث، وللمفارقة، تتقاطع الطبقات الخارجية مع تلك الداخلية. هذا المكان من المستحيل الوصول اليه من خلال الجهود اليومية. مع ذلك، الطبقات حوله يمكن تعريفها أو على الاقل الاحساس بها يمكن لعمل النزاع العملي ان يصمم كاستجابة.

يطالب عمل النزاع الاستنباطي لليديراخ من اجل ضم كل المستويات الاجتماعية في الهرم فضلا عن توازن الموضوعات. في شرح الاخير فقد استطردت من نموذج ليديراخ للمصالحة المبني على عمله في امريكا الوسطى، واستبدلته باخر موجه نحو ويلبر. اخيرا جادلت لضم طبقات اضافية إلى الهرم، وعرضتها للنقاش. اعتبر هذا تقدما عمليا وثابتا من مناهج علمية لتحويل النزاع وآمل في نقاش مستفيض بشأن هذا الموديل.

وختاما، ارغب مرة اخرى التأكيد على ان عمل النزاع الاستنباطي وظيفة للأبطال. حقا، العمل في بيئات النزاعات قد ينطوي على الخطر على الحياة والصحة. بيد اني لا اشير إلى هذا بقدر التحديات النفسية التي يواجهها عاملو النزاع الاستنباطي، ووفقا

لجملة غاندي الشعرية الشهيرة: «يجب ان نكون التغيير الذي ننشد رؤيته في العالم». ان عدّت هذه المقولة واقرّت في كل عمقها عندها يجب ان يدخل عاملو السلام، فضلا عن حيازة معرفة اكاديمية، عرين التنين لظلالها الداخلية قبل ان يتمكنوا من العمل في هذا الميدان.

نظرا لان النزاعات الخارجية لها نظيراتها الداخلية، اي مسح وضعي للفكر العالمي كهدف سيبقى غير كاف. كلما نتعمق اكثر في السياق الاكبر للازمات العالمية كلما اكثر مباشرة نتأثر شخصيا. من المفارقات، مركز طبقة النزاع للشخصية هي واسعة مثلما هي عميقة تشير إلى كل من المحيطين الاقرب والابعد. أو بالاقتباس من كريشناموراتي، اولئك الذين يرون العالم ارض معركة يجب ان لا يتفاجؤون عندما يلتقون بالقتلة والضحايا. ومن حيث عمل النزاع الاستنباطي تحويل العالم الخارجي يبدأ بوعي حياة المرء الداخلية. عندما نفكر بالعالم كمكان للمواجهة عندها سنلتقي ناسا بكل غناهم وجمالهم وسنفعل هذا على كل المستويات. عمل النزاع يمثل تحديا كبيرا ورائعا يأخذنا إلى الطبقات الاعمق من انفسنا، لذا يمكن ان نكون في خدمة العالم خارج انفسنا.

Bibliography

Books and Essays

Almedom, Astier M.: «Resilience Research and Policy/Practice Discourse in Health, Social, Behavioral, and Environmental Sciences Over the Last Ten Years.» In: African Health Sciences, 8, 2008

Almedom, Astier; Evelyn Brensinger; Gordon Adam: «Resilience Discourse as a Counter Narrative to Vulnerability and Social Suffering;» in: Bradby, Hannah; Gillian Lewando Hundt (eds): Global Perspectives on War, Gender and Health: The Sociology and Anthropology of Suffering; London, 2010.

Ancelin Schützenberger, Anne: Oh, meine Ahnen! Wie das Leben unserer Vorfahren in uns wiederkehrt; Heidelberg, 2005.

Appleton, Sue: Bhagwan Shree Rajneesh. The Most Dangerous Man since Jesus Christ; Köln, 1987.

Appleton, Sue: Was Bhagwan Shree Rajneesh Poisened by Ronald Reagan's America? Köln, 1988.

Austin, Alex; Martina Fisher; Norbert Ropers (eds.): Transforming Ethnopolitical Conflict: The Berghof Handbook; Wiesbaden, 2004.

Aveling, Harry (ed.): Osho Rajneesh and His Disciples. Some Western Perceptions; Delhi, 1999.

Barash, David P. and Charles P. Webel: Peace and Conflict Studies; Los Angeles, London, New Delhi, Singapore, 2009.

Bartels, Johannes: Mitten in die Seele hinein. Das Enneagramm im Kontext religiöser Erwachsenenbildung; Münster, 2005.

Bateson, Gregory: Steps to an Ecology of Mind; New York, 1972.

Bauman, Zygmunt: Post _ modern Ethics; Oxford, 1993.

Berendt, Ernst _ Joachim: Das Dritte Ohr. Vom Hören der Welt; Reinbek, 2004 [first published 1985]

Berendt, Ernst _ Joachim: Nada Brahma. Die Welt ist Klang; Reinbek, 2001.

Berne, Eric: Spiele der Erwachsenen; Reinbek, 1967.

Bertalanffy, Ludwig von: Problems of Life; New York, 1952.

Boal, Augusto: The Rainbow of Desire. The Boal Method of Theater and Therapy; New York, 1995.

Boal, Augusto: The Aesthetics of the Oppressed; London, New York, 2006.

Boal, Augusto: Theater der Unterdrückten. Übungen und Spiel für Schauspieler und Nicht _ Schauspieler; Frankfurt,1989.

Bonfil Batalla, Guillermo: México profundo—una civilización negada; México, 1990.

Boulding, Kenneth: «The Economics of the Coming Spaceship Earth;» in: Jarrett, Henry (ed.): Environmental Quality in a Growing Economy; Baltimore, 1966.

Boulding, Kenneth: The Economics of Peace; New York, 1945.

Brown, Tom Jr.: Grandfather. A Native American's Lifelong Search for Truth and Harmony with Nature; New York, 1993.

Brown, Tom Jr.: The Search; New York, 1980.

Brown, Tom Jr.: The Vision. The Dramatic True Story of One Man's Search for Enlightenment; New York, 1988.

Brown, Tom Jr.: The Way of the Scout. A Native American Path to Finding Spiritual Meaning in a Physical World. New York, 1995

Brunner, Markus; Wolfgang Dietrich; Martina Kaller: Projekt Guatemala; Vorder _ und Hintergründe der österreichischen Wahrnehmung eines zentralamerikanischen Landes 1850 _ 1992; Frankfurt, 1993.

Bühler, Karl: Sprachtheorie; Jena, 1934.

Burton, John: Global Conflict. The Domestic Sources of International Crisis; Brighton, 1984.

Burton, John: Systems, States, Diplomacy and Rules; London, 1969.

Cakir, Alev: Alevilik: A Trans _ rational Approach to Life and Peace; Innsbruck, 2009.

Clausewitz, Carl von: On War; Princeton, 1976. [first published 1832]

Coelho, Abel: A Compilation of Butoh Exercises; Honolulu, 2008.

Cohen _ Cruz, Jan and Mady Schutzman (ed.): A Boal Companion: Dialogues on Theatre and Cultural Politics; London, 2006.

Cohn, Ruth: Von der Psychoanalyse zur themenzentrierten Interaktion; Stuttgart, 2004. [first published 1975]

Cousto, Hans: Die Oktave. Das Urgesetz der Harmonie; Berlin, 1987.

Curle, Adam: Another Way. Positive Response to Contemporary Conflict; Oxford, 1995.

Curle, Adam: Education for Liberation; London, 1973.

Curle, Adam: Making Peace; London, 1971.

Das, Vaman: Die indische Gottesliebe; Goloka Vrindavan, 2000.

Deere, Philipp and Daniel C. Rohr (ed.): Das entzündete Feuer; Zürich,1986.

Deleuze, Gilles and Félix Guattari: A Thousand Plateaus. Minneapolis, 1987.

Derrida, Jaques: «No Apocalypse, Not Now. Full Spead Ahead, Seven Missiles, Seven Missives», in Diacritics, Vol. 14, No. 2 Nuclear Criticism, pp. 20–31, 1984.

Diamond, David: Theatre for Living; the Art and Science of Community–based Dialogue; Bloomington, 2007.

Diamond, Luise and John MacDonald: Multi–Track Diplomacy: A Systems Approach to Peace; West Hartford, 1996.

Dietrich, Wolfgang: Interpretations of Peace in History and Culture; Basingstoke, 2012.

Dietrich, Wolfgang: «Just War and Just Peace, Revised from a Transrational Approach to Peace Studies;» in: Lohlker, Rüdiger (ed.): Peace, Security, Justice. Reflection on a Global and Regional Level between Europe and Iran; Wien, Münster; 2011.

Dietrich, Wolfgang: Periphere Integration und Frieden im Weltsystem – Ostafrika, Zentralamerika und Südostasien im Vergleich; Wien, 1998.

Dietrich, Wolfgang: Thylacinus Cynocephalus und Winnetou, oder: Das Problem mit den Unterentwickelten; in: Zeitschrift für Lateinamerika, vol. 44–45, Vienna, 1993.

Dietrich, Wolfgang: Variationen über die vielen Frieden—Deutungen; Wiesbaden, 2008.

Dietrich, Wolfgang; Josefina Echavarria; Gustavo Esteva; Daniela Ingruber; Norbert Koppensteiner (eds.): The Palgrave International Handbook of Peace Studies. A Cultural Perspective; London, New York, 2011.

Dietrich, Wolfgang; Josefina Echavarría; Norbert Koppensteiner (eds.): Schlüsseltexte der Friedensforschung /Key Texts of Peace Studies /Textos claves de la Investigación para la Paz; Münster, Wien, 2006.

Dowing, Michael: Shoes Outside the Door: Desire, Devotion, and Excess at San Francisco Zen Center; Washington, 2001.

Drake, Michael: «Sociology and New Wars in the Era of Globalization;» in: Sociology Compass 1, 2, 2007.

Echavarría, Josefina: In/security in Colombia. Writing Political Identities in the Democratic Security Policy. New Approaches to Conflict Analysis; Manchester, 2010.

Eliade, Mircea: Schamanismus und schamanische Ekstasetechnik; Frankfurt, 2001. [first published in French 1951].

Elten, Jörg Andreas: Swami Satyananda. Ganz entspannt im Hier und Jetzt. Tagebuch über mein Leben mit Bhagwan in Poona; Reinbek, 1980.

Erler, Brigitte: Tödliche Hilfe – Bericht von meiner letzten Dienstreise in Sachen Entwicklungshilfe; Freiburg, 1985.

Esteva, Gustavo: «Entwicklung;» in: Dietrich, Wolfgang; Josefina Echavarría; Norbert Koppensteiner (eds.): Schlüsseltexte der Friedensforschung/Key Texts of Peace Studies/Textos claves de la Investigación para la Paz; Münster, Wien, 2006.

Esteva, Gustavo: Fiesta—Jenseits von Entwicklung, Hilfe und Politik; Frankfurt, 1995.

Fanon, Frantz: Die Verdammten dieser Erde; Frankfurt, 2001. [first published in French 1961]

Ferrer, Jorge N.: Revisioning Transpersonal Theory. A Participatory Vision of Human Spirituality; Albany, 2002.

Fisher, Roger and William Ury: Getting to Yes. How to Negotiate Without Giving In; London, 1981.

Forman, Juliet: Bhagwan. The Buddha of the Future; Poona, 1988.

Forman, Juliet: Bhagwan. One Man Against the Whole Ugly Past of Humanity; Köln, 1990.

Foucault, Michel: Society Must Be Defended. Lectures at the Collège de France (1976 – 1976); New York, 2003.

Freire, Paulo: Pedagogy of the Oppressed; New York, 1971.

Freud, Sigmund: Das Unbehagen in der Kultur; Frankfurt, 2001.

Fromm, Erich: Anatomie der menschlichen Destruktivität; Reinbek, 1977. S. 249 – 254. [Englische Erstauflage 1973]

Fukuyama, Francis: The End of History and the Last Man; New York, 1992.

Gail, Rolph: Himmelsmusiken; München, 1998.

Galeano, Eduardo: Open Veins of Latin America. Five Centuries of Pillage of a Continent; New York, 1997 [originally published in Spanish in 1971]

Galtung, Johan: «Cultural Violence;» in: Journal of Peace Research, vol. 27/3, 1990, pp. 291 – 305.

Galtung, Johan: Peace by Peaceful Means; London, New Delhi, Thousand Oaks; 1996.

Gerassi, John (ed.): Venceremos—The Speeches and Writungs of Che Guevara; New York, 1969.

Giddens, Anthony: The Third Way. The Renewal of Social Democracy; London, 1998.

Ginzburg, Carlo: „Spurensicherung. Der Jäger entziffert die Fährte, Sherlock Holmes nimmt die Lupe, Freud liest Morelli – die Wissenschaft auf der Suche nach sich selbst;«in: Ginzburg, Carlo (ed.): Spurensicherung. Über verborgene Geschichte, Kunst und soziales Gedächtnis; München, 1988.

Gordon, Thomas: Familienkonferenz; Hamburg, 1972.

Griffith, Father Bede: «Science Today and the New Creation;» in: Grof, Stanislav (ed.): Ancient Wisdom and Modern Science; New York, 1984.

Groddeck, Norbert: Carl Rogers; Wegbereiter der modernen Psychotherapie; Darmstadt, 2002.

Grof, Cristina and Stanislav Grof: The Stormy Search for the Self; New York, 1990.

Grof, Stanislaf: The Adventure of Self – Discovery. Dimensions of Consciousness and New Perspectives in Psychotherapy and Inner Exploration; Albany, 1988.

Grof, Stanislav (ed.): Ancient Wisdom and Modern Science; New York, 1984.

Grof, Stanislav: Beyond the Brain. Birth, Death and Transcendence in Psychotherapy. Albany, 1985.

Grof, Stanislav and Hal Zina Bennet: The Holotropic Mind. Three Levels of Human Consciousness and How They Shape Our Minds; New York, 1993.

Gronemeyer, Marianne: Die Macht der Bedürfnisse; Reinbek, 1988.

Guevara, Che: Episodes of the Revolutionary War; New York, 1968.

Haerdter, Michael and Sumie Kawai: Die Rebellion des Körpers. Ein Tanz aus Japan; Berlin, 1986.

Hall, Stuart: Wann gab es «das Postkoloniale«? Denken an der Grenze. In: Sebastian Conrad and Shalini Randeria (eds.): Jenseits des Eurozentrismus. Postkoloniale Perspektiven in den Geschichts – und Kulturwissenschaften; Frankfurt am Main, New York, 2002, pp. 275 – 346.

Hamayon, Roberte N.: Shamanism in Siberia: From Partnership in Supernature to Counter – power in Society. In: Thomas, Nicolas and Caroline Humphrey (eds.): Shamanism, History and the State; Ann Arbor, 1996.

Hamel, Peter Michael: Durch Musik zum Selbst; Kassel, 1992 [first published 1976]

Hancock, Graham: Lords of Poverty; London, 1989.

Hansen, Wibke; Oliver Ramsbotham; Tom Woodhouse: Hawks and Doves: Peacekeeping and Conflict Resolution; in Austin, Alex; Martina Fisher; Norbert Ropers (eds.): Transforming Ethnopolitical Conflict: The Berghof Handbook; Wiesbaden, 2004.

Harner, Michael: Der Weg des Schamanen, München, 2004 [Engl. The Way of the Shaman, 1990].

Heinrichs, Salama Inge: Körpersprache als Schlüssel zur Seele; München, 2004.

Heinrichsmeyer, Wilhelm; Oskar Gans; Ingo Evers: Einführung in die Volkswirtschaftslehre; Stuttgart, 1983.

Hellinger, Bert: Der Friede beginnt in den Seelen. Das Familienstellen im Dienst der Versöhnung; Heidelberg, 2003.

Hirst, Paul: War and Power in the Twenty _ first Century: The State, Military Conflict and the International System; Cambridge, 2002.

Hobbs, Nicholas: Gruppen _ bezogene Psychotherapie; und Gordon, Thomas: Gruppen _ bezogene Führung und Verwaltung; in: Rogers, Carl R.: Die klientzentrierte Gesprächspsychotherapie; Frankfurt, 12005. [Engl. Client _ centered Therapy, its Current Practice, Implications, and Theory, 1951]

Höppner, Gert: Heilt Demut, wo Schicksal wirkt? Evaluationsstudie zu Effekten des Familien _ Stellens nach Bert Hellinger; München, 2001.

Hutterer _ Krisch, Renate and Klampl, Petra: Gestalttherapie; in: Sunecko, Thomas (ed.): Psychotherapie; Wien, 2009.

Illich, Ivan: Der Gemeine Frieden; in: Dietrich, Wolfgang; Josefina Echavarría; Norbert Koppensteiner (ed.): Schlüsseltexte der Friedensforschung/Key Texts of Peace Studies/ Textos claves de la Investigación para la Paz; Münster, Wien, 2006, pp. 15 _ 25.

Illouz, Eva: Die Errettung der Modernen Seele; Frankfurt, 2009. [Engl. Saving the Modern Soul, 2008]

Imfeld, Al: Hunger und Hilfe. Provokationen; Zürich, 1985.

Jäger, Willigis: Das Böse, die dunkle Seite Gottes; in: Mahr Albrecht (ed.): Konfliktfelder _ Wissende Felder. Systemaufstellungen in der Friedens _ und Versöhnungsarbeit; Heidelberg, 2003.

Jaspers, Karl: On the Origin and Goal of History; New Haven, 1953. [first published in German 1949]

Kabbal, Jeru: Finding Clarity. A Guide to the Deeper Levels of Your Being; Berkeley/ Cal. , 2006.

Kabbal, Jeru: Quantensprung zur Klarheit. Mit dem Clarity Process zu innerem Frieden; Bielefeld, 2008.

Kabbal, Jeru: Weckrufe; Sylt, 2010.

Kabou, Axelle: Et si l'Afrique refusait le développement; Paris, 1991.

Kaldor, Mary: New and Old Wars. Organized Violence in a Global Era; Cambridge, 1999.

Kaller – Dietrich, Martina: Ivan Illich (1926 – 2002). Sein Leben, sein Denken; Weitra, 2007.

Kellogg, Joan; Margaret Mac Rae; Helen L. Bonny; Francesco Di Leo: «The Use of the Mandala in Psychological Evaluation and Treatment.» In: American Journal of Art Therapy, 16, 1977, pp. 123 – 134.

Kelman, Herbert C.: The Role of the Scholar – Practitioner in International Conflict Resolution; in: International Studies Perspectives, 1, 2000, pp. 273 – 288.

Kernberg, Otto: Internal World and External Reality: Object Relations Theory Applied; New York, 1980.

Kingsely, Widmer: Paul Goodman; Boston, 1980.

Klein, Melanie: Die Welt der Erwachsenen und ihre Wurzeln im Kindesalter; 1959

Kohr, Leopold: The Breakdown of Nations; London, 1957.

Kondratjew, Nikolai D.: Die langen Wellen der Konjunktur; in: Archiv für Sozialwissenschaft und Sozialpolitik. 56, 1926, S. 573 – 609.

Koppensteiner, Norbert: The Art of the Transpersonal Self. Transformation as Aesthetic and Energetic Practice; New York, Dresden, 2009.

Koval, Joel: Kritischer Leitfaden der Psychotherapie; Frankfurt, 1977.

Kripal, Jeffrey J.: Esalen – America and the Religion of No Religion; Chicago, 2007.

Krishnamurti, Jiddu: Autorität und Erziehung; Bern, 1981.

Krishnamurti, Jiddu: Die Vorträge in Washington; München, 1985a.

Krishnamurti, Jiddu: Du bist die Welt – Reden und Gespräche; Frankfurt, 1993.

Krishnamurti, Jiddu: Jenseits der Gewalt; Frankfurt, 1979.

Krishnamurti, Jiddu: Welt des Friedens; München, 1985b.

Kumar, Schmiem Samrat: «The Inward Revolution – Aurobindo Ghose and Jiddu Krishnamurti; in: Dietrich, Wolfgang; Josefina Echavarria; Gustavo Esteva; Daniela

Ingruber; Norbert Koppensteiner (ed.): The Palgrave International Handbook of Peace Studies. A Cultural Perspective; London, New York, 2011, pp. 496 _ 510.

Latkin, Carl A.: «Seeing Red _ A Social _ Psychological Analysis of the Rajneeshpuram Conflict;» in: Aveling, Harry (ed.): Osho Rajneesh and His Disciples. Some Western Perceptions; Delhi, 1999.

Last, David: «Organising for Effective Peacebuilding;» in Ramsbotham, Oliver; Tom Woodhouse (ed.): Peacekeeping and Conflict Resolution; London, 2000.

Laszlo, Ervin: The Age of Bifurcation. Understanding the Changing World; Philadelphia, 1991.

Laszlo, Ervin: The Chaos Point: The World at the Crossroads. Seven Years to Avoid Global Collapse and Promote Worldwide Renewal; Newpuryport, 2006.

Lawler, Peter: «Peace Studies;» in: Williams, Paul D. (ed.): Security Studies. An Introduction; London, 2008, pp. 73 _ 89

Lederach, John Paul: Building Peace. Sustainable Reconciliation in Divided Societies; Washington, 1997.

Lederach, John Paul: Preparing for Peace: Conflict Transformation Across Cultures; Syracuse, 1995.

Lederach, John Paul: The Little Book of Conflict Transformation; Intercourse, 2003.

Lederach, John Paul: The Moral Imagination. The Art and Soul of Building Peace; Oxford, 2005.

Lederach, John Paul and Angela Jill Lederach: When Blood and Bones Cry Out: Journeys Through the Soundscape of Healing; Brisbane, 2010.

Leube, Kurt (ed.): Die Österreichische Schule der Nationalökonomie/1; Wien, 1995.

Lévi _ Strauss, Claude: Structural Anthropology; Chicago, 1976.

Lifton, Robert J.: Thought Reform and the Psychology of Totalism: A Study of «Brainwashing' in China; New York, 1961.

List, Eveline: Psychoanalyse; Wien, 2009

Löhmer, Cornelia and Rüdiger Standhardt: TZI _ Die Kunst, sich selbst und eine Gruppe zu leiten. Einführung in die TZI; Stuttgart, 22008.

Lörler, Marielu: Hüter des alten Wissens. Schamanisches Heilen im Medizinrad; Darmstadt, 2009.

Lovelock, James: Gaia, a New Look at Life on Earth; Oxford, 1979

Lyotard, Jean François: The Differend: Phrases in Dispute; Minneapolis, 1988.

MacDonald, John and Diane Bendahmane: Conflict Resolution: Track Two Diplomacy; Washington, 1987.

Mahr, Albrecht: Das wissende Feld. Familienaufstellung als geistig – energetisches Heilen; München, 1999.

Mahr, Albrecht (ed.): Konfliktfelder – Wissende Felder. Systemaufstellungen in der Friedens – und Versöhnungsarbeit; Heidelberg, 2003.

Mayer – Rieckh, Alexander: «Time to be More Serious about Post – Conflict Police Development;» in: Sicherheit und Frieden—Security and Peace, Hamburg, 2, 2010, pp. 81 – 88.

Mayr, Fabian Patrick: Systemische Konflikttransformation durch Politische Aufstellungen; Saarbrücken, 2008.

Meadows, Donella H. ; Dennis L. Meadows; Jorgen Randers; William W. Behrens III: Limits to Growth; New York, 1972.

Meadows, Donella H. ; Dennis L. Meadows; Jorgen Randers: Beyond the Limits: Confronting Global Collapse, Envisioning a Sustainable Future; Post Mills, 1992.

Meadows, Donella H. ; Dennis L. Meadows; Jorgen Randers: Limits to Growth: The 30 – Year Update; White River Junction, 2004.

Menger, Carl: «Die allgemeine Lehre vom Gute;» in: Leube, Kurt (ed.): Die Österreichische Schule der Nationalökonomie/1; Wien, 1995.

Menzel, Ulrich: Das Ende der Dritten Welt und das Scheitern der großen Theorie; Frankfurt, 1992.

Miall, Hugh: «Conflict Transformation: A Multi – Dimensional Task;» in: Austin, Alex; Martina Fisher; Norbert Ropers (eds.): Transforming Ethnopolitical Conflict: The Berghof Handbook; Wiesbaden, 2004.

Mills, Charles Wright: The Sociological Imagination; New York, 1959.

Mitchell, Christopher and Michael Banks: Handbook of Conflict Resolution: The Analytic Problem – Solving Approach; New York, London, 1996.

Mitchell, Christopher: «The Process and Stages of Mediation. The Sudanese Case;» in: Smock, David (ed.): Making War and Waging Peace; Washington, 1993.

Mitchell, Christopher: «Recognising Conflict;» in: Woodhouse, Tom (ed.): Peacemaking in a Troubled World; Oxford, 1991.

Mitchell, Christopher: The Structure of International Conflict; London, 1981.

Montville, Joseph V. and W. D. Davidson: «Foreign Policy According to Freud.» In:

Foreign Policy; Winter 1981 _ 82, pp. 145 _ 157.

Mookerjee, Ajit: «Kundalini—The Awakening of the Inner Cosmic Energy;» in: Grof, Stanislav (ed.): Ancient Wisdom and Modern Science; New York, 1984.

Morton, Stephen: Gayatri Chakravorty Spivak; London, 2003.

Moyo, Dambisa: Dead Aid. Why Aid is Not Working and How there is a Better Way for Africa; London, 2009.

Münkler, Herfried: The New Wars; Cambridge, 2005.

Naess, Arne: Self _ Realisation. An Ecological Approach to Being in the World; Perth, 1986.

Namekawa, A.: From Jutu to Michi; 2007.

Naranjo, Claudio: «Bringing Eastern Meditation into Western Psychotherapy;» in: Grof, Stanislav (ed.): Ancient Wisdom and Modern Science; New York, 1984.

Nhat Hanh, Thich: Being Peace; Berkeley, 1987.

Nietzsche, Friedrich: Die fröhliche Wissenschaft; in: Nietzsche _ Werke in vier Bänden/4; Ed. by Gerhard Stenzel; Salzburg, 1983. [Engl. The Gay Science]

Nietzsche, Friedrich: Zur Genealogie der Moral. Eine Streitschrift, Erste Abhandlung; in: Nietzsche—Werke in vier Bänden. Ed. by Gerhard Stenzel; Salzburg 1983 [Engl. On the Genealogy of Morals]

O'Connor, Joseph and John Seymour: Neurolingustisches Programmieren. Gelungene Kommunikation und persönliche Entfaltung; Freiburg, 1992 [Engl. Introducing Neuro _ Linguistic Programming, 1990]

Ondruschka, Wolf: Geh den Weg des Schamanen. Das Medizinrad in der Praxis; Saarbrücken, 2008.

Osho: Inner War and Peace. Insights from the Bhagavad Gita; Poona, 2007. [first published 1970]

Perls, Frederick S.: Ego, Hunger and Aggression; Durban, 1945.

Perls, Frederick S. , Paul Goodman, Ralph F. Hefferline: Gestalt Therapy. Excitement and Growth in the Human Personality; Goldsboro, 1977. [first published 1951]

Perls, Frederick S.: Gestalt Therapy Verbatim; Goldsboro, 1992. [first published 1969]

Perls, Frederick S.: The Gestalt Approach & Eye Witness to Therapy; Ben Lomond, 1973.

Pfetsch, Frank and Christoph Roloff: National and International Conflicts 1945 _ 1995; London, 2000.

Polanyi, Karl: The Great Transformation – Politische und ökonomische Ursprünge von Gesellschaften und Wirtschaftssystemen; Frankfurt, 1995. [first published in English 1944]

Pörksen, Uwe: Plastikwörter. Die Sprache einer internationalen Diktatur; Stuttgart, 1992.

Quitmann, Helmut: Humanistische Psychologie; Göttingen, Bern, Toronto, Seattle, 1996.

Rabitsch, Armin: An Assessment of the EU's Foreign Policy Concepts of Good Governance and Regional Integration Versus Africa. A Case Study of Zimbabwe's Recent Political Development. Doctoral Dissertation, Univ. of Innsbruck, 2010.

Rahnema, Majid and Bawtree, Victoria (ed.): The Post – Development Reader; London, 1997.

Ramsbotham, Oliver; Tom Woodhouse; Hugh Miall: Contemporary Conflict Resolution; Cambridge, 2005.

Rank, Otto: The Trauma of Birth; New York, 1929. [first published in German 1924]

Rebillot, Paul: The Call to Adventure. Bringing the Hero's Journey to Daily Life; San Francisco, 1993.

Reimann, Cordula: «Assessing the State of Art in Conflict Transformation;» in: Austin, Alex; Martina Fisher; Norbert Ropers (ed.): Transforming Ethnopolitical Conflict: The Berghof Handbook; Wiesbaden, 2004, pp. 42 – 66.

Reynolds Levy, Laina: The Internet and Post Conflict Peacebuilding; a Study with Special Reference to Kosovo; Bradford, 2004.

Riccabona, Markus: Mantra. Die Macht des Wortes; Wien, 52004.

Richter, Horst – Eberhard: Eltern, Kind und Neurose. Zur Psychoanalyse der kindlichen Rolle in der Familie; Reinbek, 1963.

Richter, Horst – Eberhard: Zur Psychologie des Friedens; Gießen, 1982.

Rist, Gilbert and Sabelli, Fabrizio: Das Märchen von der Entwicklung. Ein Mythos der westlichen Industriegesellschaft und seine Folgen für die «Dritte Welt«; Zürich, 1989.

Rock, William Pennell: Performing Inside Out; Chicago, 1990.

Rogers, Carl: Dealing with Social Tensions; Philadelphia, 1948.

Rogers Carl: Der neue Mensch; Stuttgart, 1981. [Englische Erstauflage 1980]

Rogers, Carl R.: Client – Centered Therapy. Its Current Practice, Implications, and Theory; Cambridge, MA, 1965.

Rogers, Carl: Counseling and Psychotherapy. New Concepts in Practice, Boston, 1942.

Rogers, Carl: Encounter Groups; London, 1971.

Rogers, Carl: On Becoming a Person; Boston, 1961.

Rosenberg, Jack Lee, Marjorie Rand, Diane Asay: Körper, Seele, Selbst. Ein Weg zur Integration; Paderborn, 1996. [Engl.: Body, Self, and Soul: Sustaining Integration, 1985]

Rosenberg, Marshall B.: Nonviolent Communication: A Language of Life; Encinitas, CA, 2003.

Rosenberg, Marshall B.: Konflikte lösen durch Gewaltfreie Kommunikation; Ein Gespräch mit Gabrielle Seils; Freiburg i. Br. , 2004a.

Rosenberg, Marshall B.: Practical Spirituality Reflections on the Spiritual Basis of Nonviolent Communication; Encinitas, CA, 2004b.

Rolf, Ida: Rolfing. Strukturelle Integration; München, 1989.

Rostow, Walt W.: The Stages of Economic Growth, a Non _ communist Manifesto; Cambridge, 1960.

Roth, Gabrielle: Connections. The Five Threads of Intuitive Wisdom; New York, 2004.

Roth, Gabrielle: Sweat Your Prayers. Movement as Spiritual Practice; New York, 1997.

Roth, Gabrielle: Maps to Ecstasy; Novato, 1998.

Rudhyar, Dane: Die Magie der Töne. Musik als Spiegel des Bewusstseins; Bern, München, Wien, 1984. [Engl. The Magic of Tone and the Art of Music, 1982]

Ruesch, Jürgen and Gregory Bateson: Communication—The Social Matrix of Psychiatry; New York, 1951.

Ruhnau, Eva: «Zeit als Maß von Gegenwart;» in: Weis, Kurt (ed.): Was treibt die Zeit. Entwicklung und Herrschaft der Zeit in Wissenschaft, Technik und Religion; München, 1998.

Ruppert, Franz: Verwirrte Seelen. Grundzüge einer systemischen Psychotraumatologie; München, 2002.

Ruppert, Franz: Trauma, Bindung und Familienstellen. Seelische Verletzungen verstehen und heilen; München 2005.

Sachs, Wolfgang (ed): Development Dictionary. A Guide to Knowledge as Power. London, 1992

Said, Edward: Orientalism; New York, 1978.

Satir, Virginia et al.: The Satir Model. Family Therapy and Beyond; Palo Alto, 1991.

Satir, Virginia and Michele Baldwin: Familientherapie in Aktion; Paderborn, 1988. [Engl. Satir Step by Step, 1983]

Satir, Virginia: The New Peoplemaking; Palo Alto, 1988.

Saunders, Harold: «When Citizens Talk. A Look at Unofficial Dialogue in Relations between Nations;» in: Volkan, Vamik; John Montville; Demetrios Julius (eds.): The Psychodynamics of International Relationsships/Vol. II. Unofficial Diplomacy at Work; Lexington, 1991.

Schäffner, Christina and Anita L. Wenden (eds.): Language and Peace; Amsterdam, 1995.

Schmid, Peter F.: «Personzentrierte Psychotherapie;» in: Slunecko, Thomas (ed.): Psychotherapie; Wien, 2009

Schulz von Thun, Friedemann: Miteinander Reden 1. Störungen und Klärungen; Reinbek, 2003a. [first published 1981]

Schulz von Thun, Friedemann: Miteinander Reden 2. Stile, Werte und Persönlichkeitsentwicklung; Reinbek, 2003b [first published 1989].

Schulz von Thun, Friedemann: Miteinander Reden 3. «Das Innere Team und Situationsgerechte Kommunikation;» Reinbek, 2003c [first published 1998]

Schumacher, Ernst _ Friedrich: Small is Beautiful. A Study of Economics as if People Mattered; London, 1974.

Sebastian Conrad and Shalini Randeria (ed.): Jenseits des Eurozentrismus. Postkoloniale Perspektiven in den Geschichts _ und Kulturwissenschaften; Frankfurt am Main/ New York, 2002.

Senghaas, Dieter: Klänge des Friedens. Ein Hörbericht—Annäherung an den Frieden über klassische Musik; Frankfurt, 2001.

Sharamon, Shalila and Bodo Baginski: Das Chakra Handbuch; Oberstdorf, 2009.

Shaw, Martin: The New Western Way of War. Risk _ Transfer War and Its Crisis in Iraq; Cambridge, 2005.

Sheela: Tötet ihn nicht; München, 1996.

Shikwati, James: «Fehlentwicklungshilfe» in: Internationale Politik, 61, nr. 4, 2006.

Singer, June: «The Yoga of Androgyny;» in: Grof, Stanislav (ed.): Ancient Wisdom and Modern Science; New York, 1984.

Spivak, Gayatri Chakravorty: Can the subaltern Speak?, in: Nelson, Cary /Lawrence Grossberg Hg.: Marxism and the Interpretation of Culture; Chicago, 1988.

Spivak, Gayatri Chakravorty: Outside in the Teaching Machine; New York, London, 1993.

Spivak, Gayatri Chakravorty and Judith Butler: Who Sings the Nation State? Language, Politics, Belonging. London, 2007

Staffler, Armin: Augusto Boal. Einführung; Essen, 2009.

Stern, Daniel N.: The Present Moment in Psychotherapy and Everyday Life; New York, London, 2004.

Stevens, John: Unendlicher Friede. Die Biographie des AikidŌ _ Gründers Morihei Ueshiba; Heidelberg, 1992. [Engl. Abundant Peace: The Biography of Morihei Ueshiba, Founder of Aikido, 1987]

Stojanovic, Jelena: Internationaleries: «Collectivism, the Grotesque, an Cold War Functionalism;» in: Stimson, Blake and Gregory Sholette (ed.): Collectivism after Modernism. The Art of Social Imagination after 1945; Minneapolis, 2007.

Stone, Hal and Stone, Sidra: Du bist Viele; München, 1989.

Storm, Hyemeyohsts: Lightningbolt. Die Weisheit der Medizinräder. Geschichte einer Einweihung; München, 1997.

Streatfeild, Dominic: Gehirnwäsche. Die geheime Geschichte der Gedankenkontrolle. Frankfurt, 2008.

Sun Bear and Wabun Wind: Das Medizinrad—Eine Astrologie der Erde; 2005.

Sunecko, Thomas (ed.): Psychotherapie; Wien, 2009.

Sützl, Wolfgang: Emancipación o Violencia. Pacifismo estético en Gianni Vattimo; Barcelona, 2008.

Swami Kripananda: Kundalini—The Energy of Transformation; in: Grof, Stanislav (ed.): Ancient Wisdom and Modern Science; New York, 1984.

Swami Prajnananda: The Mystery of Karma; in: Grof, Stanislav (ed.): Ancient Wisdom and Modern Science; New York, 1984.

Swami Veda Bharati: «Shanti: An Indian Persepctive;» in: Dietrich, Wolfgang; Josefina Echavarria; Gustavo Esteva; Daniela Ingruber; Norbert Koppensteiner (ed.): The Palgrave International Handbook of Peace Studies. A Cultural Perspective; London, New York, 2011 pp. 181 _ 228.

Swami Veda Bharati: What is Right with the World? Human Urge for Peace; Rishikesh, 2010.

Taylor, Peter J.: «Geopolitische Weltordnungen;» in: WeltTrends 4; Berlin, 1994.

Thomas, Nicolas and Caroline Humphrey (eds.): Shamanism, History and the State; Ann Arbor, 1996.

Tobin, James: World Finance and Economic Stability. Selected Essays of James Tobin; Cheltenham, Northampton, 2003.

Tomaschek _ Habrina, Lisa: Die Begegnung mit dem Augenblick. Jakob Levy Morenos Theater _ und Therapiekonzept im Lichte jüdischer Tradition; Marburg, 2004.

Thorau, Henry: «Augusto Boal oder Die Probe auf die Zukunft;» in: Boal, Augusto: Theater der Unterdrückten. Übungen und Spiel für Schauspieler und Nicht _ Schauspieler; Frankfurt. 1989. [first published in Portuguese in 1976]

Trebilcock, Romola: «Auf den Spuren der Vorfahren. Die Perspektive eines Stammesältesten zur Aufstellungsarbeit;» in: Mahr Albrecht (ed.): Konfliktfelder— Wissende Felder. Systemaufstellungen in der Friedens _ und Versöhnungsarbeit; Heidelberg, 2003.

Ueshiba, KisshŌmaru: The Spirit of AikidŌ; Tokyo, New York, London, 1984.

Ueshiba, KisshŌmaru: Introduction; in: Ueshiba, Morihei: BudŌ. Teachings of the Founder of AikidŌ; Tokyo, 1991.

Ueshiba, Morihei: BudŌ. Teachings of the Founder of AikidŌ; Tokyo, 1991.

Ueshiba, Morihei: The Art of Peace; Boston, London, 2007.

Ury; William: The Third Side; London, 2000.

Vachon, Robert: «Kayanerekowa: A Mohawk Perspective;» in Dietrich, Wolfgang; Josefina Echavarria; Gustavo Esteva; Daniela Ingruber; Norbert Koppensteiner (eds.): The Palgrave International Handbook of Peace Studies. A Cultural Perspective; London, New York, 2011 pp. 330 _ 351.

Varga von Kibéd, Matthias: «Zwischen den Menschen _ zwischen den Kulturen. Über die Anwendung Systemischer Strukturaufstellungen auf historische und politische Zusammenhänge;» in: Mahr Albrecht (ed.): Konfliktfelder —Wissende Felder. Systemaufstellungen in der Friedens _ und Versöhnungsarbeit; Heidelberg, 2003.

Van Duijn, Jaap: The Long Wave in Economic Life; London, 1993.

Vaughan, Frances: «The Transpersonal Perspective;» in: Grof, Stanislav (ed.): Ancient Wisdom and Modern Science; New York, 1984.

Velásquez, Ronny: Estética Aborigen; Caracas, 2008.

Viala, Jean and Nourit Masson _ Sekine: Butoh. Shades of Darkness; Tokio, 1988

Volkan, Vamik: Das Versagen der Diplomatie. Zur Psychoanalyse nationaler, ethnischer und religiöser Konflikte; Gießen, 2003.

Volkan, Vamik; John Montville; Demetrios Julius (ed.): The Psychodynamics of International Relationsships, vol. II. Unofficial Diplomacy at Work; Lexington, 1991.

Wallerstein, Immanuel: Der historische Kapitalismus; Berlin, Hamburg, 1989.

Wagner, Niklas; Holger Raasch; Thomas Pröpstl: Wiener Übereinkommen über diplomatische Beziehungen von 18. April 1961. Kommentar für die Praxis; Berlin, 2007.

Wagner, Winfried: Aiki _ do und wir. Atem, Bewegung und spirituelle Entwicklung; Petersberg, 1999.

Warah, Rasna (ed.): Mercenaries, Missionaries and Misfits. An Anthology; London, 2008.

Walch, Sylvester: Dimensionen der menschlichen Seele. Transpersonale Psychologie und holotropes Atmen; Düsseldorf, Zürich 2003.

Walker, Wolfgang: Abenteuer Kommunikation. Bateson, Perls, Satir, Erickson und die Anfänge des Neurolinguistischen Programmierens; Stuttgart, 1996.

Wallensteen, Peter: Understanding Conflict Resolution; Los Angeles, London, New Delhi, Singapore; 2007.

Wallensteen, Peter and Karin Axell: «Armed Conflict at the End of the Cold War, 1989 _ 1992.» In: Journal of Peace Research, 30, nr. 3, August 1993, pp. 331 _ 346.

Wallerstein, Immanuel: «Bourgeois(ie): Begriff und Realitat;» in: Balibar, Etienne and Immanuel Wallerstein (ed.): Rasse, Klasse, Nation; Hamburg, Berlin, 1990, pp. 167 _ 189. [first published in French 1988]

Wallerstein, Immanuel: The Modern World System. Capitalist Agriculture and the Origins of the European World _ Economy in the Sixteenth Century; New York, 1974.

Watzlawick, Paul; Janet H. Beaven; Don D. Jackson: Menschliche Kommunikation. Formen, Störungen, Paradoxien; Bern, Stuttgart, 1969.

Wenden, Anita L.: «Defining Peace: Perspectives from Peace Research;» in: Schäffner, Christina and Anita L. Wenden (eds.): Language and Peace; Amsterdam, 1995, pp. 5 _ 15.

Wilber, Ken: A Theory of Everything. An Integral Vision for Business, Politics, Science and Spirituality; Boston, 2000.

Wilber, Ken: Sex, Ecology, Spirituality: The Spirit of Evolution; Boston, 1995.

Williams, Paul D. Hg.: Security Studies. An Introduction; London, 2008.

Wimmer, Franz M.: Interkulturelle Philosophie; Wien, 2004.

Wink, Walter: Engaging the Powers, Discernment and Resistance in a World of Domination; Minneapolis, 1992.

Wittgenstein, Ludwig: Tractatus Logico - Philosophicus, Frankfurt am Main, 2003. [first published1921].

World Commission on Environment and Development (ed.): Our Common Future; Oxford, 1987.

Zartman, William: Ripe for Resolution: Conflict and Intervention in Africa; New York, Oxford, 1989.

Internet sources

America Imagining: Jan Cohen - Cruz (11 November 2010)

http://www. imaginingamerica. org/staff/bio_cohen - cruz. html

Arbeitskreis Kommuniation und Klärungshilfe;

http://www. schulz - von - thun. de/ak. html (16 September 2009)

Beardi, Ingo: Aikido http://www. beardi. com (5 September 2009)

Burton, John: Conflict Resolution: Towards Problem Solving;

http://www. gmu. edu/programs/icar/pcs/burton. html (29 March 2010)

California Institute of the Arts: Mady Schutzman

http://directory. calarts. edu/directory/mady - schutzman (11 November 2010)

Cátedra UNESCO de Filosofía para la Paz/Centro Internacional Bancaja para la Paz y el Desarrollo;

http://www. cufp. uji. es (22 March 2009)

Deer Tribe Metis Medicine Society;

http://www. dtmms. org (4 September 2010)

Deutsche Gesellschaft für Systemische Therapie und Familientherapie:

Stellungnahme der DGSF zum Thema Familienaufstellungen (February 2003);

http://www. dgsf. org/themen/berufspolitik/hellinger. htm (12 December 2009)

Dietrich, Wolfgang: «A Structural - cyclic Model of Developments in Human Rights;» in Donnelly, Jack ed.: The University of Denver's Human Rights Working Papers/6; Denver, 2000.

www. du. edu/korbel/hrhw/working/1999 - 2001/06 - **dietrich** - 04 - 00. pdf (28 May 2009)

Eastern Mennonite University;

http://www. emu. edu (25 May 2010)

European Union: A secure Europe in a better world (European Security Strategy, 12 Dezember, 2003): http://ue. eu. int/uedocs/cms_data/docs/pressdata/en/reports/76255. pdf

(31 March, 2010)

European Commission: The Cotonou Agreement; http://ec. europa. eu/development/geographical/cotonouintro_en. cfm#background (24 May 2010)

Gellman, Mneesha: Powerful Cultures: Indigenous and Western Epistemologies in Conflict Transformation Processes

www. usp. ac. fj/fileadmin/files/Institutes/piasdg/seminars/2007/sem_MIGellman ـ ppt. pdf (21 September 2008)

Gowan, Richard: «UN ـ Friedenseinsätze: ein Plädoyer für strategische Investitionen;» in: Zentrum für internationale Friedenseinsätze—Policy Briefing; Berlin, August 2010 http://www. zif ـ berlin. org/fileadmin/uploads/analyse/dokumente/veroeffentlichungen/Policy_Briefing_Richard_Gowan_Aug_2010_DEU. pdf (3 September 2011)

Heinrichs, Henriette: Butoh ـ Die Seele tanzt;

http://www. butoh ـ tanz. de (31 May 2010)

Ichazo, Oscar: Arica;

http://www. arica. org (15. November 2009)

Illich, Ivan: The De ـ Linking of Peace and Development. Opening address on the occasion of the first meeting of the Asian Peace Research Association, Yokohama, 1st. December 1980.

www. pudel. uni ـ bremen. de/pdf/DELINK. pdf (18 February 2013)

Institute for Multitrack Diplomacy;

http://www. imtd. org (25 November 2009)

Internationales Forum Politische Aufstellungen: Systemische Praxis und Forschung im Politischen Feld;

http://www. ifpa ـ ev. org (12 December 2009)

International Resilience Program (IRP) of the Tufts University; http://www. tuftsgloballeadership. org/programs/irp (14 December 2009).

International Theatre of the Oppressed Organisation;

www. theatreoftheoppressed. org (3 February 2010)

Inter Region Economic Network:
http://www. irenkenya. com (19 May 2010)
Kabbal, Jeru: His Life and his Death;
http://www. jerukabbal. com (15 October 2009)
http://www. jerukabbal. com/02_life. html (10 August 2009)
Kaller _ Dietrich: Martina: Dienen Politische Aufstellungen der Friedensarbeit? Neue Möglichkeiten zur Transformation politischer Konflikte; Innsbruck, 2007.
www. uibk. ac. at/peacestudies/downloads/peacelibrary/constellation. pdf (14 December 2009)
Kelman, Herbert: Biography;
www. wcfia. harvard. edu/faculty/hckelman/index. htm (30 March 2010)
Lederach, John Paul: Justpeace; European Platform for Conflict Prevention and Transformation; 2007a;
http://www. gppac. net/documents/pbp/part1/1_justpe. htm (8 December 2010).
Lederach, John Paul: Reflective Peacebuilding; Notre Dame, 2007b;
http://www. kroc. nd. edu (25 October 2010)
Lederach, John Paul and Michelle Maiese: Conflict Transformation _ Beyond Intractability; in Burgess, Guy /Heidi Burgess ed.: Conflict Research Consortium; Boulder, 2003;
http://www. beyondintractability. org/m/transformation. jsp (8 December 2010)
Lester B. Pearson International Peacekeeping Training Centre;
http://www. peaceoperations. org (10 May 2010)
Lincoln University;
http://www. lincolnuca. edu (17 November 2010)
Lowe, Paul;
http://www. paullowe. org (13 April 2010)
MacDonald, John: Multi _ Track Diplomacy;
http://www. beyondintractability. org/essay/multi _ track_Diplomacy (25 November 2009)
Mahr, Albrecht: Vier Grundlagen für die Arbeit mit Aufstellungen;
http://www. mahrsysteme. de/vier _ grundlagen _ fuer _ die _ arbeit _ mit _ aufstellungen. html (14. December 2009)
Mahr, Albrecht: *Family Constellations _ Failure, Evil, and Guilt as Sources for Loving Dedication and Compassionate Strength*; 2004;

http://ifpa _ ev. org /?Lang=DE&Project=ifpa&Page=Vortraege (25 March 2010)

Mahr, Albrecht: Systemic Constellations as a Means for Resolving Inter _ cultural, Inter _ religious and Inter _ ethnic conflicts and: Political Constellations and the Importance of Human Relations in the Political Field; 2005a;

http://ifpa _ ev. org/?Lang=DE&Project=ifpa&Page=Vortraege (25 March 2010)

Mahr, Albrecht; «Orders of Evil?' On the Paradox of Peace and Reconciliation Work. An exploration of coping with and preventing trauma in large groups from a systemic constellation perspective; 2005b;

http://ifpa _ ev. org/?Lang=DE&Project=ifpa&Page=Vortraege (25 March 2010)

Namekawa, A.: Aikido, 2007;

http://www. aiki. jp/honbu/egakusyu/news/jyutudo3. html (16 December 2009)

Omoto: What is Omoto?

http://www. oomoto. or. jp (5 November 2009)

Organization for Economic Development and Cooperation/Development Cooperation Directorate OECD _ DAC: Helping Prevent Violent Conflict (Full publication containing the ground _ breaking 1997 guidelines and the 2001 supplement);

http://www. oecd. org/document/45/0,3343,en_2649_33693550_1886125_1_1_1_1,00. html (19 May 2010)

Pepperdine University: *About Pepperdine;*

http://www. pepperdine. edu/about/pepperdine (13 October 2009)

Rosenberg, Marshall B.: The Center for Nonviolent Communication;

http://www. cnvc. org (11 September 2009)

Roth, Gabrielle: Five Rhythms Global;

http://www. gabrielleroth. com (9 November 2009)

Ruth Cohn Institut für TZI/Rheinland _ Westfalen;

www. ruth _ cohn _ institut _ rw. de (17 March 2009)

Schaffer Library of Drug Policy: Project MULTRA, The CIA's Program of Reasearch in Behavioral Modification; Joint Hearing Before the Select Committee on Intelligence and the Subcommittee on Health and Scientific Research of the Committee on Human Resources/United States Senate/Ninety _ Fifth Congress/ First Session (August 3, 1977);

http://www. druglibrary. org/schaffer/history/e1950/mkultra/index. htm (13 October 2009)

Schulz von Thun, Friedemann: Modelle zur Kommunikation, Das Innere Team;

http://www. schulz_von_thun. de/mod_innteam. html (22 September 2009)
Seki, Minako: Dancing Between. Butoh Berlin;
http://www. minakoseki. com (14 November 2009)
Spectact, Verein für politisches und soziales Theater;
http://www. spectact. at (5 February 2010)
Swami Veda Bharati*:* Swami Veda Bharati's World Wide Mission;
http://www. swamiveda. org (5 November 2009)
Theater der Unterdrückten Wien;
http://www. tdu_wien. at (29 December 2009)
The Clarity Project;
www. clarityproject. de (9 August 2009)
The Third Side
http://www. thirdside. org (5 May 2010)
The World Bank /The Post Conflict Fund*: Annual Reports;*
http://go. worldbank. org/CB8QGC1JZ0 (24 May 2010)
Traxl, Herbert: Diplomatischer Dienst;
http://www. juridicum. at/index. php?id=240 (31. 3. 2010)
Twisted Hairs
http://www. sw_lodge. de/pages/Twisted%20Hairs. htm (15 April 2009)
United Nations: Charta of the United Nations
http://www. un. org/en/documents/charter/(10 May, 2010)
United Nations: We Can End Poverty 2015. Millennium Development Goals;
http://www. un. org/millenniumgoals (10 May 2010)
United Nations: United Nations Peacekeeping Operations;
http://www. un. org/en/peacekeeping/bnote. htm (27 April 2010)
United Nations Educational, Scientific and Cultural Organization UNESCO: About Us:
http://www. unesco. org/new/en/unesco/about_us/(29 April 2009)
United Nations Educational, Scientific and Cultural Organization UNESCO: Peace is in Our Hands
http://www3. unesco. org/iycp (28 May 2009)
United Nations International Children's Emergency Fund UNICEF: Annual Report 2005;
http://www. unicef. org/publicationited ns/index_34144. html (10 May 2010)
United Nations Peacekeeping: Comprehensive Review Of The Whole Question of

Peacekeeping Operations In All Their Aspects; Doc A /55 /305; S /2000 /809; New York, 2000. (The Brahmini Report):

http://www. un. org/peace/reports/peace_operations/(29 March 2010)

Vancouver's Headlines Theatre;

http://www. headlinestheatre. com (18 February 2010)

World Health Organization WHO: Country Reports and Charts Available;

http://www. who. int/mental_health/prevention/suicide/country_reports/en/index. html (14 December 2009)

3C Conference Report; Genf, 2009.

http://www. 3c ـ conference2009. ch/en/Home (5 September 2011)

Official documents

Boutros ـ Ghali, Boutros: An Agenda for Peace, Preventive Diplomacy, Peacemaking and Peacekeeping. Report of the Secretary ـ General pursuant to the statement adopted by the Summit Meeting of the Security Council on 31 January 1992. A/47/277 ـ S/24111. 17 June

Boutros ـ Ghali, Boutros: Supplement to An Agenda for Peace: Position Paper of the Secretary ـ General on the Occasion of the Fiftieth Anniversary of the United Nations Document A/50/60 ـ S/1995/1, 3 January 1995. New York, 1995

Commission of the European Communities: Green Paper on Relations Between the European Union and the ACP Countries on the Eve of the 21st Century. Challenges and Options for a New Partnership; COM (96)570. Brüssel, 1996.

OECD ـ DAC: Policy Statement on Conflict, Peace and Development on the Threshold of the 21st Century; In: OECD ـ DAC: The DAC Guidelines Helping Prevent Violent Conflict; Paris, 2001.

Video and audio documents

Gisinger, Sabine and Beat Häner: Guru; Baghwan, his Secretary and his Bodyguard; Zürich, 2010.

Hellinger, Bert: Die Versöhnung des Getrennten. Ein Kurs für Psychose ـ Patienten/ Mallorca Video 1 ـ 4; Berchtesgaden, Videoverlag Bert Hellinger International; s. a.

Kabbal, Jeru: Jeden Augenblick zur Meditation machen, Audio ـ Talk, Mallorca 1999, The ClarityProject®, Sylt/Germany.

Krishnamurti, Jiddu: Handeln, das immer richtig ist; Krishnamurti Foundation Trust Ltd. (ed.): Krishnamurti, Jiddu ـ Wenn Freiheit da ist. Saaner Gespräche 1980; Müllheim, Baden, 2002. [DVD4026411350899]